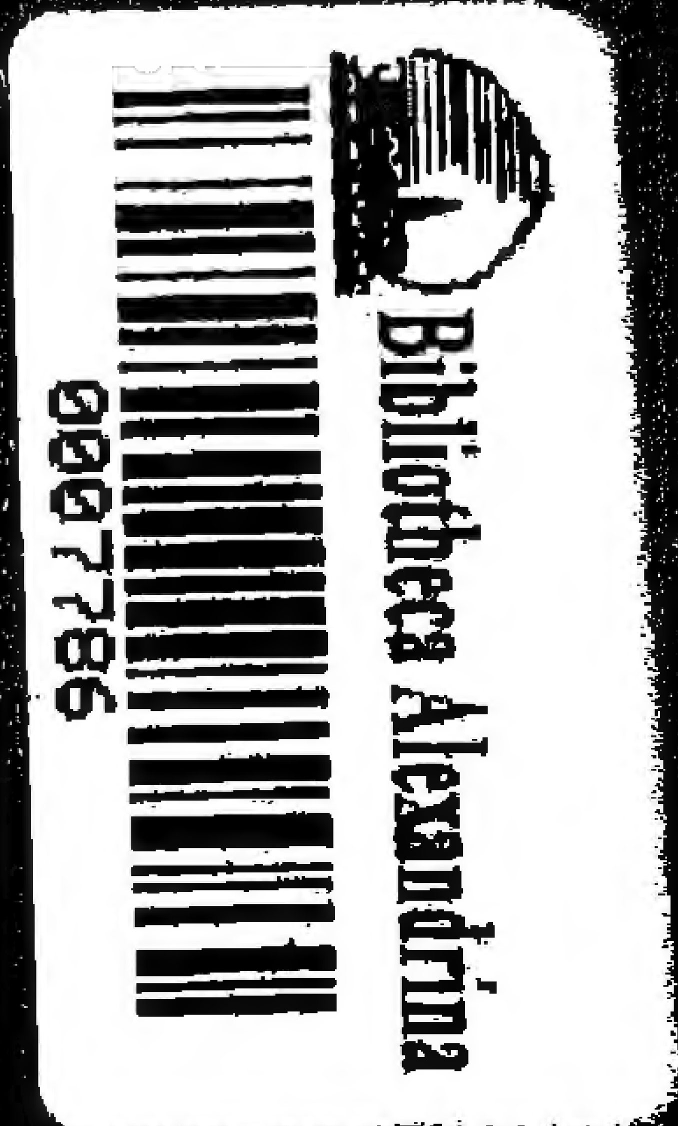
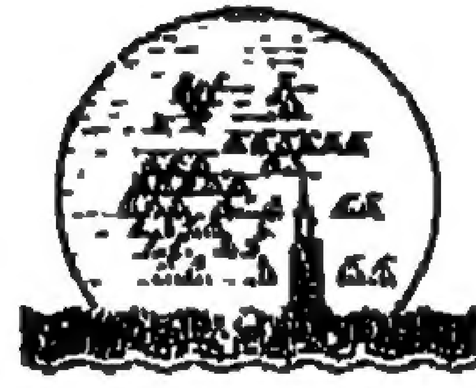
ابن عبد البر الأندلسي

وجهوده في التاريخ

ليث سعود جاسم







الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

ابن عبد البر الأندلسي
وجهوده في التاريخ

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١/٣٥٦٢٢٠/٣٥٦٢٣٠
فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ ص ، ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24007
فرع القاهرة : ١١ ش شريف ت ٧٤١٩٩٧ / ٧٥٤٦٠٦

ابن عبد البر الأندلسي
وجهوده في التاريخ

ليث سعود جاسم

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد زَخَرَ التاريخ الإسلامى بالأعلام والأفذاذ الذين كانوا صياغة تلك الحضارة السامقة التى تجلى فيها جمال البناء على هدى وحى السماء .

وكان ابن عبد البر واحداً من هؤلاء الأفذاذ الذين واكبوا مسيرة الحياة على ذلك الهدى ، وأسهموا فى رفع صرح تلك الحضارة ، فكان غُرَّة على ناصية تاريخنا الإسلامى .

عرف ابن عبد البر « بحافظ المغرب » وهو لقب يطلق على علماء الحديث الذين بلغوا المنزلة السامية فيه علما وخلقا . وبين أيدينا من إنتاجه فى علم الحديث ما يشهد بالإمامة له فى هذا العِلم الإسلامى الأصيل . وقد غلبت عليه الشهرة فى ذلك .

ولكن الناظر فى سيرة هذا العَلَم يجدُ نفسهُ أمام موسوعة علمية تضم علوما شتى ولعل آثاره تنبيك عن أخباره .

فإذا أمعنا النظر فى الجانب التاريخى عند ابن عبد البر وجدنا أن إنتاجه فى هذا الجانب يُشكّل كماً لايستهان به .

وقد غطّى به جوانب مهمة من المكتبة التاريخية مثل : السيرة النبوية ، وتراجم الصحابة والفقهاء ، وعلم الأنساب .

وقدشهد له كل من ترجم له بأن له بسطة كبيرة فى علم النسب والخبر وكانت هذه الشهادة من تلاميذه أمثال : الحميدى ، الذى كان ابن عبد البر أحد مصادره فى كتابه « جذوة المقتبس » وابن حزم ، الذى أثنى على منهج ابن عبد البر فى الاستيعاب .

بل إن الجيل الذى تلا جيل تلاميذه لم يستغن عن الاعتراف من علم ابن عبد

البر فى الجانب التاريخى ، وقد نقل عنه ابن بشكوال فى كتاب الصلة وجعله من مصادره الأساسية ، ثم إن ابن الأبار جعل ابن عبد البر مصدره فى الرواية عن الرازى مؤرخ الأندلس .

ولعل ثناء ابن الأثير كان دقيقا ومعبرا عندما جعل كتاب الاستيعاب ضمن دائرة الكتب التاريخية ، لأنه نهج فيه نهجا يخالف من ألف فى الصحابة ممن سبقه ، فبمؤلفاتهم بكتب الحديث أشبه .

وأما فى العصر الحديث فأول من ألمح إلى الجانب التاريخى عند ابن عبد البر هم المستشرقين أمثال نولدكه (NOLDEKE) وشيفير (SHEFER) وفيران (FERRAND) وذلك من خلال الكلام عن كتاب القصد والأمم وإفادته فى الكشف عن بعض المعلومات فى الجغرافية التاريخية .

ثم كانت خطوة الدكتور شوقى ضيف لتحقيق كتاب (الدرر فى المغازى والسير) لابن عبد البر ونّوه من خلال مقدمة التحقيق إلى القيمة التاريخية لهذا النص ، الذى يتميز بالدقة والتحليل والترجيح بين الروايات على ضوء ثقافته الحديثية وحسه التاريخى وبين كذلك تأثر ابن حزم تلميذ ابن عبد البر بهذا الكتاب فى كتابه جوامع السيرة الذى يكاد يكون نسخة أخرى من كتاب الدرر وإن لم يشر إلى ذلك ابن حزم . وقد أشار إلى ذلك محققا كتاب جوامع السيرة تخمينا قبل نشر كتاب الدرر .

وقد كانت هناك دراسات أكاديمية متخصصة لدراسة ابن عبد البر القرطبى ولكن فى غير الجانب التاريخى . من ذلك : رسالة تقدم بها إسماعيل الندوى بكلية دار العلوم ونال بها درجة الماجستير فى العلوم الإسلامية / تخصص شريعة سنة (١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤ م) وكان عنوانها (ابن عبد البر القرطبى وأثره فى الحديث والفقه) .

ثم قدمت رسالة ثانية ، فى جامعة الأزهر قدمها صالح أحمد رضا ونال بها درجة العالمية ــ الدكتوراه بقسم الحديث فى كلية أصول الدين سنة

(١٣٩٠هـ — ١٩٧٠ م) . وكان عنوان الرسالة : (مدرسة الحديث فى الأندلس وإمامها ابن عبد البر) .

وقدمت رسالة ثالثة فى جامعة الملك عبد العزيز (أم القرى الآن) قدمها : الطاهر بن الصادق الأنصارى ، ونال بها درجة الماجستير ، بفرع الكتاب والسنة فى كلية الشريعة سنة (١٣٩٧هـ — ١٩٧٧ م) وكان عنوان الرسالة : (ابن عبد البر النّمرى مُحدّثا) .

وقد أفدت من هذه الرسائل فى بعض الجوانب المتعلقة بموضوع البحث .

ومع ذلك كله بقى الجانب التاريخى عند ابن عبد البر بكرا لم يقربهُ أحد ، حتى تيسرت الفرصة بتوجيه أستاذنا الدكتور أحمد شلبى ، حيث كان الاتجاه يوم تسجيلى الرسالة هو الكشف عن المؤرخين الذين غلبت عليهم جوانب ثقافتهم الأخرى فاشتهروا بها ، مع أنهم برعوا فى الجانب التاريخى ، وكان يشكل فى بنائهم العلمى خَطًّا أصيلًا .

وكان قد سبقنى فى ذلك زميل كريم هو الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس . حيث أعدّ رسالته بتوجيه من أستاذنا الدكتور أحمد شلبى فى الجانب التاريخى عند ابن حزم تلميذ ابن عبدالبر . وعنوانها : (ابن حزم الأندلسى مؤرخا) . نوقشت سنة (١٣٩٨هـ — ١٩٧٨ م) .

وقد قدمت مؤخرا رسالة ما جستير بإشراف أستاذنا الدكتور إبراهيم العدوى بعنوان (الطبرى ومنهجه فى التاريخ) قدمها على بكر حسن بقسم التاريخ بكلية دار العلوم سنة (١٤٠٤هـ — ١٩٨٤ م) .

وقد واكب هذا الاتجاه جامعات أخرى حيث قدمت رسالة ماجستير بكلية البنات جامعة عين شمس أشرفت عليها الأستاذة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ، بعنوان (التاريخ والمنهج التاريخى لابن حجر العسقلانى على ضوء كتاب أنباء الغمربأنباء العمر) وقدمها : محمد كمال الدين عز الدين سنة ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢ م وقد تبنى قسم التاريخ بكلية آداب جامعة بغداد مثل هذا الاتجاه ،

فقدمت رسالتان للدكتوراه :

الأولى : قدمها الأستاذ بشار عواد معروف « رئيس قسم التاريخ الآن » ونال بها درجة الدكتوراه ، عنوانها : (الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام) .

والرسالة الثانية قدمها الأستاذ الدكتور شاكر محمود عبد المنعم ، ونال بها درجة الدكتوراه ، وكان عنوانها : (ابن حجر العسقلانى ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده فى كتابه الإصابة) .

ثم استعنت بالله فى خوض غمار هذا البحث حول شخصية مشهورة ، ولكن مع شهرتها ، وثراء إنتاجها كانت سيرتها مجهولة إلا ماورد من بعض إشارات فى كتب التراجم من غير تفصيلات واضحة تعين على الإحاطة بسيرة هذا العلم . فحياته فى قرطبة وأطوارها غير معروفة . وخروجه من قرطبة وتوقيت ذلك الخروج مجهول ، وكذلك المدينة التى توجه إليها بعد قرطبة لم تكن معروفة ، سكتت المصادر عن تفصيل ذلك ثم رحلاته بين المدن الأندلسية لم تكن معلومة ، وكذلك الأوقات التى تمت فيها . وأسبابها ، وغير ذلك من الجوانب التى يحيط بها الغموض .

ومن الضرورى أن يحاط بهذه الجوانب ليتمكن الباحث من السير مع شخصية البحث لمعالجة الجانب الذى يود الكشف عنه . وقد حاول البحث أن يعطى صورة شبه كاملة لسيرة ابن عبد البر وحياته ، التى فقدت كثيرا من حلقاتها فى البحوث التى سبقت .

وقد اقتضى ذلك نبش كتب التراجم لجمع شتات الأقوال ، والتى غالبا ما تكون منقولة عن بعضها البعض مع التفرد أحيانا ببعض العبارات أو الإشارات .

ثم غربلة تراجم شيوخه ، وتلاميذه عسى أن نستخرج درة من صدفة من

خلال تراجمهم ، أو مؤلفاتهم .

وبعد ذلك سبرغور مؤلفاته فى العلوم المختلفة . لعل الحظ يحالف فى اقتناص لفظة ، أو بيت من الشعر ، أو موقف ، أو خبر يستخفى بين السطور .

ثم تأليف هذه المادة فى عقد ينتظمها لتعطينا صورة أقرب إلى الواقع لسيرة ابن عبد البر وحياته . وأرجو أن أكون وفقت فى ذلك .

ثم يَمَمْتُ وجهى بعد ذلك إلى تراثه المطبوع والمخطوط فى الحديث والفقه والأدب ، وبخاصة التاريخ منه أستلهم الخطوط العامة لإطار البحث التاريخى عند ابن عبد البر ، ثم دراسة إنتاجه التاريخى للخروج بعد ذلك إلى استكشاف معالم شخصية ابن عبد البر المؤرخ ووضعها فى ميزان النقد . ليتضح بعد ذلك ابن عبد البر مؤرخا أصيلا من المدرسة الأندلسية الثرة التى تعج بأمثاله الذين ينتظرون من يكشف عنهم ، ويقدمهم للأجيال الحاضرة بناة لصرح علم التاريخ فى تلك البقعة التى أضاعتها حماقات أهلها .

تعريف بمصادر هذه الدراسة ومراجعها :

أولا : كانت مؤلفات ابن عبد البر المطبوع منها والمخطوط هى القاعدة التى قام عليها هذا البناء ، وقد عرفنا بكل مؤلفاته فى الفصل الخامس الخاص بمؤلفات ابن عبدالبر .

ثانيا : المصادر والمراجع الأخرى المخطوط منها والمطبوع .

والمصادر والمراجع التى سنذكرها هنا هى التى أسهمت بصورة مباشرة أساسية فى إظهار هذا البحث :

١ ــ المخطوطات :

أ ــ الغنية : فهرس شيوخ القاضى عياض أسهمت فى الكشف عن مؤلفات ابن عبد البر وتلاميذه مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (١٢٨٤ : تاريخ تيمور) .

ب ـــ تاريخ الإسلام :

للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨ هـ) . وقد زودنا بمعلومات عن مؤلفات ابن عبد البر وشيوخه .

وهذا المخطوط في واحد وعشرين مجلدا ، تناول فيه كتابة الحوادث في السنة الأولى للهجرة حتى سنة ٧٠٠ هـ وقسمه إلى وحدات زمنية أمدها عشر سنوات أطلق عليها لفظ الطبقة ، ورتب حوادثه حسب السنوات . والنسخة التي اعتمدت مجلد يضم وفيات سنة (٣٠١ هـ ـــ ٥٠٠ هـ) مصورة عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا ومحفوظة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة . (١)

ج ـــ سير أعلام النبلاء : للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (٧٤٨ هـ) رتب الذهبي كتابه هذا على الطبقات فجعله من بداية الإسلام حتى سنة ٧٠٠ هـ تقريبا وقسمه إلى خمس وثلاثين طبقة . فجاء في ثلاثة عشر مجلداً ضخما . فأفرد المجلدين الأول والثاني للسيرة النبوية والخلفاء الراشدين ، وبدأ المجلد الثالث بسيرة العشرة المبشرين بالجنة . ثم كبار الصحابة فالتابعين .. وقد أورد فيه من الروايات أكثر مما أورد في تاريخ الإسلام . وتوسع في تراجمه ولم يضف إليه جديدا من التراجم .

وقد نشرت الجامعة العربية ثلاثة أجزاء متوسطة الحجم ، وقد بدأت هذا المشروع سنة ١٩٥٦ م باعتناء د . صلاح الدين المنجد ، (٢) وتوقف هذا المشروع عند الجزء الثالث ، ثم نشر منه حسام الدين القدسي الجزء الخاص بالسيرة النبوية وأعطاه ترتيب الجزء الثاني .

ونشر تاريخ الخلفاء الراشدين وأعطاه ترتيب جزء ثالث على غير ترتيب المنجد .

---

(١) ذكر الدكتور بشار عواد بأن هذا المجلد ماهو إلا انتقاء من تاريخ الإسلام صنّف في حياة الذهبي . انظر : الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام : ٢٨٦ .

(٢) انظر الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام : ١٧٥ ـــ ١٧٧ .

وقد قامت دار الرسالة ببيروت مؤخرا بنشر الكتاب وصدر منه إلى الآن ثلاثة وعشرون مجلداً . وهذه خدمة جليلة للعلم والبحث حيث أخرج هذا الكتاب من أدراج المكتبات ليكون فى متناول الباحثين .

وكان اعتماد البحث على القسم الأول من الجزء الثانى عشر حيث ترجم لابن عبد البر ترجمة وافية نفيسة .

د ـ التكملة لكتاب الموصول والصلة لابن الأبار :

وقد كان القسم الثالث فيه معلومات مهمة عن تلامذة ابن عبد البر ، وفيه ترجمة لابنته زينب وهو الكتاب الذى تفرّد بهذه الترجمة ، كما ورد فيه خبر حضور مجاهدالعامرى مجلس ابن عبد البر وسماعه منه .

والمخطوط منه نسخة مصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة لم تصنف بعد .

هـ ـ مقدمة كتاب الاستذكار لأبى طاهر السّلَفى :

وهى مقدمة فى عشرة ورقات صورتها عن المكتبة الظاهرية بدمشق ، وقد انفردت ببعض الأخبار عن ابن عبد البر ، وخاصة فى تحديد تاريخ ولادته ووفاته ، وبينت اهتمام السلفى بمؤلفات ابن عبد البر ، وحرصه على لقاء تلاميذ ابن عبد البر ورحلته لأجل هذا الغرض .

٢ ـ أما المصادر المطبوعة فأهمها :

أ ـ البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى (ت ٧١٢ هـ) :

وقد أسهم الجزءان الثانى والثالث فى دراسة الأحوال العامة فى عصر ابن عبدالبر .

ب ـ أعمال الأعلام فى من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام : للسان الدين الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) :

وقد اعتمد البحث على الجزء الثانى منه وهو من تحقيق بروفنسال ، وقد أسهم فى توضيح الأحوال السياسية فى عصر ابن عبد البر ، وكشف عن دَوْرِ وَالِدِ ابن

عبد البر ومكانته فى الحياة القرطبية .

ج ــ الذخيــرة فى محــاسن أهــل الجزيــرة : لابــن بسام الشنترينى (ت ٥٤٢ هـ) :

وقد عمل على تحقيقه الدكتور إحسان عباس (١٩٧٩ م) ط ١ . فأسدى خدمة جليلة للباحثين فى ذلك بعد أن جمع شتات مخطوطاته من مكتبات العالم ، وأصدره بأربعة أقسام ، وقسم كل قسم إلى جزئين أغلب اعتمادى على الأقسام الثلاثة الأولى والجزء الأول من القسم الرابع .

د ــ التكملة لكتاب الموصول والصلة : لابن الأبار :

حققه عزت العطار الحسينى ، وقد أكمل الأربعين ملزمة من آخر الجزء الثانى الشيخ عبد الغنى عبد الخالق رحمه الله بعد وفاة الشيخ عزت العطار . ونشر الكتاب مكتبة الخانجى بالقاهرة ،والكتاب يتضمن معلومات مهمة عن تلاميذ ابن عبد البر وشيوخه ، ومعلومات عن مؤلفاته وأحفاده .

هـ ــ إعتاب الكُتّاب : لابن الأبار :

وقد استفاد البحث منه فى ترجمة ابن عبد البر الابن وطبيعة علاقته بالمعتضد ابن عباد . وقدوم والده إليه لإخراجه من سجن المعتضد .

و ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقّرى :

وقد أفدت من هذا البحث فى النواحى السياسية وترجمة ابن عبد البر وأقرانه وتلاميذه وشيوخه . وبخاصة الأجزاء الستة الأولى .

ز ــ كتاب الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى :

وأفدت من هذا الكتاب فى الباب الثالث عند الكلام عن نقد الخبر عند المسلمين .

وكذلك كتاب التقييد والإيضاح فى شرح مقدمة ابن الصلاح لعبد الرحيم العراقى .

٣ ــ المراجع الحديثة :

أ ــ موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية : لأستاذنا الدكتور أحمد شلبى :

وقد استفدت فى هذا البحث من :

١ ــ الجزء الأول ط ١٠ (١٩٨١ م) : وذلك فيما يخص السيرة النبوية وتدوينها ، وقد اعتمدت عليها عند دراسة فائدة التاريخ ومفهوم مبدأ الالتزام .

٢ ــ الجزء الرابع ط ٤ (١٩٧٧ م) : وقد استفدت من هذا الجزء فى التمهيد عن الأحوال العامة فى عصر ابن عبد البر .

ب ــ موسوعة النظم والحضارة الإسلامية :

١ ــ السياسة فى الفكر الإسلامى : الجزء الثالث : ط ٤ (١٩٨٣ م) استفدت منه فى التمهيد عند الكلام عن الأحوال السياسية .

٢ ــ تاريخ التربية الإسلامية : الجزء الخامس ط ٦ (١٩٧٨ م) استفدت به عند الكلام عن دراسات ابن عبد البر الأولى وثقافته .

ج ــ التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة : لأستاذنا الدكتور عبد الرحمن على الحجى :

وقد استفدت به فى التمهيد وخاصة عند الكلام عن الدعوة إلى التوحد ، ودور العلماء فيها ، ومتى بدأت .

د ــ علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس وبالدول الإسلامية للدكتور إبراهيم خليل السامرائى :

واستفدت منه فى التمهيد السياسى وخاصة عند الكلام عن الفتنة القرطبية وآثارها .

هـ ــ منهج النقد التاريخى الإسلامى الأوربى

للدكتور عثمان موافى ، أستاذ النقد الأدبى فى جامعة الاسكندرية / كلية الآداب ، وقد أفدت فى هذا الكتاب فى بناء مادة الباب الثالث الخاص بمنهج نقد الخبر عند المسلمين ومقارنته بالمنهج الأوربى فى النقد .

و ـ المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل :

دكتور . فاروق حمادة أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الرباط بالمغرب ،أسهم هذا الكتاب فى بناء الباب الثالث عند استكشاف منهج نقد الخبر عند المسلمين .

ز ـ النقد التاريخى لأنجلوا وسينوبوس ، ترجمة د . عبد الرحمن بدوى ، وقد استفدت منه عند المقارنة بين منهج النقد عند المسلمين والأوروبيين .

وقد اعتمدت هذه الدراسة على عشرات من الكتب الأخرى التى أسهمت فى إخراج هذا البحث وقد ذكرنا هنا المخطوطات والمصادر والمراجع التى استقى منها البحث أغلب مادته .

وهناك العشرات من الكتب التى ذكرت فى هوامش الرسالة سواء من المخطوطات والمصادر والبحوث والمقالات التى اطلع عليها الباحث ، ولكنها لم تدخل فى معالجة أحداث البحث بصورة مباشرة . فلذلك لم أذكر فى قائمة المصادر والمراجع إلا ما استخدمته ونقلت عنه .

ز ـ النقد التاريخى لأنجلوا وسينوبوس :

ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ، وقد استفدت منه عند المقارنة بين منهج النقد عند المسلمين والأوروبيين .



الباب الأول

الأحوال العامة فى عصر ابن عبد البر

أولا : الأحوال السياسية فى عصر ابن عبد البر

عاشت الأندلس عصرها الذهبى فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وكان لعبد الرحمن الناصر (٢٧٧ ــ ٣٥٠ هـ) (٩٨٠ ــ ٩٦١ م) الذى تولى الخلافة لمدة خمسين سنة (٣٠٠ ــ ٣٥٠ هـ) (٩١٢ ــ ٩٦١ م) الدور الكبير فى استقرار الدولة الأندلسية بعد تشتت وفتن عانى منها المجتمع الأندلسى فى القرن الثالث ، وخاصة فى أواخره ، ولكن حزم الناصر وقوته وضعت حدا لكل وهن فى المجتمع الأندلسى سياسيا كان أو ثقافيا ، وغدت الدولة الإسلامية فى الأندلس مرهوبة الجانب فى الخارج ،بل بدأت الدول النصرانية تكسب ودها وتتبادل السفارات معها .

ثم خلفه ابنه الحكم المستنصر الذى دامت خلافته من (٣٥٠ ــ ٣٦٦هـ ــ ٩٦١ ــ ٩٧٦ م) ، وقد سار على أثر والده فى الحزم السياسى فى الداخل والخارج ، وزاد عليه اهتماما مباشرا بالثقافة وتنميتها وشجع العلماء بإكرامهم وتهيئة الفرص لكل مبرز فى جانب من جوانب العلوم بصورة عامة ، فعم الاهتمام بالتأليف ، وعقد مجالس المناظرات العلمية ،[1] وعمل على استقدام العلماء من أنحاء العالم الإسلامى الأخرى ليسهموا فى إثراء النشاط العلمى فى الأندلس وكان هذا سمته حتى وافته منيته فى اليوم الثانى من صفر سنة (٣٦٦ هـ ــ ٩٧٦ م) وقد دام حكمه خمسة عشر عاما .[2]

وقبل أن يتوفى المستنصر عهد إلى هشام ابنه بالأمر ، وأخذ العهد من كبار رجال الدولة ، ومشاهير فقهائها على بيعته[3] ، وكتب ذلك فى كتاب أشهد عليه « من الأعلام هضاب راسية ، وبحار من العلم زاخرة ، وأعلام قولهم مسموع وبرهم

---

(١) انظر الحلة السيراء : ابن الأبار : ١ / ٢٠٣ ، وانظر جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : ١٠٠ .

(٢) دولة الإسلام . عنان ص٥١٧ وانظر تاريخ الأندلس : العبادى ٢٣٨ .

(٣) أعمال الأعلام : ابن الخطيب : ٢ / ٤٣ ــ ٤٤ والبيان المغرب : لابن عذارى ٢ / ٢٤٩ .

مشروع وأثرهم متبوع »[1] وأورد ابن الخطيب[2] قائمة بأسمائهم وذكر فيهم والد ابن عبد البر واسمه عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى وكان ذلك فى سنة (٣٦٥ هـ — ٩٧٥ م) مستهل جمادى الآخرة .. فالتزمت بيعته وأخرجت نظائره من كتب البيعة ليوقع شهادة كل من التزمها .[3]

الصراع على السلطة بعد المستنصر :

ولقد شهدت قرطبة صراعات سياسية داخل أروقة الحكم من حين وفاة الحكم المستنصر إلى حين سيطرة ابن أبى عامر وتفرده بإدارة الدولة وتلقبه بالمنصور فى ظل خلافة صورية لهشام المؤيد ابن الحكم المستنصر .

وكان الصراع فى بدايته بين اتجاهين :

الأول : المعارضين لتولية هشام بن الحكم المستنصر .

والثانى : المؤيدين لتولية هشام .

وكانت المعارضة لتولية هشام يقودها الصقالبة ، وعلى رأسهم الفتيان فائق وجؤذر اللذان كانا يحرصان على بقاء الخلافة الأموية ، ولضمان ذلك رأيا أن يكون على رأسها خليفة يتّسم بصفات تؤهله لهذا المنصب ليحفظها ، لخشيتهما ضياع الخلافة من هشام « لصغر سنه وإنكار الناس لتقديمه »[4] ، لذا عزما على « رد الأمر للمغيرة بن الناصر أخى مولاهما الحكم »[5] بعد أن علما بوفاة الأخير « على أن يُقر ابن أخيه هشاماً على العهد بعده »[6] ، وبذلك بغيا « لمولاهما — الحكم — بارتقاب كِبر ولده ، ويكون الملك فى أيديهما بحاله »[7] .

---

(١) أعمال الأعلام : ٢ / ٤٨ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٥٠ .

(٣) البيان المغرب : لابن عذارى : ٢ / ٢٤٩ .

(٤)،(٥)،(٦) (٧) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ ، وانظر تاريخ العرب فى أفريقية والأندلس : ١٥٦ — ١٥٧ ، وانظر دولة الإسلام : ٥١٧ .

أما اتجاه المؤيدين لتولية هشام بن الحكم فكان يمثله جعفر بن عثمان المصحفى (٣٧٢ هـ — ٩٨٢ م) حاجب الحكم المستنصر ، « ووزيره الأخص »[١] ومحمد بن أبى عامر (٣٢٧ — ٣٩٢ هـ = ٩٤٠ — ١٠٠٢ م) وكيل هشام بن الحكم ،[٢] « وصاحب شرطته الوسطى والسِّكة والمواريث »[٣] وغيرهما من المتنفذين من وجوه قرطبة وقُواد الجند . وكان المتطلع الحقيقى للهيمنة على الأمر فى هذه المجموعة جعفر بن عثمان المصحفى وابن أبى عامر .

وقد بدأ الصراع بعد وفاة الحكم مباشرة بين المؤيدين والمعارضين لهشام بن الحكم ، وذلك حتى اتفق على إخفاء موت الحكم الفتيان الصقلبيات « فائق المعروف بالنِّظامى صاحب البُرد والطِّراز »[٤] ، « وجُؤذر صاحب الصّاغة والبيازِرَة »[٥] .

---

(١) البيان المغرب ٢ / ٢٥١ وانظر الذخيرة ٤ : ١ / ٦٠ طبعة بيروت ، وانظر الحلة : ١ / ٢٥٧ — ٢٦٧ .

(٢) البيان المغرب : ٢ / ٢٥٤ وانظر الحلة : ١ / ٢٦٨ — ٢٧٧ ، والوكالة هنا القيام بالنيابة فى قضاء الأعمال الخاصة بهشام وأمه وولى ذلك فى سنة ٣٥٦ هـ .

(٣) صاحب الشرطة الوسطى : وهى : إما وظيفة خاصة بالطبقة الوسطى على قول بروفنسال أو هى لقب فخرى يمنحه الخلفاء لمن ساءون

تحقيق محمود على مكى : ٢٨٧

وصاحب السِّكة : أى الإشراف على دارسك النقود وضربها وولى ذلك سنة ٣٥٦ هـ وصاحب المواريث : وهو المسؤول عن تقسيم الأنصبة على الورثة بعد حسابها . ووليها ابن أبى عامر فى (٣٥٨ هـ) : انظر البيان المغرب ٢ / ٢٥١ .

(٤) وكان فائق رأس الصقالبة فى وقته . وصاحب البرد والطراز : المسئول عن مخازن الملابس السلطانية ومصانعها : انظر البيان المغرب ٢ / ٢٥٩ . والبرد مفردها وهو : نوع من الثياب المخططة الموشاة : انظر لسان العرب ط ١ ١٩٨٠ م دار المعارف : ١ / ٢٥٠ ، و الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان ويطلق على الموضع الذى تنسج فيه الثياب الجياد . انظر لسان العرب ٣ / ٢٦٥٥ وانظر المقدمة ٢ / ٧٠٨ .

(٥) وكان جؤذر وفائق من مقدمى الصقالبة . وصاحب الصاغة : صاغ الشيىء سبكه والصاغة : جمع صائغ وهم الذين يصوغون الحلى . فصاحب الصاغة : هو المسئول عن هؤلاء الذين يشتغلون لصياغة ما يحتاج السلطان من حلى ، أو أنه مسئول عن خزائن حلى الدولة . انظر اللسان ٣ / ٢٥٢٧ .

وصاحب البيازِرَةُ : البَيزارُ : الذى يحمل البازى ، ويقال البازيار وكلاهما دخيل والبيازرة جمع بيزار ، انظر اللسان ١ / ٢٧٤ ، فجؤذر كان المسئول عن هؤلاء الذين يهتمون بصقور السلطان ويحملونها عند الخروج للصيد .

كانت خطة جُؤذر وفائق عدم الإخبار بوفاة الحكم ، ثم إقناع المغيرة على قبول مبايعته خليفة بعد الحكم بدل هشام بن الحكم ، وأشار جؤذر على فائق بقتل الحاجب جعفر بن عثمان المصحفى ، ولكنّ فائقاً رفض ذلك وآثر استشارة جعفر فوافقه فائق .[1]

وعرضا الأمر على جعفر المصحفى فوافقهما ظاهراً ، ولكنه ما أن خرج من عندهما حتى استدعى وزراء الدولة أمثال ابن عامر ، وزياد بن أفلح[2] ، ومحمد ابن قاسم ، وهشام بن محمد بن عثمان ، وطلب « بنى برزال إذ كانوا بطانة جعفر المصحفى من سائر الجند »[3] ، فنعى لهم الخليفة وكشف لهم عن « مذهب الصقالبة فى نكث بيعة هشام » وبين لهم ضرر ذلك عليهم بقوله :

« إن حبسنا الدولة على هشام أمنا على أنفسنا ، وصارت الدنيا فى أيدينا ، وإن انتقلت إلى المغيرة استبدل بنا ، وطلب شفاء أحقاده » [4]

فاشار جعفر المصحفى عليهم بقتل المغيرة أخا الحكم ، فوافقوا بإجماعهم على ذلك ، ولكنهم ترددوا فيمن سينفذ ذلك ، (فكفوا وجبنوا فبادرهم ابن أبى عامر وقال : يا قوم إنى أخاف فساد أمركم ، ونحن تبع لهذا الرئيس ــ وأشار إلى جعفر ــ فينبغى ألا نختلف عليه ، وأنا أتحمل ذلك عنكم ... فأعجب جعفراً والجماعة ما كان منه وولّوه شأنه »[5].

فتوجه محمد بن أبى عامر إلى المغيرة ، ودخل عليه فوجده لايعلم بخبر موت

---

(١) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ وانظر الذخيرة ٤ : ١ / ٥٨ .

(٢) وكان من موالى الناصر ووزيراً من وزراء المنصور بن أبى عامر بعد ذلك انظر الحلة السيراء : لابن الأبار : ١ / ٢٧٨ ودولة الإسلام : ٥١٧ ــ ٥١٨ .

(٣) بنوبَرْزال رهط من قبيلة زَناتَة البربرية موطنهم الأول وسط الجزائر الحالية فيماكان يعرف بالزّاب الأسفل ، دخلوا الأندلس زمن الحكم المستنصر واستعان بهم ابن أبى عامر بعد ذلك وعند انهيار الخلافة كّونوا لهم فى سنة : ٤٠٣ هـ دولة فى قَرْمُونَةَ ، انظر البيان المغرب ٣ / ٢٦٨ والحلة السيراء : الهامش : ٢ / ٥٠ .

(٤) الذخيرة ٤ : ١ / ٥٨ ، البيان المغرب : ٢ / ٢٦٠ .

(٥) البيان المغرب : ٢ / ٢٦١ .

الحكم ، فنعاه إليه ، وأخبره بأن وزراء الحكم بلغهم رفضه لبيعة هشام ابن الحكم ، فكذب المغيرة ذلك ، وأبدى استعداده لبيعة هشام ، فأسقط فى يد محمد بن أبى عامر ، فأرسل إلى جعفر المصحفى يخبره بموقف المغيرة ، ولكن جعفر طلب إتمام قتله ، فقتله محمد بن أبى عامر ، ثم أشيع بأنَّ المغيرة قد قتل نفسه لخروج الأمر من يديه .[1]

ولما بلغ الخبر الفتيان فائق وجؤذربادرا للاتصال بجعفر المصحفى ليعتذرا إليه عن اقتراحهما فكرة تولية المغيرة ، وليدفعا عن نفسيهما جريرة الانتقام .[2]

فأبدى لهما جعفر المصحفى الرضى ظاهراً ، ولكنه بدأ فى بث العيون والرُّقباء ، وعمل على احتواء أتباعهم بواسطة محمد بن أبى عامر ، الذى استمال خمسمائة منهم فضلا عن سائر الجند الآخرين ، وذلك بإغرائهم بالمال[3] ، وبالتالى ضعفت شوكة جؤذر[4] وفائق[5] اللَّذين آثرا ترك قصر الخلافة والإقامة فى منزليهما .[6] ونصب الحاجب جعفر المصحفى الفتى سُكَّرا رأساً للصقالبة الذين بقوا على ولائهم . فسكنت بذلك نفوسهم ، واستتب الأمر لجعفر بعد أن خلا الجو من المعسكر المنافس لجعفر وأصحابه ، والمعارض لخلافة هشام بن الحكم .[7]

وبعد أن أبعد معسكر المعارضة عن مراكز التأثير بويع لهشام بن الحكم وذلك فى«يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة (٣٦٦هـ-٩٧٦م) بعهد من أبيه»[8] وتلقب بالمؤيد[9] ، «وكان لابن أبى عامر فى أخذها أثر كبير تذاكره الناس» .[10]

---

(١) انظر نفس المصدر : ٢ / ٢٦١ وانظر دولة الإسلام : ٥١٨ وانظر نفح الطيب ١ / ٣٩٦ .

(٢) انظر البيان المعرب : ٢ / ٢٦٢ وانظر دولة الإسلام : ٥١٨ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٢ / ٢٦٣ ، وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٠ .

(٤) أما جؤذر فإنه تآمر على ابن أبى عامر بعد استيلائه على الأمر مؤيدا لأحد أحفاد الناصر وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر .

انظر هامش الحلة السيراء : ١ / ٢٧٩ .

(٥) وأما فائق فإنه اعتزل فى جزيرة ميورقة ومات هناك ، انظر : البيان المعرب ٢ / ٢٦٣ ، وأعمال الأعلام : ٢ / ٦٠ .

(٦) الحلة السيراء الهامش : ١ / ٢٧٩ .

(٧) البيان المعرب ٢ / ٢٦٤ ودولة الإسلام : ٥١٩ — ٥٢٠ .

(٨، ٩)، البيان المغرب ٢ / ٢٦٤ .

(١٠) نفس المصدر ٢ / ٢٦٢ .

«فلمّا كان يوم السبت السادس من جلوس هشام ، (وهو العاشر من صفر سنة ٣٦٦هـ) قلّد هشام حجابته ... أبا الحسن جعفر بن عثمان المصحفى»[١] ، وفى نفس اليوم قلّد هشام المؤيد محمد بن أبى عامر الوزارة ، وجعله مساعداً لجعفر المصحفى فى إدارة الدولة .[٢]

انتهز ابن أبى عامر هجوم النصارى على بعض المدن الأندلسية فأشار على جعفر المصحفى بتجهيز جيش ، وأبدى استعداده لقيادته بعد أن رفض ذلك غيره من القادة ، ولكنه طلب اختيار جنده ، وأن يجهز جيشه بمائة ألف دينار واستكثر ذلك بعض القادة ولكنهم تراجعوا أمام إصرار ابن أبى عامر ، بل أبدى استعداده للصَّرف على الجيش من حسابه الخاص ، وكان هذا أول خطوات ابن أبى عامر[٣] للسلطة .

خرج ابن أبى عامر بجيشه هذا فى الثالث من رجب سنة (٣٦٦هـ) ، ورجع منتصرا بعد ثلاثة وخمسين يوماً مُحملا بالغنائم ، مما زاد التفاف الجند حوله لما رأوه من كرم عشرته ، وحسن معاملته ، فأدرك منهم بذلك أملهُ ومطلوبه وضمن تأييدهم له .[٤]

الرؤوس المتساوية :

ثم بدأ الصراع الحقيقى بين جعفر المصحفى ، ومحمد بن أبى عامر الذى كان يُخطط للوثوب إلى السلطة ، وبالتالى كان عليه أن يُصفى كلَّ العقبات التى تقف فى سبيله . وأولها جعفر المصحفى ، لذا بدأ ابن أبى عامر باستمالة القادة الآخرين الذين كانوا ينفثون على جعفر المنزلة التى قدَّمه إليها الحكم المستنصر فنفذ ابن أبى عامر إليهم من هذه الثغرة ، وكان على رأس هؤلاء « الوزير أبى تمام غالب الناصرى

---

(١) (٢) نفس المصدر ٢ / ٢٥٤ .

(٣) انظر نفس المصدر ٢ / ٢٦٤ ، وانظر دولة الإسلام : ٥٢٧ .

(٤) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٤ .

(٥) انظر نفس المصدر : ٢ / ٧١ ـ ٢٧٢ وكان على رأس هذه القيادات بنو أبى عبدة . وبنو شهيد وبنو جهور وبنو فُطَيْس من الموالى .

صاحب مدينة سالم[1]، والثغر الأدنى[2] شيخ الموالى قاطبة ، وفارس الأندلس يومئذ ، وكانت بينه وبين جعفر المصحفى عداوة ومنافسة ، فعمل ابن أبى عامر على ترقيته بتوسطه لدى أم الخليفة المؤيد ، فعين الخليفة المؤيد غالباً الناصرى قائداً للجيش الأندلسى فى الثغر الأدنى ، وعَهِد إلى ابن أبى عامر بالقيادة المركزية للجيش فى قرطبة ، وزادت الرابطة بين غالب وابن أبى عامر توثقاً فى غزوة الصائِفة[3] التى خرج فيها ابن أبى عامر فى أول شوال سنة (٣٦٦هـ ٩٧٦م) حيث غنم المسلمون أوسع غنيمة .[4]

وعند رجوع ابن أبى عامر إلى قرطبة بالغنائم استمال بذلك قلوب العامة والخاصة ، وظهر صيته ، وكافأه الخليفة بأن ضم إليه وظيفة (صاحب المدينة) ، التى كان يشغلها محمد بن جعفر المصحفى ، فضبط محمد بن أبى عامر المدينة ضبطاً صارماً أَمِنَ فيه الناس على أنفسهم من المجرمين[5]، « وقمع أهل الفسق والدعارت »[6]، « وسَدّ باب الشفاعات »[7] « فانقمع الشّر فى أيامه جملة »[8] لكفايته ونزاهته .

حاول جعفر المصحفى الالتفاف على ابن أبى عامر وذلك بمكاتبة غالب يخطب إليه ابنته أسماء ، فوافق غالب . ولكن ابن أبى عامر كاتب غالباً يعاتبه على هذا الفعل وينشده عهده فحل غالب عقدة جعفر وأنكح ابن أبى عامر .[9]

---

(١) وهى مدينة فى شمال الأندلس وكانت عاصمة الثغر الأوسط ، انظر جغرافية الأندلس : هامش ٩٥ .

(٢) الثغر وجمعها ثغور هو كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً كأنه مأخوذ من الثغرة وهى الفرجة فى الحائط ، وكان يرابط بها المجاهدون من العلماء وغيرهم : مراصد الاطلاع ١ / ٢٩٧ . واستعمل الأندلسيون هذا الاصطلاح للدلالة على حدودهم المجاورة لإسبانيا المسيحية وكان للأندلس ثلاثة ثغور : الأعلى ، والأوسط ، والأدنى ، والثغر الأدنى : يشمل المنطقة الواقعة بين نهرى دُوَيْرَةَ وتاجة . انظر هامش جغرافية الأندلس للبكرى تحقيق د . عبد الرحمن الحجى ص ٩٥ .

(٣) الصّائِفة :الغزوة فى الصيف ، انظر لسان العرب ٣ / ٢٥٣٨ .

(٤) انظر البيان المغرب ٢ / ٢٦٥ .

(٥) نفس المصدر : ٢ / ٢٦٦ ودولة الإسلام : ٥٢٨ . وصاحب المدينة : هو المتصرف بشؤونها المحافظ على مرافقها وهو كالمحافظ فى عصرنا . انظر قرطبة فى العصر الإسلامى ٢٢٩ .

(٦)،(٧)، (٨) البيان المغرب : ٢ / ٢٦٦ .

(٩) انظر نفس المصدر ٢ / ٢٦٧ وانظر الذخيرة : ٤ : ١ / ٦٤ ودولة الإسلام ٥٢٩ .

وخرج ابن أبى عامر فى غزوته الثالثة فى غرة صفر سنة (٣٦٧ هـ = ٩٧٧ م) متوجها إلى طليطلة أولا حيث التقى بصهره غالب الناصرى ومنها متوجها إلى الاستيلاء على بعض الحصون ثم حاصرا شَلَمَنقة[١] واستوليا على بعض أطرافها .

ولما قَفَل ابن أبى عامر راجعاً إلى قرطبة بالغنائم زاد الخليفة فى ترقيته فمنحه لقب (ذو الوزارتين) . ثم استقدم الخليفة المؤيد غالب الناصرى وابنته وتولى تزويجها لمحمد بن أبى عامر ، وجعل هدية زواجه وظيفة الحجابة التى طالما تطلع إليها ابن أبى عامر وخطّط للوصول إليها . وفى المقابل قام الخليفة بعزل جعفر المصحفى عن وظيفة الحجابة ، وذلك فى يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٦٧ هـ وأمر بالقبض عليه وعلى ولده محمد وأنصاره وتولى ابن أبى عامر محاكمتهم وتصفية ممتلكاتهم ، واستمرت نكبة المصحفى سنوات ، وبالغ محمد ابن أبى عامر فى إهانته ، حتى أنه كان يحمله معه فى غزواته[٢]، « تعنيتاً له وانتقاماً منه ، فلما بان عجزه وضَعُف أقر بالمُطبّق إلى أن هلك فى سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة »[٣] .

المنصور بن أبى عامر ومقدمات الاستيلاء :

كان ابن أبى عامر قد بدأ بتوطيد الأمور للهيمنة الكاملة بعد إبعاد جعفر المصحفى بالاستعانة بغالب الناصرى وكبار القادة الذين أيدوه ، ومن الأمور التى كانت تدل على ذلك أنه ابتدأ ببناء قصر له فى أطراف قرطبة فى موضع مُطل على نهر قرطبة وسماه الزاهرة[٤] على نسق زهراء عبد الرحمن الناصر ، ليكون بذلك بعيداً عن أيدى أعدائه المتربصين به فى قرطبة من المروانيين وغيرهم ، ثم لتكون داراً للمُلك مستقبلا[٥] .

(١) شَلَمَنقة : وهى مدينة من مدن ولاية ماردة فى الثغر الأوسط فى الأندلس ، انظر دولة الإسلام : ١٣٢ ، انظر جغرافية الأندلس : ٦٣ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٦٧ — ٢٧٢ ودولة الإسلام : ٥٢٩ — ٥٣٠ .

(٣) الحلة السيراء : لابن الأبار : ١ / ٢٥٩ والمطبق من سجون قرطبة .

(٤) وقد ابتدأ بنائها فى سنة ٣٦٨ هـ وانتهى فى ٣٧٠ هـ وانتقل إليها فى هذه السنة وهى تقع شرق قرطبة . انظر الروض المعطار ٨٠ — ٨٢ .

(٥) انظر البيان المغرب ٥٢ / ٢٧٥ — ودولة الإسلام : ٥٣٥ .

ثم بدأ بإقطاع وزرائه وأتباعه أراض حول قصره[1]، فابتنوا قصورهم حول قصره حتى غدت مدينة كبيرة « قامت بها الأسواق وكثرت فيها الأرزاق، وتنافس الناس بالنزول فى أكنافها ... للدنو من صاحب الدولة .. حتى كملت أحسن كمال وجاءت فى نهاية الجمال »[2].

« ثم نقل إليها خزائن الأموال والأسلحة واتخذ فيها الدواوين والأعمال »[3] كل هذه الأمور كانت تتم بعيداً عن هشام المؤيد.

« ثم بدأ يحدد تصرفات الخليفة ويتولى زمام كثير من الواجبات التى من اختصاص الخليفة، ولم يُبق له إلا الدعاء على المنبر، وحدّد إقامة الخليفة فى قصره، ولم يسمح لأحد بالاتصال به، ووضع الحراس والعيون، وأشاع ابن أبى عامر أن المؤيد هشام بن الحكم قد اعتكف فى قصره على العبادة وأنه قد فوضه فى النظر فى أمور الدولة.[4]

« واتجه ابن أبى عامر إلى استدعاء أهل العُدْوَة، من رجال زَناتَة والبرابرة ورتب منهم جنداً واصطنع أولياء وعَرَّف عُرفاء من صنهاجة ومَغْراوة وبنى يفْرِن وبنى بَرزال ومِكناسَةَ وغيرهم »[5] واستوزر ابن أبى عامر جعفر بن على بن حمدون وأحله محلّ الأخ فى الثقة، فاعتدل بالبرابرة أمره وقَوِىَ ظهره ... حتى صاروا أكثر أجناد الأندلس ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن أبى عامر وبطانته »[6].

ولما راى ذلك القائد غالب الناصرى أحسّ بأن ابن أبى عامر يكيد له أمراً، فبادر إلى رسم خطة للتخلص من ابن أبى عامر حيث دعاه إلى وليمة فى إحدى غزواته، وأجهز عليه ولكنّ ابن أبى عامر أفلت، وذلك بالقفز بحصانه من أعلى

(١) نفس المصدر: ٢ / ٢٧٦.

(٢) انظر البيان المغرب: ٢ / ٢٧٦ — ٢٧٧.

(٣) نفس المصدر ٢ / ٢٧٥ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٦٢.

(٤) نفس المصدر: ٢ / ٢٧٨ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٦٢.

(٥) العبر لابن خلدون: ٤ / ١٤٨ وانظر نفح الطيب: ١ / ٣٩٧، وزناته ومَغْراوَة وصنهاجَة وبنى يَفْرن، وبنى بَرزال، ومكناسة قبائل البربر التى دخلت الأندلس زمن المنصور.

(٦) البيان المغرب: ٢ / ٢٧٨، ٢٧٩.

القلعة ونجى ، ثم جهّز جيشاً تخلص بواسطته من غالب الذى مات حتف أنفه فى المعركة على حصانه وكان ذلك فى الرابع من المحرم لسنة (٣٧١ هـ) .[١]

وبعد أن قضى ابن أبى عامر على غالب بالاستعانة بجعفر بن على بن حمود تخلص من جعفر بمساعدة أبى الأحوص[٢] معن بن عبد العزيز التجيبى الذى انقضّ على جعفر بعد خروجه من مجلس ابن أبى عامر وذلك سنة (٣٧٢ هـ = ٩٨٢ م) لثلاث خلون من شعبان[٣] « ثم قتل ابن أبى عامر أبا الأحوص وانفرد وحده » .[٤]

استقرار الأمر للمنصور :

بعد هذا الصراع الطويل بين الرؤوس المتساوية فى الساحة الأندلسية رست الأمور واستقرت بيد ابن أبى عامر دون منازع ، بعد أن تسمّى بالمنصور ، وقَرَنَ بين اسمه واسم الخليفة فى الدعاء له على المنابر ، فكانت الكتب تنفذ باسمه .[٥]
« وقعد على سرير الملك وأمر أن يُحيّا بتحية الملوك وتسمّى بالحاجب المنصور »[٦] مما جعل البعض[٧] من المؤرخين يعتبر فترة حكمه قائمة بذاتها ، ودولة منسوبة إلى مؤسسها ابن أبى عامر ، وذهب القسم الآخر ومنهم ابن عبد البر[٨] إلى اعتبارها فترة امتداد للخلافة الأموية ، وإن كانت تبعيتها شكلية .[٩]

---

(١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٢ ــ ٦٣ وانظر البيان المغرب ٢ / ٢٧٩ .
(٢) مَعْنُ بن عبد العزيز التُجيبى كان من قادة المنصور بن أبى عامر وكان قد أقامه حاكماً على مدينة سَمُورَة سنة ٣٨٩ هـ انظر أعمال الأعلام ٢ / ٦٣ ، وانظر تاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٨١ .
(٣) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٧٩ ، ٢٨٠ وانظر دولة الإسلام لعنان : ٢ / ٥٤٢ .
(٤) البيان المغرب : ٢ / ٢٧٩ .

(٥) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٧٩ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٦٥ وانظر دولة الإسلام لعنان ٢ / ٥٤١ .
(٦) نفح الطيب : ١ / ٣٩٧ .
(٧) ذهب إلى ذلك لسان الدين ابن الخطيب : انظر أعمال الأعلام : ١ / ٥٩ وأفردها عنان كذلك انظر دولة الإسلام ٢ / ٥٣٣ .
(٨) القصد والأمم : ٢٨ .
(٩) ذهب إلى ذلك الدكتور أحمد مختار العبادى ، انظر تاريخ الأندلس ٢٤٢ والدكتور عبد الرحمن الحجى : التاريخ الأندلسى ٢٩٩ ــ ٣٠٠ .

المنصور يكسر شوكة النصارى :

واتجه المنصور إلى جهاد النصارى فى عقر دارهم ، فكسب بذلك شعبية عند الناس ، فاض المال بين أيديهم ، وامتلأت الأندلس بالغنائم ، حتى أطلق على المنصور لقب الجلّاب لكثرة ما جلب من الغنائم والسّبى .(١)

وقد « حارب المنصور فى جبهات النصارى المتعددة فى : قَشْتَالَة (CASTILE)(٢) وَلِيُون (LEON)(٣) ، ونبّرة (NAVARRE)(٤) ، وقَطالُونيا (CATALONIA)(٥) وأنزل بهذه الممالك خسائر فادحة وتوغّل فيها إلى مالم يتوغل إليه فاتح من الفاتحين المسلمين السابقين ، فدانت له جميع أسبانيا شمالاً وجنوباً »(٦) وبلغت غزوات المنصور ستاً وخمسين غزوة باشرها كلّها بنفسه ،(٧) وكانت له كلّ عام غزوتان فى الربيع وفى الخريف ، حتى أنه « وصل إلى معاقل قد امتنعت على مَن قبله »(٨) .

---

(١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ٦٦ وانظر المعجب : ٢٤ وانظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٠٤ وانظر موسوعة التاريخ ٤ / ٥٤ .

(٢) قَشْتَالَة : (CASTILE) مملكة نصرانية فى شمال الأندلس انفصلت عن مملكة لَيون ٣٣٩ هـ ــ ٩٥٠ م وقد فرضت سيطرتها بعد ذلك على كل الممالك النصرانية الأخرى : انظر الأندلسيون المَوارِكَة : ٤٩ .

(٣) ليون : (LEON) : وهى من أقدم الممالك النصرانية وتقع شمال الأندلس ومنها تولدت مملكة قَشْتَالَة ، ونبرة ، (نافار) : نفس المصدر ٤٩ ، ٥٠ .

(٤) نُبّرة : (NAVARRE) : إمارة نصرانية فى شمال إسبانيا محادية لجبال البُرْت (PYRENEES) التى تفصل بين أسبانيا وفرنسا وكان من سكنها البَشْكَنسْ (BASOUES) انظر نفس المصدر أعلاه .

(٥) قَاطلُونيا : (CATALONIA) : تابعة لمملكة نافار أيام سانشو الثالث (SANCHO III) ولكنها انفصلت عنها بعد ذلك ، انظر نفس المصدر : ٥٠ .

(٦) فى تاريخ المغرب والأندلس : العبّادى : ٢٤٨ وانظر دولة الإسلام عنان ٢ ، ٥٦٢ ــ ٦٧٠ وانظر الأندلسيون المواركة : ٨٨ .

(٧) كتاب فى ذكر بلاد الأندلس : لمجهول : مخطوط معهد المخطوطات بالقاهرة برقم ١٧٦ ، المغرب الأول / الخزانة الملكية ورقة ٢١٧ يعدد الغزوات غزوة غزوة ويذكر ماتم فتحه فيها مع بعض الأخبار التى تتعلق بالغزوة . وانظر نفح الطيب ١ / ٣٩٨ ، وقال ابن خلدون اثنتين وخمسين غزوة : انظر التاريخ ٤ / ١٤٨ .

(٨) دولة الإسلام : ٥٦٩

الاستقرار الداخلى فى ظل المنصور :

وعمل المنصور للاستقرار الداخلى بالضرب على أيدى من ثار عليه فى المغرب فجهز جيشاً بقيادة ابن عمه عسقلاجة إلى العدوة لتأديب الحسن بن قنون الإدريسى الذى خرج على بيعة هشام المؤيد وكان ذلك فى سنة (٣٧٥ هـ = ٩٨٦ م) وقد قتله قائد الجيش وهو فى طريقه إلى قرطبة بعد أن استسلم طمعا فى النجاة .(١)

وكان زبرى بن عطية القائد البربرى عامل المنصور على المغرب قد نكث طاعة المنصور بعد أن رأى « تغلبه على هشام المؤيد وسلبه ملكه »(٢) ، فجهز له جيشا بقيادة الفتى واضح فهزم زبرى(٣) « واستردت الجيوش الأندلسية مدينة فاس ، وتوطدت سلطة العاهل الأندلسى على ولاية شاسعة فى المغرب الأقصى »(٤) .

وبذلك استطاع المنصور أن يبسط سيطرته على الأندلس ويتحكم فى سير الأمور ويتفرغ لإنماء الأندلس عمرانيا واقتصاديا وثقافيا وقد عم الرخاء الأندلس وتحسنت الأحوال المعيشية لكل طبقات المجتمع .

المنصور بن أبى عامر الوجه الآخر :

وعلى الرغم من صرامة المنصور بن أبى عامر وحزمه ، بل وتنكيله بمن يقف أمامه ، كان يتصف بصفات حميدة كثيرة لعلها تُخفف فيه صورة السياسى المستبد وقد أجمع المؤرخون(٥) على الثناء عليه مسلمون وغيرهم ، بل إنَّ ابن حيان على صراحته وحدته فى الحكم على حكّام زمانه ألَّف كتابا أسماه« المآثر العامرية»(٦) .

---

(١) انظرالبيان المغرب : ٢ / ٣٨١ ، وانظر دولة الاسلام لعنان ٢ / ٥٤٥ ، وانظر فى تاريخ المغرب والأندلس : ٢٥٢ .

(٢) البيان المغرب : ٢ / ٣٨٢ ــ ٣٨٣ .

(٣) نفس المصدر ، وانظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٠٦ .

(٤) قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٠٦ ــ ١٠٧ وانظر فى تاريخ المغرب والأندلس ٢٥٣ ــ ٢٥٧ .

(٥) المغرب : ١ / ١٩٩ ، الحلة السيراء : ١ / ٢٦٨ نفح الطيب ١ / ٣٩٦ ــ ٤٢٣ وانظر دولة الإسلام : ٢ / ٤٨٣ ــ ٤٨٩ ، ٥٧٧ ــ ٥٧٨ .

(٦) انظر المقتبس من أبناء أهل الأندلس لابن حيان تحقيق د / محمود على مكى ٦٢ ــ ٦٥ .

وأفرد له ابن عذارى[1] صفحات عن مآثره فى العدل والنجدة والانتصاف للضعفاء من الأقوياء وأهل النفوذ ، حتى لو كانوا من أقرب المقربين إليه .

ولكنَّ الشدة والحزم مع الخصوم قد تركت آثاراً دفينة فى نفوسهم جعلتهم يتطلعون إلى زوال المنصور . ومن هؤلاء الخصوم رجالات العرب الذين خضد شوكتهم . فكانوا يتحينون الفرصة به ، والأمويون الذين رأوا تغلبه على الخلافة واستلالها منهم جريمة ، والمتطلعون للسلطة الذين أوغر صدورهم الحسد لما بلغه المنصور من المجد . وكانت هذه المشاعر مراجل تغلى متحينة الفرصة للانقضاض عليه.وقد تفجرت بعد موت المنصور لأن أبناءه الذين جاءوا بعده لم يكونوا بمقدرته وحنكته فى تدبير أمور الدوله ، وأن عبد الرحمن بن المنصور الملقب بشَنْجُول كان الفتيل الذى فجَّر هذه المشاعر المكبوتة المتباينة فى الغاية . فكانت الفتنة التى اجتاحت الأندلس بعد ذلك القاصمة له كما سنرى .

شعر المنصور بدنو الأجل فنصب ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر أميرا بعده وذلك فى سنة (٣٨١هـ — ٩٩١م)[2] وخرج المنصور فى آخر غزوة له لبلاد النصارى فى شمال الأندلس وذلك فى سنة (٣٩٢هـ — ١٠٠٢م) فاعتل هناك وتوفى فى مدينة سالم ودفن بصحن قصرها . وانطوت بذلك صفحة من صفحات التاريخ الإسلامى فى الأندلس.[3]

عبد الملك المظفر يخلف أباه :

تولى عبدالملك بن المنصور الحجابة بعد أبيه وكان ذلك « يوم الاثنين لثلاث بقين من رمضان المعظم سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة »[4] ، ولما تمَّت له الولايه أرسل رسائله إلى أنحاء الأندلس وإلى المغرب يخبر عماله بوفاة أبيه وتوليته من بعده فلم يعترض أحد على ذلك واجتمع الناس على حبه .

---

(١) انظر البيان المغرب فى ٢٨٧ — ٢٩٢ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٩٣ .

(٣) انظر الذخيرة : ٤ : ١ / ٧٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٨٠ — ٨١

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٣ .

وقد سار على أثر والده فى إدارة الدولة ملتزما وصاياه واستهل عهده بتخفيف الضرائب فى جميع أنحاء البلاد ، وكان يظهر العدل ، ويحمى الشرع ويرفق بالرعية وأطلق سراح المسجونين ممن يُؤمن ضرره .(١)

واستأنف عبدالملك غزو ثغور الأندلس الشمالية وكانت أول غزوة له سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ، وفتح مناطق لم تُفتح سابقاً وأسكن فيها المسلمين لإعمارها ، وقد بلغ عدد غزواته سبع غزوات كان ينتصر فى كلها إلا غزوة لم يرجع فيها بغنائم فامتعض لها الناس ، وعابوا على عبد الملك ذلك ، وذكّروه بأن أباه كان يُدعى بالجلاب واتخذ الخصوم ذلك متنفساً للتعبير عن السخط تجاه العامريين لِتَغلُّبهم على الأمور .(٢)

وفى سنة (٣٩٧هـ ــ ١٠٠٧م) خرج عبدالملك فى غزوته الخامسة ورجع منتصراً على حشود النصرانية الضخمة بقيادة شانْجَةَ بن غِرسيَه وسُميت بِغَزاة النصر ، وعند وصول عبدالملك إلى قرطبة طلب من الخليفة هشام المؤيد بالموافقة على تسميته بالمظفر وأن يتكنى بأبى مروان وأن يوافق على منح ابنه محمد منصب ذى الوزارتين فأجابه الخليفة لذلك .(٣)

ثم إنّ المظفر كان قد أطلق يد وزيره عيسى بن سعيد اليَحْصُبى فى تسيير شؤون الدولة وعلا نجم عيسى بعد أن دبّر الانتقام من منافسه الفتى طَرَفَة الصقلبى ، ولكنه لم يسر السيرة المرضية فى تدبير شوؤن الرعية ، بل استخف بجميع الناس ، وركبه داء غرور السلطة ، فأثار الرعية بذلك ، وبلغ الاستياء أوجَهُ على العامريين ، فأشار بعض القريبين من المظفر بإزالته ، فبدأ عيسى يميل إلى المروانيين ويرتب معهم لخلع المظفر ، واختاروا لذلك هشام بن عبد الجبار بن الناصر وبايعوه ، فانكشف الأمر لعبد الملك المظفر فأمر بقتل عيسى بن سعيد وسجن هشام الذى مات فى سجنه .(٤)

(١) انظر نفس المصدر ٣ / ٣ ــ ٤ ودولة الإسلام : ٦٠٩ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٨٤ ــ ٨٦ .
(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ٣ ، ٧ ، ١٣ وأعمال الأعلام / ٨٧ . وانظر دولة الإسلام : ٦١٢ .
(٣) البيان المغرب : ٣ / ١٥ ــ ٢٠ .
(٤) انظر البيان المغرب : ٣ / ٣٤ ــ ٣٦ وانظر دولة الإسلام : ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ .

محاولة متأخرة :

حاول عبد الملك المظفر إصلاح ما فسد من الأمور بسبب إهماله وانغماره فى ملذاته ، وتسلُّطِ عُمّاله واستغلالهم لمناصبهم فى الكسب ، وأول ما بدأ به إصلاح الاقتصاد « وحسم أطماع العمال ــ الموظفين الكبار من الوزراء وغيرهم . وَوَالى الجلوس للكشف عليهم ــ أى كشف اختلاساتهم ومظالمهم ومحاسبتهم ــ فترامت أحواله المالية إلى الصّلاح والوفور »[(١)] وتحسنت الأوضاع عامة فى النواحى السياسية والاقتصادية ، ولكن بعد فوات الأوان إذ أنّ الأوضاع السابقة عَمقّت الاستياء الشديد لدى الشعب والذى أصبح يتطّلع للتخلص من بنى عامر مما كان له آثاره فيما بعد[(٢)] .

ودهم المرض المظفر وهو فى آخر غزواته فى شهر صفر سنة (٣٩٩ هـ) فعاد إلى قرطبة محمولا فكانت وفاته فى ضواحيها وهو فى طريق العودة ، وكان ذلك فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة (٣٩٩ هـ ــ ١٠٠٨ م)[(٣)] .

العامريون ودور الأفول :

ودخلت دولة العامريين فى دور الأفول والسقوط بتولى الابن الآخر للمنصور وهو عبد الرحمن الملقب بشنجول ، وهو تصغير للقب جده لأمه شانجه (SANCHO GARCES II) ملك نافار[(٤)] ، وكان المنصور قدتزوج ابنة شانجة هذا بعد أن اعتنقت الإسلام وتسمت باسم(عبدة) ، وهى التى أطلقت على ابنها هذا اللقب حبا لأبيها[(٥)] .

توجه عبد الرحمن بعدوفاة أخيه عبد الملك المظفر إلى قصر الخليفة هشام المؤيد يبلغه وفاة أخيه ، ويطلب لنفسه التولية فأقره المؤيد ، وقلده الحجابة ، وتلقب بالمأمون ، فكان يدعى بالحاجب الأعلى المأمون ناصر الدوله[(٦)] « وافتتح شنجول

---

(١) أعمال الأعلام : ٢ / ٩٨ وانظر البيان المغرب ٣ / ٣٤ ، ٣٦ .

(٢) انظر البيان المغرب ٢ / ١٣ ، ٢٥ ، ٢٨ وأعمال الأعلام ٢ / ٨٥ ــ ٨٦ ، ٨٩ .

(٣) انظر أعمال الأعلام ٢ / ٨٩ وانظر البيان المغرب : ٣ / ٣٧ ودولة الإسلام : ٦٢٠ .

(٤) دولة الإسلام لعنان : ٢ / ٦٢٣ ومملكة نافار (نَبرّة) من الممالك النصرانية الصغيرة وغالب شعبها من قبائل البَشْكَنس وتقع غرب جبال البَرتية وشمال نهر يابُرة انظر دولة الإسلام ١ / ٣٦١ ــ ٣٦٣ ، ٢ / ٥٩٩ ــ ٦٠١ .

(٥) ، (٦) انظر البيان المغرب ٣ / ٣٨ وأعمال الأعلام ٩٠ .

أمره بالخلاعة والمُجانة فكان يخرج من منْية إلى منية ، ومن مُنتزه إلى منتزه مع الخيّالين ، والمغنين ، والمضحكين مجاهراً بالفَتْك وشرب الخمر »[١].

ولم يكتف شنجول بأن آل إليه أمر الحجابة بل تطلع إلى ولاية عهد الخليفة هشام المؤيد وطلب منه أن يكتب إليه عهداً بذلك متوسلاً بقرابة بينه وبين المؤيد من ناحية الخؤولة لأن أم هشام المؤيد كانت من البشكنس[٢] كذلك ، وحصل شنجول على مأموله وعهد المؤيد إليه بأمر الخلافة من بعده مدعيا عدم وجود من يصلح لها من القرشيين ، فأثار ذلك حفيظة الأمة جمعاء خاصتهم وعامتهم ، وانتهز الأمويون الفرصة فى استثارة غضب الشعب للعصف بدولة العامريين ، وكان ذلك فى الخامس عشر من ربيع الأول سنة (٣٩٩هـ = ١٠٠٨ م)[٣].

وبدرت من شنجول بعض التصرفات التى زادت الحقد عليه ، فقد أمر رجال المملكة من أهل القلانس أن يبدلوها بالعمائم التى كانت شعار البربر فى ذلك الوقت ، مما كان لهذا الأمر أثره فى غضب البربر الذين كانوا حاشية شنجول وندماءه ، ثم إنه ولّى ابنه عبد العزيز الطفل الحجابة ، فكان الأمر أضحوكة استفزّ بمرارتها كوامن الناس[٤]، وأضاف إلى ذلك إسرافاً فى أموال الدولة « حتى تفاقم أمر النفقات »[٥]، ومع ذلك استمر فى « طلب لذته ومُواصلة شربه والخروج فى نُزهِهِ وصيده مع أصحاب السّوء الذين اصطفاهم لذلك من رجاله وشرى بإرضائهم إسخاط ربّهِ وإفساد ملكه »[٦].

« وأراد شنجول أن يشغل الناس بحديث الغزو أسوة بأبيه وأخيه »[٧] بعد أن سمع

---

(١) البيان المغرب : ٣ / ٣٩ والمنية : هى القرية ، والخيالين : هم الذين يلعبون بالدمى لإضحاك الناس ، وهى تشبه مسرح العرائس فى هذا الزمان .

والمضحكين : هم المهرجون الذين يضحكون الناس .

فكأنّ شنجول كان يُرافقه سيرك متنقل إن صحّ التعبير .

(٢) البَشْكنس : هم سكان بلاد نافار التى كانت عاصمتها بنبلونه ، انظر جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك لأبى عبيد البكرى (٤٨٧ هـ) ، تحقيق د . عبد الرحمن الحجى : ٧٩ . والخؤولة : هم إخوة الأم .

(٣) انظر البيان المغرب : ٣ / ٤٢ ـــ ٤٦ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٩٠ ـــ ٩٤ ، وانظر دولة الإسلام ٢ / ٦٢٥ ، نفح الطيب ١ / ٤٢٤ .

(٤)،(٥)، (٦)، انظر البيان المغرب : ٣ / ٤٧ ، ٤٨ وانظر دولة الإسلام ٢ / ٦٢٨ وأعمال الأعلام ٢ / ٩٤ .

(٧) دولة الإسلام : ٢ / ٦٢٩ .

بإغارة النصارى على الحدود الإسلامية ، وقد نصحه كبير فتيانه الصقالبة بخطورة الخروج فى هذه الغزوة لأن الأمويين يدبّرون انقلاباً على العامريين ، ولكن الغرور ركب شنجول ، وأمر بالخروج لقتال النصارى ، ولكنه لم يحقق غايته من الغزو وفى طريق الرجوع إلى قرطبة بلغه بأن ثورة وقعت فى غيبته بقرطبة وأن محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر كان زعيمها وكان ذلك فى صبيحة يوم الأربعاء ١٧ جمادى الآخرة سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م)[١] .

وأخذ أتباع شنجول فى التخلى عنه عندما بلغتهم سيطرة ثورة محمد بن هشام بن عبد الجبار على قرطبة ، ولم يبق معه إلّا رعيته ، وخاصته ، ونفر من غلمانه ، ولما وصل إلى مشارف قرطبة نزل فى قصره بأَرْمَلاط[٢] ، وعندما سمع المهدى بذلك أرسل إليه جيشاً ، ففرّ شنجول إلى دَير قريب ، وتبعه الجيش وحاصر الدّير وقبض على شنجول ، واقتيد إلى قرطبة مقيداً ، وفى الطريق طلب حلّ وثاقه ، وعندما حُلّ حاول الانتحار ، فمُنع ولكنه لم ينجُ من الموت بل قتل فى الحال وكان ذلك يوم السبت الرابع من رجب سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) .

وهكذا انهارت الدولة العامرية بسرعة وذلك فى غضون ثلاثة أشهر من وفاة عبد الملك المظفرالذى سلم الأمر لأخيه عبد الرحمن شنجول والدولة محكمة الدعائم والجيش ولاؤه للدولة العامرية .[٤]

بداية النهاية :

ولكن استقراء الأحداث يرينا أن عوامل الانهيار كانت هى عوامل انتصار المنصور نفسها :

فانتزاعه لسلطات الخليفة أدى إلى إثارة العصبية القبلية ، مما جعل الأمويين

---

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٤٨ ـــ ٤٩ دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٧ وانظر : أعمال الأعلام ٢ / ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) وهى ضاحية من ضواحى قرطبة ، انظر البيان المغرب : ٣ / ٦٨ ، ٧١ وانظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٤٥

(٣) انظر البيان المغرب : ٣ / ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٣ وأعمال الأعلام : ٢ / ٩٧ ، ٩٨ .
وانظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٦ ، ٦٣٧ .

(٤) انظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٨ .

وأنصارهم يتربصون بالعامريين ، بل إنّ الأمة على اختلاف مستوياتها استهجنت مثل هذا الأمر لما فيه من الانتقاص لهذا المنصب الخطير[(1)] عند عموم الأمة .

والعامل الثانى : الانفراد بالسلطة الذى تميّز به المنصور بن أبى عامر ، وتنكيله بالخصوم ، فأوجد له أعداءً كثيرين يودون زوال الدولة العامرية بالرغم من الرخاء الذى عّم الأندلس فى ظلها .[(2)]

ثم ما قام به شنجول من تعدّ سافر على منصب الخلافة باعتلائه ولاية العهد اعتسافاً مضافاً إليه سوء أخلاقه ، وفشل سياسته . كلُّ ذلك أثار عموم الأمة ، وأعطى المبرر للمُتطلعين للسلطة من الأمْويين لتصعيد النقمة ، فأصبح الاستياء شعبيا عصف بسلطة العامريين . وانتهت بذلك دولة العامريين لتكون بداية النهاية للخلافة الأموية فى الأندلس ، بل ومقدمة النهاية لدولة الإسلام فى الأندلس بما أوجدته من آثار بعد ذلك .[(3)]

أما دور ابن عبد البر وعائلته فى هذه المرحلة فَبِمَّا لم تُشر إليه المصادر المتوفرة ، ولكن يبدو أن عائلته كانت مُؤيدة للأمويين ، فوالد ابن عبد البر كان واحداً من أعلام عصره ممن أشهدهم المستنصر على عهد تولية ابنه هشام المؤيد كما سيأتى ، ولذلك عندما استأثر ابن أبى عامر بالسلطة ، فإن عائلة ابن عبد البر وخاصة والده قد انشغلوا بطلب العلم وتدريسه بعيداً عن أجواء السياسة العامرية .

وكان ابن عبد البر قد ولد فى السنة الأولى لقيام دولة العامريين واستمر يدرج فى مدارج الصبا والشباب طالباً للعلم متنقلًا فى مرابعه لايشغله أمر آخر بخلاف أسرة ابن حزم ــ مثلاً ــ الذى كان أبوه من وزراء المنصور وكان يحضر مجلس المنصور مع أبيه فتفتح ذهنه لممارسة العمل السياسى مبكراً .

---

(١) أنظر فى تاريخ المغرب والأندلس : ٢٧٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٩٠ .

(٢) انظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٨ ، ٦٣٩ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ٩٠ ونفح الطيب : ١ / ٤٢٦ .

(٣) انظر أعمال الأعلام ٢ / ٩١ والبيان المغرب ٣ / ٣٩ .

وانظر دولة الإسلام : ٢ / ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، تاريخ ابن خلدون ٤ / ١٤٩ .

الفتنة القرطبية وسقوط الخلافة الأموية

تبيّن مما تقدم الأسباب التى أثارت حفيظة الأمة عامة ، والمروانيين من بنى أمية خاصة ضد العامريين مما هيأ ظروفا مواتية لإزالة حكمهم .

أخذ الأمويون يبحثون عمّن يُرشّح لتولى الأمر بعد إزالة بنى عامر فاتجهت الأنظار إلى محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر ، وكان ثائراً مُلتجأً إلى الجبال مرافقاً لقطاع الطرق وغيرهم من الغَوغاء ، وذلك بعد قتل والده بيد عبد الملك المظفر لمحاولته الانقضاض على العامريين كما سبق أن بيّنّا ذلك .[1]

وكان من المشجعين لمحمد بن هشام الذّلفاء أم عبد الملك المظُفر ، التى كانت تعتقد بأن عبد الرحمن بن المنصور هو الذى دَسَّ السّم لأخيه عبد الملك فقتله ، لذا قررت التخلص منه ، فتوجهت لمحمد بن عبد الجبار تغريه بعبدالرحن الملقب بشنجول ، وكان هذايوافق غاية ابن عبد الجبار بالعصف بالعامريين وذلك بالاستعانة ببعضهم على بعض .[2]

ثم إن بقية الأمويين قد رأوا فيه الأخذ لهم بثأرهم من العامريين ، « وداخَلهُ لذلك سليمان ابن هشام ، واستظهر لسائر ولد أديب الناصريين وقومهم المروانيين فحتُّوا فى معونته وكلمتهم يومئذ فى بغضاء العامريين متفقة ، ونفوسهم من مخافتهم مختلسة فلاذوا بمحمد بن هشام — ابن عبد الجبار — فبايعوه سرا » .[3]

الطوفان :

وبدأ ابن عبد الجبار فى بث دعاته ليشيعوا فى الأمة قرب قيام خليفة من آل مروان ، مع عدم كشف اسمه ، وعندما شاع ذلك ووجد من يناصره بدأ أنصار ابن عبد الجبار بكشف اسمه ، وذلك سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، ثم تَحَبّن

---

(١) (٢) انظر البيان المغرب ٣ / ٥٢ ، وانظر أعمال الأعلام ٢ / ١٠٩ وانظر ص ٢٠.من هذا البحث ، وانظر دولة الإسلام . ٦٣٠ .

(٣) البيان المغرب٣ / ٥٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ١٠٩ وانظر دولة الإسلام : ٦٣١ .

فرصة خروج عبد الرحمن شنجول للغزو فحاصر قصر الخلافة واقتحمه ببعض أنصاره وذلك يوم الثلاثاء السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ هـ ، وقتلوا صاحب المدينة عبدالله بن عمرو ، وما أن رأت العامة ذلك حتى أقبلت بجموعها إلى ابن عبد الجبار ، وكان فيهم العنّازين ، والجزّارين ، والزّبالين ، وسائر غوغاء الأسواق(١) ، ولم يكتف ابن عبد الجبار بذلك بل أرسل مَن « كسر سجن العامة ، فانطلق جميع من كان فيه من اللصوص وأصحاب الجرائم »(٢) . يقتلون وينهبون .

« وأمر ابن عبد الجبار العامة بنقب القصر والاحتيال لفتحه ، ووعدهم على ذلك جزيل الصلات »(٣) ، فاستطاعوا اقتحام أكثره ، فعندما رأى الخليفة هشام المؤيد ذلك طلب الأمان ، وأبدى استعداده للتنازل عن الخلافة لابن عبد الجبار ، فوفّى بوعده وتنازل فى ليلة الأربعاء لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة وتسمى محمد بن هشام ابن عبد الجبار بالمهدى(٤) .

ثم أرسل عمه عبد الجبار بن المغيرة إلى الزاهرة التى كان يسكنها وزراء العامرية وأنصارهم يطلب حربهم ، وكان ذلك صباح الأربعاء من تنصيبه خليفة ، فاقتحمت العامة المدينة وعملت فيها نهباً ، وما قدر على قبض أيديهم إلا مساء ليلة الخميس ، وتمّت السيطرة التامة فى يوم الخميس لاثنى عشر يوما بقين من جمادى الآخرة وبعد انتهابها أمر ابن عبد الجبار بهدم الزاهرة فأصبحت أثراً بعد عين(٥) .

« وسُر أهل قرطبة بولاية ابن عبد الجبار سروراً عظيماً وأحدثوا برحاب قرطبة وأرباضها ولائم وأعراساً وداموا على ذلك أياماً تِباعاً ينتقلون من موضع إلى موضع بالمَزامِر والملاهى »(٦) .

---

(١) انظر البيان : ٣ / ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦١ ، ودولة الإسلام : ٦٣٣ ، وانظر : قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) أعمال : ٢ / ١١٠ .

(٣) البيان المغرب : ٣ / ٥٧ وأعمال ٢ / ١١٠ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٥٨ — ٦٠ .

(٥) نفس المصدر : ٣ / ٦١ — ٦٥ .

(٦) نفس المصدر ٣ / ٧٤ وأعمال : ٢ / ١١٢ وقرطبة فى العصر الإسلامى : ١٢٢ ودولة الإسلام ٦٣٤ ، ٦٤٣ .

وبدأت صراعات الأندلسيين من أهل قرطبة مع البربر ، وخاصة تلك الجمهرة من العامة التى التفت حول المهدى ، التى ليس لها فى أعراف السّياسة والكَياسة نصيب ، فكانوا يستخفّون بقادة البربر الداخلين على ابن عبد الجبار ، ولم يُميزوا بين أعلاهم وأدناهم.[1] ثم إن هؤلاء المُجندين من العامة أساءوا حتى فى تطبيق الأوامر التى كان يصدرها ابن عبد الجبار ، فتعرضوا لبعض قادة البربر وأهانوهم ، مما أجج الكراهية لدى البربر.[2]

وكان سبب كراهية الأندلسيين والأمويين للبربر كونهم موالين للعامريين « فَسخِطَتْهم القلوب وخَرزتْهُم العيون ، ولولا مالهم من العصبية ــ أى القوة ــ لاستأصلهم الناس »[3] ، ومع هذا لم ينجو من انتهاب بيوتهم ، فأضمر البربر الانتقام.[4]

استيلاء ابن عبد الجبار على السلطة :

ثم إن ابن عبد الجبار بعد استقرار الأمر له استولى على قصر المؤيد وما فيه من الذخائر ، وأسكن المؤيد فى قصر آخر ، أخفاه فيه عن العيون ، ثم أعلن موته وعرض على وزرائه جثة رجل يهودى ، أو نصرانى يشبه الخليفة المؤيد ، فلم يشكوا فيه ، وشهدوا لدى العامة بموت المؤيد ، وصلُّوا عليه ، ودفنوه ، وذلك فى يوم الاثنين لثلاث بقين من شعبان سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، وهى الميتة الأولى لهشام المؤيد كما سماها ابن عذارى.[5]

وعهد ابن عبد الجبار إلى هشام بن سليمان بن عبد الناصر بالخلافة من بعده ، ولكن رَدَاءة ابن عبد الجبار وسوء أخلاقه وإهانته لرؤساء قبائل البربر وزُعمائهم جعل هشام يتقرّب للبربر ويسعى معهم لخلعه ، فجمعوا جموعهم للانقضاض عليه ، ولكنه بادرهم بجمع أكبر ممن التف حوله من العامة والجند ، فشتت شمل

---

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٧٥ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٣ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ٧٥ ، ٧٦ وأعمال الأعلام : ٢ / ١١٢ .

(٣) نفح الطيب : ١ / ٤٢٧ .

(٤) البيان المغرب ٣ / ٧٦ .

(٥) البيان المغرب : ٣ / ٧٧ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٤٤ .

البربر وقتل هشام بن سليمان .[1]

انسحب البربر بعد قتل هشام بن سليمان إلى أرملاط من ضواحى قرطبة ، وفيهم سليمانُ بن هشام فعندما عرفوه ولوه عليهم ولقبوه بالرشيد ، وبدءوا يعدون العدة للاستيلاء على قرطبة .[2]

وتأججت الفتنة فى قرطبة حيث نادى منادى ابن عبد الجبار المهدى بأن مَن أتى برأس بربرى فله كذا وكذا ، فتسارع أهل قرطبة فى قتل من قدروا عليه حتى امتدت الأيدى إلى صالحى المسلمين ، فقُتلوا صبراً ، وسُحِل من سُحِل ممن له فى الجهاد قدم أمثال : وسنار البرزالى ، ومسلم بن عبد الله الحسينى ، نهبت بيوتهم ، وهُتكت أعراضهم ، بل قتل الكثير ممن قدم للرباط فى ثغور الأندلس من أهل المغرب ، وفارس ، والشام ، قتلوا على أنّهم بربر ،[3] « حتى أنّ كلّ من بينه وبين أحد عداوة قال : هذا بربرى ، فقتل ».[4]

وهكذا عندما تقوم ثورة قاعدتها غوغاء الناس فيصعب التحكم فيها ، ولعل فى الثورة الفرنسية وغيرها فى العصر الحديث مثال .

البربر وبيعة سليمان بن الحكم :

وعندما بلغ البربر ما جرى لإخوانهم بقرطبة زحفوا وعلى رأسهم سليمان بن هشام الرشيد إلى قرطبة ، وحاصروا محمد بن هشام بن عبد الجبار المهدى فى قصره ، وكان ذلك فى أوائل شوال فى سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) ، ولكن المهدى فلك حصارهم ، وأعمل فيهم القتل ، وظفر المهدى بالرشيد ، فقتله ، ففر للبربر وجدوا فى سيرهم ، وفى طريقهم إلى قلعة رباح (CALATRABA)[5] ، اجتمعوا على سليمان بن الحكم ولقبوه بالمستعين — وهو ابن أخى الرشيد —

(١) البيان المغرب : ٣ / ٧٨ — ٨١ وانظر نفح الطيب ١ / ٤٢١ وانظر المعجب ٨٨ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ وانظر نفح الطيب ١ / ٤٢٨ ، وانظر المعجب ٨٨ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٣ / ٨١ ، ٨٣ ، ٩٢ وانظر الصلة : ١٧٨ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ٩٧ .

(٥) وهى مدينة حسنة فى عمل بنى قرطبة وطليطلة : انظر الروض ١٦٣ .

وكان ذلك لليلتين بقيتا من شوال كما يقول ابن حيان ، ولمّا وصلوا قلعة رباح بايعه أهلها وذلك فى أوائل ذى القعدة .(١)

سار البربر إلى وادى الحجارة ، وحاول المستعين استمالة أهلها ولكنهم أبوا عليه ذلك ، فتوجه إلى مدينة سالم ، وكان فيها واضح الفتى عامل ابن عبد الجبار ، وطلبوا منه التوسط للصلح بينهم وبين ابن عبد الجبار على أن يكون سليمان بن الحَكَم ولى عهده ، وبذلك تُعصمُ دماء الناس ، فأبى واضح ، وحاول الغدر بهم ودبّر لقتل سليمان المستعين ، ولكنه فشل فى ذلك .(٢)

مساومة :

لجأ المستعين إلى شانْجَةَ بن غِرسيه ملك ناقّار يطلب منه مساعدته لمواجهة ابن عبد الجبار على أن يعطيه ما يختار من الحصون المتاخمة له ، وفى الوقت نفسه كان هناك وفد من قبل ابن عبد الجبار يساوم للاستنصار بالنصارى على ابن عمه ومن معه من البربر المسلمين ، ولكن النصارى كسباً للطرف القوى مَدوا يد المساعدة إلى سليمان المستعين والبربر ، وبالفعل وقع الصدام بين جيش سليمان والبربر من جهة وواضح وقيصر غلام ابن عبد الجبار ــ الذى أرسل لمساعدة واضح ــ من جهة أخرى ، وكانت الدائرة على جيش واضح الذى وصلت فُلُوله قرطبة فى آخر ذى الحجة من سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) .

ارتبك ابن عبد الجبار لما حلّ بواضح ، فبدأ يعد العدة للدفاع عن قرطبة خوفا من هجوم البربر بقيادة سليمان المستعين ، فحصّن أسوار قرطبة ، وحفر الخنادق حولها لحمايتها .(٣)

وصلت مقدمة جيش سليمان إلى أرملاط يوم الخميس الحادى عشر من ربيع الأول سنة (٤٠٠ هـ ــ ١٠١٠ م) واشتبك مع أهل قرطبة الذين حشدهم ابن

---

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٨٣ ، ٨٤ وانظر أعمال : ٢ / ١١٣ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٥ .
(٢) البيان : ٣ / ٨٥ وانظر دولة الإسلام : ٦٤٦ .
(٣) انظر البيان : ٣ / ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ وانظر :
نفح الطيب ١ / ٤٢٨ ودولة الإسلام ٦٤٦ .

عبد الجبار من غير نظام ، فوقعت فيهم مقتلة عظيمة فى معركة قُنْتِيشْ[1]، ودخل البربر النصارى قرطبة متغلبين[2]، « فقتل النصارى يومئذ من أهل قرطبة أزيد من ثلاثين ألفاً ، وكان أول ثارات المشركين على المؤمنين »[3]، « وهلك من أخيار الناس وأئمة المساجد وسدنتها ومؤذنيها عالم »[4].

فشل مناورة :

ولما رأى ابن عبد الجبار هزيمة جيشه المنكرة « أظهر هشام المؤيد وأقعده حيثُ يراه الناس »[5]، وأرسل قاضيه ابن ذكوان ليفاوض البربر ويبلغهم أن هشام المؤيد هو الخليفة وما هو إلا كالحاجب له ، ثم خذل أهل قرطبة ابن عبد الجبار وخرجوا يرحبون بسليمان المستعين الذى عمل على تهدئة الأوضاع ، وأرجع هشام المؤيد إلى قصره ، ولما علم هشام المؤيد بأفعال ابن عبد الجبار عزم على سحب البيعة منه وإسقاطها عنه[6].

سليمان المستعين وخلافته الأولى :

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر من ربيع الأول سنةأربعمائة نُودى بالبيعة لسليمان بن الحكم ولقّب بالمستعين بالله[7]. وما أن تولى الأمر حتى « فرّق العمال وولّى الولايات »[8] ولكن الأمور مع ذلك لم تستقر بصورة تامة ، بل كان التوتر يشوبها ، وخاصة الحساسية الشديدة بين أهل قرطبة والبربر حتى « إذا صَهَل فَرسٌ على فَرس قامت نُفْرَة ، لتَعصُّب العامةعليهم وبُغضهم لهم »[9].

ابن عبد الجبار وتحالفه مع النصارى :

لقد فر ابن عبد الجبار بعد انكشاف مخبئه بقرطبة ، وتوجه إلى مدينة سالم

---

(١) موقع قريب من قرطبة يلتقى عندها الوادى الكبير ووادى أرملاط انظر الحله ٢ / ٦

(٢) انظر البيان : ٣ / ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) أعمال الأعلام : ٢ / ١١٣ .

(٤) النفح : ١ / ٤٢٨ .

(٥) ، (٦) ، (٧) انظر البيان المغرب ٣ ٨٩ ، ٩١

(٨) ، (٩) نفس المصدر : ٣ / ٩٢ .

مستعينا بواضح الفتى الذى كان من مواليه ، ثم اتفقوا مع النصارى على أن يتنازلوا لهم عن مدينة سالم نظير مساعدتهم ضد سليمان المستعين ، وأن يتكلفوا بنفقات الجيش النصرانى وبلغ من جرأة النصارى أنهم حولوا الجامع إلى كنيسة وضربوا فيه الناقوس ، وماذلك إلّا لهوان الحكام بانحرافهم عن دينهم.[١]

استنفر سليمان المستعين أهل قرطبة فلم يستجب الكثير سوى جند البربر الذين كان يعتمد عليهم ، وخرج وجيشه إلى موضع يسمى بعُقْبة البقَر ، وذلك فى منتصف شوال سنة ٤٠٠ هـ ، وكانت معركة شرسة فر على أثرها سليمان متجها إلى شاطبة ، ولم يمض فى حكم قرطبة إلا سبعة أشهر . وأما البربر فاتجهوا نحو جنوب الأندلس.[٢]

دخل ابن عبد الجبار قرطبة ، فعاث فيها ومن معه فساداً ، ثم طلب البيعة من هشام المؤيد فبايعه ، ثم جعل واضح الفتى حاجبا له.[٣]

وأجهز ابن عبد الجبار على كل بربرى حتى الأطفال والنساء ، وانتهز أهل الخصومات الفرصة للانتقام من بعضهم بهذه التهمة . وبلغ من الخلال الموالين لابن عبد الجبار من العامة أنهم سطوا على مسجد الزاهرة ، وسرقوا ما فيه وهدموه ، بل بلغ من ذلتهم أنّ الجندى النصرانى كان يقف لينال من النبى ﷺ فلا يجد من يرده ، بل يُسكَت الذى يرده ، وتجرأ الناس على قضاتهم فحين رفض القاضى إعطاء النصارى من أموال الأحباس ـــ الأوقاف ـــ هجم أهل قرطبة على بيت المال فكسروا أبوابه ، وانتهبوا الأموال ، وأعطوها للنصارى ، فكيف لا تَعُمّ الفتن المُبيرة أمثال هذا الصنف من المسلمين ، فسلّط الله عليهم بذنوبهم وهذه سنة الله.[٤]

وعندما سمع ابن عبد الجبار بتجمع البربر وسليمان المستعين فى (وادى أرُه)

---

(١) انظر البيان المغرب : ٣ / ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) نفس المصدر : ٣ / ٩٤ ، ٩٥ وانظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٢٣ ، وعقبة البقر أو دار البقر موضع على نحو بضعة عشر ميلا من قرطبة الحذوة ١٨ .

(٣) انظر نفح الطيب : ١ / ٤٢٨ .

(٤) انظر البيان : ٣ / ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ .

توجه إليهم مع الأفرنج وكانت الوقعة هناك فى يوم الخميس ست من ذى القعدة سنة (١٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م) هزم فيها ابن عبد الجبار والنصارى وقتل فيها من النصارى الكثير ، ثم طلب ابن عبد الجبار من النصارى البقاء معه للانتقام من البربر فرفضوا[١] ، فكان أهل قرطبة « بعضهم يلقى بعضا فيعزيه كما يعزى مَنْ فُقد أهله وماله »[٢] ولاعجب فمن استعان بغير الله ذل .

واضح الفتى والانتقام :

استغل واضح الفتى ما ارتكبه ابن عبد الجبار من المظالم والمآثم ، ورأى فى ذلك فرصة سانحة للانتقام منه لما فعله فى بنى عامر الذين كان واضح من فتيانهم ، فدخل واضح القصر على ابن عبد الجبار ومعه العبيد العامريون فاعتقلوه ، ثم أخرجوا هشام المؤيد ، وأجروا محاكمة لمحمد بن هشام بن عبد الجبار وقُتل بين يدىّ هشام المؤيد ، وبذلك انتهى محمد بن هشام بن عبد الجبار وكان ذلك فى يوم الأحد الثامن لذى الحجة من سنة (٤٠٠ هـ = ١٠١٠ م)[٣] .

وبعد أن قضى واضح على ابن عبد الجبار بايع هشام المؤيد ،ثم قدّم هشام المؤيد واضح لحجابته ، وكان ذلك فى الثامن من ذى الحجة سنة أربعمائة وأراد هشام أن يعيد هَيبة الخلافة ، فكتب إلى سليمان المستعين يطلب منه الدخول فى طاعته ، ولكن سليمان رفض ذلك وطلب الأمر لنفسه ، واستمر هو والبربر يجوبون أنحاء الأندلس منتقمين لأنفسهم مما لحق بهم على يد محمد بن هشام بن عبد الجبار وواضح الفتى ، واستمرت جموعهم بالتقدم إلى قرطبة حتى حاصروها ، وذلك فى السادس من ربيع الأول سنة ٤٠١ هـ[٤] .

وساءت الأحوال العامة بقرطبة فرغب واضح فى الصلح مع البربر وسليمان وأرسل سفيرا إليهم ولكنّ العامة عندما علموا بذلك قتلوا سفير واضح ، ورفضوا الصلح وأخذوا يتهمون واضح بالجبن وسوء النية ، وعندما رأى ذلك حاول .

---

(١)،(٢) نفس المصدر ٣ / ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٤٩ .
(٣) انظر البيان : ٣ / ٩٩ ، ١٠٠ دولة الإسلام : ٦٤٩ أعمال ٢ / ١١٦ .
(٤) انظر نفس المصدر : ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ودولة الإسلام : ٦٥٠ .

الهرب إلى شرق الأندلس ولكنه فشل فى ذلك ، وكشف أمره ، وقتل ، ونُهبت دوره وأمواله .[1]

هشام المؤيد وفشل الممارسة :

وتولى هشام المؤيد تدبير الأمور بنفسه مستعينا بقائد شرطته الذى استطاع بشدته وحزمه أن يسيطر على أوضاع قرطبة . وتعرضت قرطبة فى هذه الآونة لفيضان شديد أودى بحياة الآلاف ، وهدم الآلاف من البيوت ،[2] « واشتدَّ حال أهل قرطبة حتى أكل الناس الدم من مذابح البقر والغنم وأكلوا الميتة ... ومع هذه المِحق فشُربُ الخمر ظاهر ، والزنا مباح ، ولاترى إلا مجاهرا بمعصية»[3]

وطلب سليمان من أهل قرطبة الصلح ، فأنكره غالبيتهم وحدثت صراعات مع المؤيدين للصلح والمعارضين له ، فثُقل ذلك لهشام المؤيد فأوكل الأمر إلى وجوه الناس من الفقهاء وقادة الجند والوزراء ، فقرروا أن يكتبوا إلى سليمان يطالبوه بالبيعة لهشام على أن يكون هو ولى عهده ، وكان ذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة ولكن سليمان مزق الكتاب وادعى لنفسه إمارة المؤمنين .[4]

الجولة الثانية لسليمان المستعين :

وبدأت طلائع سليمان تتقدم نحو قرطبة وضيقت الحصار عليها ،[5] « وفى سنة ثلاث وأربعمائة يوم السبت لأربع بقين من شوال وقعت الهزيمة على أهل قرطبة .. وفُتحت قرطبة ، فخرج القاضى ابن ذكوان مع بعض الفقهاء إلى سليمان ورؤساء القبائل البربرية وطلبوا الأمان فأمنوهم»[6] عصمة للدماء وتجنبا للفوضى .

ودخل سليمان المستعين قرطبة ظافرا ، وبويع له بعد أن انخلع هشام المؤيد من الخلافة ، ثم اتخذ سليمان الزاهرة مكانا لحكمه ، وقام بتقسيم الأندلس بين القبائل

---

(١) انظر البيان : ٣ / ١٠٤ ــ ١٠٥ وأعمال : ٢ / ١١٨ دولة الإسلام : ٦٥١ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١٠٥ ودولة الإسلام : ٦٥١ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦ .

(٤) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ وأعمال : ٢ / ١١٧ ودولة الإسلام : ٦٥٢ .

(٥) نفس المصدر : ٣ / ١١١ .

(٦) انظر البيان : ٣ / ١١٢ وأعمال : ٢ / ١١٨ ، دولة الإسلام : ٦٥٣ .

التى نصرته ، من البربر[1] وغيرهم فأعطى :

١ ــ البيرة(ELVIRA)[2] ، لقبيلة صنهاجة يرأسها زيرى بن مَناد .

٢ ــ الجَوف[3] : لقبيلة مغراوة البربرية .

٣ ــ وسَرَقُسْطة(ZARAGOZA)[4] : لتُجيب يرأسها منذر بن يحيى .

٤ ــ جيّان وتوابعها (JAEN)[5] : لبنى برزال وبنى يَفرن وهم من البربر .

٥ ــ شذونة (SIDONA)[6] ومورُور (MOROR)[7] لبنى دُمَّر وأزداجه . وهم من قبائل البربر .

٦ ــ وطَنْجَة (TANGIER)[8] واصيلا (ASILLA)[9] وسَبْتَة (CEUTA)[10] لبنى حمّود . وكان هذا إيذانا بوجود زعامات محلية تهدد بتفتيت وحدة الأندلس .

« ولما استقر الأمر لسليمان كان رؤساء البربر غالبين على أمره فحذر لذلك العامرية وفرّوا إلى بلاد شرق الأندلس » وكانت دار مُلكٍ لهم بعد ذلك ومن هؤلاء مجاهد العامرى وخيران وغيرهم .[11]

---

(١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ١١٩ ، دولة الإسلام : ٦٥٤ .

(٢) البيرة : كورة من كور الأندلس وهى من قواعد الأندلس الجليلة ، انظرالروض المعطار : ٢٩ ، مراصد الاطلاع ١ / ١١١ .

(٣) الجوف : وهى مدينة من مدن شرق قرطبة (٤) سرقطة من مدن شرق الأندلس كبيرة القطر وهى قاعدة الثغر الأعلى انظر الروض المعطار : ٩٦ ــ ٩٨ وانظر صبح الأعشى : ٥ / ٢٣٢ .

(٥) وهى من أعظم مدن الأندلس وأكثرها خصبا وهى شرق قرطبة بين طليطلة وغرناطة ، انظر الروض المعطار : ٧٠ ــ ٧٢ وانظر صبح الأعشى : ٥ / ٢٢٩ ، مراصد : ١ / ٣٦٤ .

(٦) وهى كورة متصلة بكورة مورورحليلة القدر تقع فى جنوب غرب الأندلس ، انظر : الروض المعطار : ١٠٠ ــ ١٠١ .

(٧) وهى فى غرب الأندلس متصلة بالشمال بقرمونة وفى الجنوب بشذونة ، انظر : الروض المعطار : ١٨٨ .

(٨،٩،١٠) طنجة وأصيلا وسبْتة من مدن المغرب وتقع فى شماله .

(١١)أعمال الأعلام : ٢ / ١١٩ .

الحموديون والسلطة

وبتقديم سليمان لعلى بن حمود ، ولأخيه القاسم مَكَّن بذلك من نفسه ،ويَسَّر لهم سبيل الخروج عليه ، وتحركت فى علىّ بن حمود نزعة الاستيلاء على السلطة ، فكاتب خيران العامرى مدعياً بأن هشام المؤيد قد كتب إليه يوصيه بتولى الأمر بعده ، فسار بمجموعة نحو قرطبة ، ودخلها فى المحرّم سنة (٤٠٧ هـ = ١٠١٦ م) ، وبويع له فى السابع منه والمصادف يوم الإثنين .[١]

افتتح على بن حمود أمره بالانتقام لهشام المؤيد فقتل سليمان المستعين . وبذلك نشأت دولة بنى حمود بقرطبة ، ولكن سوء إدارة ابن حمود وشدته وتنكيله بالعامريين دفع ببعض خدمهِ الاتفاق على قتله فقتل فى حمام داره وذلك سنة (٤٠٨ ـــ ١٠١٧ م) فى اليوم الثانى من ذى القعدة .[٢]

تولى الأمور بعد على بن حمود القاسم بن حمود أخوه وحاول أن يخفف آثار سياسة أخيه على وسوء تصرفاته « فتنسم الناس روح الرفق وباشروا ظل الأمن واطمأنت بهم الدار » .[٣]

ولكن البربر لم يُعجبهم ذلك فدبّروا للإيقاع بين القاسم بن حمود وبين يحيى بن على بن حمود ، فدفعوا يحيى للقيام فى وجه عمه ، ففر القاسم إلى إشبيلية فى الثامن من ربيع الآخر (سنة ٤١٢ هـ = ١٠٢١ م)[٤] وقيل فى أوائل جمادى الأولى من السنة نفسها .

استولى يحيى على قرطبة وما يتبعها وبويع له فى أوائل جمادى الأولى ٤١٢ هـ وحاول أن يسير فى حكمه سيرة أبيه إلّا أن الكِبْر والعُجبَ والاستبداد إذا ابُتلىَ بها الحاكم

(١ ، ٢) انظر البيان المعرب ٣ / ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٢ وانظر الذخيرة ١ : ٩٧ ، ١٠٠ وانظر أعمال : ٢ / ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١٣٠ وأعمال : ٣ / ١٣٠ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ١٣١ .

انظر البيان المعرب : ٣ / ١٣١ ، ١٣٢ وأعمال : ٢ / ١٣٢ .

كان ذلك إيذانا بنهايته[1]، وحاول يحيى تدارك أمره بمصالحته لعمه القاسم الذى تولى إمرة إشبيلية وما حولها وتولى يحيى مالقة وأعمالها، وتَسمّى كُلٌّ منهما بإمارة المؤمنين، مما جعل ابن حزم يسخر من ذلك بقوله: « خليفتان تصالحا وهو أمر لم يُسمع بأذلَّ منه ولا أدلَّ على إدبار الأمور » والتهالك على الحكم لاغير .

وفى سنة (٤١٣ هـ — ١٠٢٢ م) لاثنتى عشرة من ذى القعدة خرج يحيى إلى مالقة لزيارة أخيه إدريسى بن على بن حمود فاغتنم عمه القاسم بن حمود ودخل قرطبة وجدد البيعة له .[2]

ولكن أهل قرطبة ثاروا عليه بعد سبعة أشهر، وحاصروا قصره بعد أن حدثت بين البربر وأهل قرطبة من الاحتكاكات ما أدى إلى نشوب قتال عنيف يوم السبت العاشر من جمادى الأولى (سنة ٤١٤ هـ — ١٠٢٣م) استتبع ذلك صلحا لم يدم، وتجدد القتال يوم الجمعة من الشهر نفسه تمكن بعدها أهل قرطبة من طردالقاسم بن حمود وجموع البربر الذين معه مُثخنين بالجراح، والقتلى، فتوجهوا إلى إشبيلية، ولكن القاضى محمد بن إسماعيل بن عباد رفض فتح أبواب إشبيلية لهم، بل سلّم للقاسم ابنيه ومن معهما من البربر[4]، فرحل القاسم ومن معه إلى شريش، « فزحف إليه ابن أخيه يحيى بن على بن حمود إلى شَرِيش فحاصره بها حتى أخذه أسيراً عنده مع بنيه[5] وسجنهم بمالقة إلى أن هَلَكَ فى سجنه سنة (٤٢٧ هـ — ١٠٣٥م) ».[6]

ثم إن يحيى بن حمود عاد لحكم قرطبة مرة أخرى فى سنة (٤١٦ هـ / ١٠٢٥م) حيث دخلها فى يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان، ولما استقر الأمر له تركها إلى مالِقَةَ فى يوم الثلاثاء الثامن من المحرم سنة (٤١٧ هـ / ١٠٢٦م)، وأناب عنه فى حكم قرطبة وزيره أبا جعفر أحمد بن موسى فاغتنم الفَتَيان العامريان مجاهد صاحب دانِيَة، وخيران صاحب الَمرِيَّة الموقف

---

(١) انظر نفس المصدر : ٢ / ١٣٢ .

(٢)(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٣٣ وانظر أعمال الأعلام ٢ / ١٣٢ .

(٤) انظر البيان المغرب ٣ / ١٣٤ ، ١٣٥ وأعمال الأعلام ٢ / ١٣٣ .

(٥) نفس المصدر ٣ / ١٤٤ .

(٦) ابن خلدون ٤ / ١٥٤ وانظر نفح الطيب ١ / ٤٣٢ .

فسارا متوجهين إلى قرطبة ، وما أن سمع أهل قرطبة بهما حتى ثاروا على البربر وقتلوا منهم عددا بلغ الألف ، وكان ذلك يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الأول سنة (٤١٧ هـ ـــ ١٠٢٦ م).[١]

وفرت فلول البربر متجهة إلى مالقة التى كانت تحت سيطرة يحيى ابن حمّود ، وبقيت دولة بنى حمود فى جنوب الأندلس حتى أزالها بنو عباد سنة (٤٥٠ هـ ـــ ١٠٥٨ م)[٢]



---

(١) انظر البيان : ٣ / ١٤٣ وانظر أعمال الأعلام ١٣٦ ـــ ١٣٧ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١٤٣ ، وانظر ابن خلدون : ٤ / ١٥٤ ، وانظر نفح الطيب ١ / ٤٣٢ ـــ ٤٣٥ .

الخلافة بين البقاء والضياع

البشر فى رحلة الحياة يتنقلون فى أطوار مختلفة ، فهم يمرون بطَور الطفولة ثم الشباب فالشيخوخة فالموت ، تلك سنة أودعها الله هذا الكون : بقوله ﴿ الله الذى خَلَقكُم من ضَعيف ثم جعل من بعد ضعيف قُوة ثُم جَعَلَ من بعد قوةٍ ضَعفاً وشَيبةً يخلُقُ ما يشاءُ وهو العليمُ القَدير ﴾ (٥٤)الروم .

ودل استقراء أحوال الدُّول أنّها تمر بأطوار شبيهة ،[1] فتبدأ ضعيفة مغلوبة ولكن إصرار المجموعة البشرية التى تريد إقامة الدولة وقوة ترابطها وتناصرها وثباتها هو الكفيل بنقلها إلى الطور الثانى ، وهو التمكُّن وفى هذا الطور تحقق المجموعة البشرية أهدافها ويظهر إنتاجها الحضارى ، ويضعف الجيل الحامل لهذه الأهداف وبتقصير فى إدارة الدولة يسرى الضعف إليها بسريان الترف ، فتبدو مظاهر التفكك فى بنيتها ، مما يؤدى إلى الانهيار .

ولقد مَرّت الدولة الأموية فى الأندلس بتلك الأطوار .

وقد بدت ملامح الطور الثالث لحكم بنى أمية فى أواخر القرن الرابع الهجرى حين تحولت الخلافة لمنصب صورى ، الهيمنة الحقيقية فيه كانت للحُجَّاب أو الوزراء الذين كانوا يتصدّرون لإبرام الأمور باسم الخليفة لضعفه ، ولقوة شخصية الحاجب أو الوزير ، واستمر الحال على هذا إلى الربع الأول من القرن الخامس الهجرى حيث استلم ابن جَهْوَر تسيير الأمور فى قرطبة بعد إسقاط حق بنى أمية فى الخلافة سنة (٤٢٢ هـ ـــ ١٠٣١ م) كما سنرى .

محاولة إعادة الخلافة :

وقد قامت عدة محاولات لإعادة الخلافة إلى البيت الأموى ممن تغلب عليها من هؤلاء الحجاب والوزراء لاسيما وإن الرأى العام الأندلسى بعامة كان يدين

---

(١) ذهب إلى ذلك ابن خلدون فى مقدمته ، انظر ٢ / ٥٤٦ ـــ ٥٤٧ ، تحقيق على عبد الواحد وافى الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

للأمويين بالولاء ، وكانت هذه المحاولات يتفق على القيام بها أهل قرطبة من الأندلسيين والفتيان الصقالبة العامريين الذين كانوا يُكنون الولاء للبيت الأموى وخاصة لمولاهم المستنصر ولابنه من بعده هشام المؤيد ، لذا فكلّ محاولاتهم كانت تتمثل فى الوقوف فى وجة من يحاول خلع هشام المؤيد ، وتمثّل ذلك فى مواقفهم من محمد بن عبد الجبار وسليمان المستعين .

كانت المحاولة الأولى من قبل خيران العامرى الذى تعاون مع واضح الفتى على إعادة هشام المؤيد إلى الخلافة بعد استيلاء محمد بن هشام بن عبد الجبار عليها ، واتفقا على قتل محمد بن هشام فتمّ ذلك سنة (٤٠٠ هـ ـــ ١٠١٠ م) كما بينا وأعادا الخلافة إلى هشام المؤيد الذى كانوا يعتبرونه إمام دولتهم الشرعى بعد موت المنصور بن أبى عامر .[١]

ولكن مافتىء سليمان المستعين أن دخل قرطبة سنة (٤٠٣ هـ = ١٠١٦) ، بعد أن قُتل واضح كما سلف ، وفرّ الفتيان العامريان إلى شرق الأندلس[٢] . وقد قام الفتيان العامريون بمحاولات أخرى لإعادة الخلافة منها ما كانوا ينفردون بها ، وبعضها كان بالتحالف مع آخرين ، وذلك بتأييد من يَصلح لها من بنى أمية ، خاصة بعد أن أشيع زمن سليمان موت هشام المؤيد لأن سليمان لم يكن مرضيا عند الفتيان ، ولاعند أهل قرطبة ، وذلك لتقديمه البربر فى مناصب الدولة .

ففى سنة (٤٠٥ هـ ـــ ١٠١٥ م) قام بمدينة دَانِية بشرق الأندلس ثائر من أشراف بنى أمية اسمه عبد الله بن عبيدالله المعيطى ، وذلك فى ظلّ مجاهد العامرى ، وكان مجاهد يُجلّه ويحترمه لفقهه وعلمه ، فقدّمه وبايعه على الخلافة ، ولكنه مالبث أن اختلف معه فنفاه إلى بَجّانة بالمغرب فى سنة (٤٠٧ هـ ـــ ١٠١٦ م) .[٣]

وفى السنة نفسها ٤٠٥ هـ أظهر على بن حمود وصية من هشام المؤيد له يوليه العهد فيها ويستنجد به لتخليصه من سليمان المستعين ومن معه ، وأيده فى ذلك خيران العامرى لاعتقاده بأحقية هشام بالبيعة ولعله لهذا السبب لم يتفق مع مجاهد

(١) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ١١٦ ودول الطوائف : ١٥٩ ودولة الإسلام : ٦٥٨ .

(٢) انظر البيان المغرب : ٣ / ١١٥ ودولة الإسلام : ٦٥٨ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١١٥ ، ١١٦ ، وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٢٢٠ ، وانظر دولة الإسلام : ١٨٩ ، ١٩٠ والصلة : ٢٦٩ .

فى مبايعة المُعيطى .[1]

وفى سنة (٤٠٦ هـ — ١٠١٦ م) سارت جموع على بن حمود وخيران إلى قرطبة ودخلتها فى منتصف المحرم ونودى بالخلافة لعلى بن حمود بعد أن أثبت للناس موت هشام المؤيد ، وأما خيران العامرى فلما لم يجد مولاه هشام حياً أوجس من على بن حمود خِيفةً فانصرف إلى شرق الأندلس .[2]

وفى هذه الآونة قام عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر الملقب بالمرتضى بمدينة جَيّان يدعو بالخلافة لنفسه فناصره خيران العامرى وزهير ومجاهد وغيرهم من موالى بنى أمية وأنصارهم وخرجوا مع المرتضى سنة (٤٠٩ هـ — ١٠١٨ م) ، نحو قرطبة ولكن زاوى بن زيرى الصِّنهاجى فَلّ جمعهم وقتل المرتضى . وباءت هذه المحاولة بالفشل .[3]

وبفشل هذه المحاولة « ركدت ريح المروانية فى ذلك الوقت .. وآيس الناس من دولتهم وألوى الخمول بجملتهم فتقطعوا فى البلاد ... وامتهنوا واستهينوا »[4] واستمر الأمر لبنى حمّود حتى تمّ إخراج القاسم بن حمود من قرطبة فى جمادى الآخرة سنة (٤١٤ هـ — ١٠٢٣ م) .[5]

محاولات قرطبية :

وحاول أهل قرطبة محاولة جديدة لإعادة الخلافة بعد طرد القاسم فاختاروا سليمان بن عبد الرحمن بن محمد ولقّبوه بلقب أبيه المرتضى وفى لحظات عقد البيعة له .[6] « هجم عليهم فى المسجد الجامع عبد الرحمن بن هشام ابن عبد الجبار — أخو مُوقِد الفتنة المهدى — فى شرذمة من الناس يدعو لنفسه فرجعوا إليه بين مُكْرِهٍ وراضٍ »[7] وكانت البيعة لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار يوم

---

(١) انظر البيان : ٣ / ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ وانظر أعمال ٢ / ١٢٩ ، وانظر دولة الإسلام : ٦٥٩ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١١٦ — ١٢١ ، انظر أعمال ٢ / ١٣٠ وانظر العبر ٤ / ١٦٤ وانظر دولة الإسلام ٦٥٩ / ٦٦٠ .

(٣) نفس المصدر ٣ / ١٢١ ، ١٢٥ — ١٢٧ انظر أعمال ٢ / ١٣١ وانظر دول الطوائف : ١٩٦ وانظر دولة الإسلام : ٦٦٠ — ٦٦١ .

(٤) البيان المغرب : ٣ / ١٢٨ وأعمال الأعلام ٢ / ١٣١ .

(٥) انظر البيان المغرب : ٣ / ١٣٤ وأعمال الأعلام ٢ / ١٣٣ وانظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٢٦ .

(٦) ، (٧) انظر البيان : ٣ / ١٣٥ وأعمال : ٢ / ١٣٤ وانظر دولة الإسلام : ٦٦٤ .

الثلاثاء السادس عشر من رمضان سنة ٤١٤هـ وتلقب بالمستظهر ولم يحكم إلا سبعة وأربعين يوما حيث قتل فى يوم السبت الثالث فى ذى القعدة فى السنة نفسها لاعتقاله عدداً من الوزراء ومحاولته مصالحة البربر مما أهاج العامة عليه فقتلوه[١]، « فختم به فضلاء أهل بيته الناصريين فلم يأت بعده مثله» .[٢]

وعندما ثار أهل قرطبة على عبدالرحمن المستظهر أقاموا مكانه محمد بن عبدالرحمن بن عبيد الله بن الناصر ــ وهو ابن عمه ــ وكان مختفيا خشية من المستظهر وعندما بويع لمحمد هذا بالخلافة لُقب بالمستكفى[٣]، وكان « ذلك يوم السبت لثلاث خلون من ذى القعدة سنة ٤١٤ هـ = ١٠٢٣ م[٤] ووصف بأنه لم يجلس للإمارة مدة الفتنة أنقص منه »[٥] وقد كرهَهُ أهل قرطبة لسوء خُلُقِه وتصرفه فخلعوه من الإمارة سنة (٤١٦ هـ = ١٠٢٥ م) يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول وخرج هاربا من قرطبة متنكراً[٦]، ووجد مقتولا بعد خلعه بسبعة عشر يوما وكانت المحاولة الأخيرة لإعادة الخلافة الأموية عندما أخرج أهل قرطبة فلول بنى حمود وأتباعهم من البربر كما مر . وبقيت قرطبة دون خليفة[٧] « واجتمع أهل قرطبة ... فنظروا من يسددون به الرسم من بنى أمية » فلم يجدوا إلا هشام ابن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ــ أخا المرتضى ــ فكتبوا إليه وهو فى قلعة إلبونت يبايعونه على الخلافة وتم ذلك فى (يوم الأحد لخمس بقين من ربيع الآخر سنة (٤١٨ هـ =١٠٢٧ م) وغادر إلى قرطبة دار الخلافة الأموية فى (عشرين ذى الحجة سنة (٤٢٠ هـ =١٠٣٠ م) الموافق يوم الثلاثاء حيث بايعه أهل قرطبة بيعة تامة ولقب بالمعتد بالله .[٨]

---

(١) انظر البيان : ٣ / ١٣٥ ، ١٣٨ وأعمال : ٢ / ١٣٥ ولقبه بالظافر والعبر ٤ / ١٥٢ وانظر الحلة السيراء ٢ / ١٢ ــ ١٧ ترجم له ترجمة طويلة وانظر دولة الإسلام ٦٥ ــ ٦٦٦ .

(٢) البيان : ٣ / ١٤٠ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١٣٨ وأعمال : ٢ / ١٣٥ والحلة : ٢ / ١٢ ، ١٣ وانظر دولة الإسلام : ٦٦٦ .

(٤) (٥) انظر نفس المصدر ٣ / ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٦) انظر البيان : ٣ / ١٤١ ــ ١٤٣ وأعمال : ٢ / ١٣٦ ودولة الإسلام : ٦٦٧

(٧) أعمال الأعلام ٢ / ١٣٧ والحذف منى .

(٨) انظر البيان : ٣ / ١٤٥ ، ١٤٦ وقلعة إلبونت .

ولم يدم سرور أهل قرطبة بذلك لأن هشاما قلّد الوزارة رجلاً لا سابقة له فى هذا العمل ولا خبرة ، اسمه حَكَم الحائك[1] ، « وهو رجل من دخلاء الجند ما فيه شيء من خصال الرجال ... متنقلاً من الحياكة إلى الذروة العليا من تقلّد الوزارة فبدَرَ لأوّل وقته بعداوة الأحرار وتنقص الفضلاء ، والميل على ذوى البيوتات بالأذى .. ونال من أهل المنازل الرفيعة النبيلة »[2] وكان أكثر أعوانه « صبية أغمار من نمطه .. إن ضَجّ مظلومٌ سَخِروا منه ... فكان الناس منهم ومن صاحبهم ـــ حَكَمُ الحائك ـــ فى بلاءٍ عظيم » .[3]

وقد أورد ابن حيّان المؤرخ وهو شاهد عصره غير هذه الأوصاف مما يُنبيء عن سوء الأحوال والتدبير ، مما لايصبر عليه ذو حمية ونخوة لاسيما وأن الخليفة عالم بذلك راض بتصرفات وزيره .[4]

وأغرى هذا الوضع المنهار المتهافتون على السلطة من بنى أمية فانبرى ابن عم هشام المعتد واسمه أمية بن عبد الرحمن فقتل حكما الحائك وزير هشام وادعى لنفسه الحق فى تولى الخلافة فحاصر هشاماً فى أحد أبراج قصره بعد أن اقتحم القصر وأعمل فيه النهب هو وجنده ، مطالباً بالبيعة لنفسه .[5]

سحب الثقة عن الأمويين :

وبلغ الأمر منتهاه وعمت الفوضى جميع جوانب الحياة فى قرطبة ـــ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لسوء سياسة الخلفاء الأمويين ، ومروقهم فضجت الأمة بكل قطاعاتها وهتفت بإسقاط الخلافة عن الأمويين[6] « واتفق رأى الجماعة ـــ أهل الحل والعقد ـــ بقرطبة على محو رَسْم الخلافة الأموية لعدم الصُّلوح فى أهل بيتها ، وسوء الجوار وفناء الأموال »[7] ، ولعدم وجود من هو أهْل للخلافة من غير الأمويين « اتفق الملأ على إسناد الأمور بالحضرة ـــ بقرطبة ـــ إلى

---

(١) انظر البيان : ٣ / ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) الذخيرة : ١ / ٥٢٣ وانظر البيان : ٣ / ١٤٨ والحذف منى .

(٣) الذخيرة : ٣ : ١ / ٥٢٤ وانظر البيان : ٣ / ١٤٩ .

(٤) انظر الذخيرة ٣ : ١ / ٥٢٤ .

(٥)، ٤) انظر البيان : ٣ / ١ / ٥٢٤ .

(٧) أعمال : ٢ / ١٤٧ .

شيخ الجماعة وبقية الأشراف من بيوت الوزارة »[1] لسياسة شؤون الدولة والقيام بمهامها « ونُودىَ فى الأسواق والأرباض لايبقى بقرطبة أحد من بنى أمية ولايكتَنِفَهُم — يُؤْوِيهم — أحد »[2] وكان ذلك فى « يوم الثلاثاء الثانى عشر لذى الحجة من سنة اثنين وعشرين »[3] بعد خلع هشام المعتد وإزالة أمية بن عبد الرحمن ابن عم هشام وإخراجهما من قرطبة .

وكان هذا إيذانا بمرحلة جديدة تمر بها دولة الإسلام فى الأندلس[4] ستتبين ملامحها فى الصفحات المقبلة .



---

(١) أعمال : ٢ / ١٤٧ .

(٢) البيان المغرب : ٣ / ١٥١ .

(٣) البيان : ٣ / ١٤٥ .

(٤) انظر تاريخ العرب فى أفريقية والأندلس . ٢٠٣ — ٢٠٤ .

عصر الطوائف

مرّ فى الصفحات السابقة أن الخليفة سليمان المستعين قد ولّى كبار وزرائه من العرب والبربر على مدن الأندلس وبمرور الوقت ، ولعدم استقرار الأوضاع السياسية غدا كلُّ عامل من هؤلاء العمال هو الحاكم الحقيقى مع وجود الحكم المركزى بقرطبة ، بل إن الفتيان العامريين الصقالبة ، بدءوا بترك قرطبة فى أوائل الفتنة (٣٩٩ ـــ ٤٢٢ هـ) واستقلوا بحكم مدن شرق الأندلس التى حلوا فيها وكان لهم تأثير كبير فى الأوضاع السياسية فى الأندلس ، وقرطبة على وجه الخصوص كما مرّ .

انتثار العقد :

وساءت الأحوال السياسية فى قرطبة ، فنادى أهل الرأى فى قرطبة بإسقاط الخلافة عن بنى أمية ، وتولى أبو الحزم بن جهور إدارة شؤون الدولة ، « فلما اتصل الخبر بأمراء البلاد ثار كل واحد منهم فى بلده بمن عنده من الأجناد »[(١)] وتفتتت الدولة الإسلامية فى الأندلس وانتثر عقدها « وغدت كالصرح الشامخ الذى انهارت أسسه وتصدع بنيانه »[(٢)] ، « وتغلب فى كل جهة منها متغلب وضبط كُلّ مُتغلب منهم ما تغلب عليه وتقسموا ألقاب الخلافة فمنهم من تسمى بالمأمون وآخر تسمى بالمستعين والمقتدر والمعتصم والمعتمد والموفق والمتوكل إلى غير ذلك من الألقاب الخلافية وفى ذلك يقول أبو على الحسن بن رُشيق :

مما يُزهّدنى فى أرض أندلسٍ ... سَماعُ مُقتدر فيها ومعتضد
ألقابُ مملكة فى غير موضعها ... كالهرّ يحكى انتفاخا صَولة الأسد[(٣)]

ولدافع حبِّ السلطة ، والإصرار على التمسك بالحكم من قِبَل أمراء المُدن الأندلسية انقسمت الأندلس إلى دويلات عديدة بلغت فى مجموعها ستة وعشرين

---

(١) التار الأندلسى لابن الكردبوسى : ٦٨ وانظر العبر : ٤ / ١٥٦ .

(٢) دول الطوائف : عنان : ١٤ .

(٣) المعجب : ١٢٣ وأعمال : ٢ / ١٤٤ .

دويلة ،[1] وقسمت الأندلس من الناحية الإقليمية إلى ست مناطق رئيسية تضم كل واحد منها إمارة أو أكثر :[2]

الأولى : منطقة العاصمة القديمة قرطبة وما إليها من المدن والأراضى .

الثانيـة : منطقة طُليطلة أو الثغر الأوسط . وكان يواجه مملكتى ليون وقَشتالَة ، وكانت عاصمته أول الأمر مدينة سالم واستبدلت بها طليطلة .

والثالثة : إشبيلية وغرب الأندلس وما إليها من الأراضى حتى المحيط الأطلنطى .

والرابعـة: غَرناطة ورُيَّة والفُرنتيرَة .

والخامسة : منطقة شرق الأندلس أو منطقة بلنسية وما إليها شمالا وجنوبا .

والسادسة : منطقة الثغر الأعلى وعاصمته سَرقُسطة ويشمل لارِدَة وتُطَيلية وَوشْقَة وطُرطوشة وغيرها ، وكان يواجه بَرشَلونَة ومملكة نافار .

العصبيات الحاكمة :

انضوت دويلات الطوائف تحت ألوية ثلاثة تجمعات كبيرة يطمع كل منها فى بسط سلطانه على الأندلس :

أولا : الأندلسيون :[3] وهم العائلات التى استقرت فى الأندلس منذ الفتح

---

(١) انظر : علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والدول الإسلامية رسالة دكتوراه لخليل إبراهيم صالح السدرى بجامعة القاهرة كلية الآداب ١٩٧٩ بإشراف د. أحمد السيد دارج وانظر : قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٣٠ .

(٢) دول الطوائف : ١٧ وانظر التاريخ الأندلسى : د. الحجى : ٣٢٤ و انظر جغرافية الأندلس : ٩٥ .

(٣) واختلف المؤرخون فى نسبتهم فمنهم من ينسبهم إلى العرب وهذا ما ذهب إليه الباحثون الشرقيون كرد فعل لموقف المؤرخين الغربيين والأسبان منهم خاصة حيث يعدون الأندلسيين أسبان ، ولذلك يعتبرون حضارة الأندلس إنتاجا أسبانيا وحتى العرب الذين دخلوا الأندلس ذابوا فى المجتمع الأسبانى فلم تبق دماء عربية فى الأجيال التى تلت جيل الفتح .

انظر : الأدب الأندلسى : د. هيكل : ٣٠ ــ ٣٧ وانظر دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامه : د. الطاهر مكى : ١٤٢ ــ ١٤٩ ، ٢٤٨ ــ ٢٥٢ والحقيقة أن الإسلام هو نسبهم الحقيقى، فهو الذى صَهرهُم فى بوتقته بعيداً عن العنصر والعِرق ، بل حتى الذين لم يُسلموا منهم تأثروا بالالتزامات الإسلامية فى المأكل والمشرب ، فمنهم من ترك أكلَ الخنزير ، وشرب الخمر ، وتكلّم بالعربية بدل اللغة القومية ، انظر التاريخ الأندلسى : د. الحجى : ١٤٣ ــ ١٤٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ــ ١٧٢ .

الإسلامى وانصهرت فى بوتقة الإسلام بِغَضّ النظر عن أصلها العربى أو البربرى أو الصّقلبى أو الإسبانى المسيحى وقد عرف هؤلاء بأهل الجماعة ، ويمثل هؤلاء :

١ ــ بنوعباد فى إشبيلية (SEVILLA) (٤١٤ ــ ٤٨٤ هـ / ١٠٢٣ ــ ١٠٩١ م) مؤسسها القاضى محمد بن إسماعيل بن عباد (٤٣٣ هـ) ونسبهم إلى قبيلة لَخْم العربية سنة ٤٨٤ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٢ ــ بنو جَهْور فى قرطبة(CORDOBA) (٤٢١ ــ ٤٦٢ هـ / ١٠٣٠ ــ ١٠٦٩ م) مؤسسها القاضى أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور(٤٣٥ هـ) وهم من الموالى وفى سنة ٤٦٢ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٣ ــ بنو البكرى فى وَلْبة (HUELVA) وشلطيش (SALTEX) (٤٠٢ ــ ٤٤٣ هـ = ١٠١٢ ــ ١٠٥٢ م) مؤسسها عبد العزيز البكرى نسبة لقبيلة بكر بن وائل العربية وفى سنة ٤٤٣ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٤ ــ بنو يحيى فى لبلة (NIEBLA) (٤١٤ ــ ٤٤٤ هـ / ١٠٢٣ ــ ١٠٥٣ م) ، مؤسسها أحمد بن يحيي اليحصُبى نسبة إلى قبيلة يَحصُب العربية وفى سنة ٤٤٤ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٥ ــ بنـــو مُزَيـــنْ فى شلْب (SILVES) (٤٣٨ ــ ٤٥٤ هـ / ١٠٤٦ ــ ١٠٦٢ م) مؤسسها القاضى عيسى بن أبى بكر بن مُزَيْن وفى سنة ٤٥٤ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٦ ــ بنو تُجيب فى سَرَقُسطة (ZARAGZA)(٤٠٧ ــ ٤٢٩ هـ = ١٠١٧ ــ ١٠٣٧ م) مؤسسها المنذر بن يحيى التُّجيبي (ت ٤٠٣ هـ) نسبة إلى قبيلة تُجيب العربية وفى سنة ٤٢٩ هـ سيطر عليها بنو هود .

٧ ــ بنو هود فى سَرَقُسطة (٤٢٩ ــ ٥٠٣ هـ / ١٠٣٧ ــ ١١١١ م) مؤسسها سليمان بن محمد بن هود (٤٣٨ هـ) الجذامى نسبة إلى قبيلة هود الجذامية وسنة ٥٠٣ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٨ ــ بنو رُزين فى السَهلة (SATAMARIA DE AL BARRACIN)[(١)] (٤٠١ ــ ٤٩٦ هـ = ١٠١١ ــ ١١٠٢ م) مؤسسها هُذَيل بن عبد الملك بن رُزين وكان من أكابر البربر فى الثغر (٤٣٦ هـ) ، وفى سنة ٤٩٦ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٩ ــ بنو القاسم فى إلبونت (ALPUENTE)[(٢)] (٤٩٥ هـ = ١١٠٢ م) مؤسسها عبد الله بن القاسم الفهرى (٤٢١ هـ) وفى سنة (٤٩٥ هـ) أصبحت ولاية مرابطية .

١٠ ــ بنو صُمادح فى المَرِيـة (ALLMRIA) (٤٣٣ ــ ٤٨٤ هـ = ١٠٤١ ــ ١٠٩١ م) مؤسسها معين بن صَمادح التجيبى[(٤)] (٤٤٣ هـ) وسنة ٤٨٤ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

١١ ــ العامريون[(٥)] ويمثلهم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبى عامر (٤٥٤ هـ) : وكان يحكم بلنسية والمَريّة ومرسية وكان الوضع فيها كالآتى :

أ ــ فى بلنسيـــــــــــة (VALECIA) (٤١٢ ــ ٤٥٢ هـ = ١٠٢١ ــ ١٠٦١ م) وخلفه ابنه عبد الملك وطرده المأمون بن ذنون ملك طليطلة واستولى عليها سنة ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥ م .

ب ــ فى المرية (٤٢٩ ــ ٤٣٣ هـ / ١٠٣٨ ــ ١٠٤١) استقل بها حاكمها معن بن صمادح سنة (٤٣٣ هـ) .

ج ــ فى مرسيــــــــــة (MURCUA) (٤٢٩ ــ ٤٥٢ هـ = ١٠٣٨ ــ ١٠٦١ م) سنة ٤٥٢ هـ خلفه ابنه عبد الملك ثم استقل بها حاكمها أبو بكر أحمد

---

(١) مدينة تقع فى الشمال العربى لبلنسبة ويطلق عليها شنتمرية الشرق : انظر البيان ٣ / ١٨١ ، ٣٠٧ ومجاهد العامرى : ٤٨ .

(٢) وقال ابن عذارى وكانت بأيديهم من أول الفتنه إلى سنة ٥٠٠ هـ ، انظر البيان ٣ / ٢١٥ والبونت من أعمال بلنسية : انظر الروض : ٥٨ .

(٣) قال ابن حزم هم فهريون بالحلف وأصلهم بربر : الجمهره : ٥٠١ .

(٤) قال الحطيب نسبوا إلى أمهم صمادح وهم من قبيلة تجيب : انظر أعمال ٢ / ١٨٩ ونسبهم ابن حزم فى كنده ولم يقطع بذلك : انظر جمهرة : ٤٣١ .

(٥) العامريون : نسبة إلى المنصور بن أبى عامر جدهم وهم الذين حكموا بلنسية وقد لقب به بعض الفتيان الصقالبة لموالاتهم للمنصور بن أبى عامر ومن أشهرهم مجاهد العامرى صاحب دانية وخيران وزهير أصحاب المرية ومرسية .

ابن إسحاق بن طاهر .

ثانيا ـــ الصقالبة : وهؤلاء الصقالبة[(١)] كانوا فى الأصل رقيقاً أو عبيداً من بين الشعوب السلافية الذين بيعوا إلى غرب الأندلس ثم « توسع الأندلسيون فى استعمال هذا الاسم وأطلقوه على مواليهم الذين جُلبوا من مختلف البلاد الأوربية بما فى ذلك شمال أسبانيا المسيحى ، وتضم قائمة الصقالبة :

١ ـــ سابُور الفارسى وابناه عبد الملك وعبد العزيز فى بطلْيوس (٠٠٠ ـــ ٤١٣ هـ / ٠٠٠ ـــ ١٠٢٢ م).
سنة ٤١٣ هـ سيطر عليها بنو الأفطس .

٢ ـــ مجاهد العامرى وابنه على فى دانِيّةَ (٤٠٠ ـــ ٤٦٨ هـ / ١٠٠٩ ـــ ١٠٧٥ م) سنة ٤٦٨ هـ انضمت إلى سرقسطة .

٣ ـــ خيران فى المرية ومرسية (٤٠٢ ـــ ٤١٩ هـ / ١٠١٢ ـــ ١٠٢٨ م) وخلفه زهير سنة ٤١٩ هـ .

٤ ـــ زهير فى المرّية ومرُسية (٤١٩ ـــ ٤٢٩ هـ / ١٠٢٨ ـــ ١٠٣٨ م) سنة ٤٢٩ هـ خلفه عبد العزيز ملك بلنسية .

٥ ـــ مبارك ومظفر فى بكنسّية (٤٠٧ ـــ ٤١٢ هـ / ١٠١٦ ـــ ١٠٢١ م) سنة ٤١٢ هـ احتلها نبيل فطرده عبد العزيز بن أبى عامر فى السنة نفسها .

٦ ـــ نبيل فى طُرْطُوشَةَ (٠٠٠ ـــ ٤٢٧ هـ / ٠٠ ـــ ١٠٣٥ م) سنة ٤٢٧ هـ طرده مقاتل الصقلبى .

ثالثا : البربر : وهم الذين قدموا الأندلس حديثاً وخاصة على عهد المنصور بن أبى عامر . ويضم إليهم بنو حمود الهاشميون بحكم استقرارهم بين البربر فترة طويلة حتى تكلموا بلغتهم[(٢)] ، ويضم إلى البربر كذلك بنو الأفطَس على الراجح وينسبون إلى

---

(١) انظر العصر والأمم لابن عبد البر : ٣٥ وجغرافية الأندلس : للبكرى : ١٥٤ ، ١٥٥ وقد تتبعت كليليا الأصل اللغوى لكلمة صَقْلَبا فى اللغات الأوربية : انظر مجاهد العامرى : ٣ وانظر الإسلام فى أسبانيا : ٣٦ ـــ ٥٩ .

(٢) انظر أعمال الأعلام : ١٢٨ وانظر فى تاريخ المغرب والأندلس : ٢٧٦ .

مكناسة،[1] وأما الآخرون فينسبون إلى قبيلتين بربريتين وهما صنهاجة. وزناتة وتضم دول البربر :

١ ــ بنو حمود :

أ ــ فى مالِقَة (MALAGA) (٤٢٧ ــ ٤٤٩ هـ = ١٠٣٥ ــ ١٠٥٧ م) ، سنة ٤٤٩ هـ انضمت إلى غرناطة .

ب ــ فى الجزيرة الخضراء (ALGECIRAS) (٤٢٧ ــ ٤٥٠ هـ = ١٠٣٥ ــ ١٠٥٧ م) سنة ٤٥٠ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٢ ــ بنو زيــرى فى غرناطـــة (GRANADA)(٤٠٣ ــ ٤٨٣ هـ = ١٠١٢ ــ ١٠٩٠ م) مؤسسها زاوى بن زيرى بن مِناد الصنهاجـــى سنــة ٤٨٣ هـ أصبحت ولاية مرابطية .

٣ ــ بنــو بَـرزال فى قَرْمُونَـــة (CARMONA) (٤٠٤ ــ ٤٥٩ هـ = ١٠١٣ ــ ١٠٦٧ م) مؤسسهـا محمـد بن عبـد الله بن برزال ، وهـم من زَنَاتَـة وسنـــة ٤٥٩ هـ انضمت إلى إشبيلية .

١٠٦٦ م) ، مؤسسها نوح بن أبى تزيرى ، وهـم من زناتـة سنـة ٤٥٨هـ انضمت إلى إشبيلية .

٤ ــ بنو يَفْرِن فى رَنْدَة (RONDA) (٤٣١ ــ ٤٥٧ هـ = ١٠٣٩ ــ ١٠٦٥ م) ، مؤسسها هلال بن أبى قرة بن دوناس وهم بطن من زناتة . سنة ٤٥٧ هـ ، انضمت إلى إشبيلية .

٥ ــ بنو دُمَّر فى مَورور (MORON) (... ــ ٤٥٨ هـ = ... ــ ١٠٦٦ م) ، مؤسسها نوح بن أبى تزيرى ، وهم من زناتة سنة ٤٥٨ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٦ ــ بنو خزرون فى أركش (ARCOS) وشريش (XERES) (٤٠٢ ــ ٤٦١ هـ = ١٠١١ ــ ١٠٦٨ م) مؤسسها محمد بن خَزْرون بن

(١) اختلف المؤرخون فى نسبهم لأنهم انتسبوا إلى قبيلة تُجيب العربية وقد استبعد ابن حيان ذلك . وابن حزم لم ينسبهم إلى تجيب فى الجمهرة ورجح عنان أنهم بربر . وصنفهم خليل السامرّائى وكليليا مع دول البربر فى قوائم دول الطوائف . انظر أعمال الأعلام ١٨٢ والجمهرة : ٤٧٧ ، وانظر : علاقات المرابطين ، رسالة دكتوراه : ٤٣ . وانظر مجاهد العامرى : ٥٥ .

عبدون . وهم من زناتة وسنة ٤٦١ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٧ ـــ محمد بن سعيد بن هارون فى شنتمريّة الغَرب SANTA) MARIN DE ALGARVE) (٤١٧ ـــ ٤٤٤ هـ = ١٠٢٦ ـــ ١٠٥٢ م)(١) سنة ٤٤٤ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٨ ـــ ابن طَيغُور فى مارتِلَة (MERTOLA) (... ـــ ٤٣٦ هـ / ... ـــ ١٠٤٤ م) سنة ٤٣٦ هـ انضمت إلى إشبيلية .

٩ ـــ بنو الأفطس فى بَطَلْيوس (BADAJOZ) (٤١٣ ـــ ٤٨٧ هـ / ١٠٢٢ ـــ ١٠٩٤ م) سنة ٤٨٧ هـ أصبحت ولاية مرابطية ، مؤسسها عبد الله بن محمد بن سلمة المعروف بابن الأفطس .

١٠ ـــ بنو ذنون فى طليطلة (TOLEDO) (٤٢٨ ـــ ٤٧٨ هـ / ١٠٣٦ ـــ ١٠٨٥ م) مؤسسها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذنون ، سنة ٤٧٨ هـ احتلها الفونسو السادس ملك قشتالة .

والإمارات التى ذكرت فى الترتيب السابق هى أشهر الإمارات التى ذكرها المؤرخون وهناك إمارات صغيرة لم نُورِدْ أسماءَهَا لضعف تأثيرها فى الحياة السياسية وسرعة تغلب الدويلات الكبيرة عليها .

ولم تبق فى الساحة الأندلسية حين مجيىء المرابطين إلا دولة بنى عباد فى إشبيلية ودولة بنى هود فى سرقسطة ، ودولة بنو رُزَين فى السَّهلة ، وبنو القاسم فى إلبونت وبنو صُمادح فى المَريَّة ، وبنو زيرى فى غرناطة ، وبنو الأفطس فى

---

(١) وعند ابن عذارى انضمت إلى إشبيلية فى (٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م) انظر : البيان ٣ / ٢١٥ وشنتمرية الغرب يطلق عليها الآن مدينة فارو (FARO) فى جنوب البرتغال : انظر جغرافية الأندلس : ٦٩ .

كليليا : مجاهد العامرى : ٥٢ ـــ ٥٥ وقد أحالت إلى دوزى وموسوعة التاريخ : د. أحمد شلبى : ٤ / ٦٩ ـــ ٧١ والتاريخ الأندلسى : د. الحجى : ٣٥٤ ـــ ٣٥٥ ، ودول الطوائف : عنان : ٤٦٠ ـــ ٤٦٤ ، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة : د. أحمد السعيد سليمان : ١ / ٣٠ ـــ ٣٣ وعلاقات المرابطين بالممالك النصرانية : د. خليل إبراهيم رسالة دكتوراة : ٤٠ ـــ ٤٣ .

كان الاعتماد على هذه المصادر فى تنظيم هذه القائمة .

بَطَلْيوس .

عصر الطوائف أهم المظاهر :

لوذهب الباحث ليكتُب عن هذا العصر بالتفصيل لَمَا وفّاهُ حَقَّه ولعل ذكر أهم الظواهر التى تميز بها هذا العصر يفى بإعطاء صورة معبرة عن هذا العصر ، والذى استمر ما يقارب الثمانين عاما ، انتهى بدخول يوسف بن تاشفين الأندلس ، ووحدها تحت راية المرابطين ابتداء من سنة ٤٨٣ هـ = ١٠٩٠ م .

وقد أطلق على هذا العصر (أيام الفَرَقْ) [١] أى الخوف لهول ما وقع فيه من الفتن التى تدع الحليم حيران. العدو على الأبواب يبتلع الأوطان والحكام بالتُّرهات مشغولون ، ويتآمر بعضهم على بعض ، لكن هذه الحال « لم تكن تخلو من إشراقات وضاءة حين تلتقى عوامل الخير الأصيلة الكامنة فى النفوس وتدعو إلى الجهاد لمصلحة الوطن المسلم فتلقى بعوامل الفرقة والآفاق الضيقة جانبا » [٢]، كما سيأتى عند الكلام عن ثمرات الصحوة والدعوة إلى التوحد .

وأهم الظواهر التى تميز بها :

أولا : التسابق على بسط النفوذ والحروب التوسعية :

تميز هذا العصر فى التسابق على بسط النفوذ بين دويلات الطوائف بمختلف الوسائل لايتورعون عن الأخذ بأية وسيلة إن كانت توصلهم لمقصودهم ، فبالمراوغة مرة ، والمداهنة أخرى ، وإن لم ينفع هذا ولاذاك فالسيف [٣]. ولعل ما سلكه المعتضد بن عباد فى الاستيلاء على دول البربر فى الجنوب أو دول غرب الاندلس ، وحروبه مع بنى يحيى ، وبنى الأفطس ، وبنى جهور ، وبنى البكرى ،

---

(١) انظر ابن الكردبوس : ٨٧

(٢) انظر التاريخ الأندلسى : الحجى : ٣٢٥ .

(٣) انظر علاقات المرابطين : ٤٣ ــ ٤٩ ، وانظر الموسوعة : ٤ / ٧١ ــ ٧٢ ، ودول الطوائف ٤٢ ــ ٤٩ .

وانظر البيان : ٣ / ١٧٠ ــ ١٧١ ، ١٧٤ ــ ١٧٥ ، ١٧٨.

وبنى زيرى لتدل على نزعته التوسعية .[1]

وما فعله ابن صمادح فى احتلال المريّة وطرده لصهره ابن أبى عامر أمير بلنسية ومحاربته لمن جاوره من أمراء الطوائف .[2]

مما يدل على انحرافهم عن الخط الخلقى المسلم : « وفى مثل هذه الحالة تظهر العصبية والنزاعات التى تؤدى إلى التشتت والضياع ».[3]

ثانياً : الاستعانة بالممالك النصرانية :

كان ملوك الطوائف يتسابقون فى طلب الإمداد بالرجال والسلاح من ملوك النصارى للحفاظ على كراسيهم المهزوزة ، ولإشباع طمع التوسع ،[4] « وكان أسَرُّ شىء عند الفُنْش فتنة تقع بين الولاة من المسلمين فيعين هذا على هذا وهذا على هذا ، فيستجلب بذلك أموالهم طمعا منه أن يعجزوا فيظفر هو بُملْك الجزيرة كلها » .[5]

وبداية هذا الأمر كان أول الفتنة القرطبية يوم استنجد المستعين بهم لمحاربة المهدى وبالعكس مما نجم عن ذلك أسوأ معركتين وهما قُنطيش ، وعُقبة البقر ، وقد قتل فى الأولى كثير من العلماء وطلبة العلم وكان النصارى يترصدونهم أكثرمن غيرهم كما مَرَّ فى الصفحات السابقة .

وقد استغل ملوك النصارى هذه الهزيمة النفسية لدى ملوك الطوائف ففرضوا الشروط وساوموا على أرض المسلمين مقابل هذه الإعانة ، وعملوا على إضعاف هذه الدول باستنزاف طاقاتها وثرواتها . بل بلغ الأمر بملوك

---

(١) انظر البيان : ٣ / ٢١٤ — ٢١٥ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) انظر البيان : ٣ / ١٦٧ والذخيرة : ١ : ١ / ٣٨٦ — ٣٨٨ وأعمال : ٢ / ١٩٠.

(٣) التاريخ الأندلسى : ٣٢٥ .

(٤) كاستعانة ابن ذلون وابن هود بالنصارى فى سنة ٤٣٥ — ٤٣٨ ﻫ ، انظر البيان : ٣ / ٧٨ — ٢٨٢ ونفح الطيب ٢ / ٤٤١ وأعمال : ٢ / ١٧٨ وانظر الذخيرة : ٢ : ١ / ٢٤٨ ، ٢٥٤ ، ودول الطوائف : ٩٩ — ١٠٠ وانظر علاقات المرابطين : ٤٤ ، ٦٩ — ٧٠ ، ٧٧ — ٧٩ ، ٩٢ .

(٥) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس : ٨٢.

الطوائف أنهم كانوا يدفعون الجزية للنصارى نظير إعانتهم على أبناء جِلْدتهم، فأصابهم الوهن ورفع الله المهابة من قلوب أعدائهم، ووصف لنا المراكشيُّ هذا الحال بقوله: « فأما ملوك الأندلس فلم يكن منهم أحد إلا يؤدى إليه — أى للأذفونش ملك قُشتالة — الإتاوة، وهم كانوا أحقر فى عينيه وأقل من أن يحتفل بهم له »[(١)].

ووصفهم ابن عبد البر بأنهم صاروا خولا للنصارى — أى خدما — »[(٢)].

ومع هذا فكانوا يصوّرون الهزيمة نصرا، والخنوع للعدو سلما وإعطاء الإتاوة إلى العدو سياسة، وحاولوا إقناع الأمة بذلك، وسخروا لذلك شعراء وكُتاباً يلهجون بذلك يُلبسون الحق بالباطل، وأورد لنا ابن بسام[(٣)] شواهد على ذلك من رسائل مكتوبة، ومنظوما من « شعر العصر شاهداً على الأمر »[(٤)] ولايَعْدُ هذا الشعر إلا أن يكون « مَدْح غَرور وشاهد زور ومُعْتفّ سائل وخديعة طالب نائل »[(٥)].

ثالثا: فقدان الشرعية لقيام دول الطوائف:

إن الحاكم فى الدولة الإسلامية يكتسب شرعية وجوده من الأمة فهو كالوكيل عنها فى القيام بشئونها فى إطار الشرع « لأن تقليد الخليفة نيابة عن المسلمين » كما يقول الماوردى، والانتخاب هو الطريق الموصل لاختيار الحاكم، وتثبيت هذه الشرعية بمبايعة الأمة للحاكم عن طريق ممثليها من أهل الحل والعقد[(٦)].

---

(١) المعجب: ١٩٣ وانظر العبر: ٤ / ١٥٦.

(٢) القصد والأمم: ٣٥.

(٣) انظر الذخيرة: ٢: ١ / ٢٤٨ — ٢٥٤.

(٤) نفس المصدر: ٢: ١ / ٢٤٨.

(٥) نفس المصدر: ٢: ١ / ٢٤٩.

(٦) انظر السياسة فى الفكر الإسلامى: الدكتور: أحمد شلبى: ٤٧ — ٧٩، والنظريات السياسية: د. ضياء الدين الريس: ٣١٤، ٢٢٠، ٢٢٢. وانظر الفرد والدولة: د. عبد الكريم زيدان: ١٥.

وملوك الطوائف كانوا يفتقدون الشرعية لوجودهم بعد إسقاط الخلافة عن بنى أمية فى الأندلس لأنهم أمراء متغلبون قفزوا إلى السلطة بغير إرادة الأمة فضلا عن ظلمهم وجورهم وموالاتهم لأعداء الله واستعانتهم بهم ضد أبناء جلدتهم ، ووصفهم ابن الخطيب بأنه « ليس لأحدهم فى الخلافة إرث ولافى الإمارة سبب . ولافى شروط الإمامة مكتسب »[1] لذلك فقد حاول[2] بعض أمراء الطوائف أن يضفى على نفسه الشرعية بإطلاق الألقاب الخلافية أو التظاهر بإنفاق الأموال وجمع الحوارى والغلمان ، بل ذهب بعضهم إلى إعلان بيعة خليفة شرعى من بنى أمية كسباً لعواطف الأمة التى كانت ترنوا إلى من يصلح لمنصب الخلافة ، فمجاهد العامرى أعلن بيعته لأحد رجال الأمويين وهو الفقيه أبو عبد الله بن عبيد الله المعيطى الذى مر ذكره ولكنه سرعان مادبَّ الخلاف بينهما ونفى مجاهد المعيطى خارج الأندلس . والمحاولة الثانية قام بها أبو القاسم محمد بن عباد سنة (٤٢٧ هـ) حيث استغل تضارب الأخبار فى وفاة هشام المؤيد ، وانتشار بعض الشائعات على أنه على قيد الحياة فادعى أن هشاما المؤيد فى إشبيلية[3] وأنه كان يتخفى فى مسجد قرية « يعمره ويتقوّت من العمل فى الخَلْفاء »[4] ويتسمى بخلف الحُصَرى ، فتوجه إليه ابن عباد فى حاشيته « وقبلوا الأرض بين يديه .. فبهت الرجل .. وجعل يقول : لست بالذى تعنون ... وهم لايردون عليه »[5] فألبسوه ملابس الخلافة وجاءوا به إلى إشبيلية ونادوا فى أسواقها بعودة أمير المؤمنين هشام المؤيد وانتقال الخلافة من قرطبة إلى إشبيلية وعليه أخذ ابن عباد يدعو ملوك

---

(١) أعلام الأعلام : ١٤٤ .

(٢) وانظر البيان المغرب ٣ / ١٦٢ ـــ ١٦١ ، ١٨٣ .

وأطلقت المصادر الأوربية علىٰ هذه المحاولات مصطلح « وهم الخلافة » ومعناه : وجود خليفة يتمتع ظاهريا بقوة ليست له فى الواقع ، انظر : مجاهد العامرى : ٤٠ .

(٣) انظر البيان : ٣ / ١٩٠ ، ١٩٧ ـــ ١٩٨ والذخيرة : ٢ : ١ / ١٧ ودولة الإسلام : ٣٧ .

(٤) البيان : ٢ / ١٩٠ ، ١٩٩ وأعمال : ٢ / ١٥٤ .

(٥) البيان : ٣ / ٢٠٠ .

الطوائف لمبايعة هشام المؤيد فبايعه عبد العزيز بن أبى عامر ومجاهد العامرى[1] وابن ذنون بايعه ليستعين بابن عباد على ابن هود[2]، « وأبى قبول ذلك ابن جهور فغزا ابن عباد بلده إلى أن أظهر الموافقة »[3] واستمر بنو عباد يدعون الشرعية تحت ستار أسطورة هشام المؤيد حتى استوسَقَ لهم الأمر ودانت لهم أكثر الدويلات بالولاء وغدت فى ملكهم فلما استغنوا بذلك قطع الدعوة لهشام ، المعتضد بن عباد « زعيم جماعة أمراء الأندلس فى وقته وأسد الملوك وشهاب الفتنة ... وذو الأنباء البديعة ... والوقائع المبيرة والهمم العالية والسطوة الأبية »[4] وقد ادعى المعتضد موت هشام وكان ذلك سنة ٤٥١ هـ ، ونعاه لوجوه دولته وبذلك يصبح هشام المؤيد فى ذمة التاريخ ، وقد سخر ابن حيان بذلك قائلا « وصارت هذه الميتة لحامل هذا الاسم الميتة الثالثة وعساها أن تكون إن شاء الله الصادقة »[5] ، فقد مات فى زمن ابن عبد الجبار فى المرة الأولى ثم نشر بيد واضح الفتى ثم مات مرة ثانية زمن سليمان بن الحكم المستعين ودفن خفية ، حتى ادَّعى محمد ابن عباد وجوده على قيد الحياة ، ثم نعى زمن المعتضد بن عباد .[6]

وبلغ ببعض ملوك الطوائف الأمر أن « خَطَبَ للخلفاء العباسيين »[7] طلبا لهذه الشرعية ، ومع هذا لم يستطع أحد من ملوك الطوائف أن يعطى المثل الأعلى للحاكم المسلم الذى يصلح لقيادة الأمة ، ولم تركن الأمة إلى إعطاء الراية لواحد منهم ، لاستمرارهم فى غَيّهم ونزاعهم ، مما جعل أولوا الرأى والغيرة والصلاح من مفكرى الأندلس يطلبون من الزعيم المرابطى يوسف بن تاشفين الدخول إلى الأندلس ومحاربة ملوك الطوائف ، وتوحيدها تحت رايته .

---

(١) البيان : ٣ / ١٩٠ .
(٢) انظر أعمال الأعلام ٢ / ١٧٨ .
(٣) أعمال الأعلام . ٢ / ١٥٥ .
(٤) الحلة السيراء . ٢ / ٤٠ .
(٥) البيان المعرب ٣ / ٢٤٩
(٦) انظر البيان : ٣ / ٢٤٩ ودولة الإسلام : ٥٢ .
(٧) نفح الطيب : ١ / ٢١٣ .

رابعا : النكسة النفسية للشعب الأندلسى :

كانت الفتنة القرطبية باباً كَسرُه محمد بن هشام بن عبد الجبار ، حتى نسبها بعضهم إليه فقال ابن عَذارى « ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى »(1) بدل تسميتها بالفتنة البربرية .

وفى خضم أحداث الفتنة عمت الفوضى وافتقد النظام وثارت الأحقاد بين عناصر المجتمع الواحد وظهرت نزعة الانتقام وكان يكفى أن يقال هذا بربرى فتمزقه السيوف وبالعكس حيث كان البربر ينتقمون لأنفسهم من أهل قرطبة حتى قدمت صلاة العشاء فى قرطبة أحيانا لعذر الخوف من البربر(2) ، وكان ديدن الأمراء والوزراء جمع الأموال بشتى الطرق واكتنازها كما فعل واضح ، ومبارك ومظفر وغيرهم فأثرت المجموعة الحاكمة وبطانتها وأتباعهم(3) على حساب الأمة ، واجتاحت الأندلس المجاعة زمن الفتنة القرطبية فأكلت الجيف ، وسرقت بعض المساجد ، بل أحرقت وضعُف الوازع الدينى حتى اختلّ التصور السليم للأمور ، وغدا الناس يرون أن النصارى أقرب إليهم من المسلمين ، حتى عزّى بعضهم بعضا عندما خرج النصارى إلى ديارهم بعد إعانتهم لمحمد بن هشام بن عبد الجبار فى دخوله قرطبة .

وكانت قمة المأساة بعد هذا كله إسقاط الخلافة ، وتمزقت الدولة الواحدة شر ممزق ، وأخذ الصراع صوراً أكثر تعقيداً ، فانتقل من كونه صراعاً داخلياً بين عناصر المجتمع الواحد : البربر والعرب والصقالبة إلى صراع إقليمى بين دويلات كونتها هذه العناصر بعد إعلان استقلالها ، مما زاد الشقة بينهم ، وجعل كل منهم

---

(1) البيان المغرب : ٣ / ٧٦ .

(2) انظر الصلة : ١٤٠ ، ١٧٨ ، ١٦٣ .

انظر البيان المغرب : ٣ / ٨١ ، ٩٢ ، ٩٧ وانظر أحكام الأحكام لابن حزم ٣ / ٦٧ .

(3) أمثال مبارك ومظفر اللذين فرضا من الضرائب العالية ماجعل أهل شاطبة يهجرون قراهم إلى مدن أخرى ، انظر : البيان ٣ / ١٠٤ ، ١٦٢ .

يتطلع إلى أن تكون دولته هى المتزعمة للأندلس ولو باستنصار أعداء الأمة الإسلامية على بنى جلدتهم ، حتى شب على هذا الوضع الصغير، وفنى الكبير . وقد صور شاعر أندلسى هذه الحالة فقال :

أمور يضحك السفهاء منها ويبكى من عواقبها الحليم

خامسا : صحوة الأمة والدعوة إلى التوحد

كان لتسلل العدو إلى أرض المسلمين واستيلائه على كثير من الحصون والمدن وقعه الشديد على نفوس المخلصين ، وخاصة بعد نكبة قلمُرية (٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) ونكبة بَرْشترُ فى السنة نفسها والتى ذهب ضحيتها ستة آلاف قتيل وسبى مائة ألف آخرون(١) وذلك بسبب خلاف بين الأخوين يوسف بن هود والمقتدر بن هود أدَّى إلى أن يخذل الأخ أخاه ليقع الآخر فريسة للعدو .

وقد تركت هاتان النكبتان جرحا عميقا فى وجدان أهل الغيرة من الأندلسيين لما ارتكبت فيها من الجرائم الشنيعة(٣) وقد وصف أبو محمد بن عبد البر الابن هذه النكبة برسالة(٤) كتبها على لسان أهل بَرَبَشْتُر يَسْتَنْجِدُون بأهل الأندلس عامة وأمراء الطوائف خاصة وهى كما يلى :(٥)

أما بعد :

حرسكم الله بعينه التى لاتنام ، فإنا خاطبناكم مستنفرين وكاتبناكم مُستغيثين وأجفاننا قَرِحى ، وأكبادنا حَرّى ، ونفوسنا مُنطبقة ، وقلوبنا مُحترقة ، على

---

(١) انظر : النفح : ١ / ٢١٥ .

(٢) انظر : الذخيرة : ٣ : ١ / ١٨٠ ـــ ٨٤ والبيان : ٣ / ٢٢٥ ودولة الإسلام : ٢٧٤ ـــ ٢٧٩ التاريخ الأندلسى : ٣٥٩ ـــ ٣٦٦ وعلاقات المرابطين · رسالة دكتوراه : ٨٦ .

(٣) انظر الذخيرة : ٣ : ١ / ١٧٩ ـــ ١٧٠ وقد بسط ابن حيّان القول فيها وانظر : البيان : ٣ / ٢٢٥ والتاريخ الأندلسى : ٣٦٢ ـــ ٣٦٦ .

(٤) انظر : الذخيرة : ٣ : ١ ـــ ١٧٣ ـــ ١٧٩ .

(٥) مواضع منتقاة انظر : نفس المصدر : ٣ : ١ / ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٩ وقد أجابه عليها محمد بن إسحاق بن طاهر (ت ٤٥٥ هـ) فى رسالة يوافقه ويمدحه ، انظر نفس المصدر : ٢ : ١ / ٨٧ .

حين نشر الكفر جناحيه ، وأبدى الشرك ناجذيه ، واستطار الشرّ ، ومسنا وأهلنا الضرُّ .....

وننبئكم معشر المسلمين بعض مانابنا فى ثغورنا عسى أن تكونوا سببا لنصرتنا فالمؤمنون إخوة ، والمسلمون لُحْمةٌ ، والمرء كثير بأخيه ، وإلى أمه يلجأ اللهفان ، وإلى الصوارم تفزع الأقران والسعيد من وعظ بغيره والشقى من عميت عيناه ...

فلو رأيتم معشر المسلمين إخوانكم فى الدين ، وقد غُلبوا على الأموال والأهلين واستحكمت فيهم السيوف ، واستولى عليهم الحتوف ، وأثخنتهم الجراح ، وعبثت بهم زُرقُ الرماح ، وقد كثر الضجيج والعويل والنياح ، ودماؤهم على أقدامهم تسيل سيلَ المطرِ بكلّ سبيل ... دماء تُسفك ، وستور تهتك ، وحُرَم تُنتهك ، ونِعَمُ تُستهلك ..

ومصاحفُ تُمزَّق ، ومساجد تُحرق ، فلا الأخ يُغنى أخاه ولا الابن يدعو أباه ...

فما ظنكُم معشر المسلمين ، وقد سيقت النساء والولدان ما بين عارية وعريان ، قَوداً بالنّواصى إلى كلّ مكان ، طَورا على المُتون ، وطورا على البُطون ومشيخة الرجال مُقرنين بالحبال ، مُصَفَّدين فى السلاسل والأغلال ...

وما ظنكم ــ معشر المسلمين ــ وقد رأيتم الجوامع ، والصوامع بعد تلاوة القرآن ، وحلاوة الآذان ، مُطبقة بالشرك والبهتان ، مشحونة بالنواقيس والصلبان عوضا عن شيعة الرحمان ، والأئمة والمتدينين ، والقومة والمؤذنين يجرهم الأعلاج كما تجر الذبائح إلى الذابح .... ثم أضمرت عليهم ناراً ، حتى صاروا رمادا ، والكفر يضحك ويُبكى ، والدين ينوح ويبكى ، فيا ويلاه ، ويا ذلاه ، وياكرباه ، وياقرآناه ، ويامحمداه ....

وليس الخبر كالعيان ولاالظّن كالعرفان ولقد آن أن يُبصر الأعمى وينْشطُ

الكسلان ويستيقظ النومان ويشجع الجبان .

هذه الوثيقة القيمة التى وصفت هول الخطب الذى وقع على بَربَشْتَرُ فهى بحق بيانا على لسان أهل بَربَشْتَرُ موجه إلى الأمة الإسلامية فى الأندلس عامة وإلى حكامها خاصة أراد أبو محمد ابن عبد البر الابن أن ينبه بها الغافل إلى ما يحيط به من خطط الكيد ويستثير بها عزيمة العقلاء من العلماء والمفكرين لتشخيص الداء ووصف الدواء ويحذر بها الحكام من الاستمرار فى صراعهم وتمزقهم لأنهم بذلك يفسحون المجال للعدو فى اكتساحهم .

وكان لأبى عمر ابن عبد البر الابن دور مهم فى تحريك نزعة الإصلاح عند ابنه عبد الله أبى محمد بن عبد البر ، فقد بث ابن عبد البر فى ثنايا كتبه ما ينبه فيه على سوء الحال ويصفه لطلابه وغيرهم من مرتادى حلقات دروسه التى كان يعقدها فى مختلف المدن الأندلسية ، ووصفه لحال الأندلس زمن الطوائف بما يدل على رفضه لهذا الواقع ، فيقول : « فصار كل من غلب منها ــ أى الأندلس ــ على موضع ملكه واستعبد أهله وكثر فيها الأمراء فضعفوا وصاروا خولا ــ أى خداما ــ للنصارى . »[1]

ونجد أن ابن عبد البر قد ضمّن كتابه بهجة المجالس[2] أبوابا يعالج فيها قضايا مختلفة تمس الواقع السياسى والاجتماعى فى فترة الطوائف يحذر فيها من الاستبداد ويذم فاعله فيقول :[3] « الاستبداد مذموم عند جماعة الحكماء ، والمشورة محمودة عند غاية العلماء ، ولا أعلم أحداً رضى الاستبداد وحَمِدَه إلّا رَجُلاً واحداً مَفْتُوناً مُخادعاً لمن يطلب عنده لذّته فيرقُب غِرّته ، أو رجل فاتك يحاول حين الغفلة ويرتصدُ الفرصة وكِلا الرجلين فاسق مائق) .

فنبّه الأمة إلى طبيعة الاستبداد وذم من اتّصف به وهو بذلك يخاطب حكام

---

(١) القصد والأمم : ٣٥ .

(٢) سيأتى الكلام عن هذا الكتاب فى فصل مؤلفاته فى الأدب .

(٣) بهجة المجالس : ١ / ٤٥٧ .

عصره من ملوك الطوائف من خلال مجالسه عند المظفر بن الأفطس[1] (ت ٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م) غير هَيَّابٍ من قولة الحق .

ومنهجه فى كتابه أنه يورد الآيات والأحاديث والأمثال وأقوال الحكماء وأبيات الشعر التى تنتظم المعانى التى قصدها فى الباب .

ومن هذه الأبواب : باب السلطان والسياسة[2] ـ باب الظلم والجور[3] ـ باب البغى والحسد[4] ـ الحق والباطل[5] ... الخ .

طائفة الخير باقية :

ولم يكن ابن عبد البر وحيداً فى بث روح اليقظة فى الأمة وحثّها على طلب الإصلاح ، وإنما ساهم فى هذا الدور فقهاء وشعراء مؤرخون أجلاء دأبوا على إشاعة الرأى العام الذى يتفق ومنهج هذه الأمة فى الحياة ، لأن منهج الإصلاح يجب أن يكون نابعا من عقيدة الأمة وتاريخها الذى هو قوام شخصيتها .

فابن حزم شارك بفتاواه وآرائه فى وضع يد الأمة على موضع الداء لعلاجه فعندما سئل عن موقف المسلم من ملوك الطوائف وما هو الدور الذى يجب أن يؤديه لإصلاح الحال أجاب : « وأما ماسألتم عنه من أمر هذه الفتنة ... فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة وهى فتنة سوء ... وعُمدة ذلك أن كل مُدبِر مدينة أو حصن فى شىء من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب لله ورسوله وساع فى الأرض بفساد ... غرضهُم استِدامُ نفاذ أمرِهم ونهيهم[6] ثم حذّر الأمة من أن تنخدع ببعض الفقهاء الذين يزينون لهؤلاء الحكام سوء فِعالهم بقوله :

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن سلمة تولى إمارة بطليوس سنة (٤٣٧ ـ ٤٦٠ هـ) وكان أديبا مؤرخا له كتاب المظفرى فى التاريخ والأدب . انظر الحلة السيراء : ٩٧ .

(٢) انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٣١ ـ ٣٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٣٦١ ـ ٣٧٠ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٤٠٦ ـ ٤٢٦ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٥٧٩ ـ ٥٨٩ .

(٦) رسالة التلخيص فى وجوه التخليص : كتاب فى الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل اخرى ١٧٣ ـ ١٧٤ .

« ولايغرنكم اللابسون جُلودَ الضّأن على قلوب السباع ، المزينون لأهل الشّر شرَّهُم الناصرون لهم على فسقهم »[1] وبين لهم أنّ الطريق للإصلاح هو « الإمساك للألسنة إلا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لماجاء فى الأثر الصحيح عن النبى عليه السلام : « لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعُمنكم الله بعذاب » .[2]

فَمن عَجَزَ عن ذلك فالتّقية تَسعُهُ مع أنّ هذا لايجوز لأنه « لو اجتمع كلّ من يُنكر على هؤلاء ولو بقلبه لَما غُلبوا » .[3]

وأما ابن حيان فقد حمّل الأمة المسؤولية لسكوتها وعدم صدعها بالحق « والاغترار بالأمل والإسناد إلى أمراء الفُرقة الهَمَل .. يصدونهم عن سواء السبيل ويُلبسون عليهم وضوحَ الدليل »[4]، « وبعادهم عن طاعة خالقهم ورفضهم وصية نبيهم عليه السلام وذهولهم عن النظر فى عاقبة أمرهم وغفلتهم عن سد ثغرهم » .[5]

وعبارات ابن حيان وإن كانت لاذعة ولكنها لم تعْدُ الواقع الأليم الذى وصل إليه المجتمع المسلم فى الأندلس حكاما ومحكومين فى تلك الفترة .

ولم يكتف بتحميل الشعب المسئولية فقط ، ولكنه حملها لأصحاب الفكر والحكام بقوله : « ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا فى صنفين لهم هم كالملح فيهم : الأمراءوالفقهاء ، بصلاحهم يَصلحون وبفسادهم يُردون ، فقد خَصّ الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا ... فالأُمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق زيادا عن الجماعة وحَوشا إلى الفُرقة ، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم صُدوف عَمّا أكّدَ الله عليهم فى التبيين لهم ، قد أصبحوا بين آكل من حَلوائهم ... وبين مُستشعر مَخافتهم « ... فما القول فى أرض

(١ ، ٢ ، ٣) المصدر السابق ١٧٣ ـــ ١٧٤ .
وانظر ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى : ٢٨١ ـــ ٢٨٤ .
(٤) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٨٠ .
(٥) نفس المصدر : ٣ : ١ / ١٨٩ .

« فسند مِلحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها »[1].

وقد أسهم الشعراء فى إيقاظ الحِسّ والإشارة إلى مَنْ وراءَ الخَطبِ الفادح الذى حلّ بالأندلس وهذا أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجد الشاعر وضع يده على الداء وصاغه شعرا ليبصره كلُ ذى بصيرة فقال : [2]

فى كُل يوم غريب فيه مُعتَبرُ ... نَلقاهُ أو يتلّقانا به خبـرُ
أرى الملوكَ أصابتهم بأندلس ... دوائرُ السوء لاتُبقـى ولاتـذر
قد كُنتُ أنظُرها والشمسُ طالعة ... لوصحَّ للقوم فى أمثالِها النّظر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قدر ... هوى بأنجمهم خسفاً وما شعُروا
وكيف يشعُر مَنْ فى كَفهِ قَدَحُ ... تَحدوبه مُذهلاتُ الناى والوترُ
صَمّت مسامعه عن غير نغمته ... فما تُمرّ به الآيات والسُّور
تلقاهُ كالعجلِ مَعبودا بمجلسه ... له خُوار ولكن حَشوهُ خَوَرُ
وحولَه كل مُغتَرّ وماعلموا ... أنّ الذى زخرفتْ دُنياهمُ غررَ
فقُل لِمن نام أصبحتَ انتبه فلقد ... مضى لك الليل بحتا وانقضى السحر
كأننى بكُمُ ، قد صِرتُم سَمَرا ... ومالكم فى الورى عَين ولاأثر
أماتكمْ قبل مَوتِ سوء فِعلكم ... وكيف بالذكر إذ لم تحسن السِيَرَ

ثمرات الصّحوة :

هذه الوقفة المشهودة من قبل مفكرى الإسلام وشعرائه أذكت فى الأمة روح العزة والاستعلاء ورفضِ الانصياع لِما فيه نيل من كرامة المسلم ويتجلى هذا المعنى من موقف الشعب المسلم فى سرقسطة حيث قام رجل صالح من الفقهاء ومعه أهل مدينته يرفضون إقدام المقتدر بن هود على دفع الأموال لملوك النصارى وأعلموه أنّ

---

(١) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٨٠ ــ ١٨١ ولابن عبد البر مثل هذا الكلام انظر جامع بيان العلم : باب ذم العالم على مداخلة السلطان : ٢١٧ ــ ٢٢٦ وانظر الاستذكار له : ١ / ٦٥ .

(٢) انظر الذخيرة : ٢ : ١ / ٢٥٦ والشاعر هو أبو الحسن يوسف بن محمد بن الجد ، انظر الذخيرة : ٢ : ٢ / ٥٥٦ ــ ٥٦٢ والمغرب : ١ / ٣٤٠ .

هذا الموقف مخالف للشرع الإسلامي[1] وتكرر نفس الموقف فى طليطلة مع القادر بن ذى النون عندما أراد دفع الأموال للفونسو السادس » (٢)

وهذا قول الشاعر أبى طالب عبد الجبار المعروف بالمتنبيء يعبر فيه عن أحاسيسه تجاه الأمراء بهذه الأبيات ، ويُحملهم مسؤلية انحدار الدولة الإسلامية فى الأندلس :

ثم تمادَت هذه الطوائــف ... تخلُفهُم مِن آلهِم خَوالِفُ
دَانَت بِدينِ الجَور والعُدول ... إذْ سُلبت عقائلُ العقــولِ
فأهملــوا البــلاد والعبـــادا ... وعطّلــوا الثغــور والجهـــادا
واشتغلت أذهانُهــم بالخمــر ... وبالأغـــانى وسماع الزمـــرِ
وزادهم فى الجهل والخذلان ... أن ظاهروا عصابة الصلبان

....

فاستولت الروم على البلاد ... واستعبــدوا حرائــر العبـــادِ
وقتلوا الرجال كيف شاءوا ... وضاع دلو الديـن والرشاء

ثم إنّ هذه الصحوة لما سَرَت بين جموع المخلصين من الأندلسيين بكافة قِطاعاتهم جعلت قادة الرأى فى الأمة ينفِرون إلى المبادرة فى نُصح الحكام ومطالبتهم للاستجابة لهذه الصحوة وإصلاح ذات بينِهم وتوحيدِ صُفوفهم لمواجهة الخطر النصرانى الذى بات يهددهم فى عقر دارهم .

وكان على رأس دعاة الإصلاح المحدث الفقيه أبو الوليد الباجى (ت ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م)[3] الذى بادر متطوعا بالدعوة إلى التوحُد ونبذ الفرقة

---

(١) أنظر البيان : ٣ : ٢٢٩ واعمال : ٢ / ١٧١ ــ ١٧٢ .

(٢) انظر تاريخ ابن الكردبوسى : ٨٢ و ٨٣ وانظر علاقات المرابطين : ١٣٣ .

(٣) انظر ترجمته فى الذخيرة ٢ : ١ / ٩٤ ــ ١٠٥ والنفح : ٢ / ٦٧ ــ ٧٧ ، وسنعرف به فى مبحث أقران ابن عبد البر .

والتشتتُ « ورفعَ صوتَه بالاحتِساب ومشى بين ملوك أهل الجزيرة »[1]، ولكن المصادر لم تحدد لنا تاريخ بدء الباجى بدعوته للوحدة ولكن يبدوا أنها بدأت إثْرَ رجوعه من رحلته العلمية فى المشرق الإسلامى سنة (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م) . ثم إنّ مأساة بربشتر (٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) كانت مُحفزا مُهما له ولأمثاله لتكثيف هذه الجهود[2]. فأثمرت استعادة مدينة بَربشترُ فى السنة التالية وطرد محتليها كما مر .

ثم إن أصابعَ الاتهام التى رفعها العلماء مشيرين بهاإلى ملوك الطوائف ، جعل ملوك الطوائف يبادرون إلى تغيير مواقفهم وتعديل سياساتهم وبادر عُقلاؤهم للاستجابة إلى مُبادرة أبى الوليد الباجى الذى كان ينتقل[3] بين سَرقُسطة[4] وبَلنسية[5] ومُرسِيةَ[6] ودانية[7] .....

وبطليوس[8] ، ومُيورقَة[9] . وكان ممن استجاب له المتوكل بن الأفطس الدى أضفى

---

(١) الذخيرة : ٢ : ١ / ٩٥ .

(٢) وقد تتبع الدكتور عبد الرحمن الحجى المسألة بتفصيل : انظر التاريخ الأندلسى : ٣٣٧ ــ ٣٤٤ وانظر علاقات المرابطين : د . خليل السامرائى ٣٣ ــ ١٣٦ وانظر بحثه : « الدعوة إلى توحيد الأندلس أيام الطوائف » بجلة زانكو تصدرها جامعة السليمانية فى العراق سنة ١٩٧٧م .

(٣) ترتيب المدارك : ٣ ــ ٤ / ٨٠٣ .

(٤) مدينة كبيرة فى شمال شرق الأندلس وتقع على نهر آبره ويسميها المسلمون المدينة البيضاء لكثرة جصها وجيرها وكانت قاعدة الثغر الأندلسى الأعلى انظر : الروض المعطار : ٤٠ ــ ٤١ « المسالك والممالك : ٩٢ ، دائرة معارف الشعب : ٢ / ٥٤ ــ ٥٧ .

(٥) وهى قاعدة شرق الأندلس وأعظم مدائنه : انظر معجم البلدان : ١ / ٤٩٠ ــ ٤٩١ وانظر صبح الأعشى : ٥ / ٢٣١ وانظر دائرة المعارف الشعب ٢ / ٥٨ ــ ٦٠ .

(٦) مدينة بناها عبد الرحمن بن الحكم سنة ٢١٦ هـ : انظر : الروض المعطار : ١٨١ ــ ١٨٣ ودائرة معارف الشعب : ٢ / ٤٦ ــ ٥٠ .

(٧) من كبريات مدن الشرق الأندلسى وكانت ميناء بحريا ، انظر : الروض المعطار ٧٦ ، معجم البلدان : ٢ / ٤٣٤ .

(٨) من مدن غرب الأندلس بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط : المسالك والممالك : ١٢١ ، معجم البلدان : ١ / ٤٤٧ ، والروض : ٤٦ .

(٩) جزيرة تقع فى شرق الأندلس فى البحر المتوسط : الروض المعطار : ١٨٨ ــ ١٩٨ المسالك : هامش ٦٦

على رحلات الباجى شكلا رسميا فكان الباجى سفيره إلى ملوك الطوائف الآخرين .[1]

ولم يكن الوليد الباجى الوحيد فى هذا الأمر وإنما قام بالدعوة إلى التوحيد أفاضلُ آخرون من العلماء والكتّاب أمثال ابن عبد البر الذى شارك من خلال دروسه ومؤلفاته فى الدعوة إلى التوحد مستغلا تنقلاته بين المدن الأندلسية بعد خروجه من قرطبة فى الفتنة ، وكذلك ابن عبد البر الابن عبد الله ابن يوسف الذى كتب رسالته المشهورة على لسان أهل بَرْبَشْتَرُ كما مرّ وتبادل مع غيره ممن تداعى إلى الإصلاح الرسائل ، وقد أجاب على أحدهم بقوله : « وَرَدَ كتابك يحضُ على ما أمر به الله تعالى ، من الألفة واتفاق الكلمة وإطفاء نار الفتنة وجمع شمل الأمة فى هذه الجزيرة » .[2]

ومن العلماء الذين دعوا إلى الوحدة أبو حفص عمر بن الحسن الهَوزَنى من أهل إشبيلية (٣٩٢ — ٤٦٠ هـ = ١٠٠٢ — ١٠٦٧ م)[3] الذى ذهب ضحية أداء هذه المهمة فقتل بيد المعتضد بن عباد (ت ٤٦١ هـ = ١٠٦٨ م) وكان الهوزنى قد وجه إلى المعتضد أبياتا يستثير حميته فيها لنجدة بربشتر فقال له :[4]

أعباد ضاق الذرع واتسع الخرق ولاغرب فى الدنيا إذا لم يكن شرق

وقد التقى الهوزنى بأبى الوليد الباجى فى شرق الأندلس عندما كان الباجى يقوم بمهمة الدعوة إلى التوحد ولعلهما اتفقا على أن يوحدا جهودهما فى ذلك :[5]

وكان ابن حيان وابن حزم كذلك من مشاهير من أسهم فى تنمية صحوة الأمة الإسلامية التى كانت ثمرتها التنادى بالتوحد . وكانت من ثمرة هذه الدعوة أن ائتلف أمراء الطوائف ووحدوا صفهم واستدعوا المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين لطرد النصارى فتم لهم ذلك فى معركة الزلاقة الشهيرة (رجب ٤٧٩ هـ)

---

(١) انظر التاريخ الأندلسى : ٣٤٠ — ٣٤١ وانظر علاقات المرابطين : ١٣٤ ، ١٥٩ ، قيام المرابطين : د . حسن أحمد محمود ٢٦٧ .

(٢) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٧٣ . تح د . احسان عباس .

(٣) انظر ترجمة فى الذخيرة : ٢ : ١ / ٨١ — ٩٤ ترتيب المدارك : ٤ / ٨٢٥ .

(٤) الذخيرة : ٢ : ١ / ٨٥ .

(٥) انظر : ترتيب المدارك : ٤ / ٨٢٥ .

التى تعتبر إحدى معارك الإسلام الشهيرة وسميت بفتح الفتوح[(1)] . وذلك بفضل الاستجابة لدعاة الإصلاح .

ثانيا : الحركة العلمية والثقافية فى عصر ابن عبد البر :

لقد امتد عمر ابن عبدالبرِّ قرنا من الزمان إلا خمس سنين عاش خلالها فترات الازدهار الثقافى والعلمى وشهد الهزات التى تعرضت لها الثقافة الإسلامية فى الأندلس ، وبخاصة السنة الأخيرة من القرن الرابع الهجرى عند تولى الحاجب عبد الرحمن بن المنصور ، والربع الأول من القرن الخامس الذى اشتعل بالفتنة القرطبية (٣٩٩ هـ ــ ٤٢٢ هـ) والتى كانت نتيجة لمجموعة من العوامل التى أحدثت الخلل فى البنية الأندلسية بعمومها سياسيا وثقافيا واجتماعيا .

وسنتعرض باختصار فى الصفحات القادمة للعهود التى عاصرها ابن عبد البر . ولطبيعة النمو الثقافى والعلمى فى هذه العهود ، والمؤثرات التى أثرت فى هذا البناء بالسلب أو بالإيجاب والظواهر التى نتجت من ذلك .

* * *

ثقافة العصر فى القرن الرابع الهجرى :

كان من حسن الطالع فى القرن الرابع الهجرى أنْ يتولى إدارة دفة الأندلس فيه الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ، وكان هذا الرجل قائداً شجاعاً وسياسياً ذكياً وطَّد أركان مملكته ووحدها بعد أن قضى على الفتن ومثيريها . فعم بذلك الاستقرار السياسى ، وهو الدعامة الأساسية للنمو الحضارى وازدهاره ، ثم أقبل الناصر يشجع العلماء ويتبناهم ، بل ويستجلب المشهورين منهم من أقطار العالم الإسلامى الأخرى ، فأمَّ الأندلس فى زمانه علماء كبار فى مختلف الاختصاصات ،

---

(١) الزلاقة : من اقليم بطليوس من غرب الأندلس .

انظر : الروض المعطار : ٨٣ ــ ٩٥ ، وانظر : الحلة السيراء : ٢ / ٥٥ ، ٩٨ ــ ١٠١ ، التاريخ الأندلسى ٣٩١ ــ ٣٩٩ ، وانظر : علاقات المرابطين : ١٥٦ ــ ١٨٢ ، وقد أفاض فى تفصيلات الموضوع .

وعلى رأس هؤلاء الأديب أبو على القالىّ.[1] وسلك مسلك الأدب فى معاملتهم وحفظ مقاماتهم وموقفه من القاضى المنذر بن سعيد البلوطى يشهد له بذلك فى مواطن عدة حينما تصدى له المنذر بالنصيحة .[2]

ثم كان لطول مدة حكمه التى امتدت من (٣٠٠ هـ — ٣٥٠ هـ) الأثر الكبير فى نماء الحياة الثقافية والاقتصادية والعمرانية .

ثم إنه كان من حظ المجتمع الأندلسى أن يلى الناصرَ خليفةٌ عالمٌ هو الحكم المستنصر ، ديدنه الاهتمام بالعلم وإعلاء شأن أهله والتمكين لهم من أداء دورهم فى بناء المجتمع مع كونه قائداً صنديداً لم يُثنِهِ شَغَفُهُ العلمى عن مطاردة الأعداء المُتربصين فى حدود الأندلس الشمالية رافعاً بذلك راية الجهاد فى يد وراية العلم فى اليد الأخرى ، وكان حريصا على أن يجمع الكتب ، حتى أصبحت مكتبته مضرب الأمثال بما ضمت من آلاف المجلدات فى العلوم المختلفة التى اطلع المستنصر على كل كتاب فيها وعلّق عليه .[3]

هذه الشخصية العلمية كانت عامل دفع وتشجيع للنهضة الثقافية الأندلسية فأقبل العلماء من كل حدب وصوب ، وانتشرت حلقات الدروس ، وأقبل الناس على تعليم أولادهم وتأديبهم فكثرعدد المعلمين والمؤدبين بل إن الحكم أنشأ المدارس الأولية لتعليم أبناء المسلمين الذين لايملكون نفقات التعليم وأوقف عليها الأوقاف للصرف على المدرسين والطلاب وكان ذلك فى قرطبة وضواحيها ، وكان عددها سبعة وعشرين مكتبا .[4]

---

(١) هو إسماعيل بن القاسم بن غيدون (٢٣٨ — ٣٥٦ هـ) دخل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، انظر : تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٦٩

وانظر نفح الطيب ٢ / ٧٠ — ٧٥.

(٢) انظر نفح الطيب : ١ / ٥٧٠ — ٥٧٧ .

(٣) انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٣٦١ ، ٢ / ١٢ ، ١٣٤ وانظر نفح الطيب : ١ / ٣٩٤ — ٣٩٥ .

(٤) انظر البيان المغرب : ٢ / ٢٤٠ ، ٢٤٩ .

بنو عامر والحركة العلمية :

استمر الازدهار العلمي والثقافي بعد وفاة المستنصر لقوة الدفعة الحضارية التي كانت في زمانه ولوجود شخصية فذة كانت تدبر الأمور في ظل هشام المؤيد وتلك الشخصية هي الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي استطاع أن يجمع في يده مقاليد الحكم بحنكة وقوة ، وعندما تمّ له ذلك أخذ يهتم بنشاطات المجتمع الأخرى ونالت الحركةالثقافية كثير الاهتمام ، لأنه نشأ في سلك الفقهاءأولا وكان متذوقاً للشعر مهتما بأهله وبأهل الأدب عامة ،[1] وكان قريبا من علماء عصره بكافة اختصاصاتهم يتولاهم برعايته ويسمع نصح الفقهاء ويكرمهم ويحسن وفادتهم.[2]

وقد سار عبد الملك المظفر بن أبي عامر على خطى والده المنصور في الاهتمام بالعلم والعلماء وتشجيع حلقات الإقراء في مساجد قرطبة ولكن ليس بدرجة والده وكانت الثقافة الأندلسية قد رسخ قدمها وأثمر عطاؤها فلم يكن النشاط العلمي متوقفاً على اهتمام أمير أو خليفة ولكن حركة العلماء بمختلف اختصاصاتهم وذاتيتهم في هذه الحركة كانت هي المحرك الأساسي للنشاط الثقافي ونمائه

وبمجيء عبد الرحمن الابن الثاني للمنصور للسلطة بدأت بوادر تغيرات سياسية في الأفق وتململت النفوس من تصرفات عبد الرحمن بن أبي عامر وتحركت الفتنة التي كانت سياسة المنصور وابنه عبد الملك قد قمعت رؤسها ، وقد مر تفصيل ذلك . وكان أكثر اهتمام عبد الرحمن هذا باللهو السفاسف بعيداً عن عبق الأجواء الثقافية والاهتمامات العلمية ، فلم يحظ باحترام

---

(١) استحدث ديوانا للشعراء ورتب راتباً لكل من قيد في هذا الديوان وكان لايقيد فيه شاعراً حتى يختبره لبكون أهلًا لحضور مجلسه وكان الشعراء يتبارون بين يديه . وقد كلف بهذا الديوان « عبد الله بن مسلمة من أهل العلم والأدب وناقد من نقاد الشعر وعلى يديه كانت تخرج صلات الشعراء ورسومهم وعلى ترتيبه كانت تجرى أمورهم » جذوة المقتبس : ٢٥٧ ، وانظر نفس المصدر : ١١١

وانظر نفح الطيب : ٣ / ٧٥ — ٨٠

(٢) انظر موقفه من الفقيه أبو محمد الباجي : وهو صديق لوالد المنصور قال له : « أيّ والد كان لك رحمة الله .. وأما أنت فلم تُمثله وأدخلت يدك في الدنيا فانغمست في لُجّها ، وأدبغْت نفسك يامغرور !! » ولم يكن من المنصور إلا أن يَسمعه ويعتذر لنفسه من الإمام الباجي ويسأل الله أن يتوب عليه مما ندر عنه .

انظر الحُلة : ١ / ٢٧٣ — ٢٧٤ .

العلماء وأهل الفكر مما زهّد الجميع فى شخصه .

الثقافة وأعصار الفتنة (٣٩٩ ـــ ٤٢٢ هـ) فى القرن الخامس :

ثم أقبلت ظروف مدلهمة وفوضى شديدة ضاع فيها الاستقرار واضطرمت الفتنة بالأندلس وعصفت بقرطبة رياح التغيير ، وتتابعت الرئاسات مدة ثلاثة وعشرين سنة عجافاً نحسات ، تعطلت فيها بعض المساجد وهدمت المدارس التى أنشأها المستنصر ، ونُقِضَت أسقُفها ، وقُتل أكثر مُدرسيها ، وبيعت كُتُبُ المستنصر بأوكَس الأثمان ، وقتل كثير من العلماء بأيدى النصارى عند أول دخولهم قرطبة كما أسلفنا سنة ٣٩٩ هـ ،[١] ومنهم من قتل بيد البربر وآخرون قتلهم أهل قرطبة نتيجة[٢] الحرب الأهلية بين البربر ومناصريهم من جانب وأهل قرطبة ومن يواليهم من جانب آخر .

وترك أكثر العلماء قرطبة إلى مدن الأندلس الأخرى هربا من الفتنة ونجاة بأنفسهم لما حل بعاصمة الأندلس وجوهرتها قرطبة[٣] ومنهم من خرج من الأندلس إلى أقطار أخرى كمصر وغيرها .[٤]

فعانت الحركة العلمية فترة عدم استقرار من سنة (٣٩٩ ـــ ٤٢٢ هـ) أدت إلى هبوط فى الجانب الحضارى بصورة عامة . ورغم ذلك بقى بعض العلماء فى قرطبة يتابعون دورهم الثقافى أمثال :

ابن حيان مؤرخ الأندلس الذى سجل لنا بقلمه الأحداث التى عاصرها وأبى

---

(١) انظر الجذوة : ١٨ وطبقات الأمم : ٨٧ .

(٢) من الذين قتلهم البربر عند دخولهم قرطبة سنة ٤٠٣ هـ :
محمد بن قاسم الجالطى خطيب جامع الزهراء ، الذى تعطل لقتل خطيبه ، انظر البغية : ١٢٤ ـــ ١٢٥ ، وعبد الله بن محمد الثقفى السوسى من الوافدين على الأندلس وكان واحد عصره فى صناعة الطب والبصر بعلوم الحكمة ، انظر التكملة : ٢ / ٩١١ وقُتل غيرهم كثير . انظر : الصلة : ١٧ : ١٦٣ ، ٤٨٩ ، ٦٦٣ . وممن قتله العامة من أهل قرطبة أوردنا أسماءهم فى التمهيد السياسى .

(٣) ممن خرج إلى مدن الأندلس الأخرى ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما تحولا فى شرق الأندلس وغربها وغيرهم . انظر الصلة : ١٦ ـــ ٥٦ ، ١٦٢ ، ٥٢٧ .

(٤) انظر الصلة : ٢٧ ، ٣٦ ، ١٧٧ .

طالب المكى عالم القراءات المشهور ، وغيرهم ممن تحمل معاناة البقاء وسط الفتن ، ليحفظوا كيان الأمة الثقافى من الضياع لايفوتهم بذلك تبصير الناس بواقع حالهم عسى أن ينبثق من بينهم من يُصلح الأوضاع .

* * *

السمات الثقافية لعصر الطوائف :

تشتت الأندلس أيدى سبأ ، وأصبحت الأندلس مجموعة من الدويلات بدل الدولة الواحدة وقد مر تفصيل ذلك ، فانعكس ذلك على الحالة الثقافية وتحصل نتيجة ذلك السمات الآتية :

التنقل والارتحال :

إن الفتنة القرطبية قضت على كثير من العلماء بالموت أو بالهجرة من قرطبة بل من الأندلس .[1]

فأصبحت حياة العالم أو الأديب فى هذا العصر قائمة على التجوال بين مدن الأندلس طلبا للاستقرار .[2]

وذلك لاشتداد الحروب بين دول الطوائف وقصر فترة الاستقرار فى هذا العصر لم تسمح للعالم أن يقدم إنتاجا أوسع أو أتقن ، وكنت ترى العالم يتعلل أحيانا بأنه بعيد عن كتبه أو أن كتبه ضاعت .[3] ومع هذا فما تراه من إنتاج القرن الخامس كان فى ظل عدم الاستقرار فكيف به لو كان هناك استقرار كامل .

---

(١) انظر : من قتل من العلماء : الصلة : ٢٠ ، ٢٥٠ ، ٤٤٨ ، ٤٨٩ ، ٦٦٣ ، والتكملة : ٢ / ٧٩٠ ، ٩٩١ . وانظر تراجم من خرجوا من قرطبة : الصلة : ١٦ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ١٧٧ ، ٢٥٠ .

(٢) أمثال ابن عبد البر وابن حزم وغيرهم كثير .

(٣) مثلا ابن حزم كتب كثيراً من مؤلفاته وهو متنقل بين قرطبة وغيرها .
انظر : ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى : ٧٥ ــ ٧٦ .

تعدد المراكز الثقافية :

كانت قرطبة هى العاصمة السياسية والعلمية ، والمركز الثقافى الرئيسى الذى كان قبلة طلبة العلم فى الأندلس كلها بل جميع المهتمين بالثقافة بكل جوانبها ، وكان إذا مات عالم بإشبيلية جيىء بكتبه فبيعت فى قرطبة .

وبعد أن حلّ عهد الطوائف غدت المدن التى كانت تدور فى فلك قرطبة حواضر قائمة بذاتها . أمثال : أشبيلية ، ودانيّة ، وبلنسية ، وبطليوس ، والمريّة ، وسرقسطة ، وغيرها من المدن .

وأخذ كل أمير من أمراء الطوائف يستقبل العلماء والشعراء الذين تركوا قرطبة بسبب الحرب الأهلية التى وقعت فيها ، وذلك لإحاطة نفسه بأكبر عدد من صفوة الأندلسيين ، ليكسب بذلك الشهرة بين أنداده من أمراء الطوائف ، مما يؤهله لطلب الزعامة لنفسه ، وقد كان بنو عباد من أوائل من « آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة »[1] بل كانوا أحيانا يراسلون كبار العلماء يدعونهم للحلول فى إماراتهم تشرُّفا بهم كما فعل المعتضد بن عباد (٤٦١ هـ) مع أبى عمر بن عبد البر حيث وجه إليه رسالة كتبها أبو محمد بن عبد البر بن أبى عمر بن عبد البر يدعوه إلى أن يشرف مغرب الأندلس بالحلول فيه كما شرف شرق الأندلس .(٢)

ثم إنّ هذه المراكز الثقافية كانت تصطبغ بصبغة اتجاهات أمراء الطوائف الثقافية، فمثلا : كان اهتمام مجاهد العامرى (ت ٤٣٦ هـ) أمير دانية يغلب عليه الاهتمام بالعلوم الشرعية ، كالفقه والحديث واللغة والقراءات ، وكان مولعا بعلم القراءات على الخصوص لذلك كان كبار قراء الأندلس يحلُّون دانية أمثال : أبى عمرو الدانى المقرئ (ت ٤٤٤ هـ) وغيره من علماء الحديث واللغة كابن عبد البر وابن سيدة اللغوى (ت ٤٥٨ هـ) فلذلك لم يكن للشعراء فى إمارته رواج بل كان

(١) الحلة السيراء : ٢ / ٣٦ .

(٢) انظر الذخيرة

لايقربهم فى مجالسه .[١]

وأما بنو عباد فكان جلّ اهتمامهم بالأدب والشعر وكان أمراؤهم كلهم شعراء يعترضون الشعر ويتذوقونه وقد حل إشبيلية كبار الشعراء أمثال : ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) وابن عمار (ت ٤٧٧ هـ) وغيرهم .[٢]

وقد أدى التنافس الثقافى بين عواصم دول الطوائف إلى تنشيط الثقافة الأندلسية التى بلغت ثَمرتُها أوان قطافها بعد الغَرس الذى غُرس فى عصر الخلافة فأتى أُكُلَهُ على الرغم من التفكك السياسى الذى كان سِمَةَ هذا العصر .

★ ★ ★

عوامل النمو الثقافى فى الأندلس :

كانت هناك عوامل مهمة — إضافة إلى الاستقرار السياسى — ساهمت فى ازدهار الحياة العلمية والثقافية فى الأندلس خلال القرن الرابع الهجرى وساعدت على رسوخ الأسس التى قام عليها البناء الثقافى الأندلسى إلى أن سقطت الأندلس بيد الأعداء وكان أغلب ما أثمرته هذه الثقافة هى نتاج غراس ذلك القرن .

وأهم هذه العوامل :

أولا : رحلة العلماء المشارقة وغيرهم إلى الأندلس :[٣] :

وكان لهذه الرحلة دورٌ مهمٌ فى نقل العلوم المختلفة ومصادر المعرفة ومؤلفاتها المتنوعة إلى الأندلس ، فساهمت فى بناء الصرح الثقافى الأندلسى .
وقد رحل علماء مشهورون إلى الأندلس فى مختلف التخصصات تختلف أسباب ارتحالهم باختلاف دوافعهم فمنهم من رحل تلبية لدعوة الحكام الأندلسيين[٤] أو

---

(١) انظر دول الطوائف : ٤٣٤ — ٤٣٥ .

(٢) انظر دول الطوائف : ٥٦ — ٥٧ ، ٠٧١ .

(٣) أفرد لنا المقرى فى نفحه بحثا عن الذين وردوا الأندلس منذ فتحها إلى عصره ومن استقر منهم فيها أو فارقها بعد إقامة ، انظر ٣ / ٥٠ — ١٤٩ ، طبعة إحسان عباس .

(٤) من هؤلاء أبو على القالى الذى دخل الأندلس سنة (٣٣٠ هـ) وكان يروى للزجاج ونفطويه إضافة إلى

لطلب الحظوة عندهم (١). ومنهم كثير خرج للمرابطة والجهاد (٢)، ومنهم من دفعته مهنة التجارة لدخول الأندلس وطاب له المقام فيها (٣)، وهناك من تعرض للاضطهاد فى بلده فخرج طلبا للأمان فى الأندلس (٤)، فاغتنم أهل الأندلس حلول هؤلاء العلماء الذين

مؤلفاته هومثل : (البارع فى اللغة فى نحو خمسة آلاف ورقة) ، و(الآمالى) الذى أهداه للخليفة الناصر (ومقاتل الفرسان) ، (وتفسير السور الطوال) وغيره ، انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٦٩ ، ونفح الطيب ٣ / ٧٠ — ٧٥ .

(١) ومن هؤلاء صاعد بن الحسين البغدادى (ت ٤١٧ هـ) دخل الأندلس على عهد المنصور بن أبى عامر سنة (٣٨٠ هـ) كان شاعراً سريعَ البديهة عالما باللّغة والأخبار ألّف كتاب الفصوص للحاجب المنصور ألّفة له سنة (٣٨٥ هـ) وأثابه عليه وكان صاعديُتهم بوضع الأخبار وقد أثبت المنصور ذلك عند امتحانه ولكنه عفى عنه لظُرفه .

انظر : الصلة : ٢٣٧ — ٢٣٨ ونفح الطيب : ٣ / ٧٥ — ٨٥ ، ٩٥ — ٩٩

(٢) انظر ترجمة : أحمد بن خلوف المسّيلى المعرلى يعرف بالخيّاط ، كان فقيها عالما بالمسائل على مذهب مالك ورعاً زاهداً فاضلاً سكن الثغر أعواماً كثيرة مجاهداً توفى سنة (٣٩٣ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٦٣ ابن حسن اليحصبى من القيروان كان فقيها فى المسائل حافظاً للاختلاف عالما بالسنن والآثار له رحلة إلى الحج فسمع كتاب البخارى ثم انصرف إلى الأندلس فلزم العبادة وتدريس العلم والجهاد توفى بقرطبة سنة (٣٧٤ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ١٢٩ .

(٣) انظر ترجمة : زكريا بن بكر الغسانى يعرف بابن الأشج من أهل تيهرت، له رحلة للمشرق سمع الحديث بمصر ، ولقى فيها « أبو الطيب المتنبى » الشاعر وأخذ عنه ديوانه رواية وانصرف إلى الأندلس وأقام بقرطبة وحدث فيها بكتاب البخارى وغير ذلك توفى سنة (٣٩٣ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ١٥٢ وسالم بن على بن ثابت اليمانى قدم الأندلس تاجرا سنة (٤١٦ هـ) كان حنبلى المذهب ذا رواية واسعة عن شيوخ بلده وغيرهم ، مولده سنة (٣٤٠ هـ) انظر الصلة : ٢٣٢ .

عبد الله بن بكر السّهمى المدنى روى عن الآجرى وابن رُشيق وابن الورد وغيرهم كان رجلا صالحا ذا رواية واسعة قدم إشبيلية تاجرا سنة (٤١٦ هـ) مولده سنة (٣٣٧ هـ) انظر الصلة : ٢٩٧ .

(٤) انظر ترجمة إسماعيل بن عبد الرحمن القرشى المصرى (٣٣٣ — ٤٢١ هـ) ترك مصر لاضطهاد الفاطميين له وهو من شيوخ ابن عبد البر دخل قرطبة سنة (٣٠٦ هـ) وتركها فى سنة (٣٦٨ هـ) إلى إشبيلية وفيها أخذ عنه ابن عبد البر وذكره فى تاريخ شيوخه . انظر الصلة : ١٠٥ ، والنفح : ٣ / ٦٩ — ٧٠ .

وأحمد بن فتح الخليلى المعروف بابن الخراز من أهل مليلة بالمغرب رحل للأندلس هربا من اضطهاد الشيعة فأجاره الناصر سنة (٣٢٥ هـ) وقلده القضاء . انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٦١.

وحكم بن هشام العرش (٣٧٠ هـ) من أهل القيروان كان من القراء له رحلة إلى مصر والعراق فأخذ عن قراء البلدين ودخل الأندلس أول خلافة الحكم المستنصر ثم رجع للقيروان فامتحنه الشيعة هناك فعاد إلى الأندلس مرة أخرى وأكرمه المستنصر . انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ١٢١ وانظر نفس المصدر ٢ / ١١٧ — ١١٨ .

وترجمة محمد بن أحمد بن محمد ابن الأزرق (٣١٩ — ٣٨٥ هـ) كان شاعراً أديباً اضطهده الشيعة فدخل الأندلس سنة (٣٤٩ هـ) .

حلّوا بينهم ليأخذوا عنهم علومهم وماجلبوه معهم من المصادر المتنوعة فى الفقه والحديث والقراءات والتاريخ والطب وباقى العلوم .

ثانيا : الرحلة من الأندلس إلى المشرق :

كان هذا العامل يُعد شرطا علمياً على طالب العلم أن يستكمله لذا تسابق الأندلسيون على استكمال هذا الشرط ، وأصبحت الرحلة العلمية مقصودة لذاتها بعد أن كان لقاء العلماء يتم عرضا عند الرحلة لأداء فريضة الحج .

وقد أدخل هؤلاء العلماء الراحلون إلى المشرق علما كثيرا إلى الأندلس بعد رجوعهم ونقلوا معهم أمهات المصادر فى علوم الشريعة والأدب واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم .

وأفرد لنا المقرى فى نفحه مجلدا كاملا لمن بلغته أسماؤهم ممن رحل إلى المشرق وعد لنا منهم ثلاثمائة وسبعة علماء وذكر لنا ما أدخلوه من العلوم التى تلقوها على علماء مكة ومصر والشام والعراق .

وكذلك ذكرت لنا كتب التراجم الأندلسية (١) أسماء من رحلوا إلى المشرق .

ثالثا : حرية الحياة العلمية :

وهناك عامل مهم فى بناء الحضارة الإسلامية فى الأندلس وهو سمة يشترك فيها مع أقطار الإسلام الأخرى ولكنه فى الأندلس أوضح وأبين ألا وهو حرية الحياة العلمية .

فالحياة العلمية فى الأندلس لم ترتبط بتقنينات تقيد حرية الطالب فى اختيار أساتذته وشيوخه أو تجبره على نوع معين من العلوم ثم إن المؤسسات العلمية لم تكن تخضع لتوجيه حكومى مباشر وإنما كانت تصبغ أغراضها العلميةوضوابط

---

(١) انظر تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٢٠ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٢ / ٢٥ ، ٣٠ ، ٨٦ ، ٩٠ ، وانظر جذوة المقتبس : ٨ / ٥٦ ، ٦٧ ، ٩٥ ، ١٢٢ ، ٢٠٩ — ٢١١ .
وانظر الصلة : ٨ ، ١١ ، ٣١ ، ٦١ ... وغيرها من المؤلفات.

التعليم بمراحله المختلفة من خلال النمو الثقافى نفسه النابع من أسس الحضارة الإسلامية الأصيلة من جانب ، ومن متطلبات التطور فى الأطر التى تُعين على هذا النحو من جانب آخر .(١)

فلذلك لم يكن العلماء والطلاب بهذا مرتبطين بحكومة يسعون لوظائفها ويخضعون لإرادتها وإنما يرتبطون بالعلم مخلصين النية لله فى طلبه فى الأعم الأغلب فلذلك كان للعلماء التأثير على سياسة الدولة فى كثير من العهود .(٢)

وقد أتاحت هذه الحرية العلمية فرصة طلب العلم للرجال والنساء على قدم المساواة من مختلف الأعمار والأجناس والديانات .(٣)

وبرعَ من النساء فى مختلف العلوم الكثيرات ، وما أوردته لنا كتب التراجم الأندلسية من تراجم النساء لدليل ساطع يظل غرة فى جبين التاريخ الحضارى الإسلامى .

وقد برع من النساء الكثيرات فى الأندلس فكان منهن العالمات الفقيهات والمحدِّثات(٤) والشاعرات المشهورات(٥) ، والكاتبات اللواتى كُنّ يَنسخْنَ المصاحف وكتب العلم(٦) ومنهن من أثّرت فى سياسة الدولة العامة ، بل وشاركن فى إثارة

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامى : ١ / ٥٣ وتاريخ التربية الإسلامية : ٢١٢ ، وانظر الحياة العلمية فى بلنسية : ١٩٢ .

(٢) شيوخ العصر فى الأندلس : ٥ وما بعدها .

(٣) انظر شرح ديوان ابن [illegible] : د. على عبد العظيم نقلا عن المستشرق تريند قوله : « وكان الطالب الإنجليزى أو الأسكتلندى الذى يرغب فى أن يظفر بنصيب من العلم ... يشد رحاله إلى الأندلس » ص ١٥ — ١٦ وانظر الحياة العلمية : ١٩٢ .

(٤) أمثال : فاطمة بنت يحيى المغامى ، كانت خيرة فاضلة فقيهة (ت ٣١٩ هـ) انظر الصلة : ٦٩١ . راضية مولاة عبدالرحمن الناصر أعتقها وتزوجها لبيب الفتى ورحلا للحج ولقيا العلماء بمكة ومصر والشام توفيت سنة (٤٢٣ هـ) وسنها مائة سنة ، انظر الصلة ٦٩٤ .

(٥) مريم بنت أبى يعقوب الشلبى : أديبة شاعرة جزلة كانت تعلم النساء وتحتشم لدينها : انظر الصلة : ٦٩٤ — ٦٩٥

ولادة بنت المستكفى بالله أديبة شاعرة جزلة (ت ٤٨٤ هـ) انظر الصلة : ٦٩٦ .

(٦) مثل عائشة بنت أحمد ابن قادم (ت ٤٠٠ هـ) لم يكن فى الأندلس فى زمانها من يعدلها فهما وعلما وأدبا

الثورات .[1]

رابعا : تشجيع الخلفاء لأهل العلم :

وهناك عامل أخير لانغفله ، كان له دور هام فى نماء الحركة العلمية والثقافية فى الأندلس ، ألا وهو تشجيع الخلفاء للعلماء فى مختلف اختصاصاتهم واستقدام علماء من المشرق وغيره إلى الأندلس ليساهموا فى بناء صرحه الثقافى .

وكان الخلفاء يهيئون الأجواء العلمية للعلماء لأداء وظيفتهم وكانوا أحيانا يكلفون بعض العلماء بالكتابة فى جوانب معينة كالفقه أو الأدب أو غيره .[2]

ومن الأعمال التى ساهم بها الخلفاء فى نشر الثقافة : بناء المدارس الملحقة بالمساجد للأطفال الذين لايملكون نفقات تعليمهم ، كما فعل الحكم المستنصر ، فأوقف الأوقاف على هذا الجانب المهم فى بناء المجتمع . وقد امتاز عصر الحكم على غيره بالنَّزعة العلميّة التى امتاز بها عن عيره من الخلفاء .[3]

وقد أنتجت هذه العوامل مجتمعه بعض الظواهر الثقافية البناءة فى المجتمع الأندلسى ولعل أهمها : ـــ

ـــ ظاهرة الاهتمام بجمع الكتب وانتشار المكتبات :

وكانت هذه ظاهرة صحية ، ونتيجة طبيعية للانفتاح العلمى على المشرق ، فَعُنِىَ

ـــ وفصاحة وعفة ... كانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب هكذا وصفها ابن حيان ، انظر الصلة : ٦٩٢ ـــ ٦٩٣ .

وقال صاحب المعجب أنه كان فى الربض الشرقى بقرطبة مائة وسبعين امرأة يكتبن القرآن .

(١) أمثال : صُبْح زوجة الحكم التى أعانت المنصور فى الوصول إلى السلطة . والذلفاء أم المظفر بن المنصور التى أعانت محمد بن هشام ابن عبد الجبار فى الثورة على عبد الرحمن ابن المنصور ابن أبى عامر انتقاماً لابنها المظفر وقد بينا ذلك فى الحالة السياسية .

(٢) انظر جذوة المقتبس ٥١ ، ٢٥٣ وتاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٤٦ ، ونفح الطيب : ١ / ٣٨٦ ، ٣ / ٤٠ ـــ ٤٢ .

(٣) انظر تاريخ ابن الفرضى : ٢ / ١٢ والبيان المغرب : ٢ / ٢٤٠ ، ٢٤٩ ونفح الطيب : ١ / ٣٩٥ ، ٣ / ٢٣٩ ، ٢٦٤ .

الأندلسيون بالكتب عناية تامة وبذلوا جهدا مشكورا فى التأليف كما بذلوا أموالًا طائلة فى نسخ الكتب وتغليفها ، والرحلة فى طلبها ، وقد أنشأ الحكم مكتبة جامعة بلغ عدد كتبها أربعمائة ألف مخطوط[1] ، حتى وصفه صاعد الطُّليطلى بقوله[2] : « واستجلَب من بغداد ومصر وغيرهما من ديار المشرق عُيونَ التواليف الجليلة والمصنفات الغربية فى العلوم القديمة والحديثة ، وجمع منها فى بقية أيام أبيه ، ثم فى مدة ملكه من بعده ما كاد يضاهيه ما جمعته ملوك بنى العباس فى الأزمان الطويلة » ، « وبلغت عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربعة وأربعين فهرسةفى كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لاغير »[3] .

وجمع بداره — المستنصر — الحُذّاق فى صناعة النسخ ، والمهرة فى الضبط والإجادة فى التجليد[4] ، واختار لذلك العلماء المختصين[5] .

ولم ينفرد الحكم بذلك فقط بل كان المنصور كذلك يهتم بالكتب وإن كان يخالف الحكم فى سمته العلمى فى الميول الثقافية ، فكان يكره الفلسفة ، ويميل إلى الأدب إضافة إلى العلوم الأخرى بينما الحكم كان متنوع الثقافة فلذلك فقد نالت مكتبة الحَكم أذى من المنصور الذى أحرق كثيرا من كتبها المختصة بالفلسفة والتنجيم .

وكان للمنصور علماء مختصون يُشرفون على العناية بمكتبته أمثال[6] : (محمد بن عبد الرحمن بن معمرْ اللغوى كان حافظا للّغة مشاركا فى الأدب ، من أعلم الناس بالكتب ، وعللها وألهَجَهُم بجمعها ، وأفرَزَهُم للخطوط ، وأنسبَهُم لها وإلى

(١) انظر شرح ديوان ابن زيدون : ١٧ — ١٨ .
(٢) طبقات الأمم : ٨٦ .
(٣ ، ٤) تاريخ ابن خلدون : ٤ / ١٤٦ . والنفح : ٣ / ٢٣٨ جذوة : ٥١ — ٥٢ .
(٥) اختار لمقابلة نسخ الكتب عنده ، مثلا ، محمد بن أبى الحسين رئيس جليل عالم باللغة والأدب اختاره لمقابلة نسخ كتاب العين للخليل ابن أحمد ، انظر جذوة المقتبس : ٥١ .
(٦) انظر طبقات الأمم : ٨٧ .

وُراقِها ، وكان يقابل كتب محمد بن أبى عامر المنصور وولده من بعده مُتقنا لخزانتهم »[1]

وسِمةُ الاهتمام بالكتب كانت ظاهرة أندلسية لم تَخُصّ الحكام فقط ، وإنما عمّت كل طبقات المجتمع رجالها ونسائها[2] ، وكان بعضهم يؤثر جمع الكتب على طعامه وملبسه[3] وكان الأغنياء منهم يستأجرون النساخ ينسخون له الكتب التى ترد إلى الأندلس ، والتى لايستطيع شراءها ، بل كان محمد بن فُطيس شيخ ابن عبد البر إذا أراد إعارة كتاب انتسخهُ للمُستعير لكيلا يُفرّط بكتبه خوف ضياعها ، وتجمّع عنده من الكتب الكثير ، حتى أنها عندما بيعَت بعد موته لم ينتهوا من بيعها إلا فى عام كامل لكثرتها .[4]

والظاهرة الثانية التى برزت بوضوح فى الأندلس هى :

الأسر العلمية : تتميز الأسرة فى المجتمع المسلم بقوة الترابط بين أفرادها ، وقد حث الإسلام على ذلك وذم من يعمل على هدم الأسرة وتفكيكها لأنها لبنة المجتمع المسلم فإذا تماسكت اللبنات تماسك المجتمع ، ولهذا التلاصق بين أفراد الأسرة الواحدة أثره فى سلوك الفرد وطبيعة اهتماماته على الأعم الأغلب فى اختيار الفرد لصنعته أو مهنته ، أو نوعية الثقافة التى يكسبها ومداها .

وهذا ما كنا نلحظه فى سمت بعض الأسر الأندلسية ذوات التوجهات العلمية فإذا كان الجد فقيها أو أديبا نجد هذا السمت ينتقل إلى الأبناء والأحفاد وأحفادهم فى أغلب الأحيان .

وفى كل مدينة كانت تشتهر أسرة أو عدة أسر بالعلم والنباهة : ففى قرطبة على

---

(١) انظر : التكملة : ١ / ٣٨٤ .

(٢) عائشة بنت أحمد بن محمد كانت تجمع الكتب ولها خزانة علم كبيرة حسنة : انظر الصلة : ٦٩٢ .

(٣) نفس المصدر : ٤٤٧ عطية بن سعيد الأندلسى ومحمد بن يحيى الغافقى القرطبى : التكملة : ١ / ٣٨٧ .

(٤) انظر : الصلة : ٣٠٩ ــ ٣١١

وانظر الكتب والمكتبات فى الأندلس : بحث للدكتور الحجى بمجلة الدراسات الإسلامية ٣٨٠ ــ ٣٨١ عدد ٤ لسنة ١٩٧٢ .

سبيل المثال :بنو عبد البر ، ومنهم شخصية هذا البحث أبو عمر يوسف ابن عبد البر وابنه عبد الله بن يوسف بن عبد الله . وأبوه عبد الله بن محمد ابن عبد البر وجده محمد بن عبد البر وكانوا كُلُّهم يجمعهم السمت الفقهى .

وبنو حزب الله ببلنسية « أهل علم ونباهة وإليهم ينسب المسجد بداخل بلنسية »(١) وبنـو الجحّاف الذين توارثوا وظيفة القضاء .(٢)

وبنو زهر(٣) بإشبيلية قد جمعوا بين الفقه والطب وقد غلب عليهم الطب وشهروا به . وبنو عباد الذين كان لهم دور معروف فى تشكيل سياسة الأندلس مع اهتماماتهم العلمية والأدبية .

ومن أسر شاطبة المشهورة بالانتساب للعلم وتوارثه بنـو مفوّز(٤) من ذوى العراقة فى العلم والنباهة .

ومن الأسر العريقة فى شاطبة بنو تُلَيد ، وهذا البيت عريق فى النباهة والعلم .

وفى مُرسية آل أبى جَمرةَ : اشتهروا باهتمامهم بعلم الحديث ، ومن أسر مرسية العلمية بنو الخُشنِى .

لقد شاركت هذه الأسر وغيرها فى تنشيط الحركة العلمية فى الأندلس ، وكان من أبنائها قيادات فكرية وعلمية وسياسية . كان لها دور فعّال فى بناء تاريخ

---

(١) وأشهرهم عبد الله بن محمد بن حزب الله ، انظر التكملة ٢ / ٧٨٥ ، انظر : الحلل السندسية : ٣ / ١٨٩ .

(٢) الجد الأعلى لهذه الأسرة هو القاضى جحّاف بن يمن قاضى بلنسية اشتشهد بالأندلس سنة (٣٢١ هـ) ومن أحفـاد أحفاده القاضى عبد الرحمن ابن الجحاف الذى سقطت بلنسية فى وقته بيد القنبيطور وقُتل حرقاً سنة (٤٨٥ هـ) ، انظر : الجذوة : ١٩٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٧ والحلل : ٣ / ١٩٠ ، ١٩٦ .

(٣) جدهم الأعلى عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر جمع بين الفقه والطب . انظر الحلل : ٣ / ٣٣٣ ـ ٣٣٠ .

(٤) وممن اشتهر بهم محمد بن عبد الله بن مُفوز بن غعول توفى سنة ٤١١ هـ عن مائة سنة ومنهم طاهر بن مفوز تلـميذ ابن عبد البر الـمقرب ، انظر البغية ٤١٦ والحلل : ٣ / ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

الأندلس يستحق الوقوف عليه .

ثالثا : الأحوال الاقتصادية والعمرانية فى عصر ابن عبد البر :

إن استتباب الوضع السياسى له دور كبير فى أى نمو اقتصادى وذلك لأن الاطمئنان السائد يدفع الإنسان إلى أن يضرب فى الأرض مُستثمرا قواه وثروته . يدفعه إلى ذلك حرصه على تحسين أحواله ، وكسب معاشه ، فيندفع الفرد إلى ممارسة مايُحسن من الأنشطة الاقتصادية ، زراعة كانت أو تجارة أو صناعة .

وقد مرت الأندلس خلال القرنين الرابع والخامس بأحوال سياسية متباينة ولكن كان القرن الرابع الغالب عليه الاستقرار ، وخاصة زمن الناصر والمستنصر والمؤيد فى ظل الحاجب المنصور ، لذلك فقد نشطت الزراعة والصناعة والتجارة فى هذه الأزمان إلا ماارتكبه شنجول بن الحاجب المنصور من تبذير وسرف أضر بخزينة الدولة ولكنه لم يضر نشاط الأمة الاقتصادى كثيرا .

ولكنّ الطّامةَ التى تعرضت لها الأندلس بحلول سنة (٣٩٩ هـ) وحصول الفتنة القرطبية التى أثّرت على الاقتصاد الأندلسى عامة ، والقرطبى خاصة ، حيث حصلت المجاعة بسبب هذه الفتنة كما ذكرنا سابقا .

ولكن بمجيىء عصر الطوائف حصل بعض الاستقرار النسبى الذى ساعد مرةأخرى على استئناف النماء الاقتصادى ، فَكُلُّ أمير من أمراء الطوائف كان يعمل على تشجيع الزراعة ، والصناعة والتجارة ليتفاخر بذلك على غيره من الأمراء ولكن مع ذلك فقد تعسّف بعض هؤلاء الأمراء فكانوا يفرضون الضّرائب الثقيلة التى ناء بها كاهل الأمة ، مما اضطرَّ أهل شاطبة زمن مبارك ومظفر أن يتركوها ويهجروها بسبب الضرائب كما ذكرنا .

الزراعـة :

ومع هذا كله فإن الأندلس لطبيعة مناخها المعتدل وخصوبة أرضها ، وكثرة مائها فإنها كانت أرضا زراعية من الدرجة الأولى ، وعليه فقد ازدهرت الزراعة فى

الأندلس ثم إنّ الفلاح الأندلسى قد « استفاد من القنوات التى بناها الرومان فى القرن الأول المسيحى ، فعمدوا إلى إصلاحها وتحسينها ، وشق أوبناء قنوات جديدة ، وأتقنوا التعامل بفنون السّقاية ، وجلب المياه من مسافات بعيدة »[(١)] .

« واتخذت فنون الزراعة على أيديهم طابعا علميا ... وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال فى الجودة والتنسيق والنماء »[(٢)] ... وظهر فى الأندلس علماء مشهورون فى النبات والفلاحة أمثال : ابن بَصّال الذى اشتهر بتجاربه فى توليد الغراس ، ومكافحة الآفات الزراعية ، وكتابه (الفلاحة) يشهد ببراعته ، وتفوقه فى هذا الميدان ، وهناك أبو عمر أحمد بن محمد بن حجّاج ألف كتاب (المقنع) فى الزراعة[(٣)] .

وقد اشتهرت الأندلس ومدنها بمحاصيلها الزراعية ، وفواكهها وخاصة الحنطة ، والكتان ، والزيتون ، وأنواع الفواكه ، والحرير . وقد اشتهرت طليطلة بحنطتها ، حتى قيل بأنها لاتُسوّس على مَرّ السنين[(٤)] . وكذلك « جيّان بها جنات وبساتين وغلات القمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب »[(٥)] . وأما جبل الشّرف المُطلّ على إشبيلية ، فهو يحتوى على « ثمانية آلاف قرية عامرة ... لاتكاد الشمس تخترقه لالتفاف زيتونه ، واشتباك غصونه ، وزيته من أطيب الزيوت .. لايتغير على طول الدهر ، ومن هناك يتجهز به إلى الآفاق »[(٦)]

وكانت هذه البيئة الزراعية عاملا مُهماً فى نَماء الثروة الحيوانية ، فقد كان مثلا جبل الشّارات الواقع قرب طليطلة يكثُر فيه « البقر والغنم الذى يتجهزُّ به التجار

---

(١) الأندلسيون المواركة ٧٢ انظر نفح الطيب ١ / ٤٦٤ .

(٢) دول الطوائف : ٤٤١ .

(٣) نفس المصدر : ٤٤٢ . وانظر الحضارة الإسلامية فى الأندلس . ٦٢ .

(٤) انظر الروض : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٧ ، ١٣٢ ، ١٦٢ ، ١٧١ ونفح الطيب ١ / ١٤٣ .

(٥) الروض المعطار : ٧٠ ، ٧١ .

(٦) نفس المصدر : ١٠١ .

إلى سائر البلاد »[1] وكانت مدينة قادِس « أكثر مواشيها الماعز »[2].

الصناعة والمعادن :

« وكانت أرض الأندلس غنية بالمعادن المختلفة كالذهب الذى كان يُلتقط من نهر شيَقَر من أنهار لارِدَةَ الواقعة شرق الأندلس[3]، وكان يُلتَقطُ كذلك من نهر فَلُوم الذى يمرُّ بغَرناطة ، وكان يُستخرج منها الفضة والصُّفرُ ـــ النحاس ـــ والحديد والرصاص .[4]

وكانت هناك المناجم التى يستخرج الزئبق منها . ويصفها لنا الحميرى بقوله :

« ويخدم هذا المعدن أكثر من ألف رجل ، فقَومٌ للنّزول وقَطْع الحَجَر ، وقوم لنقل الحطب لحرق المعدن ، وقوم لعمل أوانى السَّبك والتصفية ، وقوم لبُنيان الأفران والحرق ومن وجه الأرض إلى أسفله فيما حُكىَ مائة قامة »[5].

« ومع توفر المواد الأولية والخبرة قامت صناعة المنسوجات[6]، والسجاد[7] والفخار ، والجلود ، والعطور ، والأصباغ ، وصناعة الزجاج » ، وكانت تصدر هذه المصنوعات إلى بلاد العالم الأخرى .

ولم يكتف الأندلسيون بهذه الصناعات وإنما اهتموا بالصناعات الثقيلة وخاصة صناعة السفن ولوازمها وصناعة السلاح ، فمدينة الجزيرة الخضراء كانت فيها دار صناعة السفن[8]، ومدينة شَنْتَمريّة « بها دار صناعة للأساطيل »[9]، ولقُنْت « تُنشأ

---

(١) الروض المعطار : ١٣٢ .

(٢) انظر نفس المصدر : ١٤٥ .

(٣) نفس المصدر : ١٦٨ .

(٤) انظر نفس المصدر : ٢٣ ، ٢٤ ، وانظر ١٤٢ ، ١٨١ .

(٥) الروض المعطار : ١١ .

(٦) وقد اشتهرت المرية بذلك وخاصة المنسوجات الحريرية . انظر نفس المصدر : ١٨٤ .

(٧) وقد اشتهرت مرسية بذلك انظر : ١٨١ .

(٨) انظر الروض المعطار : ٧٣

(٩) نفس المصدر : ١١٥

بها المراكب السَّفرية »[1]، ودانية كانت دار إنشاء للسفن الحربية .وأما شلطيش (SALTEX) « فكان بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه وهى صنعة المراسى التى ترسو بها السفن .. وبها دار صناعة لإنشائها »[3]

وأما صناعة السلاح فقد كان بقرطبة دار لصناعة التُّروس تسمى دار التَّراسين ، وله شيخ يسمى شيخ التراسين ، وكان هناك دار لصناعة القِسىّ بقرطبة وقد نقل ابن حيان وصفا لاهتمام الخلفاء بالصناعة الحربية وذلك بكتابة (المآثر العامرية) .[4]

هذه القوة الحربية والاقتصادية ساهمت فى تطوير البنية الصناعية الأندلسية وزيادة رخاء البلاد .

الحركة العمرانية :

نالت الناحية العمرانية فى الأندلس اهتماما كبيرا من الخلفاء وغيرهم من سراة الأمة . وهى نتيجة حتمية للازدهار الحضارى الذى شمل جوانب الحياة وخاصة الاقتصادية . ولعل آثارها الباقية إلى الآن تنطق بمدى ما وصلت إليه قوتهم العمرانية ، مما أدهش معاصريهم ، ولايزال يفوز بإعجاب المعاصرين فى العصر الحديث . [5]

وقد نالت الحركة العمرانية فى القرن الرابع اهتماما من الخلفاء ، وخاصة زمن الناصر الذى ابتنى الزهراء ، المدينة التى كانت مركز حكمه وأبنائه من بعده ، وقد بدأها سنة (٣٢٥ هـ) ولم ينته العمل تماما إلا فى نهاية حُكم المستنصر سنة

(١) نفس المصدر : ١٧٠

(٢) نفس المصدر : ٧٦ .

(٣) نفس المصدر : ١١١ .

(٤) انظر أعمال الأعلام : ٢ / ١٠١ وانظر : الأندلسيون المواركة : ٧٣ .

(٥) انظر : ابن زيدون : د. على عبد العظيم : ٢٠٦ وموسوعة التاريخ ٤ / ٩٢ ، تاريخ العرب العام : سيديو : ٢٧٥ ، حضارة العرب : جوستاف لوبون : ٢٨٢ ـــ ٢٩٩ ، الحضارة العربية : جاك . ل ريسلر : ١٦٧ ـــ ١٧٠ .

وأكثرها تفصيلا كتاب الفن الإسلامى فى أسبانيا : مانويل جومث مورينو .

(٣٦٦ هـ) وحشد لها الخبرات الهندسية من المسلمين والروم وجلب لها الرخام من مختلف بقاع الأرض.[١] وكانت تقع « شمال قرطبة بينها وبين قرطبة ثلاثة أميال أو نحو ذلك ».[٢]

وبنى جامع الزهراء الذى شارك ببنائه كل يوم ثلاثمائة بناء ومائتا نجّار، وخمسمائة من الأجراء وسائر الصنائع وأتم بناءه فى ثمان وأربعين يوما.[٣] وأما جامع قرطبة أعظم مساجد العالم فهو آية من آيات فن البناء، وأهم ما فيه من جمال هندسي ـــ إضافة إلى كونه غابة من الأعمدة المتناسقة ـــ هو نظرية التناسب فى الأبعاد وتلاعب الظل والنور، وتأثيراته التى توحى للناظر الخشوع لما فيها من جلال وروعة.[٤]

وهذا الجامع بناه عبد الرحمن الداخل سنة ١٦٨ هـ وتتابع الخلفاء فى الزيادة فيه حتى جاء الناصر فنقض القُبة وأبْدَلها بأعظم منها. ثم جاء المستنصر « وزاد فيه الزيادة العظمى التى كملت بها محاسن هذا الجامع وصار فى حد يحسر الوصف عنه ».[٥]

ومن مظاهر القرن الرابع العمرانية كذلك مدينة الزاهرة التى أنشأها المنصور ابن أبى عامر لتكون له عاصمة بعيدا عن منافسيه فى قرطبة. ثم تكون معْلماً من معالم الفخر وإظهار الغلبة. وأقطع المنصور وزراءه وكبار موظفى الدولة الأراضى فيها فابتنوا بها كبار الدور وجليلات القصور، وتنافس الناس بالنزول بأكنافها والحلول بأطرافها حتى اتصلت مبانيها بضواحى قرطبة.[٦]

---

(١) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٢٦ ـــ ٥٦٥ ـــ ٥٦٩ ـــ ٥٧٨ .

(٢) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٢٣ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٥٦٤ .

(٤) انظر الإسلام ونهضة الأندلس : أحمد مطهر العظمة : ٥٢ وموسوعة التاريخ ٤ / ٩٤ .

(٥) انظر نفح الطيب : ١ /٥٦١ ، ٥٦٢ ، انظر : الفن الإسلامى فى أسبانيا : ١٦ ـــ ٤٨ .

(٦) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٧٨ وقد كانت القصور الخاصة بسراة الناس خارج قرطبة وقد عددها صاحب النفح و وصفها وصفا جملا ، انظر : ١ / ٤٧٠ ـــ ٤٧٣ .

ولم يقتصر الاهتمام بالمساجد والقصور فقط وإنما شمل المجتمع كله « فكانت البلاد نسقا واحدا فى العمران حتى كان للقرى أيضا نصيب وافر من العناية ، ولذلك كثر عددها ... ومما اختصت به ـــ الأندلس ـــ أن قراها فى نهاية من الجمال لتضع أهلها فى أوضاعها وتبيضها لئلا تنبو العيون عنها » .[1]

واهتم الأندلسيون برصف الشوارع بالحجارة وإضاءتها ، وكانت بعض الشوارع تمتد أميالا طويلة ومضاءة بالجانبين[2] « بينما كانت لندن بعد ذلك بسبعمائة سنة يعمها الظلام ولم يتحقق لها قنديل واحد عمومى . » .[3]

« وباريس بعد ذلك ببضعة قرون كان الذى يتخطى عتبة داره فى يوم ماطر لايأمن الخوض فى لجة الوحل » .[4]

« وفى بداية القرن الخامس الهجرى حلت الفتنة القرطبية (٣٩٩ ـــ ٤٢٢ هـ) فعم الخراب قرطبة بخاصة وهدمت كثير من قصورها ومعالمها ولعل هدم الزاهرة وحده يكفى لبيان مدى الضرر الذى أصاب النهضة العمرانية » .[5]

وقد انتعشت الحركة العمرانية فى الأندلس زمن دول الطوائف وذلك لأن كل أمير دولة من هذه الدول كان يرنو إلى أن يفوز بقصب السبق على غيره من ملوك الطوائف فكانوا يتبارون فى بناء القصور والجسور لإظهار دولهم بمظهر القوى المتمكن .[6]

ولعل قصور بنى عباد فى إشبيلية ومسجدها الجامع الذى يشتهر إلى الآن ببرجه

---

(١) تاريخ الأندلس : محمد كرد على ٢٩ ونفح الطيب : ١ / ٢٠٥ .

(٢) انظر نفح الطيب : ١ / ٢٠٨ وابن زيدون : ٢٥ .

(٣) نقل ذلك د. على عبد العظيم عن فيليب حتى فى تاريخ العرب المطول انظر : ابن زيدون : ٢٥ . وانظر الحضارة العربية : جاك ريسلر : ١٥٥ .

(٤) نقل ذلك د. على عبد العظيم عن فيليب حتى فى تاريخ العرب المطول انظر : ابن زيدون : ٢٥ ، وانظر الحضارة العربية : جاك ريسلر : ١٥٥ .

(٥) انظر النفح : ١ / ٥٤١ .

(٦) انظر : البيان المغرب : ٣ / ١٦٠ ـــ ١٦١ .

المسمى بالخِيرْالدا بعظمة الفن المعمارى الإسلامى[1] .

وكذلك ماشاده مأمون بنى ذنون فى طليطلة من قصور مترفة يشهد على ترف هؤلاء الحكام ودقة ومهارة المهندسين فى ذلك الزمان فقد بنى ابن ذنون قبة زجاجية فى وسط بحيرة قصره يتساقط عليها الماء ولايدخل فيها ، ويجلس فيها ابن ذنون فى أوقات نزهته .[2]

وكان بلاط المقتدر بن هود من أعظم قصور الطوائف وأفخمها ، وكان قصره من أعظم وأفخر القصور الملكية فى تلك العصور ، وقد اشتهر فى تاريخ الفن الإسلامى باسم دار السرور ، وكان له بهو رائع فى نقوشه وتحفه ، كان يسمى مجلس الذهب . وقد أطلق المقتدر اسم الجعفرية على هذا القصر نسبة إلى كُنيته .[3]

ولاتزال كثير من الآثار العمرانية ترتفع شامخة تزهو متفاخرة بما قدمته الحضارة الإسلامية من عطاء وافر مع أن يد التخريب قد امتدت إلى كثير من المعالم الإسلامية بعد احتلال النصارى لها .

« وقد نعى بلاسكو أبانيز وهو أعظم كاتب أنجبته أسبانيا عام ١٩٢٨ م على قومه تمجيدهم لتاريخ أسبانيا عقب طرد المسلمين فكان من قوله :

(لاتخدعوا أنفسكم فإن العصر الذى تذكرونه هو ابتداء تقهقرنا لاتغرّنكُم اللُّمعَة فى تلك العصور فليس كل ما يلمعُ ذهباً » .[4]

★ ★ ★

---

(١) دائرة معارف الشعب : ٦١ / ٨٤ . تبلغ مئذنة إشبيلية مائة متر ١٠٠ وكانت أول مرصد فلكى فى أوربا وقد بناها يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٥ هـ) وأكملها المنصور المرصدى (٥٩٥ هـ) ولما حول النصارى المسجد إلى كنيسة غيروها من مئذنة مسجد إشبيلية إلى منارة (الخيرالد ولاتزال حتى اليوم .

(٢) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٢٨ .

(٣) انظر : نفح الطيب : ١ / ٥٣٤ وموسوعة التاريخ ٤ / ٩٢ ، ودول الطوائف ٢٨٣ والفن الإسلامى فى أسبانيا : ٢٦٢ ـــ ٢٨٧ وقد وصفه بتفصيل وعرض نماذج من زخارفه وعقوده .

(٤) الإسلام ونهضة الأندلس : ٦٦ .

الباب الثانى

حياة ابن عبد البر القرطبى وثقافته ومكانته

الفصل الأول

حياة ابن عبد البر

مدخـــــل :

ابن عبد البر ــ موضوع هذا البحث ــ هو :

جمال الدين يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النَّمرىّ القرطبى . عالم موسوعى من مشاهير علماء الأندلس ، وعلم من أعلام الأمة الإسلامية المعطاءة التى أنجبته وأمثاله من المفكرين وخلد ذكرهم غرة فى جبينَ التاريخ الإسلامى بل الإنسانى .

ومع شهرة ابن عبد البر فإنّ المصادر التى ترجمت له لم تغط جوانب سيرته فى بناء كامل ، بل وردت أخباره متناثرة فى ثنايا الكتب .

لذلك سيحاول البحث أن يقدم تعريفا متكاملا لحياة ابن عبد البر من خلال ماجُمع من متناثر الأخبار فى تراجم شيوخه وتلاميذه ، ومما أورده ابن عبد البر عن نفسه من مواقف وأخبار فى كتبه ، أو مما عبّر عنه بِنَظْمٍ من الشعر يصف فيه معاناته فى طلب العلم ، أو ماجابهه من أحداث مما لم يشر إليه من ترجم له بل جاء مفرقا فى كتب التراجم والفقه والأدب وغيرها ، التى تعرضت لأخبار ابن عبد البر بصورة غيرمباشرة ، وأخذ الراجح منها مع درء التعارض بين المتعارض منها وتوضيح ماغَمُض .

ولادته :

فى يوم الجمعة الخامس من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة من الهجرة المباركة (٩٧٨ م) فى ساعة يتفاءل بها وخطيب الجمعة يخطب على المنبر استقبلت الحياة ابن عبد البر واستقبلها ، ولطرافة التوقيت أرَّخَ والد ابن عبد البر تاريخ هذه الولادة استبشارا بالمولود وتيمنا بالوقت ، واحتفظ بهذا القيد ، ووقع هذا القيد بيد ابن عبد البر بعد وفاة والده ، فاعتنى بحفظه هو كذلك ، اعتزازا بما خطّهُ والده ، وكان يُطْلِع عليه بعض خاصته من تلاميذه ، وقد أخبر أبو على حسين بن أحمد الغسّانى (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م) أحد تلامذة ابن عبد البر النابهين بأنه سمع طاهر بن مفوز (٤٢٧ ــ ٤٨٤ هـ = ١٠٣٥ ــ ١٠٩١ م)

التلميذ الذى اطلع على تاريخ ولادة شيخه حيث قال : (أرانيه الشيخ ـــ ابن عبد البر ـــ بخط أبيه) .[1]

وكان طاهر مختصا بابن عبد البر لصيقاً به ، وهو من أثبت الناس فى النقل عن ابن عبد البر لأنه كان ملازما له فى أواخر حياته ، وروى عنه كثيرا وأجاز له ابن عبد البر كُلّ مروياته ، بل هو الذى صلى على ابن عبد البر عند وفاته .[2]

والتاريخ الذى ذُكر آنفا هو أصحُّ ماأرخ به لولادة ابن عبد البر . وهو رأى أغلب من ترجم له[3] . ولكن وردت بعض الروايات المخالفة لرأى الأغلبية . منها ما يخالف فى سَنة الولادة والشهر . ومنها ما يخالف فى الشهر فقط .

فالأولى وردت عن محمد بن أبى نصر الحميدى[4] (ت ٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) وهو أحد تلاميذ ابن عبد البر المشهورين ، ذكر فى جذوة المقتبس[5] بأن مولد ابن عبد البر كان فى (رجب سنة اثنتين وستين وثلاثمائة) ، وهو الذى أوقع من جاء بعده فى اللَّبس لُمتابعتهم له[6] ، لكونه تلميذاً مشهوراً لابن عبد البر والذى يردُّ هذه الرواية كون طاهر بن مفوز وأبى على الغسانى (ت ٤٩٨ هـ =

---

(١) وقد نقل أبو على الحسين الجيّانى تلميذ ابن عبد البر الخبر مصرحاً بسماعه شفاهاً عن طاهر بن مفوز . انظر : الصلة : ٦٧٩ .

(٢) انظر ترجمة طاهر بن مفوز : الصلة : ٢٤٠ ـــ ٢٤١ .

(٣) ذهب إلى ذلك الحافظ أبو عمرو بن الصلاح (ت ٦٤٣ هـ) فى كتابه المقدمة فى علوم الحديث : ٣٤٩ والحافظ جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) فى كتابه : طبقات الحفاظ : ٤٣٢ وغيرهم .

(٤) سنورد له ترجمة مفصلة عند الكلام عن تلاميذ ابن عبد البر .

(٥) جذوة المقتبس : ٣٦٧ .

(٦) وقد تابع الحميدى فى ذلك :

بن عُميرة الضّبّى (ت ٥٩٩ هـ = ١٠٢٣ م) فى كتابه بغية الملتمس . انظر ٤٩٠ ولكنه ناقض نفسه فنقل فى الكتاب نفسه عندما ترجم لأبى عمران الفاسى فقيه القيروان صديق ابن عبد البر فقال ـــ الضّبى ـــ (٢) أخبرنى غير واحد عن ابن موهب ـــ تلميذ ابن عبد البر ـــ عن أبى عمر بن عبد البر الحافظ قال : ولدت مع أبى عمران موسى بن عيسى بن حاج الفاسى فقيه القيروان فى سنة واحدة ثمان وستين وثلاثمائة ، انظر بغية الملتمس ٤٥٧ والصلة لابن بشكوال : ٦١٢ .

ونقل أحمد بن حسن بن على المعروف بابن قُنفذ الرواية نفسها فى كتابه الوفيات : ٢٤٩ ، ومن المعاصرين =

١١٠٤ م) مقيمين فى الأندلس وكانا على صلة قوية بابن عبد البر حتى وفاته[1] بينما ترك الحميدى الأندلس سنة (٤٤٨ هـ)[2] وأقام ببغداد وتوفى فيها ، فلعل البعد أورثه النسيان ، لاسيما وأنه ألّف كتابه جذوة المقتبس بعد وفاة ابن عبد البر بمدة ، فلذلك نراه يعتذر لنفسه ممن أشار عليه بتأليف الجذوة ببعده عن الأندلس بقوله : « فأعلمته بُبعدى عن مكان هذا المطلوب وقِلّةَ ما صَحبنى من الغرض المرغوب ، وإنى إن رُمتهُ على قلة ماعندى وتعاطيته على انقطاع موادّى وبُعدى »[3].

وأما الرواية التى تخالف فى الشهر فقط فهناك روايتان :

الأولى عن صاعد بن أحمد التَّغْلِبىّ الطُّليطلى (٤٢٠ ــ ٤٦٢ هـ = ٩٢٨ ــ ١٠٧٠ م)[4] حيث قال :

« وولد ــ أى ابن عبد البر ــ فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وثلاثمائة »[5]

وهذه الرواية مردودة برواية تلامذة ابن عبد البر المقربين السابقة .

والرواية الثانية : عن الحافظ شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م)

الدين رجحوا رواية الحميدى إسماعيل الندوى فى رسالة الماجستير المقدمة بدار العلوم سنة ١٩٦٤ عن (ابن عبد البر وأثره فى الحديث والفقه) لكون الحميدى تلميذاً لابن عبد البر ثم إن الحميدى ذكر الرواية بلفظ السماع لأنه لا يقول سمعت إلا إذا كان قد سمع فعلا .

ونقل رأى الحميدى كذلك د. عبد الحليم عبد الفتاح عويس : انظر رسالته للدكتوراه (ابن حزم مؤرخاً) المقدمة بدار العلوم : ١٩٧٩ م .

(١) وصفه ابن بشكوال بأنه « من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المُسندين » انظر الصلة : ١٤٢ ــ ١٤٤ وسنورد له ترجمة مفصلة فى مبحث تلاميذ ابن عبد البر .

(٢) انظر الجذوة : ٣٦٩ . وقد احتج أبو طاهر السِّلفى (ت ٥٧٦ هـ - ١١٨٠ م) بهذا فى رده لرواية الحميدى انظر : مقدمة كتاب الاستذكار : مخ فى المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٧١ حديث ورقة ١٢٢ .

(٣) الجذوة : ١ .

(٤) انظر ترجمته : الصلة : ٢٣٦ ــ ٢٣٧ وهو صاحب كتاب طبقات الأمم .

(٥) نقل ذلك الحافظ أبو طاهر السِّلفى انظر : مقدمة كتاب الاستذكار : مخ المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع ٧١ حديث ورقة ١٢٠ .

فى كتابه سير أعلام النبلاء[1] قال :

« مولده — أى ابن عبد البر — فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة فى شهر ربيع الآخر ، وقيل فى جمادى الأولى . » .

وهذه الرواية مردودة كذلك لأن الذهبى روى الخبر الثانى بصيغة التضعيف (قيل) بينما الخبر الأول رواه بصيغة تدل على أنه الأرجح عنده بل اعتمدهُ فى كتبه الأخرى مثل : تذكرة الحفاظ[2]، وتاريخ الإسلام[3]. وهما من أشهر كتبه .

أصله ونسبه وكنيته :

وابن عبد البر عربى أصيل المحتد والأرومة ينتسب إلى قبيلة « النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعه بن نزار بن معد بن عدنان »[4].

وقد نسب بعض أهل النسب النَّمِر بن قاسط فى قبيلة حميَر اليمانية فرد ابن عبد البر هذا الرأى بقوله :[5]

« والصحيح الذى عليه جماعة أهل العلم بالأنساب أن النمر بن قاسط فى ربيعة »

لذا فالنسبة التى ينسب بها ابن عبد البر إلى قبيلته هى :
النَّمَرى : (بفتح النون والميم) نسبة إلى النمر (بكسر الميم) وقد شُكِّل « النمرى (بفتح الميم) استيحاشا لتوالى الكَسَرات لأن فيه حرفاً واحدا غير مكسور[6].

---

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية : رقم ١١٩٥ تاريخ : انظر : مخ ج ١١ : ٢ / ورقة ١٨١ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ : ٣٤٩ .

(٣) مخطوط صورة عنه فى معهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٩٤٥ تاريخ ، انظر مخ ج١١ وفيات ٤٦٣ لأن الكتاب مرتب على الوفيات .

(٤) الإنباه على قبائل الرواه : لابن عبد البر : ٩٧ ومختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب : ١٩ .

(٥) الإنباه على قبائل الرواه : ٩٩ .

(٦) لسان العرب : لابن منظور ٦ / ٤٥٤٦ فى باب نمر .

ومن نسب إلى النمر بن قاسط من المشهورين :[1]

« نُتيلَة بنت خباب بن كُليب أم العباس بن عبد المطلب عم النبى ﷺ وهى أول عربية كست البيت الحرام الحرير والديباج وأصناف الكسوة »[2] والصحابى صُهيب بن سنان المعروف بالرومى ، وسمى بذلك لأن الروم سَبَوهُ وهو صغير[3].

وأما كنيته : فقد اشتهر ابن عبد البر (بأبى عمر) ولم تعرف له كنية غيرها ، وقد أخطأ بعض النساخ . فذكر كنيته (بأبى عمرو) وذلك مما يخالف الرواية الصحيحة مما ثبت نقله . كما وقع فى القاموس المحيط .[4]

وفاته :

عاش ابن عبد البر فى ظل عائلة مشهورة من عائلات قرطبة يُظلّله كنف والد عالم ، وجَدّ زاهد ، كما سنعرف ذلك بالتفصيل ، ثم عانى اليُتم وهو دون سن البلوغ ومع هذا استمر فى رعاية أسرته يتنقل فى مدارج الشباب طالباً للعلم مُنكبّا عليه حتى قَوِىَ عُودُه وأصبح عالم عصره .

وقد ذاق مرارة التنقل بين مدن الأندلس فى شرقه وغَرْبه طالباً للاستقرار يحمل أعباء أسرته على كاهِلِه ، حتى استقرّ به المقام فى شاطبة بعد أن علا نجمُه وملأت هيبته قلوب من حوله ، فأصبح مثابة لطلبة العلم ومنبعهم الذى منه يرتوون وفى ذلك كله لم يكن بعيداً عن معاناة الأمة فى تلمس طريق الإصلاح ، فساهم عن طريق دروسه وفتاواه ومجالسه الأدبية والفقهية فى تقديم النصح فى الدين لأمراء الطوائف بالأندلس ، مُهاب الجانب ، حتى وافته مَنيتُّه فى آخر ربيع الآخر ودفن يوم الجمعة لصلاة العصْر سنة ثلاث وستين وأربعمائة (١٠٧٠ م) .[5]

(١) انظر جمهرة أنساب العرب : لابن حزم الأندلسى : ٣٠٢ .

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر : ٢ / ٨١٠ ــ ٨١١ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ٧٢٦ ــ ٧٢٧ .

(٤) أخطأ ناسخ القاموس المحيط للفيروزآبادى فى كنية ابن عبد البر فصحح الوهم فى حاشية القاموس العلامة نصر الهورينى .

انظر القاموس المحيط : فصل الباء باب الراء طبعة الحلبى : ١ / ٣٨٤ .

(٥) ترتيب المدارك : للقاضى عياض : ٤ / ٨٠٨ وانظر الصلة لابن بشكوال وقد نقل ذلك عن طاهر بن مُفوز.

وانطوت بذلك صفحة هذا العَلَم التى كتبتها مُكللّة بالفخار مواقفه ومؤلفاته وتلاميذه .



=تلميذ ابن عبد البر الذى صلى على جنازته : ٦٧٩ .

وذكر ذلك عبد الباق بن محمد بن بريال الأندلسى ف تاريخه ولكنه وهم فى شهر الوفاة فقال « وتوفى فى جمادى الأولى لسبع خلون منه سنة ثلاث وستين وأربعمائة » انظر مقدمة الاستذكار : ق ١٢٠ .

الفصل الثانى

أسرة ابن عبد البر
ونشأته ودراساته الأولى

شجرة بنو عبد البر النّمرى القرطبى

عاصم النمرى



عبد البر



محمد

(٢٩٩ ــ ٣٧٩ هـ = ٨٤٣ ــ ٩٩٠ م)



عبد الله

(٣٣٠ ــ ٣٨٠ هـ = ٩٤٢ ــ ٩٩١ م)



يوسف

أبو عمر بن عبد البر

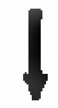
(٣٦٨ ــ ٤٦٣ هـ = ٩٧٨ ــ ١٠٧٠ م)

عبد الله

أبو محمد بن عبد البر الابن

(٤٥٨ هـ = ١٠٦٦ م)

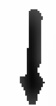
(زينب)



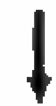
عبد الله بن أحمد بن على

اللخمى الشاطبى

(٤٤٣ ــ ٥٣٢ هـ = ١٠٥١ ــ ١١٤٠ م)



أم عمر



أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السُّلمى

الاغماتى

سبط سبط ابن عبد البر

(تولى قضاء فاس سنة ٥٦٧ هـ = ١١٧١ م)

أسرة ابن عبد البر :

عندما انسابت جيوش المسلمين فى الأرض تحمل عقيدة التوحيد لتخرج الناس بها من الظلمات إلى النور ، كانت الأندلس من تلك البقاع التى تطلع المسلمون لفتحها ، « فتحركت الحدود تبعاً لحركة الجيوش الفاتحة القادمة من الشرق نحو الأندلس ثم أوربا » ،[(١)] فدخلت طلائعها الأندلس سنة اثنتين وتسعين للهجرة (٧١١ م) بقيادة طارق بن زياد .[(٢)]

وكانت النّمر بن قاسط القبيلة العربية المسلمة — قبيلة ابن عبد البر — قد شاركت مع غيرها من قبائل العرب والبربر التى كانت تحمل رايات الإسلام فى فتح الأندلس ، واتخذت هذه القبيلة حصن وضاح من أعمال كورة رُيَّة (RAIYO) منزلا لها .[(٣)]

ولما استقرت أحوال الأندلس بدأ بعض أبناء هذه القبيلة يجوبون حواضر الأندلس طلبا للعلم ، أو للكسب والتجارة ، فتوجه أحد أجداد أبى عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم إلى قرطبة واستقر فيها ، ولعل هذا الجد هو عبد البر الجد الثانى لابن عبد البر ، (موضوع هذا البحث) .
ولكن متى ؟ ولماذا ؟ وهذا مالم يعرف من خلال المصادر المتوفرة .

ومن تتبع رجال عائلة ابن عبد البر يتضح أن هذه العائلة لم تجذب اهتمام المؤرخين إلا ابتداءً من جده محمد بن عبد البر بن عاصم ، وسنتحدث عن جد ابن عبد البر ، ثم أبيه منحدرين إلى الرجل الذى خصصنا هذه الدراسة له ، وتفيدنا دراسة أسرة ابن عبد البر ابتداء من جَده فى التعرف على الجو الذى نبت

---

(١) محاضرات أستاذنا الدكتور أحمد شلبى فى السنة التمهيدية ٩٧٥ — ٩٧٦ .

(٢) سبقت حملة طارق بن زياد حملة استكشافية لطريف البربرى مولى موسى ابن نصير وذلك فى شهر رمضان سنة إحدى وتسعين للهجرة (٧١٠ م) ، ثم أعقب دخول طارق دخول موسى بن نصير سنة ثلاث وتسعين للهجرة (٧١٢ م) ، انظر نفح الطيب : ١ / ٢٢٩ ، ٢٣١ وقرطبة فى العصر الإسلامى : ١٠ — ١١ .

(٣) انظر جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : ٣٠٢ .

وَرَيُّة : كورة من كور الأندلس وهى بقبلي قرطبة ونزلها جند الأردن ، انظر : الحميدى : الروض المعطار ٧٩ ، البغدادى : مراصد الاطلاع ٢ / ٦٥٠) .

فيه عالمنا وأثر شخصيات الأسرة عليه .

جد ابن عبد البر :

هو محمد بن عبد البر بن عاصم النمّرى وكان من « العُبّاد المنقطعين المعروفين بالتهجد المبّرزين فيه »[(١)] ، ولم يكن يلازم إلا العبّاد المعروفين بالزُّهد فصحب الزّاهد الإلبيرى يحيى بن مجاهد بن عَوانه الفزارى (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)[(٢)] الذى كان من أهل العلم والفقه والذى يقول عنه ابن الفرضى :

« إن العبادة كانت أغلب عليه »[(٣)] وكان معنياً كذلك بعلوم القرآن والقراءات والتفسير .

وقد عمّر محمد جد ابن عبد البر حتى بلغ الثمانين عاما ووافته منيته سنة ثلاثمائة وتسع وسبعين فى قرطبة قبل ابنه عبد الله بسبعة أشهر .[(٤)]

تلك صورة سريعة عن حياة الجد قدمتها لنا المراجع التى ضنت بالتفاصيل التى كان يمكن أن تثرى البحث ، ولكنها على كل حال أبرزت الجو الذى تربى فيه ابن عبد البر ، وكانت له آثاره فى سمته وسلوكه .

وننتقل بعد ذلك إلى الكلام عن والد ابن عبد البر لنتعرف من خلال ذلك على مكانة والده ، ودوره فى الحياة العامة فى عصره .

والد ابن عبد البر :

هو عبد الله بن محمد[(٥)] من فقهاء قرطبة المعروفين ولد فى قرطبة سنة ثلاثمائة وثلاثين ، ونشأ وترعرع فى أجواءها العلمية فى كنف ذلك الوالد الزاهد الذى

---

(١) التكملة : ابن الأبار : ١ / ٣٧١ .

(٢) انظر التاريخ : ابن الفرضى ٢ / ١٩٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ١٩١ .

(٤) التكملة : ابن الأبار ١ / ٣٧١(وكانت وفاة عبد الله فى ربيع الآخر سنة (٣٨٠ هـ — ٩٩١ م) انظر : الديباج : ابن فرحون ٢ / ٤٨) .

(٥) الجذوة : الحميدى : ٢٥٦ وانظر الترتيب : القاضى عياض ٤ / ٥٥٦ .

كانت له صلات طيبة بأهل العلم ، والتى مكّنت عبد الله من أن يتصّل بهم ويأخذ عن كبارهم ، حتى بلغ فى ذلك شأواً عظيماً ، مما جعل ابن حيان يُثنى عليه بقوله : « من الأعلام هضاب راسية وبحار من العلم زاخرة ، وأعلام قولهم مسموع ، وبرّهم مشروع ، وأثرهم متبوع مثل : عبد الله بن محمد بن عبد البر والد أبى عمر بن عبد البر » . [1]

ومن هؤلاء المشايخ الذين تتلمذ عليهم عبد الله والد ابن عبد البر :

★ أحمد بن دحيم (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م — ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م)

وهو من كبار علماء قرطبة سمع من مشايخها « وكان معتنيا بالآثار جامعاً للسنن ثقة فيما روى ، ولاه الناصر أحكام القضاء بطليطلة ولم يزل قاضياً إلى أن توفى رحمه الله » . [2]

★ أحمد بن سعيد بن حزم (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م — ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

وكان « من أهل قرطبة ، عنى بالآثار والسنن ، وجمع الحديث ورحل إلى المشرق سنة ثلاثمائة وأحد عشر ، فسمع بمكة وبمصر والقيروان ، ثم انصرف إلى الأندلس ، فصنف تاريخا للمحدثين بلغ فيه الغاية قرىء عليه ، ولم يزل يحدث إلى أن توفى » ولأهمية هذا التاريخ فقد قام يوسف بن عبد البر — موضوع هذا البحث — باختصاره .

★ أحمد بن مطرف (ت ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م)

اشتهر بابن المشاط « وكان معتنياً بالآثار والسنن ، وكان زاهداً ورعاً ، وولى الصلاة بقرطبة إلى أن توفى وسمع منه الناس كثيراً . » . [3]

★ محمد بن معاوية القرشى (ت ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م)

---

(١) أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب : ٢ / ٤٨ .

(٢) التاريخ : ابن الفرضى : ١ / ٣٥ .

الديباج : ابن فرحون : ١ / ١٧١ .

(٣) التاريخ : ابن الفرضى : ١ / ٤٣ .

(٣) نفس المصدر ١ / ٤٤ — ٤٥ .

وهو المعروف بابن الأحمر وكان من ذرية الخليفة عبد الملك ابن مروان ، من أهل قرطبة ، له رحلة إلى المشرق دامت ثلاثين سنة دخل فيها مصر ومكة والكوفة ، وبغداد ، والهند ، ورجع إلى الأندلس سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين(١) ، « وكان شيخا حليما ثقة فيما روى صدوقاً ... وطال عمره فكثر أخذ الناس عنه وعلا قدرهُ فى الإسناد »(٢) .

وبذلك تتضح لنا الثقافة الرصينة التى تلقاها والد ابن عبد البر عن هؤلاء الأعلام الأثبات وطبقتهم ، الذين انتهى إليهم علمُ السُنةّ ، واستعان العلماء الكبار فى ذلك الوقت بوالد ابن عبد البر فى حلقاتهم ، لما تميز به من صوت جهورى ، (فكان يقرأ على الشيوخ ويسمع الناس بقراءته . ذكر ذلك الفقيه الحافظ أبو عمر ابنه)(٣) « وبالإضافة إلى المكانة العلمية التى تمتع بها ، فإنه كان يتمتع بمكانة سياسية ، مما جعل الخليفة الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر يختاره فى أهل الحل والعقد ، الذين شهدوا على العهد ، الذى كتبه المستنصر لابنه هشام — الملقب بالمؤيد — بالخلافة من بعده .(٤)

وكانت وفاة عبد الله بن محمد والد ابن عبد البر فى العقد الخامس من عمره ، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاثمائة وثمانين للهجرة ، وانطوت بذلك صفحة هذا العالم الذى نال هذه المنزلة وهو فى هذا السن .(٥)

وبعد وفاة والد ابن عبد البر يبدو أن والدته قد تحملّت العِبءَ الأكبر فى تربيته ، وتَنْشِئَتهِ ، ورعايته ، وهيأت له الظروف المناسبة للاستمرار فى طلبه العلم ،

---

(١) التاريخ : ابن الفرضى : ٢ / ٦٧ .
(٢) نفس المصدر : ٢ / ٦٨ .
(٣) الجذوة : الحميدى : ٢٥٦ — ٢٥٧
والقراءة : من طرق الرواية ويقول عنها القاضى عياض : « وسواء كنت أنت القارىء أو غيرك وأنت تسمع ، أو قرأت فى كتاب ، أو من حفظ ، وكان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه أو يمسك أصله ... وأكثر المحدثين يسمونه عرضا لأن القارىء يعرض ما يقرؤه على الشيخ كما يعرض القرآن على إمامه » الإلماع : ٧٠ — ٧١ .
(٤) أعمال الأعلام : لسان الدين بن الخطيب : ٢ / ٥٠ .
(٥) التكملة : ابن الأبار ١ / ٣٧١ وانظر : الديباج : ابن فرحون ٢ / ٣٦٩ .

لاسيما وأن والده قد توفى عنه وهو لايزال فى تعليمه الأولى ، وقد أغفلت المصادر الكلام عن والدته ، لأن كتب التراجم لم تكن تُترجم إلا للشهيرات من النساء اللائى لَهُنَّ دور مهمٌ فى الحياة السياسية ، أو العلمية ، أو الاجتماعية .

نشأة ابن عبد البر ودراساته الأولى :

بعد التقديم السريع والتعريف المختصر بأبيه وجده نصل بذلك إلى الحديث عن نشأة ابن عبد البر موضوع البحث .

من الواضح أن المكانة العلمية والاجتماعية التى تمتعت بها أسرة ابن عبد البر كان لها أثر كبير فى بناء شخصيته ، وتحديد وجهته ، وهو يشق طريقه فى البيئة التى عاش فيها ، فزُهدُ جدّه محمد ، وعلمُ والده عبد الله ، وتضحية والدته ، ومكابدتها فى تربيته بعد وفاة والده مؤثرات ساهمت فى بنائه الأخلاقى والعلمى ، ساعد على شحذ ذهنه وتفتح مداركه .

وقبل أن نسترسل فى متابعة دراسات ابن عبد البر ، علينا أن نُلِمَّ إلمامة سريعة بمراحل التعليم التى سلكها فى ذلك .

فقد بين لنا ابن خلدون فى كتابه المقدمة[1] أن التعليم فى الأندلس كان ينقسم إلى مرحلتين رئيسيتين وهى :

مرحلة التعليم الأول ، ومرحلة التعليم الثانى .

١ ــ مرحلة التعليم الأول :

وتبدأ هذه المرحلة ببلوغ الطفل سن التمييز ، وتمتد حتى بلوغه الحلم . والتعليم فى أوائل هذه المرحلة كان يتم بعيداً عن المسجد ، وذلك فى بيوت المعلمين ، أو فى المكاتب الملحقة بالمساجد ، أو فى حوانيت خاصة فى الدروب وأطراف الأسواق[2] ، وذلك تنزيهاً للمساجد من الصبيان ، لأنهم لايحترزون من النجاسات

(١) انظر : ٥٠٦ ، ٥٠٧ جامع : ابن عبد البر : ٢ / ١٦٦ .

(٢) انظر تاريخ التربية لأستاذنا د. أحمد شلبى : ٥٨ ــ ٧١ .

« أنشأ الحكم المستنصر سبعة وعشرين مكتبا منها ثلاثة حوالى المسجد الجامع بقرطبة ، ووزع الباقى على ضواحى المدينة الأخرى » انظر البيان المغرب ٢ / ٢٤٠ » .

وغيرها [1]. فإذا نضج هؤلاء الأطفال نُقلوا إلى المساجد لحضور حلقات التأديب فيها ، وكان سن السابعة ، أو الثامنة على الأغلب هو الذى يؤهل للانتقال إلى الحلقات ويستمر فيها إلى سن البلوغ .

وأما المكان الذى قضى فيه ابن عبد البر مرحلة التأديب ، فقد سكتت عنه المصادر ، ولكن على الأغلب أنه كان يرافق والده إلى المساجد لحضور حلقات الدرس ، فينشغل الوالد بتدريس طلاب العلم ، أو القراءة على الشيوخ الكبار ، وينصرف الابن إلى حلقات التأديب التى تعقد فى جانب من جوانب المسجد بعيداً عن حلقات العلم الأخرى ، أو لعل والد ابن عبد البر كان يبعثه إلى دور المؤدبين الذين اختصوا بتدريس أولاد الأكابر على عادة العائلات الأندلسية المعروفة ، وحسب اختصاص كل مؤدب بالعلم الذى يؤدب به [2].

وقد تلقى ابن عبد البر أغلب تعليمه الأول بمرحلتيه المكتب والتأديب فى ظل رعاية والده الذى توفى وسن ابن عبد البر الثانية عشرة ربيعا أى كان مقاربا لمرحلة البلوغ [3].

والمنهج الدراسى فى التعليم الأول بمرحلتيه المكتب والتأديب كان يقوم على : « حفظ كتاب الله جل وعز ، وتفهمه كل ما يُعين على فهمه » [4]، « إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة وقد شدا بعض الشىء فى العربية ، والشعر والبصر بهما ، وبرز فى الخط والكتاب ، وتعلق بأذيال العلم على

---

(١) انظر : تاريخ التربية : ٥٣ .

(٢) انظر الصلة لابن بشكوال : ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٧ ، ٥٤٧ ، ٦٢٦ ، وانظر : البغية الضبى : ٧٤ .
وانظر : الذيل والتكملة : ابن عبد الملك المراكشى : ٥ : ١ / ١٧٨ ، ٢٣٢
وانظر : تاريخ التربية : أستاذنا د. أحمد شلبى : ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٦ .

(٣) ومن الشيوخ الذين تأدب بهم : محمد بن أحمد بن محمد المكتب ، وعباس بن أصبغ الهمدانى (٣٠٦ — ٣٨٦) سمع منه فى سنة (٣٧٨ هـ) وعبد الرحمن بن أبان (— ٣٧٩ هـ) وغيرهم (انظر : الجذوة : الحميدى : ٤ / ٣١٧ ، وانظر الصلة : ابن بشكوال : ٣١٦) .

(٤) جامع بيان العلم : لابن عبد البر : ١٦٦ .

الجماعة .. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم » .[1]

٢ ـــ مرحلة التعليم الثانى :

« وتبدأ هذه المرحلة بعد سن البلوغ ، ويستكمل الطالب فيها نقصه العلمى بعد حفظه للقرآن ، وذلك بالتعمق فى العلوم المعينة على فهم القرآن ، واستنباط الأحكام منه ، كالفقه وأصوله ، والجدل ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، وعلم الحديث ، وسيرة النبى ﷺ متبعا فى ذلك ـــ أى فى مذهبه الفقهى ـــ إماما من أئمة الدين ولكن إن أراد أن يبلغ هو ـــ أى الطالب ـــ درجة (الإمامة فى الدين ـــ أى أن ينتقل إلى مرحلة الدّراسات العليا المتخصصة إن صح التعبير ـــ فعليه أن ينظر فى أقوال الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار وكل مايعين على ذلك من العلوم الأخرى) وسنفصل القول فى ذلك عند الكلام عن ثقافة ابن عبد البر .

زواجه : ومضى ابن عبد البر يدرج فى رحلة حياته من مدارج الصبا إلى الفُتوة والشباب ، حتى بلغ مبلغ الرجال ، فأقدم على بناء أسرة له تكون امتدادا لبنى عبد البر ، ويغلُب أن تكون زوجة المفكر عونا له ، ومن هنا نقف وقفة قصيرة مع هذا الزواج ، فمن خلال استقراء النصوص تبين أن زوجة ابن عبد البر قد شاركته رحلته من قرطبة إلى إشبيلية عند وقوع الفتنة التى حلّت بقرطبة (٣٩٩ ـــ ٤٢٢ هـ) وقد مضى الحديث عنهما عند الكلام عن الحالة السياسية . وأقامت معه فى إشبيلية ، وهناك نَعِما بالاستقرار ، والطمأنينة حينا فى ظل بنى عباد ، ولما تعكّر الصفو بين ابن عبد البر وأبى القاسم بن عباد عزم ابن عبد البر على الرحيل ، ولكن زوجته أبدت معارضتها للسفر أول الأمر لما فيه من نصب واغتراب بعد تجربة الخروج من قرطبة ، أو لعلها لم تفطن ، إلى السبب الذى دفعهُ للسفر ولَرُبّما فَطِنَت ولكنّها رغبت من زوجها أن يتغاضى عن ذلك حفاظاً على استقرار العائلة ، فأثار هذا الموقف ابن عبد البر وأغضبه ، فَنَظم أبياتاً من الشعر[3]

---

(١) المقدمة : ابن خلدون : ٣ / ١٢٥٠ تحقيق على عبد الواحد وافى ط ٣ / ١٩٨١ .

(٢) جامع : لابن عبد البر : ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٣) ومن هذه الأبيات :

وقائلة مالى أراكَ مُرَحّلاً فقلتُ صَهٍ واستَمعى القولَ مُجملا

يُعنّف فيها زوجته ، وبين لها أن السبب الذى جعله يفارق إشبيلية هو تنكر أبى القاسم بن عَبّاد لهُ وإساءتُه التصرف معه ، وأنّ عِزَّةَ العالم وكرامتَهُ تأبى الرُّضوخَ لابن عباد ، فَفَهمت الزّوجةُ المؤثر الحقيقى ، فوحدت موقفها مع زوجها واقتنعت بالرحيل معه إلى الجهة التى يراها زوجها ، مما يدل على حُبها لزوجها ومشاركتها له فى مواقفه . وقد صَمتت المصادر التى بين أيدينا عن الحديث عن هذه الزوجة الصالحة ، وطبيعة حياتها بعد ذلك مع ابن عبد البر زوجها ، وكم قضت من العمر معه ؟ ومتى توفيت ؟ وأين ؟ لعل بحوثنا تلقى ضوءا فى المستقبل على هذا المجهول .

أولاده : خلف ابن عبد البر أولاداً ، وأحفاداً كان لهم شأن وفضل ، وبلغوا مكانة علمية ، واجتماعية ، وسياسية مرموقة ، وشاع ذكرهم فى الأندلس والمغرب ، وسنفصل الحديث عنهم فى الصفحات التاليه لنرسم صورة متكاملة لهذه الأسرة .

رزق ابن عبد البر بولد أسماه عبد الله ويكنى بأبى محمد ، ونشأ عبد الله هذا فى قرطبة تحت رعاية والده وحنانه ، ودرج على مادرج عليه أقرانه من الصبيان فى التنقل بين الكتاب والتأديب وشب على ماشب عليه أقرانه فى طلب العلم ، وعندما بلغ مبلغ الرجال ببلوغه الحلم جلس إلى شيوخ قرطبة يسمع منهم ويتلقى عنهم ، فروى عن والده يوسف ، وعن أبى سعيد الجعفرى (٤٢٩ هـ = ١٠٣٨ م) [(١)] ، وغيرهم ، حتى أصبح « من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة

تَنكَّرَ مَنْ كُنا نُسرُ بقُربِهِ — وعادَ زُعافاً بعدَ أنْ كانَ سَلْسَلا
وحُقّ لجار لم يُوافِقهُ جارُهُ — ولالائمته الدار أن يتحولا
بُليت بحِمصٍ والمُقامُ ببَلدةٍ — طَويلاً لَعَمْرِى مُخلِقٌ يُورِثُ البِلى
إذا هانَ حُرٌ عند قَومٍ أتاهُمُ — ولم يَنأَ عَنهُم كان أعمى وأجهلا
وإذا الكَريمُ رأى الغرير قَرينَهُ — فى مَنزلٍ فالحزمُ أن يَترَحَّلا

انظر : بهجة المجالس : ١ / ٢٤٣ وانظر مطمح الأنفس : ٧١ .

وانظر : روض الأنس : لأبى البقاء الرندى (ت ٦٨٤ هـ) مخ رقم (١٢ مغرب أولى / مكتبات خاصة) بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، وانظر نفح الطيب : ٤ / ٣٠ .

(١) الصلة : ابن بشكوال : ١٦٨ « والذى يرجح أن عبد الله بن يوسف تلقى العلم فى قرطبة ، هو أن حلف =

والتقدم فى العلم والذكاء »[1]. وقد رافق والده عند الخروج من قرطبة أوّل انبعاث الفتنةِ القرطبية ولكنه عندما تزوج أخذ يتنقل بمفرده واستقر أكثر مدته فى إشبيلية فى ظل المعتضد بن عباد الذى رغب فيه واحتال عليه بشتى الطرق « ففاز ، به قدَحُ عَبّاد بعد طول خصام والتفاف زحام ، فأصاخ أبو محمد لمقاله ، وتورط فى حباله » ، وكانت براعة أبى محمد بن عبد البر فى إنشاء الرسائل وكتابتها هى التى جعلت المُعتضد يَسعى لاستمالته إليه ، « حتى حَلَّ من كُتّاب الإقليم مَحلَّ القمر من النجوم ، وتصرف فى التأخير والتقديم تصرف الشفرة فى الأديم »[3] ، فكان « بَحر البيان الزّاخر ، وفخر الأوائل والأواخر ، وواحد الأندلس »[4] وَوُصِفَ بأنه « آية من آيات فاطرة »[5]. هذه البراعة ، وتلك المقدرة جعلت المعتضد يُقلّده وزارة القلم والسيف فَلُقّب بذى الوزارتين[6]، وكان ابن زيدون يومذاك الوزير المقرَّب فى بلاط المعتضد ، فَدبَّت المُنافسةُ التى قد تقع أحيانا بين الأقران واستطاع ابن زيدون بما له من مكانة أثيرة أن يتغلب على منافسه عبد الله « فجهد كما زعموا على إراقة دَمِه »[7]، فَوشَى به عند المُعتضِد فَسجنَ أبا محمد ابن عبد البر ، ولَمّا تناهى إلى سمع يوسف بن عبد البر والد أبى محمد ماحلّ بابنه سارع مُتوجهاً إلى إشبيلية ، « فسار من مُستقرهِ بشَرق الأندلس وهو حينئذ يتردَّدُ بين بلنسية وشاطبة »[8] ودخل على المعتضد من ساعة وصوله « رافعا صوته : ابنى يا مُعتضد ... ابنى يامعتضد ... فَشفَّعهُ فيه »[9]، « وكان سبب نجاته ... ولولاه

= الجعفرى ترك قرطبة فى الفتنه نحو طُرطوشة وتوفى فيها وعبد الله لم يرحل الى طرطوشة ليلقه فيها » .

(١) جذوة المقتبس : الحميدى : ٢٦٨ .

(٢) قلائد العقيان : الفتح بن خاقان : ١٨٢ .

(٣) الذخيرة لابن بسام ٣ : ١ / ١٢٧ تحقيق إحسان عباس ط دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ وانظر المغرب : ابن سعيد ٢ / ٤٠٢ .

(٤) القلائد : الفتح بن خاقان : ١٨١ .

البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢٤٥ .

(٦) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٢٥ : ١ : ٢ / ٨٢ ، ٤ : ١ / ١٧٤ .

اعتاب الكتاب : ابن الأبار : ٢٢١ .

وانظر المغرب : ابن سعيد : ٢ / ٤٠٢ .

(٨ ، ٩) اعتاب الكتاب : ابن الأبار : ٢٢٠ .

لوردَ مَشرعَ الحَمام وكَرَعَ من ماء الحُسام ولكنّ إمامة أبيه الشهيرة »[1] ومكانته العظيمة بين علماء الأندلس جعلت المعتضد يُغيّر موقفه ، ويأمر من ساعته بإطلاق سراح أبى محمد عبد الله بن يوسف إكراما لأبيه ، ولم يَكتفِ المعتضد بهذا بل قام بتوديع ابن عبد البر توديعا حافلا يتناسب ومكانته .[2]

ثم إنّ ابن عبد البر بعد هذه الحادثة لم ينس دورَهُ كأب فى نُصح ابنه عبد الله الذى أشرفَ على العقد السادس ، فنظم أبياتا من الشعر فى ذلك يدعوه فيها إلى ترك محافل الأمراء ، وعدم الانغمار فى صراعاتِهم ، والاتجاه الى ما ينفعُ من العلم والإنابة إلى الله بعد هذا السنّ ، فكانت لهذه النصيحة[3] أثرها فى الابن ، فاتجه إلى توجيه طاقته وبلاغته إلى كتابة الرسائل التى تحث على توحيد الكلمة بين دول الطوائف وتنبيههم إلى الخطر الذى يتهددهم نتيجة هذه الفرقة التى حلت بينهم ، وكان لسقوط مدينة بربشتر[4] رد فعل قوى فى الأمة المسلمة فى الأندلس شحذت هم أهل الإصلاح من الفقهاء والأدباء للدعوة إلى وحدة الكلمة . (٥)

---

(١) القلائد : الفتح بن خاقان : ١٨١ .

(٢) المغرب : ابن سعيد : ٢ / ٤٠٢

وهذا الموقف من المعتضد خلاف موقف والده أبى القاسم محمد بن إسماعيل الذى تنكر لابن عبد البر وجفاه ، مما جعله يترك إشبيلية لأن ابن عبد البر برزّ نجمهُ بعد خروجه من إشبيلية ، مما دعا المعتضد لاتخاذ هذا الموقف .

(٣) والقصيدة التى نصح فيها ابنه هى :

تجافَ عن الدُّنيا وهوّن لقدْرِها	وَوفِ سَبيل الدين بالعُروةِ الوُثقى
وسارعْ بتقوى الله سِراً وجَهرةً	فلا ذِمةً أقوى هُديتَ من التّقوى
ولاتنسَ شُكْرَ الله فى كلِّ نعمةٍ	يَمُنَ بها فالشكرُ يَستجلبُ النُّعمى
فَدعْ عنك ما لا حَظَّ فيه لعاقِلٍ	فإنّ طريقَ الحقِّ أبلجُ لايَخفى
وَشُحَّ بأيامٍ بَقِينَ قلائلٍ	وعُمرٍ قصيرٍ لايدومُ ولايَبقى
ألم تَرَ أنّ العُمرَ يمضى مُولّياً	فَجِدّتُهُ تَبْلَى ومُدتُهُ تفنى

(مطمح الأنفس : الفتح بن خاقان : ٧١ ــ وانظر : نفحُ : المقرى : ٤ / ٢٨).

(٤) مدينة فى شرق الأندلس احتلها النصارى سنة ٤٥٦ هـ

انظر : راصد الأطلاع : البغدادى ١ / ١٧٦ ، البيان : ابن عذارى ٣ / ٢٢٥ .

(٥) انظر الذخيرة ، تحقيق إحسان عباس ٣ : ١ / ١٧٣ ــ ١٧٩ .

فكتب عبدالله بن يوسف رسالته المشهورة على لسان أهل بريشتر موجهة إلى أمراء دول الطوائف يستنهض هممهم ، ويستثير حميتهم لاسترجاع بربشتُرُ وتعد هذه الرسالة وثيقة حية تلقى ضوءاً ساطعاً على دور أهل الفكر فى تشخيص الداء ووصف الدواء فكان لصيحته ثمرة ، فثارت حمية الجهاد عند المقتدر ابن هود ، الذى استجاب لهذه الصَّيحة ، فجهز جيشاً لذلك ، وانضم إليه من المجاهدين المتطوعين من العلماء والزهاد ، وغيرهم ستة آلاف متطوع ، فهزموا الأعداء ودحروهم ، وعادت بربشتُرُ إلى حياض الإسلام مرة أخرى ، وكان ذلك سنة (٤٥٧ هـ = ١٠٦٥)أى قبل وفاة عبد الله بن يوسف بسنة حيث أقر الله عينه بهذا النصر الذى كان له فيه دور مهم ،(١) وقد مضى التفصيل فى التمهيد من هذا البحث .

وتميز عبد الله بن يوسف بالإضافة إلى ذلك كله برقَّةِ الشّعور ، ورهافَةِ الحسّ ، وخصب الخيال ، مما نَمّى شاعريته ، فنظم قصائد وقال شعرا فى مناسبات مختلفة ادّخرها لنا ابن بسام فى ذخيرته ، كما أنه كان يكْتُبُ الرسائل فى أغراض أخرى غير الرسائل البلاطية التى كان يكتبها لملوك الطوائف .(٢)

وبعد هذه الرحلة الطويلة الحافلة استقر أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن عبد البر فى شاطبة المدينة التى كان يستقر فيها والده يوسف بن عبد البر ، منصرفا إلى القيام بمسئوليته كعالم عامل ، حتى وافته مَنِيَّتُه سنة (٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م) ، ولم تذكر لنا كتب التراجم التى بين أيدينا أى معلومات عن أحواله الأُسرية وغيرها لتُلقِى ضوءا نتعرَّف خلاله على حياة هذا الرجل بصورة أوضح وأشمل .

وكان لابن عبد البر بنت أسماها زينب ، كانت من صالحات النساء وعالماتهن ،

---

(١) الذخيرة : ابن بسام : ٣ : ١ / ١٨٩ ـــ ١٩٠
وانظر البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢٢٧ .

(٢) نفس المصدر : ابن بسام :
٣ : ١ / ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، وانظر : الجذوة : الحميدى : ٢٦٨ ، وانظر المغرب : ابن سعيد : ٢ / ٤٠٢ .

وقد أتيحت لها الفرصة أن تسمع والدها وما يحدث بينه وبين غيره من العلماء من مناظرات علمية إضافة إلى ماكان يدرسه لمُرتادِي بيته من طلاب المعرفة من داخل الأندلس وخارجه ، فتكونت لها بذلك حصيلة علمية جيدة [١] .

وعندما حلّت الفتنةُ فى قرطبة خرجت زينب مع والدها من قرطبة فَحلّت معه فى إشبيلية ، وبَطليوس ، وبلنسية وقُدِّرَ لها أن تتزوج فى بلنسية من محمد بن أحمد بن على اللخمى ، وهو من عائلات بلنسية المعروفة — لم نجد له ترجمة — فرزقت منه زينب بولد [٢] ، وذلك سنة (٤٤٣ هـ = ١٠٥١ م) واسمه عبد الله حمل العلم عن جده وكان له دور فى الثقافة الأندلسية كما سنرى بعد قليل .

ولم تُورد لنا كُتب التراجم تفصيلات عن جوانب حياة زينب بنت يوسف ابن عبد الله بن عبد البر ، ولم نحصل إلّا على ترجمة أوردها ابن الأبار فى تكملته ، وهى بضعة سطور ، قال فيها : « ولاأدرى هل توفيت فى حياة أبيها ، أم بعده » [٣] .

أحفاده :

استمرت شجرةُ بنى عبد البر تُورقُ وتُثمرُ ويُرفعُ ذكرها بذرية ابن عبد البر ، ولم تُترجم المصادر التى بين أيدينا لأحفاده من ابنه عبد الله ولكنى حصلت على ترجمة واحدة لحفيده من ابنته زينب وهو عبد الله بن على اللخمى الذى ملأ ذكره الأسماع وكان علما يشار إليه فى الأندلس والمغرب .

ولد عبد الله بن على بن أحمد بن على اللخمى الشاطبى [٤] ببلنسية سنة أربعمائة وثلاث وأربعين ، ونشأ وتعلم تعليمه الأول فيها ، ويبدو أنه توجه بعد ذلك إلى

---

(١) أشار محقق كتاب الصلة لابن بشكوال أنه قد وجد فى هامش المخطوط زيادة لأحد العلماء الذين قرءوا كتاب الصلة يقول فيه معلقاً على كنية أبى عمر ابن عبد البر : « من تقيدى هو عمر القاضى ودفن بمقبرة قرطبة » .

ولم أجد غير هذه الإشارة التى تبين أن لابن عبد البر ابنا آخر غير عبد الله اسمه عمر وهو الذى اشتهر ابن عبد البر بالتكنى به .

« انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٢٤٢ طبعة الهيئة المصرية للتأليف سنة ١٩٦٦ »

(٢) سير أعلام النبلاء : الذهبى : مخطوط : قسم ٢ج ١٢ / ق ١٦٦ . نسخة دار الكتب .

(٣) التكملة : ابن الأبار : مخطوط / قسم ٣ /ق ١٥٤ نسخة الأزهرية مصورة فى معهد المخطوطات .

(٤) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٢١ وانظر : الأعلام بمن حل : فى مراكش وأغمات من الأعلام . العباس بن

شاطبة ليكون قريبا من جَدِّه لأمّهِ يوسف بن عبد البر ، فأحاطه جدهُ بالعناية ، والرعاية فشبَّ محبا للعلم وطلبه ، وبلغ من ذكائه أنه سمع جده ابن عبد البر مُبكرا ، وفاز بإجازة منه لكل مؤلفاته ومروياته عن شيوخه ، وذلك سنة (٤٦٢ هـ = ١٠٧٠ م) .[(١)] واستمر عبد الله سبط ابن عبد البر يرتوى من ينابيع العلم . فلم يكتفِ بالتتلمذ على جدِّه حافظ المغرب ، بل تلقى العلم كذلك من كبار شيوخ عصره ، فلازم أبى الوليد الباجى سليمان بن خلف ، وروى عنهُ صحيح البخارى ،[(٢)] وسمع من أبى العباس العذرى صحيح البخارى ومسلم ،[(٣)] ولكن هذين الشيخين لم يجيزا له شيئا من مروياتهما ولاتآليفهما ولعله كان دون سن الإجازة عندما كان يحضر حلقاتهم العلمية .

ولم يستقر المقام بسبط ابن عبد البر فى الأندلس فهاجر إلى المغرب وسكن أغمات من مدنها ، ولاندرى ماهى الأسباب التى دعته للهجرة ولكن يبدو أن الأحوال السياسية المضطربة فى شرق الأندلس ، وخاصة عند هجوم النصارى على بلدته بلنسية ، والتنكيل بأهلها هو الذى دعاه لذلك .

وتألّق نجمُ عبد الله بن على سبط ابن عبد البر فى بلاد المغرب فهو المحدث الفقيه الزاهد ،[(٥)] واكتسب شهرته من شهرة جده يوسف بن عبد البر لذا حرص طلاب العلم ومشايخه على الجلوس إلى حلقته وطلب الإجازة منه . فكان ممن رووا عنه وأجازهم صهره القاضى عبد الله بن عمر السُّلمى زوج ابنته ،[(٦)] وعبد الله بن محمد بن سَهل الضَّرير (٤٩٠ — ٥٧١ هـ = ١٠٩٧ — ١١٧٦ م) ،[(٧)] وجابر بن

إبراهيم : ٨ / ١٨٩ ، ١٩٠ .

وانظر سير أعلام النبلاء : الذهبى : مخطوط : قسم ٢ / ج ١٢ / ق ١٦٦ .

(١)(٢)(٣) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٢١ .

(٤) ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قريبة من مراكش .

انظر مراصد الاطلاع : البغدادى : ١ / ٩٨ .

(٥) بغية الملتمس : الضبى : ٣٤٩ .

(٦) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٣٧ .

(٧) نفس المصدر : ٢ / ٨٤٩ .

غالب بن سليم الجُذامى[1]، وخلف ابن عبد الملك المشهور بابن بَشْكوال (٤٩٤ ــ ٥٧٨ هـ = ١١٠١ ــ ١١٨٣ م)[2] ومحمد بن أحمد بن عبد الملك أبو مروان الباجى (٥٦٤ ــ ٦٣٥ هـ = ١١٦٤ ــ ١٢٣٧ م)[3] وغيرهم ، ثم إن مكانته العلمية والاجتماعية أهَّلته لتولى قضاء أغمات حتى وفاته[4].

وقد سكن مع عبد الله بن على فى أغمات ابنته وزوجها عبد الله بن عمر السُّلمى من جزيرة شُقْر[5] (JUCAR) ويبدو أن الأحداث المُتأزمة فى الأندلس هى التى دعتهم لترك الأندلس وقد احتضن سبط ابن عبد البر ابنته وزوجها ، وكانت تربطه بزوج ابنته رابطة حب واحترام .

والوصية التى أوردها لنا ابن الأبار[6]، تكشف عن مدى صدق هذه الرابطة وقوتها ، فضلا عن أنّها تكشِفُ جانبا من أخلاق سبط ابن عبد البر ، ويبدو أن حُبّ أهل أغمات وإجلالهم لسبط ابن عبد البر ، وحسن تعاملهم معه جعله يستقر فيها حتى بلغ تسعين عاما من عمره فوافته منيته فى صفَر من سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة[7]: وبذلك تسقط ورقة نضرة من دوحة عائلة ابن عبد البر .

ولكن هذه الدوحة المعطاءة استمرت فى عطائها فكان أن ولد لسبط ابن عبد البر سبط اسمه : أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمى الأغماتى ولم يتخلف هذا عن أعلام أسرته فى العلم والفضل فقد تلقى علوم زمانه على شيوخ عصره ،

(١) نفس المصدر : ٢ / ٢٤٧ .
(٢) نفس المصدر : ١ / ٣٠٤ وانظر ابن الأبار : المعجم : ٨٢ .
(٣) افادة النصيح : ابن رشيد : ٩٦ .
(٤) التكملة : ابن الأبار : ١ / ٨٢١ .
(٥) جزيرة الأندلس قريبة عن شاطبة .. وبينهاوبين بلنسية ثمانية عشر ميلا ، وهى حسنة البقعة كثيرة الأشجار ، انظر الروض : ١٠٢ ــ ١٠٤ .
(٦) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٨٣٧ والوصية هى :
« ...إنك قد ابتليت بالقضاء وهو أمر عظيم ومحنة كبيرة فأوصيك بما أهونه عليك ، وينفعك الله به ، لاتبيتن وفى قلبك غش ، أو عداوة لأحد من خلق الله »
(٧) نفس المصدر : ٢ / ٨٢٢ ، وانظر البغية : ٣٤٩ .
(٨) المصدر السابق : ١ / ٦٧٦ .

حتى بلغ مكانة مرموقة بين أقرانه ثم إن عمر بن عبد الله هذا قد ترك أغمات إلى فاس وحل فيها معززاً مكرماً لما يتبوءه من علم ونسب ، وأهله ذلك لتولى قضاء فاس وذلك سنة ستين وسبع وخمسمائة [1]، فاشتهر بحسن القضاء بين الناس حتى وصِف « بالقاضى العدل الرضا » [2] لفضله وورعه ، دفعت هذه الأخلاق أحد أعلام عصره ومشاهير علمائه وهو محمد بن على القيسى المشهور بابن الرّمامة (٤٧٨ — ٥٦٧ هـ = ١٠٨٥ — ١١٧١ م) [3] أن يوصى بأن يُصلى عليه أبو حفص سبط سبط ابن عبد البر ، وكان محمد بن على القيسى هذا قد ألّف كتاباً يشرحُ فيه كتاب التَّقصى ليوسف ابن عبد البر — الذى أصبح علماً على عائلته — وأسماه (التقصى عن فوائد التقصى) [4]، ولعلّ هذه الرابطة العلمية بين القيسى وابن عبد البر الجد — على البعد الزمنى — هى التى جعلته يُكرم أبى حفص فى الصلاة عليه ، وكان عمر بن عبد الله آخر ورقة فى شجرة بنى عبد البر تمكن البحث أن يصل إليها من خلال المصادر المتاحة .

ولعل البحث بعد هذه الرحلة الزمنية مع أفراد أسرة بنى عبد البر تمكن من أن يعطى صورة متكاملة لهذه الأسرة التى كان لأعلامها دور حضارى فى الأندلس والمغرب ، والتى كان رجالها من الذين يشار إليهم بالبنان فى أعصارِهم ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، وخلدوا ذكر ابن عبد البر إضافة إلى تآليفه وآثاره المعطاءة .



---

(١) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٦٧٧ .

(٢)افادة النصيح : لابن رشيد : ١٠٢ .

(٣ ، ٤) نفس المصدر : ابن رشيد : ٢ / ٦٧٦ .

الفصل الثالث

شيوخه وتلاميذه وأقرانه

المبحث الأول

شيوخ ابن عبد البر

لاشك أنّ أىّ شخصية علمية تتأثر بعوامل ومؤثرات متعددة تعمل على صياغتها ، وتشارك فى إنضاج اتجاهاتها الفكرية والأخلاقية ومن هذه المؤثرات الشيوخ والأساتذة الذين تتلمذ عليهم ، ويتفاوت أثرهم بحسب طبيعة العلاقة بين الطالب والأستاذ .

وسنرى بعد قليل أن ابن عبد البر قد تتلمذ وتلقى العلم على يد مجموعة من أساطين الفكر فى عصره [١] ، ولعل كثرة شيوخه كانت من الأسباب التى أدت إلى تفوقه ، وحصوله على اتجاهات فكرية متعددة ، ومن خلال استقراء تراجم شيوخ ابن عبد البر نجد أنّه لازم نُخبة منهم ملازمة كانت لها آثارها فى شخصيته ، وبخاصة مشايخه الذين لازمهم بعد مرحلة التأديب أمثال : ابن الفرضى ، وابن المكوى الإشبيلى ، وأبى عمرو بن الميسور ، وأبى عمر الطّلمنكى ، وسعيد بن نصر ، وخلف بن القاسم ، وعبد الوارث بن سفيان وغيرهم من مشاهير عصر بن عبد البر فى الأندلس ولوتقصّينا سيَرهُم وأخبارَهُم لوجدنا فيهم العالم العامل والزاهد المجاهد [٢] ، والقاضى العادل ، والآمر بالمعروف الناهى عن المنكر الذى لايفزعه خليفة ولاسلطان ، ولاتأخذه فى الحق لومة لائم [٣] ، ومنهم الجماعّةُ لكتب العلم المسفِر فى طلبه والمُنْشغِل بتعليم طُلابه [٤] ، فقبس ابن عبد البر من هؤلاء الأفذاذ متخذا منهم الأسوة والقدوة فى سلوكه ومواقفه .

وقد رصد ابن خلدون مثل هذه الظاهرة وأودع رأيه فى مقدمته فقال : [٥]

---

(١) وقد ذهب الذهبى فى كتابه تاريخ الإسلام أن شيوخ ابن عبد البر لا يبلغون سبعين نفسا . « مخطوط وفيات سنة ٤٦٣ هـ) وقد أحصيت له مائة وسبعة من الشيوخ ممن تلقى عنهم من خلال كتب التراجم التى ذكرتهُم تصريحا ، وقد يكون هناك ممن أدركهم وأخذ عنهم ، ولكن كتب التراجم لم تنقل أنه روى عنهم .

(٢) انظر الجذوة : الحميدى : ٥٤ ، ٥٦ ، ٢٩٦ .

(٣) انظر : ابن بشكوال الصلة : ٣٢٣ .

(٤) نفس المصدر : ٤٥ ، ٢٥١ ، ٣٠٩ .

(٥) المقدمة : ابن خلدون : ٣ / ١٣٥٥ .ط٣

« إن البَشَر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء ، وتارة مُحاكاة وتلقينا بالمُباشرة ، إلاّ أنّ حصول المَلَكات من المباشر والتلقين أشدُّ استحكاماً ، وأقوى رسُوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها » .

تعريف ببعض شيوخ ابن عبد البر :

وننتقل الآن للحديث عن شيوخ ابن عبد البر لنتعرف على مواهبهم واتجاهاتهم الفكرية التى كان لها الأثر الكبير فى بناء شخصيته ، ولكثرة هؤلاء الشيوخ فإننا سنكتفى بالتعريف بأشهرهم ممر تأثر به ابن عبد البر وقدّمه على غيره .

أولا : أحمد بن عبد الله بن محمد بن على الباجى

وكان الباجى يكنى بأبى عمر وهو من كبار علماء قرطبة نشأ فيها وترعرع . وكانت عائلته قد قدمت إليها من إشبيليه التى ولد فيها سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، وكانت عائلته معروفة بالعلم والفضل فوالده كان من علماء إشبيلية المشهورين بخاصة ، والأندلس عامة ، وكان واسع الثقافة ، وله رحلة إلى المشرق ، حيث أدى فريضة الحج ، والتقى بعلماء عصره ممن حالفه الحظ فى رؤيته وفى طريق رجوعه مكث فى مصر مدة ، وأخذ عن الحافظ عبد الغنى ابن سعيد ، « وكتب عنه ، وكان أضبط الناس لكتبه ، وأعلمهم بما فيها »[(٢)].

وقد وصفه ابن عبد البر بقوله :
« كان أبو عمر الباجى إمامَ عصره ، وفقيه زمانه ، جَمعَ الحديث ، والرأى والبيت الحسن ، والهدى والفضل ، ولم أر بقرطبة ولابغيرها من كُورِ الأندلس رجلا يُقاس به فى علمه بأصول الدين وفروعه ، كان يُذاكر بالفقه ، ويذاكر بالحديث والرجال . »[(٣)].

---

(١) الجذوة : ١٢٨ .
(٢) الجذوة : ١٢٩ ، والبغية : ١١ ــ ١٢ ، والصلة : ١٥٨ ــ ١٥٩ .
(٣) جذوة المقتبس : الحميدى : ١٢٨ ــ ١٢٩ .

لذلك فإن ابن عبد البر كان يُجلُّهُ ، ويحرص على ملازمته ، والتتلمُذِ على يديه ، وقد روى ابن عبد البر عنه كثيرا من المصنفات ، منها ما كان من تأليفه ، ومنها ما كان من تأليف غيره ، فأخذ عنه ابن عبد البر كتابه المشهور فى علم الرجال (التجريح والتعديل)[1] ، وروى عنه فى الرجال كذلك كتاب (رجال الموطأ)[2] لابن مُزَين ، وكتاب (الآحاد فى الصحابة)[3] ، (وكتاب الضعفاء والمتروكين)[4] لابن الجارود .

وروى عنه فى الفقه : (جامع سفيان الثورى الكبير فى الفقه والاختلاف)[5] ، وقرأ عليه (العتبية)[6] فى الفقه المالكى لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبه (وكتاب المنتقى لابن الجارود)[7]

وروى عنه فى الحديث : (مصنف بن أبى شيبة)[8] وهو فى مائة جزء ويقول ابن عبد البر : (حدثنى وأكمل قراءته من أوله إلى آخره)[9]

وقد قرأه عليه فى أحد مساجد قرطبة التى كانت كثيرة آنذاك[10] . وروى عنه (مسند بقى بن مخلد فى مئتى جزء)[11] وغيرها من المؤلفات التى تلقّاها ابن عبد البر عن شيخه .

واستمر أبو عمر الباجى يؤدى دوره فى الحياة العلمية بقرطبة حتى وافته منيته سنة ست وتسعين وثلاثمائة ودفن بمقبرة قريش وشيعه جمع عظيم من وجوه الناس .[12]

---

(١) الفهرسة : ابن خير الإشبيلى : ١٣٥ ، ٢١١ .

(٢) نفس المصدر : ٩٢ .

(٣)(٤) جذوة : الحميدى : ١٢٩ .

(٥) نفس المصدر : ١٣٦ .

(٦)(٧) جذوة : الحميدى : ١٢٩ .

(٨) (٩) (١٠) الفهرسة : ابن خير الإشبيلى : ١٣٣ .

(١١) ابن خير : نفس المصدر : ١٤٠ ، ١٤١ .

(١٢) الجذوة : الحميدى : ١٢٩ . الصلة : ابن بشكوال : ١٢ .

ثانيا : أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي :

يعرف بابن المُكَّوى ، ويكنى بأبى عمر ، وهو من علماء قرطبة الأجلاء وانتهت إليه رئاسة العلم فى قرطبة فى وقته ، وكان كبير المفتين فيها ، وشيخ فقهائها .[1]

وكانت ولادة ابن المكوى بقرطبة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة،[2] وشبَّ على ماشب عليه أقرانه فى طلب العلم فى الكتاتيب لتعلم القرآن والخط وبعد انتهائه من مرحلة الكُتاب والتأديب . اشتغل فى سوق البزازين[3] يتجر ، ولكنه مع هذا لم يترك الاستمرار فى طلب العلم والمطالعة والنظر فى الكتب فى جلوسه وحركته مما يدل على جديته وشغفه بالعلم . فبلغ بذلك شأواً ونال رتبة متقدمة فى ذلك حتى وصف بأنه يحيى بن يحيى الليثى فى زمانه .[4]

وعندما بلغ هذه المكانة الرفيعة وذاع صيته طلبه الخليفة المستنصر وكلّفه بتأليف كتاب جامع فى الفقه المالكى ينتفع به فى معرفة الأحكام وتفصيلها فاستجاب لذلك وطلب أن يشاركه فى ذلك أحد أقرانه من أفاضل العلماء ، وهو أبو بكر محمد بن عبد الله المُعَيطىّ ، وعند الانتهاء من العمل أسميا الكتاب (الاستيعاب) ، وذلك لاستيعابهم فيه كُلّ المسائل على مذهب مالك .[5]

وإضافة إلى هذه الرتبة العلمية التى نالها ابن المكوى فإنه كان « من أهل المتانة فى دينه والصلابة فى رأيه ، والبعد عن هوى نفسه »[6] ، وكان يَتعفَّفُ عن الوظائف ، فقد رفض مرتين قضاء قرطبة عندما طلب إليه الحكم تولى قضاءها واعتذر واستعفى ، ولم يُجب إليه البتّةَ .[7] ولكنه عندما دُعىَ إلى الشورى ليستشار

(١) الصلة : ابن بشكوال : ٢٢ .

(٢) نفس المصدر : ٢٣ .

(٣) البزاز وهو الذى يبيع البز نوع من القماش وأطلق على كل من يبيع الأقمشة انظر لسان العرب ١ / ٢٧٤ ، طبعة دار المعارف .

(٤) انظر ترتيب المدارك : ٤ / ٦٣٦ والديباج : ١ / ١٧٦ .

(٥) الصلة : ابن بشكوال : ٢٢ وانظر الجذوة : الحميدى : ١٣٢ ، ولكن الحميدى قال بأن ابن أبى عامر هو الذى طلب منه تأليف الاستيعاب والأكثرون على أنه الحكم المستنصر .

(٦)(٧) الصلة : ٢٣ ، وانظر الديباج المذهب : ابن فرحون ١ / ١٧٦ .

فى الأحكام والنوازل استجاب فانتفع به الناس ، ووثقوه فى أمورهم ولجأوا إليه فى مُهماتهم لِما وجدوه فيه من النزاهة ، وعدم المداهنة [١] ، وكان مع هذه الحظوة التى نالها لدى الحكام عزيز الجانب لايخاف فى الحق لومة لائم ، ولايُداهن فى قولة حق واجبة ، وعلى شدة تقريب المستنصر له ، كان « لايدع صدقَةُ فى النّصيحة ، ولو ضايق ذلك المستنصر ، وكان لايميل معه بهواه ، وكان القريب والبعيد عنده فى الحق سواء » [٢] .

ومع تبحُرِه فى الفقه المالكى كان لايتعصب لرأى فقهى فى الفروع ويلتزم متابعة ما كان عليه الجمهور ، فيذكر ابن عبد البر فى (استذكاره) أنه فى إحدى مناظرات الفقهيَّة ذهب ابن المكوى إلى ترجيح رفع اليدين فى التكبير للركوع وعند الرّفع منه . وعندما سأله ابن عبد البر عن سبب عدم عمله بهذا الرأى ، أو الأمر به ، فأجابه جواب العالم العاقل المُربى : « مُخالفة الجماعة على ماقد أبيح ليس من شيَم الأئمة » [٣] ؛ لأن جماعة المالكية فى الأندلس يومها كانت آخذة بعدم الرفع . وهذا الحادث جعل ابن عبد البر يُثنى على شيخه فيقول :

« كان أفضل مَنْ رأيت وأفقهَهمُ وأصحَّهم علماً » [٤] ، ووردت إشارات كثيرة فى كتاب (الاستيعاب) لابن عبد البر تدل على ملازمة ابن عبد البر لشيخه أبى عمر الإشبيلى . مما يدل على قوة العلاقة التى كانت بين التلميذ وأستاذه ، والتى كان لها أثرها الإيجابى فى بناء شخصية ابن عبد البر فى طريقة تناوله للأحكام الفقهية فى منأى عن التعصب الذَّميم ، فضلا عن الصدع بالحق ، والإحساس بالثقة بالنفس ، والاعتزاز بهيبة العلم .

وقد أثنى على ابن المكوى كثير من العلماء ، وأشادوا بتقدمه فى العلم ، فهذا القاضى المشهور « ابن زرب على تقدُّمِهِ وعلمه يقول :

---

(١) الترتيب : القاضى عياض : ٤ / ٦٣٦ ، وانظر الصلة ٢٣ .
(٢) الصلة : ابن بشكوال : ٢٣ ، وانظر الديباج : ابن فرحون : ١ / ١٧٦ .
(٣) انظر : الاستذكار : ابن عبد البر ٢ / ١٢٤ .
(٤) الاستذكار : ابن عبد البر : ٢ / ١٢٤ .

(يأصحابنا الحق خير ماقيل : أبو عمر والله أحفظ منّا كلنّا)[1].

وقال عنه ابن الشقاق : « رحمك الله أبا عمر فقد فضحت الفقهاء بقوة حفظك في حياتك ، ولتفضحنّهم بعد مماتك ، أشهدُ أنّي ما رأيت أحداً أحفظ للسنّة كحفظك ، ولاعَلِم من وجوهها كعلمك »[2]، وقد تُوفى أبو عمر المكوى سنة (٤٠١ هـ = ١٠١١ م) ودفن فى مقبرة قريش بقرطبة.[3]

ثالثا : خلف بن القاسم بن سهل الأزدى :

يُعدُّ من كبار شيوخ عصره ، وقد شارك ابن عبد البر فى الأخذ عنه بعض شيوخه أمثال ابن الفرضى.[4]

وكان خلف يعرف بابن الدَّباغ ، ويُكنى بأبى القاسم ، وولد فى قرطبة سنة ست أو خمس وعشرين وثلاثمائة ،[5] وتدرج فى طلب العلم وتلقى علوم عصره على مشاهير الشيوخ بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس ،[6] وكانت له رحلة لأداء فريضة الحج استفاد منها فى لقاء علماء الأمصار والمدن التى مرّ بها ابتداء بمصر ، ومروراً بالشام ومدنها كدمشق والرملة ، وعسقلان ، وبيت المقدس ، ثم توجه إلى مكة المكرمة ، فأدى فريضة الحج والتقى بمن حضر الموسم من علماء الأمصار . وقد أمضى فى رحلته هذه نحو خمسة عشر عاماً ابتدأها فى سنة ثلاثمائة وخمس وأربعين ، وقد كان عدد الشيوخ الذين تلقى عنهم خلف بن القاسم مائتين وستة وثلاثين شيخا ، وقيل ثلاثمائة روى عنهم مارووه عن شيوخهم من الروايات والكتب إضافة إلى مؤلفاتهم الخاصة ، وكان لابن المكوى الفضل الكبير فى إدخال الكثير من المصادر المهمة إلى الأندلس التى ألفها علماء المشرق فى مختلف العلوم ، وخاصة العلوم الإسلامية فى القراءات ، والحديث ، والفقه ، وعلم الرجال ،

---

(١) الديباج : ابن فرحون : ١ / ١٧٦ .

(٢)(٣) الصلة : ابن بشكوال : ٢٣ .

(٤) التاريخ : ابن الفرضى ١ / ١٣٦ ، والجذوة : الحميدى : ٢٠٩ .

(٥) التاريخ : ابن الفرضى ١ / ١٣٧ .

(٦) انظر : التاريخ : ابن الفرضى : ١ / ٣٨ ، ٦٧ ، ١١١ .

(٧) التاريخ : ابن الفرضى : ١ / ١٣٧ ، الجذوة : الحميدى : ٢١١ وانظر تذكرة الحفاظ : الذهبى : ٣ / ١٢٦.

والزهد ، وغيرها ، وتلقاها ابن عبد البر بدوره عنه ، وقد أورد لنا ابن خير الإشبيلي[(١)] قائمة بهذه المصادر المروية بالسند بطريق ابن عبد البر عن شيخه خلف ، مما يدل على أن ابن عبد البر كان كثير الملازمة له ، للثروة العلمية العظيمة التى كان يملكها خلف ، وكان ابن عبد البر لايقدم عليه أحداً[(٢)]، وأثنى عليه ثناءاً عاطراً بقوله :

« كان شيخاً فاضلًا ، مُحدِّثاً ، مُكثراً ، حافظاً ، وكان من أعلم الناس برجال الحديث ، وأكتبهم له ، وأجمعهم لذلك ، وللتواريخ ، وللتفاسير ، وهو محدّث الأندلس فى وقته »[(٣)]، وكان خلف إضافة إلى ذلك كله راوياً للشعر حافظاً لعُيونه ، مما يدل على ذوق ادبى ، وقد روى عنه ا ن عبد البر كثيراً من المقطوعات الشعرية فى مختلف الأغراض ، وضمّنها كتابه (بهجة المَجالس)[(٤)]. ثم إنّ ابن عبد البر على شدة مُلازمته لشيخه خَلَف ، وثنائه عليه لم يمنعه ذلك من أن يصفه بأنه لم يكن له بَصَر بالفقه ، واستنباط الأحكام لكون اختصاصه بالحديث وروايته هو الأغلب عليه .

وتُوفى خلف بن القاسم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة[(٥)].

رابعا : عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدى :

وكان مشهوراً بابن الفرضَى ، عالم جَهبذ من علماء قرطبة ، ولد فيها سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة فى شهر ذى القعدة فى اليوم التاسع منه الموافق يوم الجمعة ، وقد نشأ وشب فى بيت يُحب العلم والعلماء ، فدرجَ على مادرَجَ عليه أقرانه ، فأتمّ مراحل التعليم المتعارف عليها ، ثم أقبل على حلقات المشايخ الكبرى

---

(١) انظر الفهرسة : ابن خير الإشبيلى ٢٤ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ .

(٢) الجذوة : الحميدى : ٢١٠ .

(٣) جذوة المقتبس : ٢١١ وانظر : نفح الطيب : ٢ / ١٠٥ .

(٤) بهجة المجالس : ابن عبد البر : ١ / ١٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٦٦ ... الخ .

(٥) انظر الجذوة : ٢١١ وانظر بغية الملتمس : ٢٨٨ والديباج : ١/ ٣٥٥ ونفح الطيب : ٢ / ١٠٥ .

من أمثال :

خلف بن القاسم ، وعبد الله بن أسد الجُهنّى ، ويحيى بن مالك ابن عائذ ، وجماعة كثيرة سواهم[1]. ثم ارتحل إلى المشرق مؤدياً لفريضة الحج ، وطالبا للعلم ، فخرج من قرطبة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة متوجها إلى القيروان ، فمصر ، ثم مكة ، وهى مراكز الثقافة فى ذلك العصر ، فأخذ العلم عن كبار العلماء فى كل مدينة من هذه المدن[2] ، ثم انصرف إلى قرطبة وقد جمع علما كثيرا فى مختلف العلوم الإسلامية وخاصة فى الحديث ، وعلم الرجال والفقه ، إضافة إلى ذلك فقد كان بارعاً فى علم الأدب ، وتذوق الشعر ، وله نَظم فى ذلك روى لنا بعضه ابن عبد البر فى كُتبه . وكان ابن الفرضى واسع الرواية بليغ العبارة ، ماكان يلحن فى جميع كلامه من غير حوشية مع حضور الشاهد والمثل وكان جَمّاعاً للكُتب ، فملك بذلك مكتبة عظيمة يقصُر عن جَمعها عظماء بلده من الأغنياء وغيرهم على حد تعبير ابن جيان[3] لما احتوته من نفائس الكتب رواية عن مؤلفيها ، أو تلاميذهم المباشرين ، أو بخطوطهم ، والتى حصل عليها خلال رحلته[4] ، لهذا أقبل عليه العلماء يأخذون عنه حصيلته التى جمعها من المشرق رواية وإجازة ، وبعد هذه الحصيلة الثقافية الواسعة اتّجه للتأليف فألّف مجموعة من الكُتب . يصفها ابن عبد البر بأنها « مؤلفاتٌ حِسَانٌ »[5] ، وأشهرها : (تاريخ علماء الأندلس) ، (وأخبار شعراء الأندلس) ، وجمع فى الرجال (المؤتلف والمختلف) ، (ومشتبه النسبة) وغيرها .

وعند رجوع ابن الفرضّى من رحلته دعاه المظفر العامرى لتقلُّد وظيفة تليقُ به فاختار « قراءة الكتب فى عهد العامرية ، واستقضاه محمد المهدى بكورة بلنسية »[6]

---

(١) انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٢٥١ ، ٢٥٣
وانظر نفح الطيب للمقرى : ٢ / ١٣٠ .

(٢) انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٢٥٢ .

(٣) انظر : المصدر السابق : ٢٥٣ .

(٤) الفهرسة : ابن خير : (١٧٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ .. الخ) .

(٥) انظر : الصلة : ٢٥١ ، ٢٥٢ ، وانظر ابن خير : ٢١٨ .

(٦) الصلة : ابن بشكوال : ٢٥٣ .

زمن الفتنة فى قرطبة ، ثم ترك القضاء ، وكأنه كان مجبراً على العمل فيه ، وله من القصائد ما يدل على زُهده فى مخالطة الأمراء بعد ما رأى اختلاط الأمر واشتداد الفتنة فى تلك الفترة التى مرت بها قرطبة من (٤٠٠ – ٤٢٢ هـ = ١٠١٠ – ١٠٣١ م)[١].

أما صلة ابن عبد البر به فكانت صِلةً وثيقة جداً ، أخذ عنه كثيراً من العلم ، واشترك معه ابن عبد البر فى الأخذ عن بعض الشيوخ ، فعندما يثنى عليه يقول : « كان صاحبى ونظيرى أخذت معه عن أكثر شيوخه ، وأدرك من الشيوخ مالم أدرك أنا ، صَحِبْتُهُ قديما وحديثا »[٢]. وقد روى عنه ابن عبد البر مؤلفاته التى سبق ذكرها ، وكان سند ابن عبد البر الذى رُويت به هذه المؤلفات من أوثق الأسانيد وأعلاها ، وخاصة كتاب (تاريخ علماء الأندلس) الذى اعتمده كُلُّ من ألف فى تراجم علماء الأندلس ومشاهيرها أمثال : الحميدى تلميذ ابن عبد البر فى جذوته[٣]، والضبى فى بغيته[٤]، وابن بشكوال فى صلته[٥]، وابن الأبار فى تكملته[٦].

كانت الحرب الأهلية سجالا بين القرطبيين والبربر وعندما دخل البربر قرطبة ثانية فى (٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م) قاموا بقتل جَمٍّ غَفير من العلماء لمجرد أنهم

---

(١) انظر بهجة المجالس ١ / ٣٥٠ .

ولعل قراءة الكتب تعنى قراءة القرارات التى يتخذها الأمير وتُلقى فى حضرته على الحاشية ومن ثم إلى الأمة ، والأبيات هى :

مايشتهى قرب السلاطين ... غيرُ ضعيفِ العقل مجنون
لاتقربن منهم فما صَحبُهم ... منهمْ على دُنيا ولادين
دُنياهُمْ بالخزى موصولةٌ ... ولاتسَل عن دين مَفتون
خيرُهم فاعلْمهُ لا يُرتجى ... وشرهم ليس بمأمون
لا رأى لى فى نيل دنياهُم ... حسبى بأن يَسْلَمَ لى دينى

(٢) (٣) الصلة : ابن بشكوال أعلاه : ٢٥٣ .

الحميدى : جذوة المقتبس : ٢٠

(٤) الضبى : بغية الملتمس : ١٠

(٥) ابن بشكوال : الصلة : (١) .

(٦) التكملة : لكتابى الموصول والصلة ١ / ٧٠

تقلدوا وظائف فى حكومة ابن عبد الجبار أو أنهم لم يتحيزوا لأحد فى الفتنة لحماقة الطرفين المتنازعين وكان ابن الفرضى ضحية هذه الفتنة الهوجاء التى اختلطت فيها الأمور ، فقُتل مع من قتل وذلك يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة (٤٠٣ هـ).(١)

وقال ابن حزم(٢) **:**

« أخبرنى من رآه بين القتلى ، ودنا منه فسمعه يقول بصوت ضعيف : لايكلم أحدُ فى سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَم فى سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يسيل دماً اللّونُ لون الدم والريح ريحُ المِسك »(٣) ، وكان ابن الفرضى قد دعا الله فى الكعبة أن يرزقه الشهادة . وللظروف الصعبه التى كانت تمرُّ بها قرطبة كان الناس يَخشَون القتل إذا شاركوا فى دفن مثل هؤلاء العلماء ، وأخبر ابن عبد البر بأن ابن الفرضى « بقى فى داره ثلاثة أيام ».(٤)

وذكر ابن حيان أنّ ابن الفرضى « ووُرِىَ مُتغيراً من غير غُسل ولاكفن ولاصلاة »(٥) ، ومع هذا فابن عبدالبر لم ينس واجبه تجاه شيخه : فجازف بنفسه وشارك مع القلة التى شاركت فى دفنه خلسة عرفانا له بالفضل ، وأداء لحق الأستاذية والصحبة .

خامسا : عبد الوارث بن سفيان بن جبرون :

كان يكنى بأبى القاسم ويعرف بالحبيب من قرطبة .

كان لعبد الوارث تأثير مهم فى بناء ابن عبد البر العلمى والأخلاقى . لأنه من أوائل الشيوخ الذين تلقّى عليهم العلم ، وهومن أقران والده ، وكانت ولادته فى قرطبة سنة سبع عشرة وثلاثمائة حسبما أخبر بذلك أبو عمر بن الحذاء.(٦) .. نشأ

---

(١) ابن بشكوال : الصلة : ٢٥٣ .

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٢٥٤ ، وانظر نفح الطيب للمقرى : ٢ / ١٣٠

(٣ ، ٤) الصلة : ٢٥٢ ، وترتيب المدارك : ٤ / ٦٣٩ .

(٥) الصلة : ٢٥٣ .

(٦) الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٣ .

عبدالوارث فى مجالس العلم طالبا مُجدّا لبهاً وتدرج حتى تلقى عن كبار الشيوخ فى عصره أمثال : وهب بن مسرة ، وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفى ، وقاسم بن أصبغ وغيرهم.[1]

وقد أثنى أبو عمر بن عبد البر عليه بقوله :

« كان من ألزم الناس لأبى محمد قاسم بن أصبغ ومن أشهر أهل قرطبة بصحبته حتى يقال : إنّه قلّما فاته شيىء مما قرىء عليه ، سمع منه فى سنة اثنتين وثلاثين إلى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة »[2]

أى أنه بدأ التّلقى عن العلماء الكبار فى الحديث وسِنُه خمسة عشر عاما ولعل هذا سِنّ التحديث فى زمانه .

ولم تكن لعبد الوارث رحلة إلى المشرق ، لذلك تجده يلزم كبار العلماء ، ممن كانت لهم رحلة ، ويروى عنهم مانقلوه من المؤلفات إلى الأندلس ، وكان يتحرّى أعلى الأسانيد ، لذلك نجده يلزم قاسم بن أصبغ[3] الذى روى لنا كثيرا من المؤلفات بأسانيد عالية ، لتلقيه ، عن مُصنفّى الكُتب مباشرة ، أو من تلاميذهم المقربين ، فقد روى مباشرة عن إسماعيل بن إسحق القاضى ، وأبى بكر أحمد بن زُهير بن حزب ، المعروف بابن أبى خيثمة وأبى بكر أحمد بن أبى الدنيا ، وغيرهم .

وروى كذلك عن أبى محمد مضربن محمد ، صاحب بن معين ، وإبراهيم بن عبد الله ، صاحب وكيع بن الجراح ، وهم ممن لقيهم بن أصبغ ، فلازم بن عبد البر عبد الوارث ليحصل على هذه الذخيرة القيمة من المؤلفات فى العلوم الإسلامية المختلفة فى الحديث ، والفقه ، والتاريخ ، واللغة وغيرها . وصرّح بذلك ابن عبد البر بقوله : « ورأيت كثيراً من أصول قاسم بن أصبغ فرأيت سماعه فى جميعها وحدّث بعلم جَمِ .. وقرأت عليه »[4]

---

(١) نفس المصدر : ٣٨٢ ، الجذوة : الحميدى : ٢٩٥ .

(٢) الجذوة : الحميدى : ٢٩٥ وعند ابن بشكوال بدأ سنة ٣٣٣ ، وانظر الصلة ٣٨٢ .

(٣، ٤) جذوة المقتبس : الحميدى : ٢٩٥ ، ٢٩٦ وانظر بغية الملتمس : الضبى : ٤٠٠

فقرأ عليه ابن عبد البر مؤلفاته ، وكثيراً من مؤلفات غيره ، ومروياتهم ، وقد نقل لنا ابن خير الإشبيلي قوائم بالمؤلفات والمصنفات التي رواها عن عبد الوارث بن سفيان من طريق ابن عبد البر في شتى العلوم ونقلها لنا الحُميدي كذلك .

فمن مؤلفات[1] عبد الوارث التي رواها ابن عبد البر عنه : (الأنساب) ، (و فضائل قريش) ، (وأحكام القرآن) وهو على نسق كتاب إسماعيل بن إسحق القاضي ، (وحديث مُسدَّد بن مُسرهَد) ، (وغرائب حديث مالك مما ليس في الموطأ) ، (والمُجتبى في الفقه) .

وروى عنه ابن عبد البر مما ليس من مؤلفاته مما أورده ابن خير الإشبيلي في فهرسته ، ومن ذلك :

(تاريخ ابن أبي خيثمة »[2] ، (وكتاب المغازي لابن أبي خيثمة »[3] كذلك (والمغازي لموسى بن عقبة[4] ، (وسيرة رسول الله ﷺ) لمحمد بن إسحق رواية البكائي[5] ، (وأعلام النبوة) لابن قتيبة[6] ، (وكتاب المعارف لابن قتيبة[7] (وكتاب القطعان) لمحمد بن وضاح[8] ، (وجامع سفيان الثوري الكبير)[9] ، ومصنف أبي بكر بن أبي شيبة « ج١ »[10] ، ومُصنَّف وكيع الجراح[11] ، وكتاب غريب الحديث

وانظر الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٢ .

(١) الفهرسة : ابن خير : ٥١ ــ ٥٢ وما بعدها ...

(٢) نفس المصدر : ٢٠٦ وانظر التاريخ : ابن الفرضي : ٣٦٦ .

(٣) الاستيعاب : ابن عبد البر : ١ / ٢٢ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٢١ وانظر فهرسة ابن خير : ٢٣٠ .

(٥) الفهرسة : ابن خير ٢٣٣ .

(٦) نفس المصدر : ١٥١ .

(٧) نفس المصدر : ٣٧٧ وانظر جذوة المقتبس : الحميدي : ٢٩٦ .

(٨) نفس المصدر : ١٥٠ .

(٩) نفس المصدر : ١٣٦ .

(١٠) نفس المصدر : ١٣٧ .

(١١) نفس المصدر : ١٢٦ وانظر الجذوة : ٩٤٠ .

لابن قتيبة ،[1] (وكتاب الدلائل) لقاسم بن أصبغ[2] (وأحكام القرآن) لإسحق بن إسماعيل القاضى .[3] (وكتاب الزهد) لجعفر بن محمد بن شاكر الصائغ[4] (وكتاب العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى[5] وغيرها من الكتب التى ساهمت فى بناء الحضارة الإسلامية فى الأندلس .

كان عبد الوارث إلى جانب هذا العلم الجم والثقافة « شيخا صالحا عفيفا يتعيش من ضيعة ورثها عن أبيه »[6] مما جعله لايطلب بعلمه جاها ولاوسيلة يتوصل بها إلى الحكام وهذا الصنف من العلماء كان سمة وسمتا لكثير من علماء الأندلس .

وبعد رحلة طويلة عبر ثمان وسبعين من السنين توفى عبد الوارث بن سفيان « يوم السبت لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ... ودفن بمقبرة قريش وصلى عليه عبد الرحمن بن محمد بن فطيس القاضى »[7]

ومضى بذلك علم من أعلام الإسلام بعد أن قدم جهداً خيرا ضَمَّهُ إلى تلك الجهود التى سبقت لبناء الحضارة الإسلامية .



(١) الجذوة : الحميدى : ٢٩٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٩٦ وانظر الفهرسة : ابن خير : ١٢٤ .

(٣) الفهرسة : ابن خير : ٥١ ــ ٥٢ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧١ .

(٥) نفس المصدر : ٣٤٩ .

(٦) الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٣ .

(٧) الصلة : ابن بشكوال : ٣٨٣ .

المبحث الثانى

تلاميذ ابن عبد البر

لاشك أن ما اتصف به ابن عبد البر من سعة الاطلاع وقوة الحفظ والهمة فى التأليف ، فضلا عن حيازته لمؤلفات شيوخه والمؤلفات التى رواها عن علماء الأندلس السابقين جعله محط أنظار طلاب العلم فى مختلف الأصقاع فأقبلوا يتتلمذون عليه أو يتبادلون معه الرواية إن كانوا من أقرانه وطبقته بل إن أجيال العلماء الذين جاءوا من بعده كانوا يحرصون على لقاء تلاميذ ابن عبد البر بل تلاميذ تلاميذهم لئلا يفوتهم سند الرواية عنه[1]. ولم تقتصر الرغبة فى التتلمذ على يد ابن عبد البر على الرجال فقط ولكن طالبات العلم من النساء كنّ حريصات على هذا الأمر كذلك فمن فضليات النساء اللواتى رَوَينَ عنه : ابنته زينب وطونة بنت عبد العزيز ، وكفى بابن عبد البر فخرا أنه قدم لنا جيلا من العلماء الأعلام الذين بقيت أسماؤهم غرة فى جبين التاريخ .

فكان من تلاميذه علماء القراءات المشهورون أمثال : أبى داود سليمان بن نجاح (٤١٣ ــ ٤٩٦ هـ) ــ مولى المؤيد بالله الأموى ــ مقرىء الأندلس وأبى الحسن على بن عبد الرحمن الشاطبى المقرىء المعروف بابن الرّوش (ت ٤٩٦ هـ) .

ومن أعلام الأندلس فى الحديث الذين هم ثمرة علم بن عبد البر ، أبو على الحسين بن محمد الجيّانىّ (ت ٤٩٨ هـ) وهو من جهابذة المحدثين وكبار المسندين فى الأندلس .

وأبى محمد عبد الرحمن بن عتاب (ت ٥٢٠ هـ) الذى انتهى إليه علو الإسناد فى الأندلس ، وكان مدار الرحلة فى عصره .

وعلى رأس الموسوعيين من تلامذة ابن عبد البر ، الإمام أبو محمد على بن أحمد

---

(١) من هؤلاء : أبو طاهر السلفى أحمد بن محمد (٤٧٠ ــ ٥٧٦ هـ) سافر إلى الاسكندرية للقاء تلاميذ ابن عبد البر لعدم حصوله على فرصة للرحلة إلى الأندلس (انظر : مقدمة الاستذكار : الملغىّ : مخ الظاهرية ورقة : ١) .

ابن حزم الذى كان من الذين تتلمذوا على ابن عبد البر فى علم الحديث خاصة ، وروى عنه بالإجازة والتحديث المباشر كما سنبين ذلك .

ولم يقتصر الأندلس على شيوع تلاميذ ابن عبد البر فيه ، بل إن أحد تلاميذه كان من أساتذة المدرسة المستنصرية فى علم القراءات ، وهو محمد بن عتيق القيروانى المعروف بابن كدية (ت ٥١٢ هـ) .

وسنعّرف فيما يلى ببعض تلاميذه المشهورين ، والذين كان لهم دور فى الحركة العلمية فى الأندلس ولنتعرف على قوة الصلة بينهم وبين شيخهم بن عبد البر :

وقد أفردت ملحقا بتلاميذه لاستيفاء ذكر أسمائهم .

أولا : حسين بن محمد بن أحمد الغسانى الجيَّانى :

يعد أبو على الحسين بن محمد الغسانى من أنبغ تلامذة ابن عبد البر الذين نقلوا عنه ، وقد اشتهر اسمه فى الآفاق ، لبراعته فى العلوم الإسلامية ، وبخاصة علوم السنة ، فوصل فى وقته إلى رتبة رئيس المحدثين بقرطبة ، وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المُسندين .[1]

وأصله من الزهراء ، وولادته بقرطبة سنة سبع وعشرين وأربعمائة « فى آخر الساعة الثانية من ليلة الأحد لخمس خلون من المحرم » .[2]

وكانت عائلته قد تركت قرطبة إلى جيان ، واستقرت فيها فنسب إليها أبو على ، وكان والده من الزهاد المعروفين ، وعرف بالصلاح ، وحُبّه للعلم والعلماء ، مما شجع أبو على على الدرس والتحصيل ، وحضور حلقات المساجد وملازمة الشيوخ .

وقد أخذ أبو على عن كبار شيوخ زمانه ، واشترك مع ابن عبد البر فى الأخذ عن بعضهم مثل : أبى عمر الطَّلَمَنكى ، وأبى عبد الله محمد بن عتّاب ، وأبى

(١) انظر : الصلة : ابن بشكوال ١٤٢ ، ١٤٣ .
(٢) المعجم : ابن الأبار : ٧٨ .

الوليد الباجى وغيرهم . وتنقّل بين حواضر الأندلس طلبا للعلم ، ولم تُسنح له الفرصة للرحلة إلى المشرق . مَثَلهُ فى ذلك مثل شيخه بن عبد البر وغيره .[1]

وقد نال من علو الرتبة فى العلم « وكان من جهابذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، وعنى بالحديث وكُتُبِهِ وروايته وضبطه ، كان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له بصر باللغة والإعراب ، والمعرفة بالغريب ، والشعر ، والأنساب ، وجمع فى ذلك كله مالم يجمعه أحد فى وقته ، ورُحل إليه ، وعولوا فى الرواية عليه ، وجلس لذلك بالمسجد الجامع بقرطبة ، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهائها وجُلّتها ، ... ووصفوه بالجلالة ، والحفظ والنباهة ، والتواضع ، والصيانه »[2]، « وكان آخر المسندين بقرطبة » .[3]

من خلال هذه الثقافة الواسعة ، والمكانة المرموقة قدّم أبو على الغسانى للمكتبة الإسلامية مؤلفات قيّمة كانت لها الحُجّة بين العلماء . ومن أهم كتبه التى ذاع صيتها فى الآفاق ، وتسابق العلماء على تقييدها ، ووصل إلينا بعضها :
(١) كتاب (تقييد المُهمل وتمييز المُشكل من الأسماء والكُنى والأنساب مما ذكر فى الصحيحين) •

وقد رتبهُ الغسانى على حروف المعجم ، وتوجد نسخ من الكتاب ــ الذى مازال مخطوطا ــ فى مكتبات العالم .[4]
(٢) كتاب مختصر تاريخ ابن الفرضى .[5]

---

(١) الصلة : ابن بشكوال ١٤٢ وانظر المعجم : لابن الأبار : ٧٧ .
(٢) الصلة : ابن بشكوال ١٤٣ .
(٣) المعجم : لابن الأبار : ٧٨ .
(٤) انظر بروكلمان : ٦ / ٢٦٤ وذكر له عدة نسخ منها :
نسخة برلين : ١٠١٦١ عمومية ١٢١١ ((WEISWERILER) : ٩٦) باتنه : ٢ / ٥٣٨ : ٣٨٩٦ ــ بنكيبور : ١٢ / ٦٩٧
وانظر مصورات المغرب الثانية : معهد المخطوطات
وانظر مخطوطات مكتبة الأوقاف ــ بغداد برقم (١٠٦١) وقد اطلعت عليها .
(٥) بروكلمان : ٦ / ٢٦٤ ذكر له نسخه فى جارين ١٤٤٩ وفى بريل : ط١٣١ : ط٢ / ٧٧٣ .

(٣) كتاب الكُنى والألقاب .[١]
(٤) كتاب تسمية شيوخ أبى داود .[٢]
(٥) الاستدراك على الاستيعاب لابن عبد البر .[٣]

وغير ذلك من الكتب التى تدل على سعة علمه وفضله .

وقد كانت صلة أبى على الغسانى بشيخه ابن عبد البر وثيقة جداً ، فكان يؤم بيت ابن عبد البر ليقرأ عليه ، ويسمع منه عن قُرب . وبلغ من ثقة بن عبد البر بعلم تلميذه أنه طلَب منه إكمال كتابه الاستيعاب الذى شُهر به ابن عبد البر فقال لأبى على :

« أمانةُ الله فى عُنقك ، متى عثرت على اسم من أسماء الصّحابة لم أذكره إلا ألحقته فى كتابى فى الصحابة ...[٤]

وقد أكثر أبو على الغسّانى النّقل عن شيخه ابن عبد البر رواية ، وإجازة ، ولو ألقينا نظرة فى فهرسة ابن خير الإشبيلى لوجدنا أنه مامِن كتاب روى بسند عن ابن عبد البر ، أو مؤلف نسب إليه إلا كان اسم أبى على الغسانى تنتهى إليه سلسلة السند ، الذى يروى به الكتاب ، أو المؤلف عن ابن عبد البر . فكان خير حافظ لعلم أستاذه ومبلغ له من بعده .[٥]

وقد نقلت لنا المصادر كلاما يدل على عظم المكانة التى يحتلها بن عبد البر فى نفس تلميذه مقتدياً بذلك بشيخه ابن عبد البر فى الثناء على شيخه فيقول :

« سمعت أبا عمر بن عبد البر يقول : « لم يكُن أحد ببلدنا مثل أبى محمد قاسم ابن محمد وأبى عمر أحمد بن خالد الجباب : قال أبو على: وأنا أقول إن شاء الله :

---

(١) بروكلمان : ٦ / ٢٦٥ ذكر له نسخه فى لاله على بتركيا : برقم : ٢٢٨٩ .
(٢) الفهرسة : ابن خير : ١٢٠ .
(٣) أسد الغابة : ابن الأثير : ١ / ١٩ .
(٤) الروض : السهيلى ٦ / ٣٣٤ .
(٥) انظر الفهرسة : (٢٤ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٩١ .. الخ) .

إنّ أبا عمر لم يكن بدونهما ولامتخلفاً عنهما »[1]

وبعد تُطواف أبي على بالأندلس عادإلى قرطبة ليستقرّ فيها ، فأصيب بمرض أقعده فى الدار ، فلزم بيته قبل موته ، حتى وافتهُ مَنّيته فى ليلة الجمعة الموافق الثانى عشر من شعبان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ودفُن يوم الجمعة بمقبرة المربض بعد عمر قضاه فى تبليغ العلم وتعليمه .[2]

ثانيا : عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن :

ينتسب عبد الرحمن إلى عائلة مشهورة بكونها من الأسر العلمية التى يغلب على أفرادها الاشتغال بالعلم وطلبه[3] . وولد فى قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة فنشأ فى بيئة هيأت له من أول يوم كل ما يعينه على طلب العلم والمعرفة ، وكان لوالده محمد الفضل فى ذلك لأنه كان من أجلّة العلماء بقرطبة ، الذين برعوا فى علوم زمانهم ، فوصفه ابن بشكوال بقوله :

« كان بصيراً بالحديث وطُرقه ، وعالما بالوثائق وعللها ، مُدققاً لمعانيها لأيجارى فيها ... مُتَفنّناً فى فنون العلم ، حافظاً للأخبار والأمثال والأشعار »[4] ووصفه أبو على الغسّانى بأنه « كان من جُلّة الفقهاء وأحد العلماء الأثبات وممن عنى بالفقه ، وسماع الحديث دَهَرهُ ، وقيّدهُ فأتقنهُ ، وكتب بخطه علماً كثيراً ، وكان حسن الخط[5] جيد التقيد » وكانت له اجتهادات واختيارات من أقاويل العلماء يأخذها فى خاصة نفسه لايعلو بها إلى غيره »[6] مما يدل على بلوغه درجة الاجتهاد فى الفقه فضلًا عن أدبه فى تناول الأحكام خَلواً من التعصب الذميم الذى ينحو إلى اعتبار الرأى الاجتهادى مُلزماً للغير .

---

(١) انظر : الجذوة : الحميدى : ٢٦٩ ، الصلة : ابن بشكوال : ٦٧٨ .

(٢) الصلة : ابن بشكوال : ١٤٤ انظر المعجم : ابن الأبار : ٧٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣٤٨ وانظر الديباج : ابن فرحون : ٢ / ٤٧٩ .

(٤) الصلة : ابن بشكوال : ٥٤٤ .

(٥) نفس المصدر : ٥٤٦ .

(٦) نفس المصدر : ٥٤٥ .

فى ظل هذا الوالد تعلم عبد الرحمن فاغترف من علم والده منذ نعومة أظفاره « وسمع منه معظم ماعنده وكان المُمسك لكُتب أبيه للقارئين عليه فكثُرت لذلك روايته عنه »[1]

ولم يكتف عبد الرحمن بعلم أبيه فقط بل اتجه إلى أقران والده للأخذ عنهم ، فأخذ عن أبى مروان ابن حيّان المؤرخ كلّ كُتبه ، وأجازه ، مروياته . وتلقىّ علم القراءات على مكى بن أبى طالب المقرىء ، وقرأ بالقراءات السبع على أبى محمد عبد الرحمن بن محمد بن شعيب المقرىء وجود القرآن عليه . فكان ابن عتاب بذلك « حافظاً للقرآن العظيم كثير التلاوة له عارفاً برواياته وطرقه واقفاً على كثير من تفسيره وغريبه ومعانيه » .

وكان ملازماً لابن عبد البر فهو صِنو أبى الغسانى فى التَّلقِّى عن ابن عبدالبر ، فقد أجازه ابن عبد البر كلّ مروياته ، ومؤلفاته مما يدلُّ على اعتزازه به .
فلو استقرأنا فهرسة ابن خير لوجدنا صدق ذلك ، فما من كتاب رواه ابن خير بسند فيه ابن عبد البر إلا وكان عبد الرحمن بن محمد بن عتاب أحد الرواة عن ابن عبد البر وقد نال ابن عتاب بجده واجتهاده وملازمته لكبار علماء عصره مرتبة عاليه وصيتاً واسعاً حتى كانت « الرحلة فى وقته إليه ، ومدار أصحاب الحديث عليه لثقته وجلالته ، وعُلوّ إسناده وصحة كتبه ، وهو آخر الشيوخ الجُلّة الأكابر بالأندلس فى علو الإسناد وسعة الرواية »[2]، وكان يؤدى زكاة علمه بتبليغه « صابراً على القعود للناس مواظباً على الاستماع يجلس لهم يومَهُ كُلَّه وبين العشاءين »[3]، « ثم إنه شُووِرَ فى الأحكام بعد والده بقية عمره وكان صدرا فيمن يستفتى لسنه وتقدمه » .

وطال عمره وسمع منه الآباء والأبناء والكبار والصغار[5]. « حتى توفى رحمه الله

---

(١) الصلة : ابن بشكوال : ٣٤٨ .
(٢)(٣)(٤) الصلة : ابن بشكوال : ٣٤٩.
(٥) الديباج : ابن فرحون : ١ / ٤٧٩ .

ظهر يوم السبت ودفن ظهر يوم الأحد الخامس من جمادى الأولى من سنة عشرين وخمسمائة ، ودُفن بمقبرة الرَّبض قِبْلي قرطبة »[1] حيث دُفن صديقه أبو على الغسانى .

ثالثا : طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز عبد الله المعافرى :

وكان يُكنَّى بأبى الحسن ، وهو من عائلة معروفة برجالها الذين برزوا فى مختلف المجالات ، فمنهم من تولَّي القضاء ، ومنهم من اختير للمشاورة فى الأحكام ، وآخرون اشتهروا بالتدريس والإفتاء ، فمن هذه الدوحة كان طاهر بن مُفوَّز ، الذى ولد فى شاطبة فى شوال سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، ونشأ فى بيئة عائلته الصالحة يدرج فى مدارج العلم ، ويُقبل على حلقاته[2] ، فحفظ القرآن فى مساجد شاطبة ، وتعلم الخط وشهد له بحسن خطه وجودة ضبطه ، واعتنى بطلب الحديث عناية كاملة حفظاً وإتقاناً ، وتتلمذ على شيوخ عصره ، فكان من شيوخه : ابن حيان ، وأبى القاسم حاتم بن محمد الطرابلسى .[3]

وإضافة إلى براعته فى الفقه والحديث كان ينظم الشعر . وله شعر حسن نقلته المصادر ، وجمع إلى علمه فضلًا وصلاحاً مع ورع وتواضع .[4]

وكان طاهراً وثيق الصلة بشيخه ابن عبد البر ، وقد كان من الملازمين له فى أواخر حياته ، وإليه انتهى علمُ بن عبد البر واعتبر سنده أعلى الأسانيد ، وروى عن ابن عبد البر كثيرا ، وتعتبر مروياته من أوثق الروايات عن ابن عبد البر ، وكان شيخه ابن عبد البر يميل إليه ، وينبسط معه فى الحديث ، وطاهر هو الوحيد الذى نقل إلينا أصح ماروى فى تاريخ ولادة ابن عبد البر وذلك بقوله : « أرانيه الشيخ ــ ويقصد ابن عبد البر ــ بخط أبيه عبد الله بن محمد رحمه الله . »

---

(١) الغنيه : القاضى عياض : مخ ٩٢ ــ ٩٣ .
وانظر : البغية : الضبى : ٣٥٧ .
(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٢٤٠ .
(٣) الصلة : لابن بشكوال : ٢٤١ .
(٤) البغية : الضبى : ٣٢٧ .

وهو كذلك الذى صلى على ابن عبد البر عند وفاته ، مما يدل على قوة صلته بشيخه وحُبّه إياه ، فضلا عن مكانته فى قومه الذى أهله للصلاة على عالم كان مِلء السمع والعين .

وكانت « وفاة طاهر بن مفوز فى شاطبة يوم الأحد الموافق الرابع من شعبان سنة أربع وثمانين وأربعمائة » .

رابعا ابن حزم على بن أحمد الأندلسى :

هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم كان فى بيت معروف المكانة وكان والده أحمد بن سعيد من وجوه قرطبة وأعيانها تولى الوزارة للحاجب المنصور بن أبى عامر .

وكانت ولادة ابن حزم فى قرطبة ليلة الأربعاء من شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة .[1]

نشأ ابن حزم ، وترعرع فى بيئة غنية تَعُجُّ بالخدم والحشم فتربى على أيدى المُربيات اللواتى كُنّ فى قصر أبيه ، وتعلم على أيديهن قراءة القرآن ، ورواية الأشعار وحفظها ، فضلا عن الاهتمام بالخط وتحسينه ،[2] وكان يرافق والده فى صباه إلى مجالس المظفر العامرى الأدبية ، فيسمع ابن حزم فيها كبار الشعراء يلقون شعرهم أمثال صاعد اللغوى ، وغيره من رواد مجلس المنصور .[3]

وفى حدود سنة أربعمائة اتّجه لطلب الفقه والحديث إثْر خطأ وقع فيه استوجب الانتقاد عليه ، فعقد العزم على التبحر فى الفقه . فوفَّى بعهده وبلغ الغاية ، وتألـقَّ نجماً ساطعاً بما ألَّفهُ من غُرر الكُتب التى تداولها الناس إلى زماننا هذا ، حتى قال عنه تلميذه صاعد الطَّليطلى : « أخبرنى ابنه الفضل المُكنى بأبى

---

(١) الجذوة : الحميدى : ٣٠٩ ، والبغية : ٤٠٦ .
وانظر طبقات الأمم : صاعد الطليطلى ٩٩ .
(٢) طوق الحمامة : ابن حزم : ٧٥ .
(٣) الجذوة : الحميدى : ٢٤١ .

رافع : اجتمع عندى بخط أبى من تواليفه فى الفقه والحديث والأصول ، والنحل والمِلَل ، وغير ذلك من التاريخ ، والنسب ، وكتب الأدب ، والرد على المعارضين نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شيء ما علمناه من أحد ممن كان فى دولة الإسلام قبله إلا لأبى جعفر بن جرير الطبرى فإنه أكثر أهل الإسلام تأليفاً .... » .[1]

وقد تعرضت عائلة ابن حزم إلى محنة سياسية اضطر معها للخروج من قرطبة بعد هَيمنة البربر عليها وذلك سنة (٤٠٤ هـ = ١٠١٤ م) قاصدا المَرِّية واختلف مع حاكمها خيران مما اضطره لسجنه فترك المَرِيَّة بعد ذلك إلى بلنسية ، والتقى بالمرتضى الأموى وانضم إليه ، وتوجَّه معه إلى قرطبة لاستعادة الخلافة من الحمُّوديين ، ولكنه أسر فى غرناطة سنة (٤٠٨ هـ) ولم يتمكن بن حزم من العودة إلى قرطبة إلا سنة (٤٠٩ هـ) . وبقى فيها ، ولما تولى الخلافة عبد الرحمن المستظهر سنة (٤١٤ هـ) جعله وزيرا عنده . ولم يمر إلا شهر ونصف حتى قتل المستظهر وسجن ابن حزم ثم عفى عنه ، ولما تولى هشام المعتمد ولى ابن حزم الوزارة كذلك . ولكن بن حزم لم يلبث أن ترك العمل السياسى[2]. واتجه للعمل العلمى ، والتأليف ، واستمر على ذلك تتجاذبه المناظرات العلمية المختلفة ، فقهية وفلسفية وكلامية ، مما جعله يحتكُّ بكثير من أهل عصره ولعل ماوقع بينه وبين أبى الوليد الباجى صورة صادقة لتلك المناظرات[3].

أما طبيعة العلاقة بين ابن حزم وابن عبد البر فقد كانت علاقة تلمذة وصداقة ، فقد تلَقّى ابن حزم عن بن عبد البر علم الحديث[4]، وصاحَبَهُ فى الأخذ عن شيوخه كذلك أمثال : ابن الفرضيّ وابن الجَسُور . ولو تصفحنا كتاب « الأحكام

---

(١) طبقات الأمم : صاعد الطليطلى : ٩٦ .

وانظر لسان الميزان : ابن حجر : ٤ / ترجمة رقم : ٥٣١ .

(٢) انظر : ابن حزم مؤرخا د. عبد الحليم عويس : ٤٨ ـــ ٥٠ ، ٥٥ .

(٣) انظر : ابن حزم مؤرخا : د. عبد الحليم عويس : ٥٧ ، ٦٠ ـــ ٦٢ .

(٤) ترتيب المدارك : ٤ / ٨٠٩

وانظر سير أعلام النبلاء : الذهبى : مخ دار الكتب المصرية لوحة ١٨٤ .

فى أصول الأحكام » لابن حزم لو جدنا أنه يروى عن ابن عبد البر فى مواضع عدة من الكتاب بلفظ السّماع مرة ، وبلفظ الإجازة مرة أخرى ، وروى عنه فى كتب أخرى كذلك[1]. وقد توهم البعض فى أن ابن عبد البر كان تلميذا لابن حزم[2]؛ ولعل ذلك سبب شهرة بن حزم التى نالها لعلمه ، فضلا عن الظروف السياسية التى مرّ بها ، والمناظرات الحادّة التى ناظر بها علماء عصره . ولكن بتتبُّع ماكتبه بن عبد البر من الكتب المطبوعة ، وبعض ماوقعت عليه من المخطوط لم أجد إشارة تشير إلى أنه قد نقل عن ابن حزم أو روى عنه .

ثم إنّ ابن حزم يذكر ابن عبد البر فى رسائله ، ويُضفى عليه صفة الإمامة والاجتهاد ، «[3]وحسبُك بأبى محمدمُثنياً ، وكان من أقرانه ، وجرت بينهما مناظرات ومناقرات ومع ذلك فيروى عنه بالإجازة »[4]، وكان يُثنى على مؤلفات ابن عبد البر ، وقد قدم لنا ابن حزم فى رسالته فى فضل الأندلس قائمة بهذه المؤلفات القيّمة[5]. ويبدو أنه لم يتعرض لابن عبد البر بلفظ شديد ، أو جارح على ماعُرف به ابن حزم على الرغم من أنّ ابن عبد البر قد ردَّ على بن حزم فى كتابيه (الاستذكار)[6] ، (والتمهيد) ، ولكن هذه الردود كانت تلسيحاً وليست تصريحاً ، ومع هذا الاختلاف فى الرأى فإنّ ابن عبد البر « كان ينبسطُ لابن حزم . ويأنس به »[7] .

---

(١) انظر الأحكام : ابن حزم : ٨ / ١٠٦٧ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ... الخ .
وانظر رسالة فى فضل الصحابة : لابن حزم : ١١٥ نسخ سعيد الأفغانى ونقل عنه فى كتاب الفصل فى الملل والنحل ٤ / ٧٤ ، ١١٢ ، ١٣٤ بلفظ « حدثنا وقال لى » .

(٢) هب إلى ذلك جونثالث بالنثيا فى كتابه : تاريخ الفكر الأندلسى . وذكر أن ابن عبد البر من مدرسة ابن حزم التى أطلق عليها اسم الحزمية : ٢٣٧ .

(٣) جوامع السيرة ورسائل أخرى : ٣١٨ .

(٤) مقدمة الاستذكار للحافظ السلفى مخطوط الظاهرية ورقة ١٢٠ ضمن مجموع رقم ٧١ .

(٥) انظر : فضائل الأندلس لابن حزم ملحق بكتاب تاريخ الأدب الأندلسى لإحسان عباس : ٣٥٩ .

(٦) انظر : الاستذكار : ابن عبد البر : ١ / ١٠٢ ، ١٠٦
وانظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب : ٢ / ١٧٦ .

(٧) سير أعلام النبلاء : الذهبى : مخ دار الكتب المصرية ورقة : ٧١٤ .

وبعد أن بلغ ابن حزم ستا وستين سنة من العمر قضاها فى رخاء وشدة ، وفرح ، وحزن ، وطمأنينة وخوف ، وخاض الأحداث السياسية فى عصره مساهما فى النهضة الحضارية فى عصره بعلمه وتدريسه ، بعد هذه الحيوية والنشاط انطفأت هذه الجذوة ليلة الاثنين فى ثمان وعشرين من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة فى قرية مِنْت لبشَم من أعمال لَبْلَة .(١)

خامسا : محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميدالأزدى :

وهو المشهور بالحميدى ، نابغة آخر من تلامذة ابن عبد البر ، وهو من أهل قرطبة ولد فيها قبيل سنة (٤٢٠ هـ) عشرين وأربعمائة (٢) ، واهتم به أبوه منذ صغره . فكان يحمله على كتفه وهو ابن خمس سنين ليسمع من العلماء مما جعل ذهنه يتفتح للعلم وسماعه ، وكان أول سماعه سنة ٤٢٥ هـ على أصبغ بن راشد وعلى حداثة سنه كان يقول : « كنت أفهم مايُقرأ عليه وأفصح من يقرأ عليه » (٣) ، وعندما شب بدأ يلازم مَشْيَخة بلده أمثال : ابن حزم ، وابن حيان وابن عبد البر ، وكان من شدة انكبابه على العلم والاجتهاد فيه « ينسخ بالليل فى الحر ،ويجلس فى إجانة ماء يتبّرد به » (٤)

وكان لقاؤه بابن عبد البر على الأرجح فى دانية أو شاطبة لأن ابن عبد البر كان فى شرق الأندلس يوم أن ترك الحميدى الأندلس إلى المشرق وكان ذلك سنة (٤٨٨ هـ = ١٠٩٥ م) فاتجه إلى بغداد ماراً بمصر فتناظر مع شيوخها ، وحمل عنهم العلم وحملوا عنه ، ثم واصل رحلته فحلَّ ببغداد والتقى بشيوخها

---

(١) انظر : الذخيرة تح . إحسان عباس : ابن بسام : ١ : ١ / ١٦٨

وانظر معجم الأدباء : ياقوت الحموى : ٢ / ٢٤٨

وقد قدم الصديق عبد الحليم عويس رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم بإشراف أستاذنا الدكتور/ أحمد شلبى ، عنوانها « ابن حزم مؤرخا » استوفى الكلام فيها عن جوانب شخصية ابن حزم .

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٥٦٠ وانظر نفح الطيب ٢ / ١١٢ .

(٣) نفح الطيب : المقرى : ٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

(٤) تذكرة الحافظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٩ .

والإجانة : إناء كبير كالإناء الذى تغسل فيه الملابس عندنا

وقد تألّق نجم الحمُيدى فى بغداد حيث روى عن أكبر عالمين من علماء عصره حافظ المغرب ابن عبد البر وحافظ المشرق الخطيب البغدادى مما هيأ له ثروة علمية ضخمة ، فوصفه الذهبى بقوله : « كان إماما فى علم الحديث ومعرفة مُتونه ورواته ، مُحققاً فى علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث مُتبحّرا فى علم الأدب والعربية »[١] ، وترك لنا تراثاً قيّماً فى جوانب المعرفة ، ومن مؤلفاته التى ذكرت له واشتهر بها :

١ ــ جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث والأدب :

وهو كتاب فى تاريخ الأندلس ، ومشاهير أعلامه ألّفهُ فى بغداد بناءً على طلب البغدادين فكتبه من حفظه ، ومن بعض المصادر التى أتيحت له ، واعتذر هو لذلك فى مقدمته عن هذا الأمر[٢]. مما جعله يتوهم فى بعض الأمور التى ذكرها فى كتابه ومنهاذكر سنة ولادة شيخه ابن عبد البر ، وسنة وفاته ، فذكر أنه ولد سنة (٣٦٢ هـ = ٩٧٠ م) وتوفى سنة (٤٦٠ هـ = ١٠٦٧ م) وقد حققنا ذلك فى الفصل الأول من هذا المبحث .

ومع هذا فيعتبر كتابه من أهم الكتب التى أرخت للأندلس سياسياً وحضارياً ، ومصدرا لايستغنى عنه كل باحث فى التاريخ الأندلسى .[٣]

٢ ــ الجمع بين الصحيحين :

ويعنى به الجَمع بين صحيح البخارى وصحيح مسلم وقد نال الحميدى بهذا الكتاب شهرة فى علم الحديث ، وتناقله العلماء وكثُرت نُسَخهُ فى مكتبات العالم ، ولم يحقق إلى الآن وقد اطلعت على نسخ عديدة منه[٤].

---

(١) تذكرة الحافظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٩ ونفح الطيب ٢ / ١١٣ .

(٢) جذوة المقتبس : الحميدى : ٥

(٣) وقد نشر عدة مرات منها :

طبعة عزت عطار الحسينى ، تحقيق محمد بن تاويت ، القاهرة ١٩٥٦ .

وطبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٦ ، القاهرة .

(٤) وقد اطلعت على عدة نسخ منها

٣ ـــ جزء فيه أخبار وأشعار :[١]

أما صلته بابن عبد البر فكانت وثيقة . فقد لازم ابن عبد البر ملازمة انتفع بها ، ولو راجعنا كتابه الجذوة مثلا لوجدنا أن النصوص المروية[٢] عن ابن عبدالبر تأتى من ناحية الكثرة بعد النصوص التى رواها الحميدى عن ابن حزم ، وذلك فيما يختص بتراجم الأندلسيين ومشاهيرهم ، ومصادر الحميدى فى ذلك رواية شيخه التاريخية وصيغتها « قال لنا ابن عبد البر » و « أخبرنا شيخنا » . والمصدر الآخر هو مؤلفات بن عبدالبر المكتوبة ، وفهرسة شيوخ ابن عبد البر على رأسها ، وكان ينقل عنها بصيغة : « ذكره ابن عبد البر فى شيوخه » أو « من شيوخ ابن عبد البر » ثم إنّ بن عبد البر قد أجاز الحميدى بأغلب مؤلفاته ومسموعاته فى مختلف العلوم التى كتب فيها أو تلقاها عن مشايخه[٣] .

وقد استمر الحميدى مُقيما ببغداد متصدراً لحلقات العلم حتى وافته مَنّيتهُ فى دار رحلته ببغداد سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وذلك فى شهر صفر من هذه السنة ودُفن فى مقبرة باب حرب عند قبر الرجل الصالح بشر بن الحارث الحافى[٤]، الموجود قبره إلى الآن فى منطقة الأعظمية المعروفة ببغداد مجاور جامع الإمام أبى حنيفة رحمهم الله تعالى .

= نسختان فى مكتبة الأوقاف / ببغداد

وثلاث نسخ فى معهد المخطوطات بالقاهرة

وأربع نسخ فى دار الكتب المصرية

الأولى برقم (١٩٠٠ حديث) الثانية : (ب / ٢٠٣٣٢) الثالثة برقم (٢٠٠ حديث تيمور) الرابعة : (٣١٢ حديث تيمور)

(١) منه نسخة فى دار الكتب المصرية ذكرت فى فهرس الدار برقم (ب ٢٥٥٧١) .

(٢) عدد النصوص التى أسندها صراحة إلى بن عبد البر كانت واحدا وثمانين نصاً ، ولعله نقل عنه نصوصا أخرى لم يسندها إلى بن عبد البر لأنه ألف كتابه وهو بعيد عن كثير من مصادره ومكتوباته وقد اعتذر لنفسه بذلك فى مقدمة كتابه : ١ ، ٢ .

(٣) انظر : الصلة : ٥٦٢ .

وانظر : تذكرة الحفاظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٨ .

(٤) انظر : الصلة : ابن بشكوال : ٥٦٣ .

وانظر : تذكرة الحفاظ : الذهبى : ٤ / ١٢١٩ .

المبحث الثالث

أقران ابن عبد البر

كان القرنان الرابع والخامس قرنى الازدهار الحضارى فى الأندلس انتعشت فيهما الحياة العلمية بكل جوانبها ، وعاش فى ظل هذا الانتعاش الحضارى آلاف العلماء الأعلام الذين أسهموا فى بناء الحضارة الإسلامية فى الأندلس .

وكان ابن عبد البر أحد دعائم الحركة العلمية فى هذه الفترة التى كانت تزخر بالعلماء من كل اختصاص وفى كل جانب من جوانب المعرفة ، وقد ربطت ابن عبد البربكثير منهم الصُّحبة والمُعاصرة ، وقد تبوأ كثير من هؤلاء الأصحاب والأقران مكانة مُتميزة فى المجتمع الأندلسى خاصة والمجتمع الإسلامى عامة ، فمنهم من تولى الوزارة ، أو القضاء أو التدريس ، وخفق علمهم بالآفاق وتطلعت إليهم الأعناق .

وقبل أن نتحدث عن أشهر أقران ابن عبد البر وأكثرهم صلة به ، لابد أن نشير إلى أنه كان هناك من العلماء من ربطته بابن عبد البرالمعاصرة وطلب العلم ، ولكن المصادر لم تُورد لنا تفصيلات عن طبيعة العلاقة بين ابن عبد البر وبعض أقرانه ، ومعاصريه المشهورين ومن هؤلاء : ابن حيان أبى مروان حيان بن خلف بن حُسين بن حيان (٣٧٧ ــ ٤٦٩ هـ = ٩٨٨ ــ ١٠٧١ م) ، المؤرخ المشهور صاحب (المقتبس تاريخ الأندلس) وغيره من الكتب التى أرّخ فيها للأندلس .

ومن الغريب أن ابن حيان لم يذكر ابن عبد البّر موضوع البحث فى كتبه التى وقعت تحت يد الباحث ، ولربما ذكره فى كتبه المفقودة التى لم يُكشف عنها .

ومن أقرانه : ابن سيدة اللغوى ، وأبو عمر الدانى المُقرى وغيرهم .

وسنتحدث فيما يلى عن مجموعة من أشهر أقرانه وأصحابه :

أولا : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمى :

هو عميد الأسرة العبادية ، وبه دخلت الحياة السياسية بالأندلس زمن الطوائف « صَحِب أبا عمر بن عبد البر فى السّماع قديما على بعض شيوخه » ، وكان مُعتنيا بالعلم وطلبه فروى فى قرطبة عن أبى محمد الأصَيلىّ ، وأبى محمد الباجى ، وتدرج

فى طلب العلم حتى بلغ الغاية ، وعَدُّوه « آية من آيات الله عِلماً ومعرفة ، وأدباً ، وحكمة »[1] ، وكان « معلوما بوفورِ العقل ، وسُبوغ العِلم والزكانة مع الدّهاء وبُعد النّظر »[2] ، وضَمّ إلى هذا العلم المقدرة على الكَسْب ، والتدبير فكان صاحب تجارة ، وزراعة ، فأثرى حتى كان من الأغنياء المعدُودين فى الأندلس .

ولعل هذه المكانة التى بلَغها جعلت المنصور بن أبى عامر يختاره لقضاء إشبيلية ، واستمر فى هذا المنصب حتى سقطت الخلافة ، فتولّى تسيير شؤون إشبيلية وتوابعها على أحسن وجه ، حتى نزل الماء فى عينيه ، فأنابَ ابنه أبا القاسم القيام بأمر القضاء « واقتصر هو على شياخة البلد ، وتدبير الرأى فيها فحمى إشبيلية من سطوة البربر النازلين حولها بالتدبير الصحيح والرأى الرجيح ، والنظر فى الأمور السلطانية إلى أن أتاه أجله فى سنة أربع عشرة وأربعمائة » .[3]

وللصلة القوية بين ابن عبد البر وابن عباد جعلت ابن عبدالبر يتوجه إليه بعدخروجه من قرطبة عند وقوع الحرب الأهلية فى قرطبة ، فوجد بجوار صديقه ورفيق دراسته الراحة والاطمئنان ، ونستطيع معرفة مدى حُب ابن عبد البر للقاضى ابن عباد ، ومدى الاحترام الذى يُكنّه له من خلال أبيات نظمها له يمدحه وينصحه فيها ببعض النصائح الطيبة ، وقد ضمّن هذه الأبيات فى كتابه الأدبى « بهجة المجالس »[4] .

والأبيات هى :

يا سَليلَ الكِرامَ من آل لَخمٍ ... وأخا الرأى والدَّها والوفاءِ
إنّ لى من سِقام جسمكَ سُقماً ... ثابتاً فى الفؤادوالأحشاء
وبقلبى ممابجسِمك ضَعفُ ... للذى تَشتكى من الأدواء
وبودّى لو كُنتُ عنك فداءً ... بدلًا عند هجمِة الضّراءِ

(١،٢) الحلّة السيراء : لابن الأبار ، تحقيق حسين مؤنس ٢ / ٣٧ .
(٣) البيان المغرب : ابن عذارى ٣ / ١٩٤ .
والحلّة السيراء : ٢ / ٣٧ ، وانظر : تاريخ قضاة الأندلس : البناهى : ٨٤ .
(٤) (انظر : ١ / ٣٩١) .

فاقبل النُّصح سيدى واسمَع القو ... ل فإنى أحكى عن الحكماء

....

وعليك الدّعاء فالله يُشفى ... ليس شاف سواه من كُل داءِ

نِعمَ عون العَليل توبَةُ صدقٍ ... وكذا البِرُّ جالبٌ للشّفاء

وسلامٌ عليك مِنّـى دَأبا ... ماجَرى الدّمعُ قاطعاً للسماء

***

ثانيا : أبو عمران موسى بن عيسى بن حاج الغَنجُومىّ :

وأبو عمران هذا كان لصيقاً بابن عبد البر ، وقد صاحَبهُ يوم أن جاء من مدينة فاس بالمغرب ليأخذ العلم عن علماء قرطبة فى عصره ، بعد أن تتلمذ على أيدى كبار العلماء فى بلده أمثال أبى الحسن القابسىّ وغيره (١) .

فكان من حُسن حظه أن التقى بابن عبد البر أول قدومه قرطبة ، فتولى ابن عبد البر مُهمّة إيصاله بعلماء وشيوخ قرطبة الذين كان يتلقى عنهم مثل : عبد الوارث بن سفيان ، وسعيد بن نصر ، وأحمد بن قاسم البّزاز ، « وقال ابن عبد البر : كان صاحبى عندهم ، وأنا دَللتُهُ عليهم » ؛ وكان هذا قبل سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) بمُدة (٢) .

وقد أثنى العلماء على أبى عمران لعِلمِه ، وفضلِهِ « فكان فقيهاً عالماً بفنون العلم منها : القرآن وعلومه ، والحديث وعلله ورجاله ، والفقه البارع مع الورع التام والهيبة والوقار والسكينة » (٣) .

وكانت لابن عمران رحلة إلى المشرق للأخذ عن كبار عُلمائه ، فضلاً عن تأديته لفريضة الحج ، فأخذ فى مصر علم القراءات عن أبى الحسن بن عبد الكريم

---

(١) معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان : لابن الدباغ ٣ / ١٥٩ .

(٢) بغية الملتمس : الضبى : ٤٥٧ .

الصلة : ابن بشكوال : ٦١١ .

(٣) معالم الإيمان ابن الدباغ : ٣ / ١٦٠ ، الديباج : ابن فرحون : ٢ / ٣٣٧ .

بن أحمد بن أبى جدار ، ثم توجه إلى مكة ، وأخذ عن أبى إسحق عبد الله بن محمد بن أحمد السّقطى[1] .

وبعد آداء الفريضة توجه إلى العراق ، فدخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وحضر مجلس أبى بكر بن الطيب بن الباقلانى القاضى ، وسمع منه ومن غيره ، وبعد هذه السياحة العلمية رجع إلى القيروان ، فأقرأ فيها القرآن مُدّة ثم درَّس الفقه ، وأسمَعَ الحديث ، واشتهر بها الشهرة التامّة ورحلَ إليه طلبة العلم من البلاد المختلفة ، وطارت فتاواه فى المشرق والمغرب [2] .

ولقد نقل لنا ابن عبد البر تاريخ ولادة هذا العالم لشدة اعتزازه به فقال : « ولدت مع أبى عمران فى عام واحد سنة ثمان وستين وثلاثمائة » [3]، مما يدل على أن أبا عمران قد أخبره بذلك .

وكان أبو عمران ذا هيبة عند العامة والخاصة لصلاحه ، وقوته فى الحق وكانت العامة تهرع إليه عندما تقع واقعة ، أو تنزل نازلة لاستفتائه فيها » [4] .

ومن هيبته واعتزازه بالحق موقفه من طبيب المعز بن باديس — بن عطاء اليهودى — عندما جاء ليسأله مسألة شرعية فطرده أبو عمران فرجع إلى سيده فقال له : « والله ياسيدى ماظننت بإفريقية ملكاً غيرك إلّا يَومى هذا »[5]، ولم يسع المُعزّ إلا احترام هذا الفقيه العامل هَيبةً منه .

وفى الثالث عشر من رمضان سنة ثلاثين وأربعمائة ، وافته منيته ، وحضر الصلاة عليه جميع أهل القيروان ،وكان على رأس المُشيعين المُعز بن باديس ودُفن

---

(١) الصلة : ٦١٢ ، والبغية : ٤٥٧ ومعالم الإيمان : ٣ / ١٥٩ .

(٢) معالم الإيمان : ابن الدباغ : ٣ / ١٦٠ ، الديباج : ابن فرحون ٢ / ٣٣٧ .

(٢) الصلة : ابن بشكوال ب ٦١ والبغية : الضبى : ٤٥٧
ومعالم الإيمان : ابن الدباغ ٣ / ١٦٣ .

(٤) معالم الإيمان : ابن الدباغ : ٣ / ١٦٠ — ١٦٣ .

(٥) نفس المصدر ٣ / ١٦١ .

في داره [1].

ثالثا : سليمان بن خلف بن سعد التُجيبيّ الباجي :

وهو من طبقة ابن عبد البر وأقرانه وإن كان يصغُرُهُ سِناً ، فقد ولد سنة ثلاث وأربعمائة ببُطْليوس فى يوم الثلاثاء من النصف من ذى القعدة [2].

تدرج فى مدارج العلم فطلبَ العِلم على يد مشايخ قرطبة وماأن حلّت سنة ست وعشرين وأربعمائة حتى سَمت نفسُهُ للرحلة إلى المشرق لاستكمال علمه فغادر الأندلس ماراً بمصر فأقام فيها مُدة ، وأخذ عن علمائها [3].

يَممَ وجههُ بعد ذلك شطرَ المسجد الحرام مُنتجع العلم والعلماء فحجّ وجاور هناك لمدة ثلاث سنوات لازم فيها كبير مَشيخَةِ الحَرم أبى ذَر الهَرَوى (ت ٤٣٤ هـ - ١٠٤٢ م) يخدُمُهُ ويرافقهُ فى حِلّه وترحالهِ ، ويتصرف له فى جميع حوائجه [4].

ثم توجه بعد ذلك إلى بغداد فَلقىَ فيها الإمام أبى إسحق الشيرازى إمام الشافعية ، وأبى الطّيب طاهر بن عبد الله الطبرى إمام الشافعية ، والقاضى أبى عبد الله الحسن بن على الصيرمى إمام الحنفية ، فأقام فيها ثلاث سنوات يُدّرس الفقه ، ويقرأ الحديث ، « فبرعَ فى الحديث وعلله ورجاله ، وفى الفقه وغوامضه » [5] حتى « تيقّن أهلُ العراق أن بالأندلس رجالاً » [6]. ثم ترك بغدادمُتوجها ، إلى الموصل فلقى فيها أبا جعفر السمنانى ، وأقام معه سنةً يأخذ عنه

---

(١) معالم الإيمان : ابن الدباغ ٣ / ١٦٣ وانظر الديباج : ابن فرحون ٢ / ٣٣٨ .

(٢) الصلة : ابن بشكوال : ٢٠٣ ، الذهبى : التذكرة ٣ / ١١٧٨ .

(٣) نفح الطيب : المقرى : ٢ / ٧٦ .

(٤) الصلة : ٢٠١ ، التذكرة : الذهبى ٣ / ١١٧٩ ، نفح الطيب ٢ / ٦٩ ، ٧٠ .

(٥) نفح الطيب : المقرى ٢ / ٧١ .

(٦) الذخيرة : ابن بسام : ٢ : ١ / ٩٥ .

علم الكلام [1].

انتقل بعد ذلك إلى حلب فى بلاد الشام ، وأقام فيها عاماً ، وتولى قضاءها لفضله وشهرته [2]، ثم سار إلى دمشق فسمع فيها من السَّكَن بن جُميع الصَّيداوى ، وأبى طالب عمر بن إبراهيم الزُّهرىّ وطبقتهم [3].

وبعد هذه الرحلة الطويلة والحصيلة العلمية الكبيرة التى جمعها أبو الوليد « نازعه هوى نفسه إلى مسقط رأسه ومنبت غرسه من أرض الأندلس » [4]، « فكرّ إليها بحراً لاتخاض لججه وفجراً لايطمس منهجه » [5].

وقد ضرب لنا أبو الوليد الباجى فى رحلته لطلب العلم أروع الأمثلة فى العفة والشغف بطلب العلم ، فقد واجهته ألوان من المعاناة جعلته يعمل أى عمل يُعينه على كسب قوته مع غنى نفسه ، فعمل حارساً لَيلياً فى طُرقات بغداد وكان يسهر ليلَهُ يقرأ تحت الفوانيس [6]. بل أكثر من هذا أخدَمَ نفسه لشيخه أبى ذر الهروى يتصرف له فى قضاء حوائجه رغبة فى ملازمته أطول مدة [7].

وعند عودته إلى الأندلس « كان مُقّلاً فى دنُياه ... يتولّى ضرب وَرَق الذهب للغزل .. وقيل : إنه كان يخرج للإقراء وفى يده أثر المَطرقَة » [8]، « وتولّى عقد الوثائق » [9] كذلك واضطَر إلى « تولى قضاء أماكن تصغر عن قَدْره كأريُولَة ، فكان

(١، ٣) انظر الصلة : ابن بشكوال : ٣٠١ ، والتذكرة : الذهبى : ٣ / ١١٧٩ .

(٢) انظر الذخيرة : ابن بسام ٢ : ١ / ٩٥ وانظر النفح : المقرى ٢ / ٦٨ .

(٤) الذخيرة : ٣ : ١ / ٩٥

(٥) النفح : ٢ / ٧٤ .

(٦) انظر التذكر : الذهبى : ٣ / ١١٨١ وانظر : الديباج : ابن فرحون ١ / ٣٧٩ . وانظر : النفح : المقرى : ٢ / ٧٦ ، ٧٧ .

(٧) الصلة : ابن بشكوال ٢٠٠ ، نفح الطيب : ٢ / ٦٧ .

٨ ، ٩ الديباج : ابن فرحون : ١ / ٣٧٩ ، النفح : ٢ / ٦٧ ، ٧٦ ، ٧٧ .

وضرب : ورق الذهب للغزل بمعنى : طرق صفائح الذهب وجعلها خيوط ذهبية تستعمل فى نسج الثياب أو تزيينها .

يبعث خلفاءه وربما أتاها المرة ونحوها »[1] .

ولمّا عاد إلى الأندلس وجدَ « مُلوكها أضداداً ، وأهواء أهلها ضغائن وأحقادا ، وعزائمهم فى الأرض فساداً وإفساداً »[2] ، فساءه هذاالتمزق الذى تُعانيه الأندلس ، فرأى أنه من الواجب عليه العمل على حثّ أمراء الطوائف على جمع كلمتهم لمواجهة الخطر الصليبى الذى يهددهم من الشمال يدفعه إلى ذلك تقواه وتدينه الذى يأبى مثل هذه الفرقة فجال فى كثير من مدن الأندلس ، « ثم زاد نشاطه اشتداد حال الأندلس سوءا منذ حادثة بَرْبَشْتَرُ (Barbastro) سنة (٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م) ، وما من شك أن هذه الحادثة أثارت الغيارى من الناس ونبهتهم أكثر إلى الخطر الكامن وراء هذه الأحداث فَحركتهُم بازدياد »[3] .

« فقام مَقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعاً واعيةً ، بل نفخَ فى عظام ناخِرة ، وعكف على أطلال دائرة »[4] وكان ملوك الطّوائف « يُجلُّونه فى الظاهر ويستثقلونه فى الباطن ، ويستبردون نزعته ، ولم يُفِد شيئاً »[5] ، وما هذا إلّا لسوء حَظِّهم ، واختلاف قُلوبهم الذى أرداهم .

وقَد سَما أبو الوليدالباجى إلى مكانة عظيمة بين علماء الأندلس فضلا فى شهرته عند علماء المشرق ، وقد أثنى عليه ابن حزم مع أنّهما كانا مختلفين فى وجهات النظرفى بعض المسائل ، بل إن ابن حزم قد أفحم من قبل أبى الوليد فى مناظرة ميورقة لأول دخول أبى الوليد الباجى الأندلس[6] .

فنقل لنا بن بسام عن ابن حزم أنه كان يقول[7] :

---

(١) التذكرة : الذهبى : ٣ /١١٨١ ، النفح : المقرى : ٢ / ٦٧ .
(٢) الذخيرة : ابن بسام : ٢ : ١ / ٩٥ .
(٣) التاريخ الأندلسى : د. عبد الرحمن الحجى : ٣٤٠ .
(٤) الذخيرة : ابن بسام : ٢ : ١ / ٩٥ .
(٥) نفح الطيب : المقرى : ٢ / ٧٧ .
(٦) نفح الطيب : المقرى : ٢ / ٧٧ وانظر الحياة العلمية : كريم عجيل : ٤١٠ ، ٤١١ .
(٧) الذخيرة : ٢ : ١ / ٩٥ ، وانظر : الديباج : ابن فرحون ١ / ٣٨٠ .

« لم يكن لأصحاب المذهب المالكى بعد عبد الوهاب مثل أبى الوليد الباجى »

« ومما يفتخر به أنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر والخطيب البغدادى وناهيك بهما وهما أسن منه وأكبر »[1].

ونقَل لنا بن بسّام[2] كذلك ما أبداه مجاهد العامرى للمُظفَّرين الأفطس فى مدح أبى الوليد الباجى ، وذلك ضمنّ الرسالة التى كتبها أبو محمد عبد الله بن عبد البر فيقول : « والفقيهُ الحافظ أبو الوليد الباجى غَذىُّ نعمتك ، ونشأة دولتك هو من آحاد عصره فى علمه ، وأفراد دهره فى فهمه ، وماحصل امرؤٌ من علماء الأندلس مُتفقّها على مِثْلِ حظّه وقسمه وقد تقدّم له بالمشرق صيت وذكر ، وحصل بجزيرتنا ، ولك فيه جمال وفخر » .

ساهم أبو الوليد الباجى فى النهضة العلمية فى الأندلس فدرس وألف وتنقل فى أكثر بقاع الأندلس يتسابق أمراء الطوائف فى أن يحظوا به ليفتخروا بذلك على غيرهم .

وقد ترك لنا أبو الوليد الباجى مؤلفات كثيرة فى العلوم المختلفة[3] ، وكتابه « المُنتقى » فى الفقه المالكى من أشهرها

وقد عمل بعض العلماء على الجمع بينه وبين كتاب (الاستذكار لابن عبد البر) وذلك لأهمية الكتابين فى المذهب

وله فى الفقه كذلك كتاب (الإيماء) خمس مجلدات وكتاب (السراج فى الخلاف) لم يتم ،(ومختصر المختصر فى مسائل المدونة وكتاب الحدود) . وله فى أصول الفقه : كتاب (الإشارة) وكتاب (أحكام الفصول فى إحكام الأصول) .

---

(١) نفح الطيب المقرى : ٢ / ٧١ .
(٢) الذخيرة : ٢ : ١ / ٩٧ .
(٣) انظر نفح الطيب : ٣ / ٦٩ .

وله فى الموطأ مؤلفات نفيسة منها :

كتاب (المعانى شرح الموطأ) جاء فى عشرين مجلدا عديم النظير ، وله كتاب (اختلاف الموطآت) .

وله كتاب فى الجرح والتعديل اسمه « التعديل والتجريح » وغيرها من الكتب .

وأما طبيعة الصلة بين ابن عبد البر وأبى الوليد الباجى فلم تكشف لنا المصادر بصورة جلية واضحة عنها ، ولكن طبيعة حركة الباجى وابن عبد البر وتنقلهما فى عدد من المدن الأندلسية فى الأوقات نفسها تقتضى أنهما قد التقيا .

وقد التقيا بالفعل . وروى أحدهما عن الآخر وقد ذكر الباجى بن عبد البر فى كتابه « الفرق » كما أورد القاضى عياض فى ترتيب المدارك [1].

ولكن « لم يكن الذى بينهما بالحسن لتجاذبهما سؤدد العلم فى وقتهما »[2] ولعل السبب فى ذلك ما قاله أبو الوليد من أن النبى ﷺ كان يعرف الكتابة وذلك عند كلامه على حديث البخارى فى يوم الحديبية فرد عليه بعض العلماء فى ذلك وشنع عليه بعض الفقهاء . فدافع عن نفسه قائلا :

برئتُ مِمن شَرى دُنيا بآخرةٍ وقال إنّ رسولَ الله قد كتبا

وألف رسالة فى ذلك .

أما أن يكون سبب عدم حسن العلاقة المنافسة لذاتها فهذا بعيد ولا ينسجم مع منهج ابن عبد البر وأخلاقه ليحسد الباجى للمنافسة أو غيرها .

وكان آخر استقراره عند المقتدر بن هود فى المرية [3] « ليلة الخميس بين العشاءين وهى ليلة تسعة عشر خالية من رجب ودفن يوم الخميس بعد صلاة

(١) ترتيب المدارك : القاضى عياض ٤ / ٨٠٩ ، وانظر : التاريخ الأندلسى : للحجى .

(٢) نفس المصدر .

(٣) النفح : للمقرى : ٢ / ٧٤ .

العصر سنة أربع وسبعين وأربعمائة ودفن بالرباط على ضفة البحر وصلى عليه ابنه أبو القاسم » [1]



(١) الصلة : لابن بشكوال : ٢٠٢ ، وانظر : التذكرة : الذهبى : ٣ / ١١٨٢ نفح الطيب : للمقرى : ٢ / ٧٦ .

الفصل الرابع
رحلات ابن عبد البر وثقافته ومكانته

المبحث الأول

رحلات ابن عبد البر

الرحلة وأثرها فى وحدة العالم الإسلامى الفكرية : نتيجة لاتساع رقعة العالم **الإسلامى أصبحت بعض المدن مراكز علمية وثقافية مثل : مكة ، والمدينة ، وبغداد ، والبصرة ، والقاهرة ، ودمشق ، والرَّى ومَرُو ، وبخارى ، والقيروان ، قرطبة ، وإشبيلية ، ومع سعة الرقعة الإسلامية التى كانت مقسمة إلى كيانات سياسية مستقلة بعضها عن بعض فى إدارة شؤونها لم يكن هناك** مايمنع الفرد من أن يتنقل بين هذه الكيانات وبلدانها بحرّية مطلقة لأنه يتنقل فى **دار الإسلام لذا لم يكن هناك إحساس بإقليمية ولاعنصرية ، وكان العالم المسلم** يتولى التدريس فى بلد . والقضاء فى آخر ، والوزارة فى ثالث وهكذا ، والأمثلة على ذلك كثيرة لاتحصى ، فكان هذا المعنى مُشجِّعاً على ظاهرة الارتحال بين أقطار العالم الإسلامى وعاملاً مُهماً فى تنميتها ثقافياً ومدنياً .

ثم إن ظاهرة الارتحال أخذت مظاهر شتى ومتنوعة حسب القصد الذى دفع إليها ، فكانت هناك الرحلة الدينية والعلمية والتجارية والسياسية . فالرحلة الدينية كانت لأداء فريضة الحج ، وأما الرحلة العلمية فكان الدافع لها طلب العلم والمعرفة واستدراك ما يفوت العالم فى بلده فضلا عن ملاقاة العلماء المشهورين فى مختلف الاختصاصات ، وطلب الإسناد العالى ، وكان هذا النوع من الرحلات من مستلزمات العالم وتوثيق علميته « وكانت قيمة الطالب فى نظر الناس تتناسب مع ماقام به من رحلات لطلب العلم »[١] ، « وكان جلة الباحثين وطلاب العلم يرحلون فى حماسة ظاهرة عبر القارات الثلاث ثم يعودون إلى بلادهم كمايعود النّحل مُحمّلا برحيق الأزهار »[٢] فيتجهون إلى تبليغ هذا العلم الذى جمعوه لمئات الطلبة الذين يُقبلون عليهم ، ومنهم من كان يعكُف على تدوين هذا العلم فى أمهات للكتب بقيت موارد صافية لكل طالب علم على مدى الأزمان . وكان طُلاّب العلم الأندلسيون حريصين على هذا النوع من الرحلات أكثر من غيرهم .

---

(١) تاريخ التربية . أستاذنا الدكتور أحمد شلبى : ٣٢٠ .

(٢) نفس المصدر نقلا عن (PROFESSOR NICHOLSON) : ٣٢٠ .

وهناك عوامل ساعدت العلماء على تنشيط هذا النوع من الرحلات ، ولعل الحج يُعتبر من أهم هذه العوامل ، ففضلا عن كونه فريضة يُتقرب بها إلى الله كان بمثابة مؤتمر عالمى ثقافى يؤمه العلماء وطلبة العلم من أقطار العالم الإسلامى فيفيدون ويستفيدون علما ومعرفة ، ويتعرَّفون على أحوال المجتمع الإسلامى بعامة .[1]

ولما كان تباين الظروف المناخية واختلاف الأمزجة والأعراف الاجتماعية يؤدى إلى تنوع الصور الحضارية للحياة فى البيئات المختلفة ، إلّا أن نمو العلاقات المختلفة فى ظل شريعة الإسلام جعل أجزاء المجتمع الإسلامى تلتقى فى تيار الحضارة الإسلامية التى ميزت هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات المعاصرة له ، « ولولا الرحلة العلميةُ فى طلب العلم لوجد طابع فِكرى محلّى فى كل مدينة من المدن الإسلامية بسبب العزلة العلمية ، لكن الروح العلمية والهمة العاليه التى تحلى بها العلماء دفعتهم إلى جوب الأفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية فى العالم الإسلامى ».[2]

الرحلة العلمية فى الأندلس :

ارتبطت الرحلة العلمية فى الأندلس فى أول عهدها بالرحلة إلى الحج ، ولم تبدأ رحلة الحج فى الأندلس إلا بعد أن استقرت الدولة الإسلامية فى الأندلس ، وذلك فى عهد الأمير عبد الرحمن الداخل الذى ولى الحكم فى الأندلس فى سنة (٧٥٦ م) إلى (٧٧٦ م) « والفوج الأول من الحجاج الأندلسيِّين وافق خروجه فى النصف الأخير من القرن الثانى الهجرى[3] ، وما أن حل القرن الثالث الهجرى حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسعون إليه كأنه فريضة ثقافية يؤدونها وهى تطول أو تقصر حسب اكتفاء الطالب بالتحصيل ولم تعد الرحلة العلمية أمراً منوطا بالنية الدافعة للحج بل أصبحت هى نفسها ضرورة

---

(١) انظر : أثر رحلة المسلمين فى تعريف المجتمعات الإسلامية عبد العظيم عوده ، أبو سرحان (مجلة الفيصل : عدد ٢٥ — رجب — ١٣٩٩ — يونيو — ١٩٧٩ : ص ٢٦) .

(٢) بحوث فى تاريخ السنة المشرفة : ٢٤ .

وانظر تاريخ التربية الإسلامية : أستاذنا الدكتور أحمد شلبى ٣١٧ — ٣٢٦ .

(٣) انظر : الرحلات بين المشرق والأندلس . د. محمود على مكى ، مجلة البيئة المغربية عدد ٢ — ذى الحجة =

لازمة ولم يعُد يكتفى الطالب الأندلسى بالرحلة القصيرة فى داخل الأندلس [1] ، وكان الطالب الذى تفوته الرحلة إلى خارج الأندلس يستدرك ذلك بلقاء العلماء الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا بأمهات المصادر الثقافية المتنوعة وخاصة فى الحديث والفقه والتاريخ والأدب واللغة وغيرها من جوانب المعرفة التى قام عليها بناء الحضارة الإسلامية فى الأندلس .

وكان هناك عامل آخر تداخلت معه الرحلة العلمية فى الأندلس وكان سببا مباشرا لها ، ذلك هو العامل السياسى وبخاصة عند وقوع الحرب الأهلية المسماه بالفتنة القرطبية سنة (٣٩٩ هـ = ١٠٠٨ م) أو سبب خلافات ملوك الطوائف وتنكيلهم بمن لا يقف فى صَفِّهم لذلك بدأت كثير من العائلات ترحَلُ عن مواطنها إلى مواطن أكثر استقرارا هروبا ونجاة من الفتن ، فخرج نتيجة ذلك كثير من العلماء من مدنهم وخاصة أهل قرطبة يجوبون الأندلس ومنهم من رحل خارج الأندلس .

وأما الذين دفعهم العامل السياسى للرحلة داخل الأندلس خاصة فكان الأمران : الاضطرار ، أو إصلاح ذات البين .

فالأمر الأول الاضطرار أو الرحلة الاضطرارية فكان سببها : الفوضى السياسية والعَنتُ المباشر ، أو غير المباشر الذى أصاب عائلات بعينها ، أو أشخاص بعينهم ، وأحيانا يكون العنتُ عاماً يُصيب الجميع ، كما وقع فى بلنسية بسبب الضرائب الباهظة التى فرضها مبارك ومظفر العامريان مما دفع أغلب أهل بلنسة إلى تركها إلى المدن الأخرى . [2]

١٣٨١ ــ ١٩٦٢ ، ص ٣٧ .

والمقصود أن رحلة الحج على هيئة أفواج بدأت فى آخر القرن الثانى ولا يعنى هذا تعطل فريضة الحج قبل هذا التاريخ لأن أفراد الجيش الإسلامى الفاتح كانوا يتداولون السفر إلى مكة والمدينه وقد يصادف ذلك موسم الحج فيؤدون الفريضة .

(١) انظر الحركة اللغوية فى الأندلس : د. البير حبيب مطلق ٥٤ ،٥٥ .

(٢) انظر اللسان المعرب ٣٠ / ١٥٨ ــ ١٦٣ ، ٣٠٢ وانظر أعمال الأعلام : ٢ / ٢٢٥ ، ودولة الطوائف : ٢١٧ ــ ٢١٩ .

أما الأمر الثانى وهو إصلاح ذات البين أو الرحلة الإصلاحية وكان القصد منها إصلاح ما أفسدته الفرقة والصراعات السياسية ، ونزعة التفرُّد بالسُّلطة لدى أمراء الطوائف حيث كان كل واحد منهم يَودُّ أن يُحاكى صولة الأسد ، خاصة فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، وقد تبنّى هذا النوع من الرحلة صفوة من العلماء المعروفين أمثال : أبو الوليد الباجى وأبو بكر المُصْحَفىّ وغيرهما كثير من أهل الغيرة على وحدة المسلمين ، الذين كانوا يُسفِرون بين هذه الدويلات لرأب الصدع والتقريب بين أمراء الطوائف ، ولنشر الوعى بين أفراد الرأى العام الإسلامى يبينون للناس أصل الداء ليتسنى لهم التدارك والعلاج ، وحثّهم على مطالبة أمرائهم بذلك ، وكانت حلقات الدرس التى يعقُدونها ميدانا لهذه الدعوة فضلا عن مجالس الأمراء التى يرتادها العلماء والأدباء ووجوه الناس فيصفون الدواء الناجع من وجوب مراقبة الله تعالى فى الحُكم ونبذ الفرقة والاختلاف والتّنادى بالتوحيد لمواجهة الأخطار المحيطة بالأندلس وخاصة من النصارى وقد مر تفصيل هذا الأمر فى التمهيد .

رحلات ابن عبد البر :

اقتصرت رحلات ابن عبد البر على شبه الجزيرة الأندلسية ، ولانعلم سبباً واضحاً منع من خُروجه إلى المشرق ولعله لم يخرج من الأندلس حرصا منه على المشاركة فى إصلاح الأوضاع السياسية بالنُّصح ، والتذكير وبيان حقيقة الداء .

وكانت أغلب رحلاته التى قام بها بين مدن الأندلس غربيّه وشرقيّه اضطّراريَّة ، وكان العامل السياسى هو السبب — غالباً — فى عدم استقرار ابن عبد البر فى مكان واحد ، أو كما عبّر عنه فى تعليقه على قول الإمام مالك : « لاينبغى الإقامة فى أرض يكون العمل فيها بغير الحق ... فقال أبو عمر : أما قولُ مالك هذا فمعناه إذا وجدَ بلداً يُعملُ فيه الحق فى الأغلب »[1] لذلك يبدو أن أبا

(١) التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة : للقرطبى المفسر : ٢ / ٦٢٩ .

عمر بن عبد البر كان يُغيّر مكان إقامته كلما رأى مَيلًا شديداً عن الحق ، وينتقل إلى الإمارة التى يظن أن أمير هذه الدويلة يغلب عليه الصلاح ، وحُسْنُ سياسة الرعية بعيداً عن الظلم .

الرحلة الأولى : بعد انتثار العقد :

ساءت الأحوال السياسية فى قرطبة إثر سقوط العامريين ، وتأجج القتال بين البربر وأهل قرطبة ، واشتعلت فيها الحرب الأهلية (٣٩٩ هـ) ، واستمر القتل والسّلبُ والنهبُ فيها ولم ينجُ أحد من آثارها السيئة كما بينّا سابقاً . لذا غادر ابن عبد البر وأسرته قرطبة متوجهين نحو إشبيلية . وقد ذهب البعض أنه قد ترك قرطبة سنة (٤٣٧ هـ = ١٠٤٥ م) مُتوجها إلى بطليوس[١] ومنهم من قال : بأنه قد خرج من قرطبة سنة (٤٤٣ م = ١٠٥٢ م) متوجها إلى غرب الأندلس[٢]. والمصادر لم تُحدد بالضبط المدينة التى توجه إليها بعد خُروجه من قرطبة ، ولكننا نجدُ أنّ هناك مُسوّغاً شديداً يدعوهُ للتّوجه إلى إشبيلية ، ألا وهو صديقُهُ ورفيقهُ فى طلب العلم القاضى إسماعيل بن عباد عميد العائلة العبادية ورئيسها ، الذى تولّى زمام إدارة شؤون إشبيلية « فنظر فى صلاح أمورها وتصريفها على السداد إلى أن نزل الماء فى عينيه »[٣] ، فأناب ابنه أبا القاسم بن عباد فى القضاء واقتصر هو على شافة البلد ، وتدبير الرأى[٤] وذلك عند اضطراب الأمور فى قرطبة خلال الفتنة فى العقد الأول من القرن الخامس الهجرى ، ثم إنه من استقراء النُّصوص يترجّح أنه خرج من قرطبة بعد سنة (٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م) وقبل سنة (٤١٤ هـ = ١٠٢٣ م) لأنه حضر فى قرطبة تشييع شيخه ابن الفرضى سنة ٤٠٣ هـ كما سبق أن ذكرنا عند الترجمة لابن الفرضى فى فصل شيوخه .

---

(١) رسالة ماجستير بعنوان (ابن عبد البر وجهوده فى الحديث والفقه) إسماعيل النووى ، مقدمة إلى دار العلوم سنة ١٩٦٤ م .

(٢) مقدمة تحقيق « كتاب الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر » : الدكتور شوقى ضيف .

(٣) البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ١٩٤ .

(٤) الصلة : ابن بشكوال : ١٠٢ .

والدليل على أن ابن عبد البر كان فى قرطبة قبل سنة ٤١٤ هـ قوله :

« دخلت على الشيخ أبى الوليد ـــ يقصد إسماعيل بن عباد ـــ عائداً له من بَطْن كان يشكُوهُ قد اشتدَّ عليه ... فانصرفت من عنده ثم كتبتُ إليه :

ياسليلَ الكرام من آل لخمٍ ... وأخا الرأى والدُّها والوفاء
إنّ لى من سُقام جسمك سُقماً ... ثابتاً فى الفؤاد والأحشاء
وبقلبى مما بجسمك ضعفٌ ... للذى تشتكى من الأدواء
وبودى لو كنت عنك فداء ... بَدَلا عند هجمة الضّراء »[1]

وبعد وفاة إسماعيل بن عباد استمر ابن عبد البر فى كَنَف ابنه أبى القاسم بن عباد الذى يُعتبر مؤسس إمارة بنى عباد[2]، ويبدو أنّ ابن عبد البر قد أخذ على أبى القاسم بن عباد بعضَ المآخذ[3]، وقدّم إليه النُّصحَ فلم يَستجب له أبو القاسم بن عباد ، بل جفاه ولم يُقدِّر فيه صلَتَهُ بوالده القاضى إسماعيل ، فرأى ابن عبد البر ذلك عقوقاً من أبى القاسم ، فترك العاصمة إشبيلية وتنقل بين مدن إشبيلية الأخرى ، وقد نظم ابن عبد البر قصيدة يدل على استيائه من أبى القاسم وفى مَطلعِها يُعنِّف ابن عبد البر زوجته التى يبدو أنها اعترضت على الترحال بعد الاستقرار . فقال :[4]

وقائلــة مالى أراك مُرحّــلا ... فقلتُ لها: صه واسمَعِى القول مجملا
تَنكَّر من كُنا نُسَرُّ بقُربهِ ... وعاد زُعافا بعد أن كان سَلسَلا
وحُقَّ لجارٍ لم يوافقه جارُهُ ... ولا لائمتهُ الدّارُ أن يَتحوّلا
إذا هانَ حُرٌ عند قوم أتاهمُ ... ولم يَنأ عنهم كان أعمى وأجهلا

وانطلق ابن عبد البر يطوف فى أرجاء كورة إشبيلية[5] وأقاليمها فسكن مدينتى

---

(١) بهجة المجالس : ابن عبد البر : ١ / ٣٩١ .

(٢) انظر : البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ١٩٥ ، ٣١٦ والحلة : ابن الأبار : ٢ / ٣٦ .

(٣) انظر البيان المغرب : ٣ / ١٩٦ والحلة : ابن الأبار : ٢ / ٣٧ .

(٤) بهجة المجالس : ١ / ٢٤٣ .

(٥) والكورة : مصطلح إدارى بمعنى الإقليم وكان يتبع هذا الإقليم مدناً عدة تتفاوت بحسب سعته

قَبتور[١]، وقبطيل[٢]، التابعتين لإقليم الشرف[٣]، وغيرهما من قُرى هذا الإقليم الذى كان يتكون من ثمانية آلاف قرية .

ولعلّه بعد أن ترك العاصمة إشبيلية بضجيجها مُتجها إلى الأقاليم كان يعقد حلقات العلم أينما حَلّ ، ويستدرك لنفسه كذلك ما فاته بلقاء العلماء الذين يجد عندهم ما فاته ، فالتقى بإسماعيل القُرشى[٤] (ت ٤٢١ هـ) . « وكَتب عنه ابن عبد البر ودرس عليه ، واقتبس مما لديه وقد ذكره فى تاريخ شيوخه »[٥]، وحدث عنه بكتاب « أبى إسحق بن شعبان (مختصر ماليس فى المختصر لابن عبد الحكم) (وبكتابه الأشربة) ، (وكتاب النساء)»[٦]، ويبدو أنّه اتّجه إلى التأليف فى هذه الفترة لطول المدة[٧] التى قضاها فى إشبيلية وأقاليمها التابعة لها أو أنه أعاد النظر فى بعض مؤلفاته مُستغلا الاستقرار النسبى الذى أتاح له هذه الفرصة ، وليس لدينا من المعلومات ما يكشف لنا حركته خلال هذه الفترة حتى ظهر فى دانية فى العقد

انظر« جغرافية الأندلس من كتاب المسالك والممالك ، للبكرى تحقيق د. عبد الرحمن : ١١٥ » ، معجم البلدان : ياقوت الحموى : ١ / ٣٦ .

وخبر تنقُّله فى إقليم الشَّرق ومدنه لم ينقله لنا كتاب التراجم ولكن ابن عبد البر نقل لنا ذلك ضمن أبيات شعر يصف فيها مناخ هذه المدن وكثرة بعوضها الذى عانى منه الأمَرين بشىء من السخرية ويبدأ القصيدة بقوله :

بعوض قبتُور والقبطيل والشَّرف   قد أذنت بذَهاب النَّفس والتَّلف

انظر بهجة المجالس : ٢ / ١٠٥ ط ١ .

(١) وهى من قرى إقليم الشرف بإشبيلية البغدادى : مراصد ٣ / ١٠٦٢ ،والروض المعطار : ١٤٩ .

(٢) وهى من قُرى إقليم الشَّرف وادى طرطوشة الروض : الحُميدى : ١٥٠ مراصد : ٣ / ١٠٦٢ .

(٣) والشرف جبل وسمى بذلك لأنه يُشرف على إشبيلية وطوله ٨٠ ميل وعرضه ١٢ ميل ويبعُد عن إشبيلية ثلاثة أميال . جغرافية الأندلس : ١١٤ ، والروض : ١٠٩ ، ١٠١ .

(٤) جذوة الحُميدى : ١٦٣ .

(٥) نفح الطيب : المقرى : ٣ /٦٩ .

(٦) جذوة : ١٦٣ .

(٧) والدليل على أنه مكث مدة طويلة فى إشبيلية وأقاليمها ، قوله :

بُليِّت بحمص والمُقام بَبلدة   طويلاً لعَمرى مُخلِقٌ يُورث البِلى

« انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٤٣ » .

ونقل بأنه جال فى غرب الأندلس مدة « الجذوة : ١٦٨ » .

الرابع من القرن الخامس أى حوالى سنة (٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) .

الرحلة الثانية : من إشبيلية إلى دانيّة :

ولعلّهُ لمّا تناهى إلى سمع ابن عبد البر عن مجاهد العامرى من اهتمامه بالعلم والعلماء ، ودعوتهُ لمشاهيرهم إلى إمارته توجّه إليه زاغبا فى جواره مبتعدا عمن تنكر له ، ولم يعرف له فضلهُ ، ولايرضى ذلك عالم حر ، وقد يكون مجاهد بنفسه قد كَتبَ إلى ابن عبد البر يستقدمه إلى دانّية على عادته فى دعوة العلماء إلى إمارته ، فحلّ ابن عبد البر دانية قُبيل سنة (٤٣٠ هـ = ١٠٣٩ م) أو بعدها بقليل بعد أن « جال فى غرب الأندلس مدة » [١].

والذى دعا إلى هذا التخمين ورود إشارة فى ترجمة أحدِ تلاميذه بأنّه قد سمع عن ابن عبد البر كتابه التّقصى بدانية سنة (٤٣٢ هـ) [٢].

مكث ابن عبد البر فى ظّل مجاهدالعامرى (ت ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م) [٣]. يلقى دروسَهُ على الطلاب الذين يفدون إليه من شتى البقاع ففى « الأفق الدّانى الذى ظهرعلمه وعند مُلوكهِ خَفَقَ عِلمهُ » [٤]، وكان مجاهد يحضُر مجالس ابن عبدالبر ويسمع منه [٥].

وكان يغلب على أهل دانية اهتمامهم بالقراءات وعلوم القرآن ، وكان مجاهد العامرى يشجع العلماء على التأليف فى هذا العِلْم ، ولمّا كان ابن عبد البر عالما فى القراءات وعلوم القرآن ، فيبدو أنه فى دانية ألف مؤلفاته [٦] فى هذا العلم استجابة لطلابه ، أو بطلب مجاهد نفسه لأنه كان من البارعين فى هذا العلم ، « ولم يُشغله

---

(١) الصلة : ابن بشكوال : ٦٧٩ ، وانظر التذكرة : الذهبى : ٣ / ١١٣٠ .

(٢) التكملة : ابن الأبار : ٣٩٠ .

(٣) الجذوة : الحُميدى : ٣٥٣ .

(٤) المغرب : ابن سعيد الأندلسى : ٢ / ٤٠٧ .

(٥) التكملة ابن الأبار : مخ : القسم الثالث .

(٦) الاكتفاء فيما فى قراءة نافع وأبى عمر بن العلاء والمدخل للقراءات وغيره .

فى ذلك عظيم ما مارسه فى الحروب براً وبحراً »[1] ، وكان كثير التولُّع بالمقرئين للكتاب العزيز »[2] ، واستمرَّ ابن عبد البر يؤلف ويراجع ما ألف ويُصحِحهُ لاسيما التمهيد ، وكان الطلاب يتسابقون على رواية كتبه ومما روى عنه بدانية (كتاب الاستيعاب) ، (وأخبار القاضى المنذر بن سعيد) ، وذلك سنة (٤٣٣ هـ = ١٠٤١ م)[3] ، وقد آنسهُ تقدير مجاهد للعلماء فاستمر بقاؤه فى دانية مُشتغلا بالتدريس ، والتأليف حتى توفى مجاهد وخلفهُ ابنه علىّ المُلقب بأقبال الدولة وذلك سنة (٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م)[4] ، ولعل بعض تصرفات على ابن مجاهد تجاه بعض العلماء مثل بن سيّده[5] (٤٨٥ هـ) تركت آثارها فى ابن عبد البر الذى كان يعتزُّ بكرامته وشخصيته ، ويبدو كذلك أن عليّا لم يكن مثل والده « وأنّه وإن حَذا حذوَ أبيه فى الإقبال على العلماء إلا أنّه كان ذلك تَطبُّعاً منهُ لا طَبعاً »

الرحلة الثالثة : عودٌ إلى الغرب

شعر ابن عبد البر بجفوة على ابن مجاهد فلم تهنأ نفسُهُ ولم تستقرّ وهو الحر الأبى ، فلما سمع بأن المظفر بن الأفطس (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م)[7] قد ولى الأمر فى بطليوس بعد وفاة والده عبد الله بن مَسلمة (ت ٤٣٧ هـ ـ ١٠٤٥ م)[8]. ونمى إلى سمعه اهتمام المظفر بالعلم والعلماء

---

(١) البيان المغرب : ابن عذارى ٣ / ١٥٥ .

(٢) المغرب : ابن سعيد ٢ / ٤٠١ وانظر الأعمال : لسان الدين بن الخطيب ٢ / ٢١٨ .

(٣) التكملة : ابن الأبار ١ / ١٨٠ .

(٤) البيان المغرب : ابن عذارى ٣ / ١٦٥ وانظر أعمال الأعلام : لسان الدين ٢ / ٢٢١ .

(٥) على بن أحمد بن سيده « جذوة الحُميدى : ٣١١ » وكان من أقران بن عبد البر . وعالم اللغة المشهور فى الأندلس .

(٦) المغرب : ابن سعيد ٢ / ٤٠١ .

(٧) الحلة السيراء : ابن الأبار ٢ / ٩٧ وتعليق د. حسين مؤنس .

(٨) البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢٢٠ .

وانظر سير أعلام النبلاء : الذهبى : مخ دار الكتب : ٢ : ١ / ٥٦٤ .

لأن المظفر كان شاعراً أديباً ، وعالما لبيبا ، وبطلاً شجاعاً »[1]، وفى إمارته « كانت أيام بنى الأفطس بغرب الأندلس أعياداً ومواسم ، وكانوا ملجأ لأهل الآداب خُلدت فيهم ولهم قصائد شادت بمآثرهم[2] » ، وكان المظفر عِوضاً لابن عبد البر عن مجاهد الذى كان يماثله فى السمت والاهتمامات ، وكان ورود ابن عبد البر فى سنة (٤٣٧ هـ) أو بعدها بقليل ، فاستقبله المُظفر أحسن استقبال وأكرم نُزلَهُ بما يكافىء منزلته .

اهتم المظفر بمقدم ابن عبد البر الذى كان يتبارى الأمراء على كسب وُدّهِ ودعوته إلى القدوم إليهم لجلالة فضله ، وعظيم مكانته التى فاحَ نَفحُها فى ربوع الجزيرة الأندلسية ، فعقَدَ له المظفر مَجلساً يحضُره كبار رجال دولته ، وكانت السِّمةُ الأدبيةُ والتاريخية هى التى تغلب على مايدور فى هذا المجلس لشغَف المُظفر بهذا اللون من الثقافة [3]، حتى أنّه ألفّ كتاباً سماه المظفرى « ألفه بخاصة نفسه ، ولم يَستعِن فيه بأحد من العلماء إلا بكاتبه أبى عُثمان سعيد بن خَيرةَ ، واحتوى هذا الكتاب على الأخبار والسير »[4]. ثم إنّ هذه الاهتمامات المُظفرية والأجواء الأدبية شحذت همة ابن عبد البر فكان يؤنس مجالسيه بما يلقيه عَليهم من نوادر الأخبار والأشعار والحِكَم ، ثم جمع ذلك فى كتابه « بهجةُ المَجالس وأُنس المُجالِس وشَحذِ الذّاهِن والهاجس » ، وأهداه إلى المظفر .

ونال ابن عبد البر ثقةَ المُظفر بغزير علمه ، ودقيق فقهه ، وجميل أدبه فولاه قضاء مدينتى الأشبونة وشَنْتَرين ، فكانت هذه الوظيفة شحذاً للعقلية القضائية لابن عبد البر [5].

ثُم إنّ الصراع قد انفجر بين مملكة بَطَلْيوس وإشبيلية ، وَوالى المُعتضد بن

---

(١) البيان : ابن عذارى : ٣ / ٢٣٦ .

(٢) المُعجب : المراكشى : ٤٩ .

(٣) انظر : نفح الطيب : المقرى : ٣ / ٣٨٠ .

(٤) البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢٣٦ أعمال : ابن الخطيب : ٢ / ١٨٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء : الذهبى : مخ دار الكتب ٢ : ١١ / ١٨٣ .

عباد حرب ابن الأفطس فى شهور سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، واستولى على عدة حصون ، وخرّب كثيرا من الأراضى الزراعية مما أدى إلى وقوع مجاعة فى مملكة بنى الأفطس ، ومع هذا فإن المظفر بن الأفطس لم يستطع أن يردّ المعتضد شبراً واحداً حتى تدخّل ابن جَهْور للصلح بينهما ، فوفّق إلى ذلك فى ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة (١).

وفى خضم هذا الصراع الذى فُنِىَ فيه كثير من الناس بدر تَصرُّف غريب من قبل المظفر أضعف مكانته بين وجهاء الأندلسيين وقوبل بامتعاض شديد وهذا التصرف هو إرساله إلى قرطبة رسولًا « يلتمس شراء وصائف مُلهيات يأنس بهنَّ نافياً بذلك الشَّماتَةَ عن نفسه ، ولم تكن له عادة بمثله ... فوجد له صبَّيتين مُلَهيتين عند بعض التجار لاطائل فيهما فاشتراهما (٢) » .

« ومضى أولو النُّهى يَعجبُون مما شَهر به نفسه من البطالة أيام الحروب المُحرّمة لإظهار النساء على فُحول الرجال العاقدة الأزّرة على ماكان يدعيه لنفسه من الأدب والمعرفة » (٣) .

وقد تتبّع ابن حيان الأمر فوجدهُ محضَ مُعاندةٍ للمعتضد ليس أكثر (٤)

ويبدو أن هذا التصرف من المظفر لم يُرض ابن عبد البر مما زهدَّه كذلك بالمظفر فشدَّ رحاله عائدا إلى شرق الأندلس مرة أخرى وهذه المرة إلى مدينة بَلنسيَةَ فى ظلّ عبد العزيز بن أبى عامر (٣٩٧ ــ ٤٥٢ هـ = ١٠٠٥ ــ ١٠٦٠ م) . (٥)

---

(١) البيان المغرب : ابن عذارى : ٣ / ٢١٠ ــ ٢١٣ ، ٢٤٢

وانظر أعمال الأعلام : ابن الخطيب ٢ / ١٥٦ ، ١٨٤ ــ والتاريخ : ابن خلدون : ٤ / ١٥٦ ، ١٦٠ .

وانظر دول الطوائف : عنان : ٤١ ــ ٤٢ ، ٨٥ ، الذخيرة : ابن بسام ٢ / ١ : ٢٤ .

(٢،٣،٤) البيان المغرب : ابن عذارى ٣ / ٢١٢ ، وانظر الذخيرة : ابن بسام : ١ / ١ / ٣٦١ ــ ٣٦٥ .

(٥) البيان المغرب : ٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢ .

الرحلة الرابعة : من بَطَلْيوس إلى مُروج بَلَنْسِيَة :

عاد ابن عبد البر إلى شرق الأندلس ثانية ولما كان قد ترك دانية لأسباب ذكرناها فلم يعد إليها هذه المرة وإنما توجه إلى بلنسية وكانت تحت إمرة عبد العزيز بن أبى عامر ، ورُبّما يكون ابن عبد البر قد وصلها قُبيل سنة (٤٤٤ هـ - ١٠٥٢ م) أو بعدها بقليل ، والذى يُسوّغ هذا ماورد من أخبار بأن بعض تلاميذه رووا عنه بعض كتبه بعد هذا التاريخ فقد روى عنه عبد الله بن أحمد بن مَيمُون سنة (٤٤٥ هـ = ١٠٥٣ م)[١] ، ومحمد بن عبد الله بن سعيد المأمونى سنة (٤٤٧ هـ = ١٠٥٢ م)[٢] ، ثمّ إن ابن عبد البر كان فى سنة (٤٤٩ هـ = ١٠٥٧ م) يترددُ ما بين بلنسية وشاطبة يغشاه فيهما طلبة العلم[٣].

الرحلة الخامسة : نهايةُ المطَاف فى شاطبة :

كان ابن عبد البر يَنعَمُ بالهدوء والرِّعاية فى ظّل عبد العزيز بن أبى عامر أمير بلنسية الذى كان يحترمُ العلماء ويقربُهم إليه ، وعندما وافت المنيّةُ عبد العزيز ولى الأمر بعده عبد الملك[٤] ابنهُ الذى كان قد اختاره والدهُ وليا لعهده ، ولكن عبدالملك لم يكن أهلا لهذا الأمر لسوء أخلاقه ، فقد وُصف بأنه كان « منهمكا فى الشراب ضارباً عن الخصال المحمودة مع رقّة الدّيانة ، ونقص المروءة ، وكثرة الاستهمال والانحطاط فى مهاوى اللّذات لايصغ لوعظ واعظ ولايقبل لنُصح ناصح »[٥]، فلعل هذا كان أحد العوامل التى جعلت ابن عبد البر يُغادر بلنسية إلى

---

(١) التكملة : ابن الأبار : ٢ / ٩٢٩ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٤٠٦ .

(٣) انظر : اعتاب الكتاب : ابن الأبار : ٢٢٠

وانظر الصلة : ابن بشكوال : ٢٨٨ ، ٣٤٦ ، ٦١٠ وانظر الفهرسة : ابن خير : ٧٧ ، ٨٨ ، وانظر التكملة : ابن الأبار : ١ / ١٤٠ ، ٢٩٨ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٢ / ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٨٠٨ ، ٩٢٩

(٤) تولى الإمارة صبيا بعد والده سنة ٤٥٢ هـ » انظر ابن عذارى : البيان ٣ / ٣٠٣ » وانظر محمد عبد الله عنان : دول الطوائف : ٢٢٣ .

(٥) ابن عذارى : البيان المغرب : ٣ / ٣٠٣ .

ولعل ابن عبد البر كان يقصده بالذم فى أبيات من الشعر أولها :

واصلْتَ فى شُرب الشّمول سفاهةً حتى غدوت كأنّ أنفك دُمّلُ

شاطبة[1] ليستقِّر فيها ، واتّخذَ فيها منزلاً كان مثابةً لطلاب العلم يقصدونه لتَلقِّى العلم ، وكانت له فى شاطبة بستان أطلق عليها اسمه بعد ذلك ، وكان يرتادها وطلابُهُ على عادة علماء الأندلس فى الترفيه عن أنفسهم وطلابهم فى التنزه فى فترات متفاوتة للاستجمام ليُقبلوا بعد ذلك بصفاء فكر على طلب العلم . وقد تلقّى عنه فى شاطبة كثير من العلماء المشاهير[2] .

واستمر ابن عبد البر فى شاطبة ولم يخرج مِنها إلى أن وافتهُ المنيةُ فى يوم الجمعة لصلاة العصر آخر يوم من شهر ربيع الآخر ، وقد أفنى من عمره خمسة وتسعين عاما وخمسة أيام ، ودفن فى اليوم نفسه وبذلك ودّعت الأندلس بل العالم الإسلامى علماً من الأعلام الأفذاذ الذى يُعدُّ مدرسة بذاته .



انظر بهجة المجالس : ١ / ٥٢٥ .

(١) غادر بلسية بعد ربيع الآخر سنة ٤٥٣ هـ على ماأورده ابن خير الإشبيلى فى الفهرسة : « ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ٢١٥ ، .... إلخ » .

(٢) ومن هؤلاء الذين روا عن بن عبد البر فى شاطبة :

— أبو على الغسانى فى ٣٥٤ هـ (انظر الفهرسة : ٨٥ ، ١٠٢، ١٠٩).

— عبد العزيز بن ثابت بن سليمان فى ٤٥٣ هـ (انظر الحلل : شكيب أرسلان ٣ / ٢٨٠)

ثم أحاز له ولابنه عبد الرحمن بن عبد العزيز مرة أخرى فى ٤٦٠ هـ .

— عبد الرحمن بن عبد الله فى ٤٥٦ هـ (انظر الحلل السندسية : ٣ / ١٩٥)

— مروان بن محمد بن عبد العزيز التجيبى وابناه أحمد وعبد الله فى سنة ٤٦٠ هـ (انظر الحلل السندسية : ٣ / ١٨٧ — ١٨٨) وغيرهم كثير .

ATLANTIC OCEAN

LOWER MARCH

MIDDLE MARCH

UPPER MARCH

GALLICIA

CASTILE

CATALONIA

MEDITERRANEAN SEA

BALEARIC ISLANDS

المبحث الثانى

ثقافة ابن عبد البر ومكانته

إن المرحلة التاريخية التى نشأ فيها بن عبد البر كانت من أخصب الفترات التى انتعشت فيها الثقافة الإسلامية بكل جوانبها ، وعاش عصرها الذهبى فى الأندلس ، وهما القرنان الرابع والخامس ، وكانت تعتبر مرحلة العطاء فى الحضارة الإسلامية فى الأندلس .

الروافد العامة للثقافة الأندلسية :

كانت روافد الثقافة فى هذا العصر متعددة منها : المساجد ، وهى حلبتها ، ومجالس الخلفاء والأمراء التى كانت تعقد فيها الندوات العلمية المختلفة تتدارس فيها علوم الشريعة ، والأدب ، والتاريخ كمجالس الناصر والمستنصر وابن أبى عامر ، وملوك الطوائف كمجاهد العامرى ، والمظفر بن الأفطس وبنى عباد وغيرهم كما مر تفصيل ذلك .

وكذلك الرحلة إلى المشرق ، التى كانت تعتبر الرافد الغنى الذى كان يُثرى الحركة العلمية فى الأندلس كما بيَّنا ذلك .

فكان الأندلسيون ينقلون الكتب فى مختلف العلوم إلى الأندلس فتُتلَقّى بالاهتمام والفخر والاعتزاز ، ويتسابق طُلّاب العلم على كافة المستويات فى قراءاتها أو نسخها عنهم .

ولا ننسى أفواج القادمين إلى الأندلس من العلماء على اختلاف تخصُّصاتهم ، وأثرهم المباشر على الحضارة الإسلامية فى الأندلس ، فهؤلاء القادمون من الفقهاء والشعراء والأدباء وغيرهم ساهموا فى دفع عجلة الحركة العلمية فى الأندلس[1] .

روافد ثقافة ابن عبد البر :

هذه هى المؤسسات الثقافية وروافدها التى تلقّى فيها ابن عبد البر ثقافته الموسوعية والتى كانت مضرب المثل .

---

(١) انظر الجذوة : ٣٦٧ ، وانظر الذهبى : سير أعلام النبلاء قسم ٢ : ١١ / ١٨٣ .

فالمسجد – وحلقات العلم – ومجالس الخلفاء – ولقاؤه بالمشارقة القادمين إلى الأندلس وأخذه عنهم – وأخذه عن الأندلسيين الراحلين إلى المشرق عند رجوعهم بأحمال من المعارف المختلفة فى كل جوانب الحياة . كُلُّ هذا جعل ابن عبد البر فارس ميدان فى تحرّى الاستزادة من العلم والحرص على اقتناء المصادر المختلفة . ولعل الرحلة التى كان يعتبرها أهل الأندلس مؤهلا مهما للعالم كان ينقص ابن عبد البر وآخرين من أقرانه ومشايخه ، ولكنهم استطاعوا التعويض عنها بالروافد الأخرى بجد واجتهاد . ثم إنّ المقصود بالرحلة كما يقول العراقى فى فتح المغيث[(١)] :

« أمران : أحدهما تحصيل عُلُوّ الإسناد وقدم السّماع » .

والثانى : لقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم فإذا كان الأمران موجودين فى بلد الطالب ، ومعدومين فى غيره فلا فائدة فى الرحلة ، فالاقتصار على مافى البلد أولى[(١)] ، وقد اكتفى ابن عبد البر بما كان فى بلده فى الحفاظ الذين علا سندهم وبانَ فضلهم ، واستدرك كذلك بمكاتبة كبار علماء الأمصار فأجازوه مروياتهم ومؤلفاتهم أمثال : أبى محمد النحاس ، وعبد الغنى بن سعيد بمصر وأبى ذر الهَروى بمكة ، وأبى نصر الدّاودى بالقيروان وغيرهم من جهابذة العلماء .

ميزات ثقافة ابن عبد البر وجوانبها :

تميزت ثقافة ابن عبد البر بأنّها موسوعية ، وهى إن كانت صفة لاينفرد بها ، لأنها ديدن العلماء المسلمين ، ولكنّه استطاع أن يُتقن علوم عصره ، ويبرع فيها كأحسن مايكون المتخصص ، « فسارت بكتبه الركبان » « وكانت تيجاناً على رؤوس العلماء »[(٢)] وبقى ذكرُه على كل لسان مع أن هناك من مشايخه لايذكره الناس إلّا لماماً مع تقدمه وذلك الفضل لله يُوتيه من يشاء .

---

(١) انظر فتح المغيث : ٢ / ٨٦ .

(٢) انظر مطمح الأنفس ٦٣ .

ولو ألقينا نظرة إلى كُتب الفهارس الأندلسية ، وخاصة فهرسة بن خير والقاضى عياض ، وابن عطية لوجدنا اسم ابن عبد البر يتكرَّر كثيرا فى ثناياها تروى عنه الكتب المختلفة ، وتُعتَبرُ الكُتب التى نقلت أو رويت عن طريقه من أوثق الكتب والروايات ، وأغلب هذه الكتب فى الدراسات الإسلامية عموما ، وهى تمثل الجانب الأساسى من ثقافة ابن عبد البر . كما أن هناك مؤلفات له لم يُشير إليها ابن خير وإنّما وردت متناثرةً فى كُتب التّراجم مثل : الجذوة ، والصلة وغيرها من كتب التراجم الأندلسية .

وقدألقيت نظرة فاحصة على قائمة الكتب التى رواها عن شيوخه فى العلوم المختلفة من خلال فهرسة ابن خير فإذا بها تكون مَكتبةً ضخمة تحوى جوانب العلوم الإسلامية المختلفة .

وكان ابن عبد البر يَتحرّى أن يروى الكتاب بأكثر من طريق ، ويحدّث به عن أكثر من شيخ [(١)] ، كاهتمامه برواية (سُنن أبى داود) التى تعتبر روايته له من الأسانيد العالية [(٢)] .

وكرواية« جامع سفيان الكبير فى الفقه والاختلاف » [(٣)] ، وكتاب « إسحق بن إسماعيل فى أحكام القرآن » [(٤)] .

ويذكر سنة التحديث [(٥)] ، ويروى الكتاب بطرق الرواية المختلفة عند المحدثين ، فمرة يذكر تَلَقّيه للكتاب بصيغة القراءة [(٦)] ، ومرّةً بالإجازة [(٧)] ، وأخرى بالمكاتبة [(٨)] ، أو بالمناولة [(٩)] ، وأحيانا يجمع بين القراءة والمناولة لكثرة الأجزاء ،

---

(١) فهرسة ابن خير : ١٥٨ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ٢٠٤ ، ٢٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٤٥ ، ٥١ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١٣٦ .

(٤) نفس المصدر : ٢١٦ ، ٢٧٩ .

(٥) نفس المصدر : ٢١٧ ، ٢٨٠ .

(٦) نفس المصدر : ٧٧ ، ٢٧٩ .

(٧) نفس المصدر : ٦١ ، ٨٧ ، ١٤٠ .

(٨) نفس المصدر : ٤٤ ، ٢١٧ ، ٣٤١ .

(٩) نفس المصدر : ١٣٩ .

فيقرأ بعض الأجزاء ويناوله الكتاب جميعه ، وكما فى « مسند ابن أبى ناجية » فهو فى مائة وثلاثين جزءا . قرأ اثنين منه وناوله الباقى (١)

وكان يروى بعض المصنفات عن بعض الشيوخ المشهورين فإن لم تكن كاملة فيكُملها بالرواية عن شيخ آخر كما فى « مصنف سعيد بن منصور البَلْخِى » رواه عن أبى محمد عبد الله بن أسد الجهنى ناقصاً ، ثم رواه عن أبى محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن(٢) وكذا مسند أبى بكر بن أبى شيبة(٣)

وفضلا عن العلوم الأساسية التى برع فيها ابن عبد البر علوم الكتاب والسنة واللغة وآدابها والتأريخ الذى هو سجل الأمة ، فإنه قد أضاف إلى هذه العلوم علوما أخرى رأى أنه يجمل بالعالم أن يأخذ قسطاً منها وجعلها من الضرورى ، من ذلك علم الجغرافيا فقال :

« ومن الضرورة أيضا عِلمُ الناس أن فى الدنيا مكة والهند ومصر والصين »(٤) ولم يكتف بهذا بل أضاف أنه من المطلوب كذلك معرفة علم الجغرافية البشرية وعلم الأجناس بقوله « وبلدانا عرفوها وأمما قد خلت »(٥)

وكتابه « القصد والأمم »(٦) دليل على ما ذهب إليه فتكلم فيه عن الأمم وأجناسها وأمكنتها وماعُرفت به من العلوم والصناعات .

وقد أشار ابن عبد البر إلى ضرورة الترجمة كعلم مُكَمّل يفتحْ للعالم باباً إلى علوم الأمم الأخرى لم يكن ليلجهُ لولا الترجمة فقال : « والعلم عند غير أهل اللسان العربى فيما ذكروا يجوز أن يترجم باللسان العربى ويترجم معرفة ، ويترجم فهماً »(٧) .

---

(١) نفس المصدر : ١٤٢ .

(٢) نفس المصدر : ١٣٥ .

(٣) نفس المصدر : ١٣٧ .

(٤ ، ٥ ، ٧) جامع بيان العلم : ٢٨٧ .

(٦) سنعرف بهذا الكتاب فى الباب الثانى .

وقد حَثَّ على تَعلُّم الطب ، والحساب ، والهندسة ، والتنجيم وبيّن فوائد هذه العلوم للأمة وأنها تأتى بالمرتبة الثانية بعد علوم الشريعة .

والطب عنده علمٌ واسع يشمل علوما قد تميزت فى زماننا هذا واختصت بها علوم أخرى يقول :

« وأما الطب فَلِفَهم طبائع نبات الأرض وشجرها ، ومياهها ، ومعادنها ، وجواهرها وطعومها وروائحها ، ومعرفة العناصر والأركان وخواص الحيوان ، وطبائع الأبدان والغرائز والأعضاء ، والآفات العارضةوطبائع الأزمان والبلدان ، ومنافع الحركة والسكون ، وضروب المداواة والرفق والسياسة »[1]

وقد درس ابن عبد البر الطب فكان له معرفة بالأمراض والأدوية ، وله أبيات شعرية يُقَدِّم فيها نصيحة طبية لإسماعيل بن عباد قاضى إشبيلية منها :[2]

ماقبل النُّصح سيدى واسمَع القَو ل فإنى أحكى عن الحكماء
لايداوى الأسهال بالاحتساء لا وبالامراق والباقلاء

ومما يدل على ثقافته الطبية أنه قدم لنا وصفا لمرض الطاعون فقال :

الطاعون غدّة تخرجُ فى المَراق والآباط وقد تخرج فى الأيدى والأصابع وحيث شاء الله »

وأما عن علم الحساب فيقول :

« فالصحيح عندهم منه ، معرفة العدد والضرب والقسمة والتسمية وإخراج الجذور ومعرفة حمل الأعداد ... والحساب علم لايكاد يَستغنى عنه ذو علم من العلوم[4]» هذا مما يدل على أن ابن عبد البر برع فيه كذلك ومن المعلوم أن علم

---

(١) جامع بيان العلم : ٢٩٠ .

(٢) بهجة المجالس : ١ / ٣٩١ .

(٣) العدوى بين الطب وحديث المصطفى : د. محمد على البار : ١٥

(٤) جامع بيان العلم : ٢٨٨ .

الفرائض ميدان تطبيقى بالنسبة للحساب فضلا عن الاستعمالات المهمة الأخرى .

« والهندسة تختص بمعرفة معنى الخط والدائرة ، والنقطة ، وإخراج الأشكال بعضها من بعض وماشاكل ذلك » [(١)].

ولم يكتف ابن عبد البر بهذه العلوم وإنما أفاض فى بيان ما لعلم التنجيم (الفلك) من أهمية للأمم وفَرَّقَ بينه وبين التَّنجيم المنهى عنه فقال :

« وأما التَّنجيم فثمرتُهُ وفائدته عند جميع أهل الأديان جَرْيَةَ الفَلَك ومسير الدَّرارى ، ومطالع البروج ، ومعرفة ساعات الليل والنهار ، وقوس الليل من قوس النهار فى كل بلد وفى كل يوم . وبُعد كل بلد عن خط الاستواء .

ومن المجَّر الشمالى ، والأفق الشّرقى والغربى ، ومولد الهلال وظهوره ، واطلاع الكواكب للأنواء وغيرها ، ومشيها واستقامتها ، وأخذها فى الطول والعرض ، وكسوف الشمس والقمر ووقته ومقداره فى كل بلد ، ومعنى سِنِىّ الشّمس والقمر وسِنِى الكواكب » [(٢)]

ولكنّ بعض أهل العلم قال : « والمُتَخَرِّصُون بالنّجامة كالمتخرِّصِيين بالعيافَة والزّجر ، وخطوط الكف ، والنظر فى الكف ، وفى مواضع قرض الفأر ، وفى الخيلان ، والعلاج بالفكر ، ومِلك الجنّ ، وماشاكل ذلك ما لاتقبلهُ العقول ، ولايقوم عليه برهان ، ولايصح من ذلك كلّه بشىء » [(٣)].

ويعترض ابن عبد البر على أهل زمانه ممن يَدَّعى أن علم الفلك مرفوض بحجة أن بعض المشعوذين [(٣-٩-٢)] العِلمَ بالنجوم والأبراج ، وادعاء علم الغيب من خلال هذا العلم . فادعاء هؤلاء لايسوِّغ ترك الاستفادة من هذا العلم المُهم فى حياة الناس .

ثم إنه يستدل للحث على الأخذ بعلم الفلك بقول عمر رضى الله عنه « تعلَّموا

(١، ٢) جامع بيان العلم : ٢٨٨ .

(٣) نفس المصدر : ٢٨٩ .

وهذه كلها من أعمال الشعوذة التى تشيع فى المجتمعات وهى من الأمور المنهى عنها فى الشرع ولايستسيغها عاقل .

من النجوم ماتهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم أمسكوا »

تبين لنا مما قدّمه ابن عبد البر أنه كان نموذجا للعالم المسلم الذى لايفوته أن يغترف من ينابيع المعرفة، ولايغفل الانتقاء من الإنتاج الحضارى للأمم الأخرى لما يستقيمُ مع عقيدته . فتراه يدعو بشدة للأخذ بعلوم الطب ، والهندسة ، والحساب . ويُرغِّب فى الاستفادة من علم التاريخ ، والمنطق ، والترجمة ، والأدب لمن أراد أن يُكَوّن لنفسه ثقافة واسعة . إضافة إلى تخصصاته الأخرى .

وقد أخذ هو بهذا المنهج الذى نراه مبثوثا فى عموم كتبه مما يشهد له بعلو المرتبة والمكانة.

* * *

أماكن دراسة ابن عبد البر :

ومن أماكن دراسة ابن عبد البر التى كان يرتادها طلباً للأئمة من الشيوخ المساجد ، والبيوت حتى ولو بعدت عنه ، لأن قرطبة كانت قد توسعت ونشأت حولها مدن جديدة و كل مدينة من هذه المدن تقسم إلى أحياء يسمى الواحد منها ربض (١)

ولهذا السبب كان العلماء يتوزعون فى السُّكنى بين قرطبة وهذه الأرباض . وكان طلبة العلم يدورون وراء العلم حيث دار . وكان ابن عبد البر يتنقّل كما يتنقّل غيره بين العلماء فى مساجدهم ، أو دورهم ، أو دكاكينهم .

والأماكن التى قصدها ابن عبد البر للتلقى عن العلماء : هى :

١ ـ مسجد مَهران بمَحجَّة فَحْلون بقرطبة .

أخذ فيه عن محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٣٩٠ هـ) وهو من أحفاد موسى بن نصير ، وكان كثير الرواية ولم يكن فى عصره أحد أكثر منه دواوينا جمع فيها العلم

---

(١) انظر قرطبة فى العصر الاسلامى : د. أحمد فكرى : ١٦٩ .

الذى نقله عن شيوخه[1] .

٢ ـــ مسجد عيسى بن سعيد بن سَعْدان (٣٩٠ هـ)

أخذ عنه ابن عبد البر علم القراءات وكان يُقرىء بمسجده . وكان أطيب الناس صوتا[2] .

٣ ـــ مسجد سُريج .

تتلمذ ابن عبد البر فيه على أحمد بن قاسم التّاهرتى (ت ٣٩٥ هـ) وكان يسكن فى منطقة مسجد مسرور وكان شيخا صالحا زاهدا[3]. قال ابن عبد البر : لقيته وسمعت منه كثيرا »[4] من ذلك[5] : كتاب « أحاديث خراش » فى علم الحديث ، وكتاب « المختصر الأوسط) فى الفقه لعبد الله بن عبد الحكم « وطبقات بن سعد » فى التاريخ ، « وصريح السنة » ، « وفضائل الجهاد » للطّبرى .

٤ ـــ مسجد ابن طوريل بالجانب الغربى[6] :

وكان أحمد بن عبد الله بن شريعة اللخمى الباجى (ت ٣٩٦ هـ) يدرس فيه ووصفه ابن عبد البر وصفاً يدل على تَقدُّم أبى عمر الباجى بالعلم وقد مضى تفصيل الكلام عنه عند التعريف بشيوخه .

وقد روى عنه ابن عبد البر « غريبَى الحديث » لأبى عبيد ، وابن قتيبة وكان يحفظهما حفظاً حسناً ، وكان يدرس علم الحديث ، والفقه ، والعقائد ،

---

(١) انظر الصلة : ٤٩٩ ومحجة فحلول تعنى : شارع أو سكة فحلول ، انظر : قرطبة فى العصر الإسلامى ١٧٧ ، ١٨٦ .

(٢) انظر الجذوة : ٢٩٨ ، طبقات القراء لابن الجزرى : ١ / ٦٠٨ .

(٣) انظر : الجذوة : ١٤١ والصلة : ٨٤ ـــ ٨٥ طبقات القراء : ابن الجزرى : ١ / ٨٧ .

(٤) انظر الجذوة : ١٤٢ .

(٥) انظر نفس المصدر : ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٩٨ .

(٦) وهى المدينة التى بنيت فى غرب قرطبة . انظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٧٢ .

والرجال [1]. وروى عنه كذلك « كتاب رجال الموطأ لابن مزين » [2]،« مسند بقيّ بن مخلد » « والتجريح والتعديل لأصحاب الحديث » [3] وغيرها .

٥ ـ مسجد مكّرم بغدير ثعلبة :

وكان الذى يدرس فيه ويصلى بالناس عبد الرحمن بن يحيى بن محمد أبو زيد العطار (ت ٣٩٦ هـ) كان يسكن بمنطقة غير منطقة المسجد واسمها غَدير ثعلبة ويبدو أنه من الغُدران التى تُحيط بقرطبة [4]

وقد روى عنه ابن عبد البر [5] : كتاب « جامع بن وهب » فى الحديث وروى عنه فى التاريخ: « تاريخ يحيى بن معين » ، « وتاريخ أبى بكر البغدادى » .

٦ ـ بلاط مُغيث بالجانب الغربى :

وهذا أحد أرباض المدينة الغَربية المعروفة بالجانب الغربى [6]. وكان يسكن فيه أحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الجَسور (ت ٤٠١ هـ) وكان يدرّس فى منزله فكان ابن عبد البر يقصده للتعلم منه . فقد كان بارعاً بالحديث والفقه وعلم الرجال [7]. روى عنه ابن عبد البر [8] : « ذيل المُذيّل » للطبرى فى التاريخ « ورسالة التبصير إلى أهل طبرستان » و« فضل الجهاد » للطبرى .

٧ ـ مسجد أبى عُبيدة :

وهذا المسجد من مساجد قرطبة ، وكان أحمد بن فَتح المَعافِرى التّاجر (ت ٤٠٣ هـ) المعروف بابن الرَّسان يعقدُ حَلَقته العلمية فيه مع أنه كان يسكن

---

(١) انظر الجذوة : ١٢٨ .

(٢) نفس المصدر : ٩٣ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١٤١ .

(٤) انظر الجذوة : ٢٧٩ ـ ٢٨٠ والغدير : القطعة من الماء يتركها السيل . اللسان : ٣ / ٣٢١٦ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٢٢٩ .

(٦) انظر قرطبة فى العصر الإسلامى : ١٧٢ .

(٧) انظر الصلة : ٢٣ ـ ٢٤ .

(٨) انظر الجذوة : ١٠٧ / ١٤٠ .

فى الجانب الغربى خارج قرطبة ، بحوانيت الريحانى ، فكان ابن عبد البر يقصده إلى مسجده الذى يصلى فيه . ولعله كان يذهب إلى منزله أحيانا ، على عادة علماء قرطبة [١] .

وكان من أهل الرحلة إلى المشرق فحج إلى مكة مارا بمصر فروى عن شيوخ البلدين . وهو رجل صالح على هدى وسنة . وكان مُختصاً بالفرائض ، وألف فيها كتابا حسنا .

وكان من شيوخ ابن عبد البر فى التاريخ روى عنه كتاب « الدار » و« مقتل عثمان » لعمر بن شبة [٢].



(١) انظر الصلة : ٢٦ .

(٢) انظر الجذوة : ١٤١ .

مخطط تقريبي لمدينة قرطبة في القرن العاشر الميلادي • الرابع الهجري

شكل (٢)

نقلت عن كتاب طوق الحمامة لابن حزم

تحقيق الدكتور طاهر مكي

جوانب أخرى من ثقافته : [1]

إن ابن عبد البر فضلا عن أنه قد برع فى العلوم الشرعية . فإنه كان مشغوفا بالأدب عموما شعره ونثره ، وكان هذا سمت الأندلسيين . وظاهرة بارزة فى المجتمع الأندلسى ، فحتى من لم يقرض الشعر بديهة فإنه ينظمه صناعة .

وقد أدلى ابن عبد البر بدلوه فى هذا المجال فألف كتابه بهجة المجالس الذى نال به شهرة واسعة لضخامة الكتاب وقيمة مادته حيث جمع كثيرا من شعر الأندلسيين وغيرهم فضلا عن حسن التبويب ونظافة العبارة ورقتها فلم يخض فيما هو جارح وقدبينا ذلك عند التعريف بالكتاب فى مؤلفاته .

وكانت لابن عبد البر نظرات نقدية فى الشعر تدل على حس مرهف وذوق عال وفحص دقيق [1] .

وقد نظم ابن عبد البر قصائد ومقطوعات فى أغراض متعددة [2] . أوردنا مقتطفات منها فى ثنايا البحث .

مكانة ابن عبد البر وثناء العلماء عليه :

لقد نال ابن عبد البر الاحترام الوفير من أهل عصره من الأمة وعلمائها وحكامها ، فقد تسابق الجميع إلى أن ينهلوا من ثقافته الواسعة ويتعلمون من خلال مجالسه العلمية .

---

(١) انظر بهجة المجالس : ١ / ٣٦٦ ومابعدها .

(٢) انظر جامع بيان العلم : ٦٩ ، ١٢٠ ، ١٩١ ــ ١٩٢ ، ٣٩٢ ، ٥٣٢ .

وانظر بهجة المجالس : ١ / ١٦٥ ، ٢٨٤ ، ٣٩١ ، ٥٢٥ ، ٢ / ١٠٤ ــ ١٠٥ .

وانظر نفح الطيب : ١ / ٥٥ ، ٣ / ٢٣٥ ــ ٢٣٦ ، ٤ / ٢٨ ــ ٢٩ ، ٣٢٧ .

وانظر الديباج المذهب : ٢ / ٤٠٨ .

ومخطوط روض الأنسى : ١٢ مغرب أولى / مكتبات خاصة .

وقد جعله الدكتور منجد مصطفى بهجت أحد الفقهاء الأندلسيين الذين درس شعرهم فى رسالته للدكتوراه (الاتجاه الإسلامى فى الشعر الأندلسى) المقدمة بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (١٠٤١ هـ ــ ١٩٨١ م)

وقد فخر ابن عبد البر بذلك فى قوله[1] :

إذا فاخرتَ فافْخَر بالعلومِ ودَعْ ما كان من عظم رميمِ
فكم أمسيتُ مُطَّرحاً بجهلٍ وعلمى حلّ بى بين النّجوم
وكم من وزيرٍ سارَ نحوى فلازَمَنى مُلازمةَ الغريمِ
وكم أقبلتُ مُتّئِداً مُهاباً فقام إلىّ من مَلِكٍ عظيمِ
وركبٍ سار من شرقٍ وغربٍ بذكرى مثلَ عَرفٍ فى نَسيم

فكان العلماء يتسابقون للرحلة إليه للسماع عنه، فهذا أحد طلابه أبو على الجيانى يرحل إليه من جيان إلى بلنسية ثم إلى شاطبة ويسمع على ابن عبدالبر فى منزله وذلك سنة (٤٥٣ هـ)[2].

وكذلك أحمد بن محمد بن رزق الأموى (٤٧٧ هـ) الذى كان مدار طلبة الفقه فى قرطبة فى المناظرة والمدارسة كان ممن رحل إلى ابن عبد البر فسمع منه[3].

ولم يكن مقصد طلبة العلم فقط بل قصده الأمراء فمجاهد العامرى أميرُ دانية، كان يسمع عليه فى مجالسه العلمية . وينال ابن عبد البر منه كل تقدير واحترام[4].

ثم إنّ المعتضد قد وجه إليه رسالة بخط ابنه عبد الله الذى كان يشغل منصب الوزارة عنده يقول له فيها[5]:

« إنْ كنّا لم نتعارف ترائياً، ولم نتلاقَ تدانياً، فَفضلُك فى كلّ قطر كالمشاهد، وشخصُك فى كلّ نفس غيرُ متباعد، فأنت واحد عصرك، وقريعُ

---

(١) المغرب : لابن سعيد الأندلسى : ٢ / ٤٠٨ . لعله ينصح ابنه الذى كان يرى نيل المنزلة بالتقرب إلى الأمراء والحكام .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ٨١، ٨٥، ١٠٩ .

(٣) انظر الصلة ٦٥ .

(٤) انظر التكملة، القسم الثالث مخطوط

(٥) الذخيرة : ٣ : ١ / ١٣٤ طبعة إحسان عباس .

دهرك ، عَلَماً بيدك لواءُه . وكُنتَ كذلك والناس موفورون ، والشيوخ أحياء يُرزقون ، فكيف وقد دَرَس الأعلام والكُدى ، وانتزع العلم بقبض العلماء ، فانقضى .. ولم تزل نفسى إليك جانحةً ، وعينى نحوك طامحة انجذابا إلى العلم ورغبة فيه » .

ولاغرابة فى هذا الأمر فقد شاع مدحُهُ وثناء العلماء عليه بما هو فيه فقد شهد له تلاميذه بذلك .

فابن حزم يقول عنه : « وممّن أدركنا من أهل العلم على الصفة التى من بلغها استحق الاعتداد به فى الاختلاف ... يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النّمرى » [1] .

« وحسبك بأبى محمد مُثنيا وجرت بينهما مناظرات ومنافرات ، ومع ذلك يروى عنه بالإجازة » [2].

ولعلّنا لو أكثرنا عن الأندلسيين لظنّ ظان بأنه تعصّب أندلسى ، ولكنّ شهادات أهل الأمصار تشهد بذلك .

فيقول الذهبى عنه : لقد كان أبو عمر من بُحور العلم ... واشتهر فضله فى الأقطار » [3] . ووصفه السيوطى بأنه « ساد أهلَ الزمان بالحفظ والإتقان » [4] ولذلك « فإنه ممن بلغ رتبة الأئمة المجتهدين » [5]

فلذلك فإن الأندلسيين كانوا يصفون الفترة التى عاشها ابن عبد البر (عصرابن عبد البر) [6] فقد ألف يوسف بن عبد الله بن أبى زيد بن عيَّاد من

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام : ٢ / ٦٧٣ ــ ٦٧٤ .

(٢) مقدمة الاستذكار : ورقة : ١٢٠ مخطوط الظاهرية .

(٣) العلو للعلى الغفار : ١٨٢ .

(٤) طبقات الحفاظ : ٤٣٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء : للذهبى : ٢ : ١١ / ١٨٢ مخطوط دار الكتب .

(٦) انظر الحلل السندسية : ٣ / ٢١٨ .

المريّة كتاباً سماه (طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر) فأرّخ بعصره وكفى به فضلا .

ولم ينس الشاطبيون فضله فقد خلّدوا ذكراه بروضة من رياض شاطبة الغنّاء ، وكان يُدفن فيها كبار العلماء [١] .

علاقته بحُكّام زمانه :

وأما علاقته بحُكّام زمانه فكانت علاقة العالم الذى يعتزّ بنفسه ويؤثر عدم الإكثار من خلطة الأمراء . ولكن طبيعة الظروف السياسية التى مرت بها الأندلس وتفتت الدولة الواحدة إلى دويلات . والصراع المستمر بين الأمراء وتفاوت هؤلاء الأمراء فى أخلاقهم وسياساتهم جعلت العلماء الذين تركوا قرطبة يحارون فى المكان الذى يصلح فيه الاستقرار ، وخاصة كإمام مثل ابن عبد البر الذى نال الشُّهرة والفضل فقد كان الأمراء يرغبون فى استمالته ، ولكنه كان يختار مكانه بحسب اجتهاده ، فلذلك كانت رحلته كما رأينا مستمرة وإقامته غير مستقرة .

وكان إذا حَسُن ظنه بأحد الحكام مال إليه بما لايخرم مروءته ويُنقص من قدره ، فإذا كان غير ذلك نَفَرَ وسافر ، كما حدث مع أبى القاسم بن عباد فى إشبيلية [٢] .

وكان ابن عبد البر لايمتنع عن أخذ هدايا الأمراء وهو أمر اختلف فيه بحسب الدافع . وقد بين ابن عبد البر ضوابط ذلك من خلال باب كتبه فى كتابه جامع بيان العلم . أسماه : « باب ذم العالم على مداخلة السلطان » [٣] . أورد فيه من الأقوال ما يقرّع من تساهل فى ذلك .

ويعقب بقوله : « وهذا الباب كُلُّه فى السلطان الجائر الفاسق ، وأما العدل فمنهم الفاضل فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال

---

(١) نفس المصدر : ٣ / ٢٨٩ ، ٤٨٠ .

(٢) وقد مر الكلام عن هذا فى مبحث رحلاته .

(٣) جامع بيان العلم : ٢١٧ ـــ ٢٢٦ .

البر »[1] ومع هذا يبدو أنه خلُص إلى نتيجة كانت هى الضّابط الذى سلكهُ فيقول :

« وإذا حضَر العالم عند السلطان غبا — بصورة متقطعة — فيما فيه الحاجة وقال خيراً ، ونطق بعلم كان حسنا ، وكان فى ذلك رضوان الله إلى يوم يلقاه ، ولكنها مجالس الفتنة فيها أغلب . والسلامة منها ترك ما فيها »[2]

هكذا يختم كلامه بعد طول تجربة مرَّ بها فى هذا الأمر .

وقد انتقده بعض العلماء فردَّ عليهم . ولعل ابن عبد البر كان يرى أن إصلاح أحوال الأندلس يقتضى مخاطبة هؤلاء الأمراء لإعادة الوحدة إلى الأندلس التى مزقتها الصراعات ، وأغرت الأعداء بهم . وهذا هو الأمر الذى كان يدفع ابن عبد البر إلى مُخلطتهم غبّاً كما وصف ذلك بنفسه .

وظائفه :

لهذه المنزلة والعمق فى الثقافة والإمامة فى الدين . تسابق الأمراء إلى كسب ودّه لأن استمالة المشهورين من العلماء كانت سمة ملوك الطوائف وكانوا يفتخرون بذلك .

ولكن ابن عبد البر كان هو الذى يختار موقعه وخاصة بعد خروجه من القضاء للمظفر بن الأفطس الذى أكرمه ، وكان يُبدى اهتمامه بالعلماء — وقد مرّ الكلام عن ذلك فى رحلاته — وكان ذلك فى الفترة بعد (٤٣٧ هـ) أى بعد تولى المظفر الإمارة فتولى قضاء أُشبُونَة وشَنْتَرين[3]. وقضى رَدحا من الزمن عندالمظفر ألّفَ خلاله « كتاب بهجة المجالس » ، الذى كان يلقيه فى مجالس المظفر الأدبية . ولعله ألف كتابه : « الكافى » فى الفقه فى هذه الفترة كذلك ، لأنه كان

---

(١) نفس المصدر : ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٢) جامع بيان العلم : ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٣) انظر جذوة المقتبس : ٣٦٩ وسير أعلام النبلاء : ١١ : ٢ / ١٨٢ مخ دار الكتب .

على نَسق كُتب الإفتاء ، وكان خاصا بمذهب مالك فقط لأن فقه مالك كان هو السائد فى الأندلس .

وقد مدح ابن حزم هذا الكتاب وأثنى عليه فى رسالته فضائل الأندلس .



الفصل الخامس

مؤلفات ابن عبد البر وآثاره

ابن عبد البر المصنف وآثاره :

كان ابن عبد البر ذا ثقافة متنوعة موسوعية ، وهى ثمرة جد واجتهاد فى تلقى العلم عن كبار علماء عصره فى الأندلس ، ممن كانت لهم الصدارة فى اختصاصاتهم ، ومكاتبة مشاهير علماء المشرق ليجيزوه رواية كتبهم ، فحاز بذلك على مصادر كثيرة فى العلوم المختلفة كما سنرى .

وبهده الحصيلة المباركة صقلت مواهب ابن عبد البر ، وشحذ ذهنه ، وقويت حافظته ، وأصاب نظره ، وبذلك ملك القدرة على التأليف ، بل بلغ حدّ البراعة ، وكان « مُوفّقا فيه مُعاناً عليه »[1] ، « فجمع وصنف وضعّف ووثّق وسارت بتصانيفه الرُّكبان »[2] ، ووصفت مؤلفاته بأنها « تيجانُ رؤوس العظماء وأسوة العلم والعلماء »[3] ، وكانوا يتسابقون فى روايتها ، ونَسخِها ، واختصارها ، أو شرحها .

ولقد شهد له بالبراعه فى التأليف كذلك ابن حزم الأندلسى الذى عاصره وأخذ عنه العلم بقوله : « ولصاحبنا ابن عبد البر كتب لامثيل لها »[4] .

وشهد له ابن سعيد بقوله : « انظر إلى آثاره تُغنكَ عن أخباره »[5] .

وكانت أمنيةُ بعض العلماء الارتحال إليه ، بل الارتحال إلى تلاميذه للأخذ عنهم ماروه من العلم عن شيخهم ابن عبد البر ، فهذا الحافظ الذى طار اسمه فى الآفاق أبو طاهر السلفى (٤٧٠ ــ ٥٧٦ هـ = ١٠٧٧ ــ ١٠٧٨ م) « كان فى نيّته اختراق بلاد المغرب والأندلس للأخذ عن أصحاب أبى عمر بن عبد البر »[6] ،

(٢،١) سير أعلام النبلاء : الذهبى ، مخ : ١١ / ٢ : ورقة ١٨٣ .
وانظر الكتانى : فهرس الفهارس ٢ / ٢١٨ ومطمح الأنفس : ٦٢ .
(٣) الذخيرة : ابن بسام ، مخ : القسم الثالث : لوحة ٣٦ معهد المخطوطات برقم (٩٣ مغرب ثانية) .
(٤) نفح الطيب : ٣ / ١٦٩ ــ ١٧٠ .
(٥) المغرب : ٢ / ٤٠٧ .
(٦) المعجم لابن الأبار : ٤٩ .

فترك صَيدا سنة (٥١١ هـ = ١١١٧م) مُتوجها إلى الإسكندرية لإتمام هذه الرحلة ، ولكن اجتماع أهل الإسكندرية عليه وإلفه لهمُ جعلهُ يكتفى بمكاتبة تلاميذ ابن عبد البر وطلبه الإجازة منهم ، فكتب إليه أبو عمران موسى بن أبى تليد (٤٤٤ ـــ ٥١٧ هـ = ١٠٥٣ ـــ ١١٢٣ م) ، وأبو محمد عبد الرحمن بن عتاب (٤٣٠ ـــ ٥٢٠ هـ = ١٠٣٩ ـــ ١١٢٦ م) وأبو على حسين بن فَيُّرةَ بن سُكَّره (٤٥٢ ـــ ٥١٤ هـ = ١٠٦٠ ـــ ١١٢٠ م) وأبو بَحر سُفيان الأسدى (٤٤٠ ـــ ٥٢٠ هـ = ١٠٤٨ ـــ ١١٢٦ م) وغيرهم .

وأثنى أبو طاهر على ابن عبد البر ومؤلفاته بقوله :[١]

« وبالجملة فالرجل جليلُ القدر واسع العلم وكُتُبُهُ مُتعدِّدةُ كثيرة ، وقد قلت فيها لحسنها وكثرة فوائدها .

يامَنْ يُسافر فى الحديثِ مُشرّقاً ومُغرّباً فى البحر بعدَ البرِّ
ماأن يرى أبدا لكُتبٍ صاغها بالغربِ حافظها ابن عبد البرّ

« فمن نظر إلى مصنفاته بانَ له منزلته من سَعَة العلم وقوة الفهم » [٢].

وقد حاول هذا البحث أن يستقصى حسب الإمكان مؤلفات هذا العالم الفذ [٣]، وذلك بعملية جرد للكتب التى عنيت بالترجمة له ، أو لتلاميذه ومن روى عنه ، وفهارس الكتب المخطوطة والمطبوعة فضلا عن اقتناص أسماء بعض مؤلفاته من كتبه ، أو كتب غيره التى تُحيل إلى كتب ابن عبد البر على حسب موضوعاتها .

وبذل جهدا آخر لتحقيق عناوينها وإزالة الوهم ، أو الخطأ الذى ارتبط ببعض هذه المؤلفات ، ثم توثيق نسبة هذه الكتب إلى ابن عبد البر حسب الإمكان .

---

(١) مقدمة الاستذكار : مخ ورقة ١٢٢ : ضمن مجموع برقم (٧١ حديث) المكتبة الظاهرية .

(٢) سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٢ .

(٣) وقد أعاننى فى البحث عن المطبوع فى مكتبات القاهرة القديمة محقق تاريخ أبى زرعة الدمشقى الأستاذ شكر الله نعمة الله خلال رحلته العلمية للقاهرة سنة ١٣٩٧ هـ ـــ ١٩٧٧ م

وبعد الاطلاع على تلك المؤلفات القيّمة فى العلوم الإسلامية المُنوَّعة يبدو للباحث أنّ أنسب خُطة لتصنيف مؤلفات ابن عبد البر التصنيف الموضوعى حسب الآتى :

أولا : علم القراءات .

ثانيا : الحديث وعلومه .

ثالثا : الفقه وما يتصل به .

رابعا : التاريخ وما يتعلق به .

خامسا : الأدب والثقافة العامة .

وسيعرض البحث كل قسم على حده . ويعرض لمؤلفات ابن عبد البر فى كل فن على وجه الإجمال ، أما الجانب التاريخى وما يتعلق به ، فسيُفرد له الباب الثانى لدراسته بالتفصيل ، ولعل البحث بذلك يكون قد استدرك ما فات البحوث[1] السابقة من الكشف عن مؤلفات ابن عبد البر والتى بلغت فى هذا البحث ثلاثة وخمسين مؤلفا ما بين كتاب ورسالة ، وهذا مع ذلك هو غيض من فيض ابن عبد البر .

أولا : علم القراءات :

اهتم المسلمون بالقرآن وتَلَقيه من أول يوم أنزل فيه ، إلى يومنا هذا ، يتعبّدون بتلاوته والعمل بما بين دفتيه من أحكام لكل جوانب حياة الإنسان ، تقوم عليها وتصلُح بها . « فاشتدت العناية به فى زمن الصحابة ، والدواعى التى توفّرت فى

---

(١) ذكر له صالح أحمد رضا سبعة وعشرين مؤلفا بين مخطوط ومطبوع ومفقود ، انظر : رسالته للدكتوراة بعنوان « مدرسة الحديث فى الأندلس وإمامها ابن عبد البر » قدمت بجامعة الأزهر ــ كلية أصول الدين ــ قسم الحديث سنة (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠) لم تطبع بعد .

وذكر له : الطاهر بن الصادق الأنصارى ثلاثين مؤلفا ، أورد له ذلك فى رسالته للماجستير بعنوان « ابن عبد البر القرطبى محدثا » قدمت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ــ كلية الشريعة ــ قسم الكتاب والسنة سنة (١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م)

وذكر له د. محمد ولد ماديك المُوريتانى واحداً وعشرين مؤلفا انظر كتاب الكافى لابن عبد البر « دراسة وتحقيق » قدمه لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر ـ كلية الشريعة ــ (١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م) .

نقله وحمايته ، وحفظِهِ وحراستهِ حتى تَحصِيل العلمُ بكل شيء فيه من حروفه وإعرابه وقراءته ودراسته مع صدق العناية والاهتمام البالغ »[١] وقد تنوعت علوم القرآن الكريم والمؤلفات فيها فمنها ما شمل تاريخ القرآن ، تنزُّله وجمعه ، ومنها ما اختص بقراءاته وتجويده ومنها ما اهتم بتفسيره ومصطلحه .

وقد شارك ابن عبد البر فى هذا العلم مشاركة البارع فيه المُتمكن منه ونقل[٢] عنه العلماء المتخصصون ، مما يدل على قيمة رأيه فاعتمدوه .

كان لأهل الأندلس اهتمام خاص بهذا العلم وخاصة فى مدينة دانية حيث كان أميرها مجاهد العامرى يشجع العلماء فى التأليف فى هذا الفن ولعل ابن عبد البر كتب كُتبه هذه عندما حلّ دانية إبان حُكم مجاهد العامرى (٤٣٦ هـ ـــ ١٠٤٤ م) .

وأما الفرق بين عِلْمَى التجويد والقراءات فيُبيِّنهُ لنا محمد المَرْعَشى الملقّب بساجقْلِى زاده (ت ١١٥٠ هـ) فى كتابه المخطوط جُهد المقل : « إن قلت ما الفرق بين علمى التجويد والقراءات ؟ قلت : علم القراءات : علم يعرف فيه اختلاف أئمة الأمصار فى نظم القرآن فى نفس حروفه أو فى صفاتها ، فإذا ذكر

---

(١) مفتاح السعادة : طاش كبرى زادة : ٣ / ٧٥ .

(٢) انظر : « المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز » لأبى شامة عبد الرحمن المقدسى (٥٩٩ ـــ ٦٦٥ هـ) ، طبعة بيروت ـــ ١٩٧٥ ص ١٠٠ . « التذكار فى أفضل الأذكار فى فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به» لمحمد بن أحمد الأنصارى القرطبى (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق ثروت محمد نافع . القاهرة ١٩٧٩ ، انظر : ٤٨ .

(منجد المقرئين ومرشد الطالبين)

لمحمد بن محمد الجزرى (ت ٨٢٣ هـ) تحقيق د. عبد الحى الفرماوى ط . القاهرة ـــ ١٩٧٧ انظر : ٩٦ ، ٩٧ ، ٢٢٤ .

(لطائف الإشارات لفنون القراءات) :

لابن العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر المعروف بشهاب الدين القسطلانى (٨٥١ ـــ ٩٢٣ هـ) تحقيق : الشيخ عامر عثمان والدكتور : عبد الصبور شاهين ، ط : القاهرة : ١٩٧٢ م انظر : ج١ : ٣٢ ، ٣٤ ، ٧٠ .

فيه شيء من ماهية صفات الحروف فهو تتميم إذ لايتعلق الغرض به .

وأما علم التجويد : فالغرض منه معرفة صفات الحروف فإذا ذكر فيه شيء من اختلاف الأئمة فهو تتميم » [١]

ولابن عبد البر فى هذا العلم المؤلفات الآتية : [٢]

١ ـ المدخل فى القراءات . [٣]

٢ ـ الاكتفاء فى قراءة نافع وأبى عمرو بن العلاء بتوجيه مااختلفا فيه . [٤]

٣ ـ التجويد والمدخل إلى علم القرآن بالتحديد . [٥]

٤ ـ البيان عن تلاوة القرآن . [٦]

ثانيا : الحديث وعلومه :

لمّا كانت السُّنة النبوية هى المصدر الثانى للتشريع مع القرآن الكريم ، لذا فإن جهود العلماء انصبت على العناية بها رواية [٧] ودراية [٨] فألفت فيها المؤلفات

---

(١) محاضرات فى علوم القرآن : غانم قدرى حمد . ط : ١٩٨١ بغداد .

(٢) وكل هذه المؤلفات فى حكم المفقود .

(٣) كشف الظنون : ٢ / ١٦٤٤ ، وهدية العارفين : ٢ / ٥٥ .

(٤) الجذوة : ٣٦٨ ، البغية : ٤٩٠ مقدمة الاستذكار : ورقة ١٢١ .

وفى نفخ الطيب ٣ / ١٧٠ نقلا عن ابن حزم « والحجة لكل منهما » بدل « بتوجيه ما اختلفا فيه » .

(٥) مقدمة الاستذكار : للسلفى نقلا عن كتاب الجذوة : ورقة ١٢١ ، وانظر الجذوة : ٣٦٨ . والبغية : ٤٩٠ . .

(٦) الجذوة : ٣٦٨ ، البغية : ٤٩٠ فهرسة ابن خير الإشبيلى : ٧٢ ، مقدمة الاستذكار : ١٢١ سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣ ، وذكره صاحب كشف الظنون بعنوان (البيان فى تأويلات القرآن) ولم يذكره بهذه الصيغة غيره ولعله تصحيف أو كتاب آخر : ١ / ٢٦٣ .

(٧) علم الحديث رواية : « هو علم يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول من حيث أحوال رواته ضبطاً وعدالة ومن حيث حال السند اتصالا وانقطاعا وغير ذلك من الأحوال التى يعرفها نقاد الحديث » انظر مفتاح السعادة ٢ / ٦٠ .

(٨) علم الحديث دراية : « وهو علم يبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المعنى المراد منها مبتنيا على قواعد اللغة العربية وضوابط الشريعة ومطابقا لأحوال النبى » انظر مفتاح السعادة : ٢ / ١٢٨ .

العظيمة التى ظلت غررا فى جبين التاريخ تشهد بعظمة الأمة المسلمة التى حفظت حديث نَبيِّها .وتَفرَّدت بمنهج فى النقل لم تدانيها فيه الأمم الأخرى .

وقد اعتنى أهل المغرب والأندلس كما اعتنى جمهور علماء العالم الإسلامى بكتب السنة المشهورة واعتنوا بالصحيحين ــ البخارى ومسلم ــ وموطأ مالك ، والسنن المعروفة : أبو داود ، والحاكم ، والترمذى ، وابن ماجة .

ولم تخل فهارس ، وبرامج العلماء فى المغرب والأندلس من هذه الكتب ، ولكن جُل اهتمامهم كان بالموطأ للإمام مالك بن أنس باعتباره إمام دار الهجرة وإمام المذهب المتبع فى المغرب الأندلسى .

مشاركة ابن عبد البر فى هذا العلم :

أوقف ابن عبد البر نفسه على خدمة حديث رسول الله ، فاهتم بالمؤطأ اهتماما كبيرا ،وقدّم لنا دراسات متعددة عليه ، فشرحه مُرتباً على شيوخ مالك على حروف المعجم فى كتابه (التمهيد) . وشرحه كاملا على الوجه الذى كتبه الإمام مالك وسمى هذا الشرح بالاستذكار . ووصل أحاديثه المرسلة وأسند بلاغاته ، وغيرها فى الدراسات التى سنوردها .

وبلغ من رتبة ابن عبد البر فى الحديث « أن أصحاب الحديث اختاروا سبعة من الحفاظ جعلوهم ساقة الستة المشهورة ، وأطبقوا على أنهم أحسنوا التصنيف ، وأن مصنفاتهم وقعت عظيمة النفع ومن هؤلاء أبو عمر بن عبد البر النمرى »[(١)]

---

(١) مفتاح السعادة : طاش كبرى زادة ٢ / ١٤١ ، ١٤٣ .

وانظر : ابن حزم : رسالة فى فضل الأندلس تحقيق إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسى عصر قرطبة : ٣٥٩ .

ويقصد بالكتب الستة :

صحيح البخارى ــ وصحيح مسلم ــ سنن النسائى ــ وسنن أبى داود ، وسنن الترمذى ــ وسنن ابن ماجة .

وأهم مؤلفات ابن عبد البر فى هذا العلم هى :[1]

أولا : المطبوع منها

١ ـ التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد :

هذا الكتاب من أجلّ مؤلفات ابن عبد البر الحديثية وبه اشتهر ، وهو شرح لكتاب الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحى ، وقد أمضى ابن عبد البر ثلاثين عاما فى هذا الكتاب ، ويبدو أنه ابتدأ بتأليفه مبكرا لكثرة ما يحيل[2] إليه فى كتبه الأخرى ، وبلغ من اعتزاز ابن عبد البر بالتمهيد أنه نظم فيه أبياتا من الشعر يقول فيها :[3]

سمير فؤادى فى ثلاثين حُجةً
وصاقِلُ ذِهنى والمُفَرِّجُ عن همّى
بسطتُ لهم فيه كلامَ نَبيّهم
لما فى معانيهِ من الفقهِ والعِلمِ
وفيه من الآدابِ مايهتدى به
إلى البرّ والتّقوى ويَنأى عن الظُّلم

وقد رتبه حسب حروف المعجم[4]، على أسماء شيوخ مالك فيورد اسم الشيخ الذى روى عنه مالك ، وعدد الأحاديث التى رواها عنه .

واقتصر ابن عبد البر فى التمهيد على ماورد عن رسول الله ﷺ من الحديث

---

(١) أما كتب علم الرجال الذى وضع لخدمة علم الحديث والذى ألف فيه ابن عبد البر معظم مصنفاته ، فيعتبر فرعا من فروع التاريخ فلذلك ذكرناها فى المؤلفات التاريخية .

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣١٨ ، ٢٤١ ، ٣ / ١٦٠ ، ٤ / ٧٠ .

(٣) انظر ترتيب المدارك : ٢ / ٨١٠ .

(٤) حسب ترتيب حروف المعجم عند أهل الأندلس والمغرب . وهى : « أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى » .

متصلا[1] أو منقطعا[2] ، أو موقوفا[3] ، أو مرسلا[4] ، دون مافى الموطأ من أقوال مالك وغيره .

واعتمد فيه على رواية يحيى بن يحيى الليثى (٢٣٣ هـ)[5] لأنها المشهورة فى الأندلس ، وإذا فات يحيى رواية حديث من أمهات أحاديث الأحكام فإنه يذكره من غير رواية يحيى .

ثم إنه قدّم المتصل ، ثم ماجرى مجراه مما اختُلِف فى اتصاله ، ثم المُنقطع ، والمُرسل[6] . وقام ابن عبد البر بوصل كل مقطوع ، وكل مرسل جاء مُسنداً من غير رواية يحيى .[7]

وعندما يشرح الحديث يقدّم له بترجمة موجزة لرجال السند الذين روى عنهم الإمام مالك إلى رسول الله ﷺ[8] ، ومن ثم يورد أقاويل العلماء فى تأويل

---

(١) المتصل (الموصول) : الحديث الذى سمعه كل واحد من رواته ممن فوقه إلى نهاية السند يُقبل إذا استوفى باقى شروط القبول » انظر : معجم المصطلحات الحديثية لنور الدين عتر : ٨٧ » .

(٢) المنقطع : الحديث الذى لم يتصل إسناده وهو ضعيف
انظر نفس المصدر : ١٠٧

(٣) الموقوف : الحديث الذى أُضيف إلى أحد الصحابة» نفس المصدر : ١٠٩ » .

(٤) المرسل : الحديث الذى رواه التابعى عن النبى ﷺ ولم يذكر الواسطه بينه وبينه ، وهو ضعيف عند المحدثين
انظر نفس المصدر : ٩٣ .

(٥) أصله من البربر من قبيلة مصمودةرحل إلى مكة والمدينة والتقى بالإمام مالك وروى عنه الموطأ وسمع بمكة من سُفيان بن عيينه وبمصر من الليث بن سعد سماعا كثيرا ، ثم رجع للأندلس وكان مدار فتوى الأندلس عليه فى رمانه . انظر · الانتقاء : لابن عبد البر : ٥٨ ـــ ٦٠ ، وانظر : تعريف بفقهاء المالكية مخ ضمن مجموع ورقة : ٥، ٦

انظر التمهيد : ١ / ٨ ، ٢٩٥ . ٢ / ٣ ، ٨ ، ٢٤٢ ٣ / ٧ ، ١٨٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٦ .

(٧) نفس المصدر : ١ / ١١٥ . ٢ / ٢٦ ، ١١٦ ، ١٣٤ ،٢٦٦ . ٣ / ١٥١ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ . ٤ / ٣٢٢ ، ٣٣١ .

(٨) نفس المصدر : ١ / ٩٣ ، ٩٤ ، ١٣٦ . ٢ / ٢٧ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ١٠٧ . ٣ / ١ ، ٢٤١ ،٢٧٢ .

المعانى[١] ، ويشرح ما استعجم من الألفاظ مستندا إلى أقوال أهل اللغة [٢] ، ويورد الشواهد من الشعر[٣] ، ويقوم باستنباط الأحكام الفقهية ويستوعب أقوال العلماء على اختلاف مذاهبهم ، منها ما يُحيله إلى المصادر التى نقل عنها[٤] ، ومنها مانقله حفظا عن شيوخه [٥].

اهتمام العلماء بكتاب التمهيد :

أقبل العلماء على التمهيد واهتموا به ، لأنه كان موسوعة حديثية تَمثّلت فى شرح الموطأ متناً وسنداً ، وأفاض المؤلف فى جميع العلوم المتصلة بموضوع الكتاب ، كالفقه والقراءات واللغة والتاريخ عند شرحه للأحاديث الواردة فى الموطأ ، لذلك حرصوا على روايته وتلقيه وقراءته فى مجالس العلم فى مختلف العصور [٦].

وقد اهتم به العلماء وتفنّنوا فى ذلك فأقبلوا على اختصاره لتيسيره لمبتدئى الطلاب [٧] ، أو نظمه شعرا ليسهل حفظه وضبطه[٨] ، ومنهم من أقبل على شرحه حلّا لبعض إشكالاته فى العبارة ، واستدراك بعض مافات ابن عبد البر[٩] .

---

(١) نفس المصدر : ١ / ٣٤ ، ١٠٢ ، ١٦١ ، ٢ / ٦٢ ، ١١٠ ، ٣ / ٣٦ ، ١٨٦ ، ٤ / ١٠ ، ٤٤ ، ١٣٤ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٢٤٤ ، ٢ / ٤ ، ٥ ، ٨٦ ، ٣ / ٧ ، ٢٤٤ ، ٢٧٥ ، ٤ / ٥٨ ، ٧٠ ، ٧٠ ، ٢٦٦ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٠٣ ، ١٠٧ ، ٢ / ١٢٠ ، ١٢٣ ٣ / ٨٨ ، ١٧٩ ، ٤ / ٧ ، ١٠٦ ١١٠.

(٤،٥) نفس المصدر : ١ / ٣٦٦ ، ٣ / ٢٨ ، ٤ / ٢ ، ١٤ ، ٣٠ ، ١١٤ .

(٦) انظر فهرسة بن خير : ٨٦ الحلل : أرسلان : ٣ / ٢٤٠ .

الصلة : ابن بشكوال ٣٥١ ، ٨٥ التكملة : ابن الأبار : ٢/ ٤٦٧ .

(٧) احتصره (محمد بن أحمد بن فرج القرطبى (ت ٧٦١ هـ) منه نسخة فى مكتبة القرويين بفاس تحت رقم (٥٢٣) (انظر بروكلمان ٣ / ٢٧٦) .

(٨) نظمه القاسم بن خيرة الرُّعينى الشاطبى فى قصيدة دالية فى خمسمائة بيت من حفظها أحاط علماً بكتاب التمهيد . انظر الديباج المذهب : ابن فرحون : ٢ / ١٤٩ .

(٩) شرحه أبو عبد الله الأنصارى فى القرن الخامس بعنوان « التقريب للكتاب التمهيد » نسخة منه فى مكتبة القرويين بفاس برقم (٥١٩) انظر بروكلمان : ٣ / ٢٧٦ .

ولما كان التمهيد والاستذكار شرحين للموطأ حاول بعض العلماء الجمع بينهما إتماما للفائدة [١].

وانصبّ اهتمام البعض الآخر على وصْلِ البلاغات [٢] التى لم يستطع ابن عبد البر وصل سَندها .

ونال ابن عبد البر بكتاب (التمهيد) التقدير والاحترام — إضافة إلى غيره من المؤلفات — حتى اشتهر به ، وكان إذا أريد التَّعريف بابن عبد البر قيل صاحب التمهيد ، وجعله ابن حزم — تلميذ ابن عبد البر ومعاصره — مفخرة من مفاخر الأندلس تفضل به الأندلس غيرها من أقطار الإسلام فقال فيه : « لم أرَ مثله فكيف بأحسنَ منهُ » [٣]. وهذا وإن كان لايخلوا من المبُالغة فى الثناء ، ولكن تواتر الثناء على هذا الكتاب من قبل أهل المشرق كذلك ليُثبت قول ابن حزم .

ويقع التمهيد فى سبعين جزءاً [٤] حديثياً على زمان ابن عبد البر وهو الآن فى نحو عشرين مجلدا متناثرة فى مكتبات العالم لاتحوى مكتبة منها نسخة كاملة [٥].

وقد تبنَّت وزارة الأوقاف المغربية مشروع تحقيقه بعد أن جمعت أشتات هذا الكتاب من مكتبات ، الخزانة العامة [٦] ، والخزانة الملكية بالرباط [٧] ، وخزانة جامعة القرويين [٨] ، بفاس وصورت ما تناثر من نسخه فى مكتبات : تركيا [٩] ، والعراق [١٠] ،

---

(١) جمع بينها هشام بن أحمد المعروف ابن العُود الفقيه القرطبي المؤرخ ولم يتمهُ لوفاته (٤٥٢ — ٥٠٩ هـ) انظر : الغنية للقاضى عياض ١٢٦ — ١٢٨ : مخ دار الكتب .

(٢) البلاغات : هى كل حديث ورد عن مالك فى المُوطأ بلفظ (بلغنى) أو (عن الثقة عندى) انظر تدريب الراوى ١ / ٢١٢ .

(٣) رسالة فى فضل الأندلس ملحقة : بكتاب تاريخ الأدب الأندلسى لإحسان عباس ص ٣٥٩ .

(٤) الجذوة : ٣٦٨ وليس هناك اتفاق على حجم الجزء بين المحدثين .

(٥) التمهيد مقدمة المحقق : ١ / ٤ .

(٦) التمهيد : مخطوطات رقم : ج ١٣ ، ج٥٩ ، ج ١٢٤ ، ق ٦١ ، ق ١٤ .

(٧) نفس المصدر : مخطوطات رقم : ٩٢٧ ، ٤١٨٦ .

(٨)(٩) تاريخ التراث : فؤاد سزكين : ٢ / ١٢٦ .

(١٠) فى مكتبة المدرسة القادرية المنسوبة للشيخ عبد القادر الكيلانى ببغداد .

ومصر[1] ، والسعودية[2] ، وسوريه[3] ، والفاتيكان[4] ، وماحقق منه إلى الآن صدر في عشرة مجلدات .[5]

ومازال التحقيق جاريا لإخراج متبقى الكتاب وهو كثير إذا ما حقق ، فقد يربو عدد مجلداته على العشرين وسيكون بذلك موسوعة حديثية يرتوى منهـا أهل العلم ومحبوه من الباحثين وغيرهم من المهتمين بالـدراسات الإسلاميـة .

٢ ـ التقصى لحديث الموطأ وشيوخ مالك :

وهذا الكتاب عبارة عن مدخل مختصر لكتاب التمهيد بعد أن حذف ابن عبد البر منه أقوال العلماء ومذاهبهم واختلافهم . مقتصرا على ماورد من الحديث فى الموطأ فقط ولذلك سُمى الكتاب بتجريد التمهيد[6] كذلك .

وبين لنا ابن عبد البر الدافع بقوله : « وعلمنا أن أكثر الناس من قصرت همته ،

---

(١) فهرس الخديوية: ١ / ٢٢٨ .

(٢) تاريخ التراث :٢ / ١٢٦ ، بروكلمان : ٣ / ٢٧٦ .

(٣) فهرس الحديث للمكتبة الظاهرية : ٤٧ ، حديث .

(٤) بروكلمان : ٦ / ٢٦٤ .

(٥) الجزء الأول : بعنايه : مصطفى بن أحمد العلوى ومحمد عبد الكبير البكرى . الرباط ١٣٨٧ هـ / ١٩٦١ م .

الجزء الثانى : حققه مجموعة من العلماء .

الجزء الثالث حققه محمد التائب العبدى (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م) الرباط

الجزء الرابع : حققه محمد التائب العبدى وسعيد أحمد أعراب ، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧٤ م) الرباط .

الجزء الخامس : حققه سعيد محمد أعراب(١٣٩٦ ـ ١٩٧٦ الرباط .

الجزء السادس : حققه مجموعة من العلماء (١٣٩٧ ـ ١٩٧٧) الرباط.

الجزء السابع : حققه عبد الله الصديق (١٣٩٩ ـ ١٩٧٩) الرباط .

الجزء الثامن : حققه محمد الفلاح (١٤٠٠ = ١٩٨٠) الرباط .

الجزء التاسع والعاشر : حققه سعيد أحمد أعراب (١٤٠١ = ١٩٨١) الرباط .

وقد كان الفضل للمرحوم الشيخ عبد الغنى عبد الخالق رئيس قسم أصول الفقه الأسبق ، بكلية الشريعة بجامعة الأزهر ـ (ت ١٤٠٣ هـ) فى إعارتى الأجزاء الأربعة الأولى . وأما الأجزاء الأخرى فاستعرتها من الشيخ الفاضل يحيى إسماعيل المدرس بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ـ قسم الحديث .

(٦) أثبت ناشر كتاب التقصى حسام الدين القدسى هذا العنوان واستوحاه من مقدمة ابن عبد البر بكتاب .

وضعفت عنايته ، ودعاه إلى القناعة بأقل من ذلك طلب راحته ، أو ضيق معيشته ، رأينا أن نُجرد تلك السُّنن التى جعلناها أصل ذلك الكتاب »[(1)].

وقسم فيه شيوخ مالك قسمين :

الأول : من عرف باسمه منهم[(2)] .

الثانى : من لم يعرف باسمه وعرف بكنيته[(3)] .

ويبدو أن الناسخ قد تصرف فى ترتيبه فرتبه على حروف المعجم عند أهل المشرق ولم ينبه الناشر إلى ذلك .

ألحق بكتاب التقصى بابا فى « مالم يرد فى رواية يحيى بن يحيى من حديث مالك » ، ووعد ابن عبد البر فى معرض كلامه بأنه سيفرد كتابا يذكر فيه ما شذ عن رواية يحيى بن يحيى[(4)] .

وقد اهتم العلماء بكتاب التقصى فأقبلوا على تبادله وكان يعتبر من الكتب التى يجب على الطالب دراستها[(5)] . وشرحه[(6)] العلماء لأهميته ، وكان أبو الوليد الباجى (٤٧٤ هـ — ١٠٨١ م) وأبو عمران الفاسى يفضلان[(7)] التقصى لأبى عمر

---

(١) التقصى : ٩ .

(٢) التقصى : (١١ — ٢٣٨)

(٣) التقصى : (٢٣٩ — ٢٤١) .

(٤) التقصى : ٢٥٩ وقد نفذ ابن عبد البر وعده وألف فى ذلك كما سيأتى .

(٥) انظر : فهرسة بن خير الإشبيلى : ٩١ ، التكملة لابن الأبار ٢ / ٧٣٨ ، ٨٤٤ ، المعجم لابن الأبار : ٦٧ ، فهرس بن عطية : لوحة : ٢٢ ، برنامج الواداياشى : تحقيق د. ناطق صالح المطلوب : ١ / ٤٢ ، ٣٦٧ رسالة دكتوراة لم تنشر بعد ، بعنوان « فهارس شيوخ العلماء فى الغرب والأندلس » .

(٦) شرحه محمد بن على بن جعفر بن أحمد القيسى وسمى شرحه « التقصى فى فوائد التقصى » انظر : التكملة لابن الأبار : ٢ / ٦٧٦ ، وشرحه أبو عبد الله الأنصارى محمد بن الحسين بن أحمد الظاهرى (٥٣٢ هـ) ، وسمى شرحه (التقريب لكتاب التقصى) توجد منه نسخة بجامعة القرويين ،
انظر : تاريخ التراث لسزكين : ٢ / ١٢٦ .

(٧) الغنية : فهرس عياض : ٥١ ، ١٣٠ .
وانظر الرسالة المستطرفة : ١٥ .

النّمرى على المُلَخّص[1] للقابس (٤٠٣ هـ — ١٠١٣ م) لسُهوله تناوله وإيجاز عبارته فهو كالمعجم بالنسبة للتمهيد .

ولم يطبع إلا مرة واحدة بعناية حسام الدين القدسى سنة ١٣٥٠ هـ صاحب مكتبة القدس بالقاهرة واعتمد فى نشره على نسختى المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ونسخة دار الكتب المصرية .

٣ — الاستذكار فى شرح مذاهب علماء الأمصار مما رسمه مالك فى موطئه من الرأى والآثار :

وهو شرح آخر غير التمهيد ، شرح فيه الموطأ على نسق ترتيب الإمام مالك له ، يشرح فيه الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين فضلا عن إيراد أقوال مالك التى بنى عليها مذهبه واعتماده على رواية أهل المدينة[2] ، ثم يردفه بأقوال سائر فقهاء الأمصار مابقى منهم و من اندثر وحتى آراء بعض الفرق والطوائف أمثال الشيعة والمعتزلة والخوارج . ويتتبع الحديث بالنقد والتمحيص متنا وسندا مبينا درجته ومنزلة رواته[3]. ويحيل فيه إلى كتبه وإلى مصادره التى اعتمد عليها .

وقد اهتم العلماء بهذا الكتاب فأقبلوا عليه بالاختصار[4] وبالجمع[5] بينه وغيره من

---

(١) الملخص : كتاب جمع فيه ما اتصل إسناده من حديث مالك فى الموطأ رواية بن القاسم . انظر الرسالة المستطرفة : ١٤ .

وقد جمع بن فرحون عبد الله بن محمد اليعمرى (٧٦٩ هـ) بين التقصى والملخص بكتابه(الدر المخلص من التقصى والملخص) انظر : الرسالة بالمستطرفة : ١٥ .

(٢) الاستذكار : ١ / ٥٧ .

(٣) انظر : الاستذكار ١ / ٧٨ ، ١٤٠ .

(٤) مختصره : محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصارى الإشبيلى (٦٣٠ هـ)

انظر التكملة : ٢ / ٦٣٠ ، واختصره : على بن إبراهيم بن على الجنامى القاضى (٥٥٥ — ٦٣٢ هـ) الديباج : ٢ / ٢١٥ ، واختصره : أبو بكر القرطبى : انظر برنامج الرُّعينى : ١٣ .

(٥) شرع فى الجمع بينه وبين التمهيد هشام بن أحمد المعروف بابن العواد الفقيه القرطبى ولم يكمله لوفاته (٤٥٢ هـ ٥٠٩ هـ) انظر : الغنية : لعياض : ورقة ١٢٦ ، ١٢٨ .

وهناك من جمع بينه وبين المنتقى للباجى . ومن ذلك :

— جمع لعلى بن عبد الله اللُّمائى المعروف بالمالطى نزيل المرية (٣٥٧ هـ) انظر : المعجم لابن الأبار :

المؤلفات المشابهة له إتماما للفائدة .

وعمل على تحقيقه الدكتور على النجدى ناصف ولم ينشر منه إلا السفر الأول بمجلدين ولازالت الأسفار الأخرى تتوزعها مكتبات العالم تنتظر من ينفض عنها التراب .

ولأهمية هذا الكتاب ووقوعه موقع القبول لدى العلماء قدم له أبو طاهر السلفى مقدمة [1] شملت ترجمة وافية لابن عبد البر ، ويذكر فيها الأجازات التى حصل عليها لرواية كتب ابن عبد البر ومنها الاستذكار . ولإعجابه به نظم فيه هذه الأبيات :

واكــتبِ الاستذكــار تغــنَ به عن كلّ جمعٍ من بعــدِ كُتُب الموطــا

فابن عبد البر المصنف ماقصّر فى الاختيار شرحاً وبسطــا

٤ ـــ الزيادات التى لم تقع فى الموطأ عند يحيى بن يحيى ، ورواها غيره فى الموطأ [2]

---

٢٨١ -

ـــ الأنوار فى الجمع بين المنتقى والاستذكار لأبى عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) انظر : عنوان الدراية : ٢٨٥ ويوجد جزء منه فى معهد المخطوطات برقم ٣٦ مغرب ثانية .

ـــ المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار للقاضى بن عبد الله محمد بن عبد الحق بن سليمان الكومى اليعفرى التلمسانى (٦٢٥ هـ) من عشرين سفرا نحو ثلاثة آلاف ورقة (انظر : التكملة : ٢ / ٦٢٣ عنوان الدراية : ٣٧٤ ويوجد منه الجزء الأخير فى معهد المخطوطات برقم ١٧٠ مغرب ثانية .

(١) مخطوطة ضمن مجموع بالمكتبة الظاهرية بدمشق مجموع رقم (٧١) حديث وعندى صورة عنها وانظر : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، قسم الحديث للشيخ الألبانى / ٣٠٢ .

(٢) وقد أشار سزكين أنه توجد مخطوطة من هذه الزيادات فى مكتبة صائب بأنقرة فى تركيا كتبت فى القرن السابع الهجرى .

وكان العنوان كالآتى « الزيادات التى لم تقع فى الموطأ عند يحيى بن يحيى عن مالك » ثم قال : وطبع فى القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ . انظر تاريخ التراث ٢ / ١٢٢ .

ثم إن ابن عبد البر قد أشار إلى أنه سيجمع فى كتاب كُلّ ماشذّ عن رواية يحيى بن يحيى وأكثر الرواة عن مسند حديث مالك عن شيوخه . انظر التقصى : ٢٥٩ .

ولاندرى هل المخطوطة التركية التى ذكرها سزكين هى نفس الكتاب الذى وعد ابن عبد البر بتأليفه ، أو أنه نسخة ثانية من الزيادات الملحقة بكتاب التقصى . ومع أن سزكين قد قطع بأنها نسخة ثانية من المخطوطة القاهرية لكن اختلاف العنوان يوحى بأن النسخة التركية هى الكتاب الذى وعد ابن عبد البر بتأليفه : لأن عنوان ـــ

وهى رسالة صغيرة تحتوى على الزيادات التى لم يذكرها يحيى بن يحيى الليثى فى روايته للموطأ ، وإنما ذكرها غيره من رواة الموطأ عن الإمام مالك .[1]

وقد رتب ابن عبد البر هذه الرسالة على النسق الذى سار عليه فى كتابه التّقصى والتمهيد ، حيث رتبه على شيوخ مالك بحسب حروف المعجم .

وألحق ناسخ كتاب التقصى هذه الرسالة بالكتاب ، يدل على ذلك العبارة التى ختم بها التقصى بقوله :

« كمُل كتاب التقصى ...... »[2]

ثم صدّر الصفحة التالية بعنوان : « باب نذكر فيه مالم يذكر فى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى ..... » .[3]

ومما يدل على أن هذا الباب هو رسالة منفصلة أنه ختمها بقوله : « تمت الزيادات التى لم تقع فى الموطأ عند يحيى بن يحيى ورواها غيره فى الموطأ »[4] ولكن ناشر الكتاب لم يشر إلى ذلك .

ثانيا : المخطوط من كتب الحديث :

الأجوبة المُوعبة فى المسائل المُستغربة فى كتاب البخارى :[5]

المخطوطة القاهرية ينص على ذكر الزيادات التى أوردها رواة الموطآت الأخرى غير يحيى بن يحيى بينما العنوان الذى على المخطوطة التركية يطلق ذكر الزيادات ، ولم ينص على كون الزيادة لرواة الموطأ أو غيرهم . أو أنها ذكرت فى الموطأ أو خارجه . أو أنها لراوٍ من رواة الموطأ خارج الموطأ .

(١) هناك أربعة عشر رواية للموطأ وقد ذكر سزكين ستُّ روايات منها ثلاثة روايات كاملة فقط وهى رواية يحيى بن يحيى الليثى (٢٣٤ هـ) طبع القاهرة ١٩٥١ بعناية محمد فؤاد عبد الباق ورواية محمد بن الحسن الشيبانى (١٨٩ هـ) طبع فى لوديانا ١٨٧٦ م وفى لوكنو بالهند ١٨٨٠ م ورواية يحيى بن عبد الله بن بُكير القرشى (ت ١٥٤ هـ) وطبع فى الهند فى عليكره ١٩٠٧ م . انظر تاريخ التراث : ٢ / ١٢٢ ــ ١٢٤ .

(٢) التقصى : ٢٥٨ .

(٣) نفس المصدر : ٢٥٩ .

(٤) نفس المصدر : ٢٧٩ .

(٥) ذكره الذهبى فى سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣ .

توجد منه نسخة فى تركيا نسخت فى أوائل القرن التاسع » انظر : نوادر المخطوطات العربية فى مكتبات =

أول الكتاب : « الحمد لله الكبير المتعال .. أما بعد .. وذكرت أنه استعجم عليك من الجامع الصحيح للبخارى أحاديث استغلقت عليك معانيها وسألتنى شرحها ... »

ويبدو أنه قد ألفها قبل كتابه الاستذكار لأنه يحيل إليها فى الاستذكار .[(١)]

الكتب التى ذكرتها المصادر وهى فى حكم المفقود :

١ ـــ الاستظهار فى طُرُق حديث عمار .[(٢)]

٢ ـــ اختصار كتاب التحرير .[(٣)]

٣ ـــ اختصار كتاب التمييز .[(٤)]

٤ ـــ التغطا بحديث الموطأ .[(٥)]

٥ ـــ حديث مالك خارج الموطأ .[(٦)]

٦ ـــ الشواهد فى إثبات خبر الواحد .[(٧)]

٧ ـــ عوالى ابن عبد البر فى الحديث .[(٨)]

٨ ـــ وصل مافى الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل .[(٩)]

= تركيا : لرمضان شيشن ، بيروت ١٩٧٥ » .

وقد نقل لى ذلك الدكتور سعدى الهاشمى أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فى رسالة بعثها .

(١) الاستذكار : ١ / ٢٦٥ .

(٢) هدية العارفين : ٢ / ٥٥ وأحال إليه ابن عبد البر فى كتابه الاستيعاب ٢ / ٤٤٨ ، ٣ / ١١٣٩ .

والحديث هو : « تقتلك الفئة الباغية » .

(٣،٤) ترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ .

(٥) هدية العارفين : ٢ / ٥٥ .

(٦) ترتيب المدارك : ١ / ٢٠٠ .

(٧) جذوة المقتبس : ٣٦٨ وأحال إليه ابن عبد البر فى التمهيد : ١ / ٢ .

(٨) الغنية فهرس القاضى عياض : ورقة ٩٤ .

« والعالى : هو الإسناد الذى قل عدد الوسائط فيه مع الاتصال يحتج به إذا استوفى شروط القبول » انظر : معجم المصطلحات الحديثية لنور الدين عتر : ٦٤ . ويوصف السند بالعلو للرواية الحديثية أو رواية كتاب من كتب الحديث المعتمدة . انظر تفصيل ذلك فى تدريب الراوى للسيوطى : ٢ / ١٥٩ ـــ ١٧٠ .

(٩) « وبجموع الأحاديث التى لم يسندها مالك فى الموطأ واحد وستون حديثاً وقد وصلها ابن عبد البر ، من غير =

٩ ــ منظومة فى السُّنة . (١)

١٠ ــ مسند ابن عبد البر . (٢)

ثالثا : مؤلفاته فى الفقه وما يتعلق به :

(٣)

الفقه : هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية« أوهو هذه الأحكام نفسها وتشمل أحكام العبادات والمعاملات » . (٤)

وابن عبد البر كان عَلَماً من أعلام هذا العلم فضلا عن تضلّعه فى الحديث وعلومه ، وكان من أهل الاجتهاد وعالما بإجماع العلماء واختلافهم . وله مؤلفات ورسائل جليلة تناقلها الخلف من بعده ، ومابقى من القليل منها يدل على مرتبة الرجل وفضله . (٥)

ومع أن ابن عبد البر كان مالكى المذهب لكنه لم يجر فيه مجرى التقليد وإنما كان مجتهدا فى المذهب يختار ما وافق الدليل بعد النظر والتمحيص من غير تعصب ونلمس اعتداله فى كثير من المسائل ، وتتجلى ملكته الفقهية فى قوة الحفظ وسعة الاطلاع وحسن الانتقاء ، وكان يميل فى بعض المسائل إلى رأى الشافعى(٦) .

أولا : الكتب المطبوعة :

١ ــ الكافى فى فروع المالكية :

وهو من كتب ابن عبد البر الجليلة فى فروع المذهب المالكى ، وألفه بناء على

-طريق مالك ، بطرق صحاح إلا أربعة منها قال عنها : لاتعرف . ووصلها الحافظ بن الصلاح (٦٤٣ هـ) صاحب المقدمة المشهورة بتأليف أفرده لها » . انظر الرسالة المستطرفة : ١٥ .

(١) وأولها : تبارك من يُحيى العظام وينشر ، وأظن أنها فى المصطلح .

انظر : المعجم لابن الأبار : ٣٢٠ .

(٢) الدلائل السمعية : ٧٤١ .

(٣) التعريفات : الجرجانى : ١٤٧ .

(٤) الوجيز فى أصول الفقه : الأستاذ الدكتور / عبد الكريم زيدان : ٦ .

(٥) رسالة أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم : ملحقة بجوامع السيرة لابن حزم : ٣١٨ .

(٦) جذوة المقتبس : ٣٦٧ .

طلب بعض طلبة العلم وجعله مختصرا « اقتصر فيه على ما بالمفتى الحاجة إليه ، وبوبه وقرّبه ، فصار مُغْنياً عن التصنيفات الطُّوال »[1]، واعتمد فيه المشهور من المؤلفات التى تُعتبر من أصول المالكية وهى :

١ ـــ الموطأ للإمام مالك بن أنس (٩٧ / ٧١٦ ـــ ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م)[2] .

٢ ـــ المدونة الكبرى : لسحنون بن سعيد التنوخى توفى بالقيروان سنة (١٦٠ / ٧٧٦ ـــ ٢٤٠ / ٨٥٤ م)[3] .

٣ ـــ المختصر الكبير : لعبد الله بن عبد الحكم توفى بمصر سنة : (١٥٥ ـــ ٢١٤ هـ = ٧٧١ ـــ ٨٢٩ م)[4] .

٤ ـــ المبسوط فى الفقه : للقاضى إسماعيل بن إسحاق البغدادى (٢٠٠ ـــ ٢٨٢ هـ = ٨١٦ ـــ ٨٩٥)[5] .

٥ ـــ الحاوى فى الفقه : لأبى الفرج عمر بن محمد الليثى البغدادى (٣٣١ هـ = ٩٤٣ م)[6] .

---

(١) رسالة فى فضل الأندلس : نفح الطيب : ٣ / ١٧٠ .

(٢) وهو أول ماألف من كتب الحديث الشريف وضمنه اجتهادات الصحابة والتابعين ، فضلا عن اجتهاده واستغرق فى تأليفه أربعين عاما .

انظر : شجرة النور : ٥٣ .

(٣) ويتضمن مرويات بن القاسم العُتَقى (١٣٢ ـــ ١٩١ هـ) تلميذ مالك مع مسائل فقهية سأله عنها أهل العراق فقرأها سحنون وهذبها وأسماها بالمدونة الكبرى فكانت مدار المالكية فى القيروان والمغرب والأندلس وطبعت فى القاهرة وبيروت .

« انظر : بروكلمان : ٣ / ٢٨٠ ، تاريخ التراث : لسزكين : ٢ / ١٣٨ » .

(٤) وله كذلك المختصر الأوسط والصغير فى الفقه(انظر شجرة النور : ٥٩) .

وتوجد من المختصر الكبير قطعة بجامعة القروينى بفاس فى ثلاثين ورقة .

انظر : تاريخ التراث : ٢ / ١٣٦ ـــ ١٣٧ .

وانظر ترجمة : تعريف بفقهاء المالكية : ورقة ٣ ـــ ٤ مخطوط .

والانتقاء لابن عبد البر : ٥٢ ـــ ٥٣ .

(٥) إماما علامة وله مختصر للمبسوط : (انظر : شجرة النور : ٦٥)

الديباج المذهب : (١ / ٢٨٢) .

(٦) الإمام الفقيه المحدث انظر شجرة النور ٧٩ والديباج ٢ / ١٢٧ توجد . نسخة من كتابه فى جامعة

٦ ـــ المختصر فى الفقه : لأبى مصعب أحمد بن أبى بكر القاسم بن الحارث الزهرى (١٥٠ ـــ ٢٤٢ هـ = ٧٦٧ ـــ ٨٥٦ م) توفى بالمدينة .[١]

٧ ـــ الموطأ الكبير : لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشى (١٢٥ هـ ـــ ١٩٧ = ٧٤٢ ـــ ٨١٣) .[٢]

٨ ـــ كتاب الموازية : لمحمد بن إبراهيم بن زياد الإسكندرى المعروف بابن المَوّاز توفى سنة (١٨٠ ـــ ٢٦٩ هـ = ٧٩٦ ـــ ٨٨٢ م) بدمشق .[٣]

٩ ـــ المختصر الكبير فى الفقه : لمحمد بن أبى يحيى زكريا الوقّار (٢٦٩ هـ = ٨٨٢ م) .[٤]

١٠ ـــ العتبية فى الفقه : لمحمد العُتبى وهو : محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن عتبة القرطبى قيل توفى سنة (٢٥٤ هـ = ٨٦٨ م أو ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) .[٥]

١١ ـــ الواضحة فى الفقه : لعبد الملك بن حبيب السلمى القرطبى (١٧٤ ـــ ٢٣٨ هـ = ٧٩٠ ـــ ٨٥٢) توفى بقرطبة .[٦]

القرويين بفاس .

(١) انظر : شجرة النور : ٧٣ والديباج : ١ / ٣٢٣ وتاريخ التراث : ٢ / ١٤٣ .

(٢) وله كذلك الموطأ الصغير والكبير وقد صحب مالك عشرين سنة .

انظر : شجرة النور : ٥٨ وتاريخ التراث : ١٣٤ .

وانظر : تعريف بفقهاء المالكية : لابن عبد البر : ورقة ١ ـــ ٢ .

(٣) انظر : شجرة النور : ٧٦ والديباج : ٢ / ١٦٦ ،

تاريخ التراث : ٢ / ١٤٨ .

(٤) له مختصرين الكبير منهما فى سبعة عشر جزءا يُفضّله أهلُ القيروان على مختصر ابن عبد الحكم . انظر : شجرة النور : ٦٨ والديباج : ٢ / ١٦٨ .

(٥) قال فيه ابن لبابة : لم يكن هنا أحد يتكلم مع العتبى بالفقه ولاكان بعده أحد يفهم إلا من تعلم عنده . والعتبة هى المستخرجة من الأسمعة مما ليس فى المدونة ، انظر : تاريخ التراث : ٢ / ١٤٤ وانظر شجرة النور : ٧٥ والديباج : ٢ / ١٧٦ .

(٦) لم يؤلف مثلها . انتهت إليه رئاسة العلماء بالأندلس بعد يحيى بن يحيى الليثى كتب ألفاً وعشرين كتابا .

انظر : شجرة النور : ٧٥ تاريخ التراث : ٢ / ١٣٧ ـــ ١٣٨ .

ويحيل ابن عبد البر كذلك إلى كُتبه : التمهيد[1]، والاستذكار[2]، واختلاف أصحاب مالك[3]، لمن أراد التفصيل .

يعرض أقوال مالك وأصحابه واختلافهم ويرجح ما يراه من هذه الأقوال حسب اجتهاده فتراه يكثر من عبارات : « وهو الصَّحيح عندى »[4]، « وهو أحبُّ إلىّ »[5] « وهو أولى بالصواب »[6]، « والأول أصح »[7]، « وهو الصحيح إن شاء الله »[8]، « وهو أصح مايروى »[9].

ويعرض آراء بعض المذاهب الأخرى ، ويميل فى أحيان كثيرة إلى رأى الشافعى[10].

وقد حقق كتاب الكافى كجزء من رسالة الدكتوراه[11] المقدمة من قبل الدكتور محمد ولد ماديك الموريتانى سنة ١٣٩٦ ـــ ١٩٧٦ فى قسم الفقه المقارن بكلية

---

(١) الكافى : ١ / ٢٠٥ ، ٢٣١ ، ٢ / ٢٩٣ ، ٣ / ٦٧٦ ، ٧٤٨ ، ٤ / ٩٨٦ ، ١٠٠٤ ، ١٠٣٦ .

(٢) نفسه : ٣ / ٧٠٦ .

(٣) نفسه : ١ / ٢٥٥ ، ٢٥٩ ـــ ٢ / ٤٠٣ ـــ ٤ / ١٠٣٦ .

(٤) نفسه : ١ / ٢٣٨ ـــ ٢ / ٢٧٢ ، ٣٩٥ ـــ ٣ / ٥٦٣ ـــ ٤ / ٨٦٢ .

(٥) نفسه : ١ / ٢١٧ .

(٦) الكافى : ٢ / ٣٩١ .

(٧) نفسه : ١ / ٢١٥ ـــ ٢ / ٢٩٥ ، ٥٢٢ ـــ ٣ / ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٩ ـــ ٤ / ٨٨٠ ، ٨٩٠ ، ٨٩٣ .

(٨) نفسه : ١ / ٢١١ ـــ ٣ / ٦٩٢ .

(٩) نفسه : ٣ / ٧٥٥ .

(١٠) نفسه : ١ / ١٩٦ ـــ ٢ / ٣١٣ ، ٣٩٤ ، ٥٠٦ ... الخ .

(١١) وقد تفضل بإعارتى نسخته الخاصة من هذه الرسالة :

المرحوم الشيخ عبد الغنى عبد الخالق رئيس قسم أصول الفقه الأسبق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر والمحقق المدقق الذى أكمل تحقيق « التكملة » لابن الأبار بعد وفاة محققه الشيخ عزت العطار الحسينى ، وقد نشرت مكتبة الخانجى جزئين من التكملة فقط سنة ١٩٥٥ م .

وكان قد فتح لى مكتبته أتزود منها كيف أشاء . وهذا سمته مع طلاب العلم أحيا به سيرة السلف الصالح تغمده الله برحمته .

وقد طبعت هذه الرسالة مؤخرا فى مجلدين فى مكتبة الرياض بالسعودية سنة ١٩٨١ .

الشريعة جامعة الأزهر بإشراف الدكتور محمد أنيس عباده ، وهى فى قسمين بأربعة مجلدات :

القسم الأول : يتضمن الدراسة عن ابن عبد البر وكتابه الكافى ، وقد استوعب الصفحات ١ — ١٦٠ من المجلد الأول .

القسم الثانى : وهو النص المحقق

وقد استوعب الصفحات من ١٦٦ — ٢٨٦ من المجلد الأول ، إضافة إلى المجلد الثانى والثالث والرابع .

وقد اشتمل الكافى على « ٣٤١ بابا وكتابا على نسق كتب الفقه فجاء الكتاب فى ٩١٠ صفحات » .

٢ — الإنصاف فيما بين المختلفين فى بسم الله الرحمن الرحيم[1] فى فاتحة الكتاب من الاختلاف :

وهو رسالة صغيرة كتبها بناء على طلب بعض طلاب العلم جمع فيها أقوال السلف من الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار فى قراءة البسملة فى أول فاتحة الكتاب والأحاديث والآثار التى كانت سبب اختلافهم ، ومن خلال الجمع بين الأدلة ، وتمحيصها يرجح ابن عبد البر ضمنا قول من يقول بقراءة البسملة والجهر بها فى الصلاة الجهرية والإسرار بها فى الصلاة السرية وهو قول الشافعى .

وهذه الرسالة وإن كان يغلب عليها الاستشهاد بالحديث والأثر ولكنها مرتبطة بالفقه لأن الكلام يدور حول حكم قراءة البسملة فى الصلاة .

وقد عنى بنشر هذه الرسالة المفيدة إدارة الطباعة المنيرية سنة (١٣٤٣ هـ —

---

(١) ذكره الذهبى بعنوان « الإنصاف فى بسم الله الرحمن الرحيم »

انظر : سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣

وذكره صاحب كشف الظنون بعنوان : « الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف » وقد اختير هذا العنوان للمطبوعة .

والعنوان الذى ذُكر أعلاه أورده ابن عبد البر فى الاستذكار والتمهيد : ٢ / ٢٣٠ .

١٩٢٣ م) وقد طبعت فى المطبعة العربية لصاحبها خير الدين الزركلى صاحب كتاب الأعلام .

وقد أحال إليه ابن عبد البر فى كتاب التَّمهيد [(١)] والاستذكار [(٢)] .

ب ــ الكتب المخطوطة :

١ ــ « اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف رواياتهم عنه » [(٣)] :

وهذا الكتاب يبحث فى الخلاف الفقهى فى مذهب الإمام مالك ، والذى وقع بين الإمام مالك وأصحابه وأتباعهم .

اختصر فيه ابن عبد البر الأقوال ، فأورد الاختلاف ، ولا يذكر الدليل وينسب الأقوال إلى قائلها من رجال مذهب مالك المعروفين أمثال ابن القاسم (١٢٣ / ٧١٣ ــ ١٩١ هـ / ٨٠٧ م) وابن وهب (١٢٥ / ٧٤٢ ــ ١٩٧ هـ / ٨١٣ م) وغيرهما .

وهذا الكتاب فى الأصل مُكَوَّن من أربعة وعشرين جزءا [(٤)] لاتوجد منه إلّا قطعة غير كاملة تضمنت كتاب الطهارة وبعض كتاب الصلاة محفوظة فى معهد المخطوطات بالقاهرة وهى فى ٤٩ لوحة صورت عن مخطوطات المغرب [(٥)] .

ويبدو أن ابن عبد البر قد رتبه على أبواب الفقه فهو يبدأ بكتاب الطهارة ثم يتبعه كتاب الصلاة وكتاب الطهارة يتضمن :

---

(١) انظر التمهيد : ٢ / ٢٣٠ .

(٢) انظر : ٢ / ١٧٨ .

(٣) ذكر الكتاب الحميدى فى الجذوة : ٣٦٨
وانظر البغية : ٤٩٠ .
وقد أحال إليه ابن عبد البر فى الاستذكار ٢ / ٣٣ .

(٤) انظر : البغية : ٤٩٠ .

(٥) انظر مخطوطات المغرب : برقم ٤ مغرب أولى / الخزانة الملكية ، وعندى صورة عنها . وقد صورتها على الورق مجزأة فجاءت فى ٩٨ صفحة وقد أحلت إليها بحسب تجزأتى .

— بابا فى المياه وما يتعلق به من مسائل [1]
— بابا فى الوضوء وما يتعلق به من مسائل [2]
— بابا فى الغسل والجنابة وما يتعلق به من مسائل [3]
— بابا فى المسح على الخفين وما يتعلق به من مسائل [4]
— بابا فى التيمم وما يتعلق به من مسائل [5]
— بابا فى الحيض والنفاس وما يتعلق به من مسائل [6]

وكتاب الصلاة يتضمن :

— باب فى الصلاة ومايتعلق به من مسائل . [7]
— باب فى الآذان وما يتعلق به من مسائل . [8]
— باب فى صلاة الجماعة وما يتعلق به من مسائل . [9]
— باب فى الإمامة وما يتعلق به من مسائل . [10]

ج : الكتب التى فى حكم المفقود :

١ — « الإشراف على مافى أصول الفرائض من الإجماع والاختلاف » [11] :

هذا الكتاب فى علم الفرائض الذى يبحث عن أحوال قسمة التركة على مستحقيها ، على فروض مقدرة فى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع أمة رسوله .

---

(١) انظر المخطوط : من ورقة ٢ إلى ورقة ١٤ .
(٢) من ورقة : ١٤ إلى ورقة ٢٧ .
(٣) من ورقة ٢٧ إلى ورقة ٣٧ .
(٤) من ورقة ٣٧ إلى ورقة ٤٠ .
(٥) من ورقة ٤١ إلى ورقة ٤٩ .
(٦) من ورقة ٤٩ إلى ورقة ٥٧ .
(٧) انظر المخطوط : من ورقة ٥٩ إلى ورقة ٦٨ .
(٨) من ورقة ٦٩ إلى ورقة ٧٢ .
(٩) من ورقة ٧٣ إلى ورقة ٧٩ .
(١٠) من ورقة ٨٠ إلى ورقة ٩٧ .
(١١) الغنية : فهرسة القاضى عياض : ورقة ١٢٣ .

« وهذا العلم باب فى علم الفقه فى الأصل إلا أنه لكثرة اعتناء العلماء به لعُسره ، ولزيادة شرفه أفردوه بالتدوين حتى عدوه مُستقلا ، وجُعل من فروع الفقه » [1].

٢ ـــ جوائز السلطان :

وهو موضوع تكلم فيه كثير من العلماء [2] واختلفوا فيه بين مجيز ، وغير مجيز ، أو متورع عنه ، وقد أورد المقّرى فى نفح الطيب [3] نصاً يرويه عن ابن عبد البر بسط فيه الكلام عن هذه المسألة ، وأورد أقوال العلماء فيها ، ولعل المقّرى قد نقله عن هذا الكتاب . وفيه أجاز ابن عبد البر جوائز السلطان ، ويبدو أنه قد ألّفه عندما اتُّهم [4] بأنّه يتقرّب إلى الأمراء بقبول جوائزهم ، وقد عالج المسألة كذلك فى كتابه التمهيد [5]. وقد بينّا حقيقة رأيه فى هذه المسألة كامرّ .

كما أنّ ابن حجر قد أشار إلى المسألة ، وأحال إلى ابن عبد البر بقوله [6] :
« وأما قبول الجوائز : فلا يقدح أيضا إلاّ عند أهل التّشدُد . وجمهور أهل العلم على الجواز كما صنف فى ذلك ابن عبد البر » .

= وانظر : فهرسة ابن خير الإشبيلى : ٢٥١ .
وانظر : سير أعلام النبلاء : ١١ : ٢ / ورقة ١٨٣ .
وأسماه كتاب الفرائض .
وانظر : كشف الظنون : ٢ / ١٥٤٥ وأسماه كتاب الفراض .

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة : ٢ / ٦٠٠ .
التعريفات : ١٤٥ .

(٢) انظر الإحياء : ٢ / ١٢٧ ، والمغنى : ٧ / ٣٣١ .
وآداب الشافعى ومناقبه : ١٢٨ ، ١٦٦ ـــ ٢١٦٧ .

(٣) ٣ / ٣٥ ـــ ٢٣٧ تحقيق إحسان عباس .

(٤) انظر : الصلة : ٢٨٤ الحلل : ٣ / ٢٥٩ .

(٥) وذلك عند شرحه حديث زيد بن أسلم وتطرق فيه إلى آراء الصحابة والتابعين وكبار الفقهاء ٤ / ١١٤ ـــ ١١٨ .

(٦) هدى السارى ، مقدمة فتح البارى ، شرح صحيح البخارى : ٤٢٥ ، طبعة السلفية . بالقاهرة . الطبعة الأولى تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز .

رابعا : التاريخ وما يتعلق به :

والمؤلفات التاريخية التى تُمثل صُلبَ هذه الرسالة ستعدَّدُ هنا ، وهى ما جَهِد البحث فى استقصائه . وسيذكر المخطوط منها والمطبوع ، وما هو فى حكم المفقود ، ثم يشار إلى مكان وجود المخطوط . والتعريف بكان المطبوع منها ، وعدد طبعاته حسب الإمكان . وأما الذى فى حكم المفقود فيُحال فيه إلى المصادر التى ذكرته .

وأما الدراسة التحليلية للمؤلفات التاريخية فستأتى فى الباب الثانى بتفصيل أكثر . وأما هنا فستذكر بصورة مجملة على التقسيم الذى مضى فى المؤلفات السابقة فنذكر المطبوع ، ثم المخطوط ، والذى فى حكم المفقود .

أ : الكتب المطبوعة :

١ ــ الاستيعاب فى معرفة الأصحاب [(١)]
٢ ــ الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء [(٢)]
٣ ــ الأنباه على قبائل الرواة [(٣)]
٤ ــ الدرر فى اختصار المغازى والسير [(٤)]
٥ ــ القصد والأمم فى معرفة أنساب العرب والعجم [(٥)] .

ب : الكتب المخطوطة :

١ ــ الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكُنى : [(٦)]

---

(١) طبع عدة طبعات أهمها :
طبعة مكتبة السعادة : ١٣٦٠ هـ القاهرة
طبعة مكتبة نهضة مصر : تحقيق محمد البجاوى القاهرة ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦٠ م .
(٢ ، ٣) طبع بعناية حسام الدين القدسى : صاحب مكتبة القدسى بالقاهرة ، ١٣٥٠ هـ .
(٤) نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . بتحقيق الدكتور شوقى ضيف ، سنة ١٣٨٦ ــ ١٩٦٦ ، القاهرة . وأعيد طبعه بدار المعارف بالقاهرة سنة ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .
(٥) نشره حسام الدين القدسى وألحق به كتاب الأنباه سنة ١٣٥٠ هـ بالقاهرة .
(٦) العنوان بهذه الصيغة أثبته ابن خير فى فهرسته وهو أوثق صيغة ذكرت انظر الفهرسة : ٢١٤ وهناك عدة نسخ من الكتاب هى :
ــ نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة وهى فى ١٤٤ ورقة وعندى صورة عنها وهى نسخة كاملة وقد =

ظهرت مشكلة ضبط الأسماء وتمييزها بسبب كثرة رواة الحديث ، واشتهار بعضهم بألقابهم ، أو بكناهم ، فيورد ذكرهم بأسمائهم فى رواية وتغفل فى أخرى ويكتفى باللقب أو الكنية ، ولئلا يقع الالتباس ويظن أن الشخص الواحد ــ المذكور مرة بالكنية وأخرى باسمه ــ هو شخصان وجدت مصنفات تختص ببيان اسم من عُرف بكنيته ، أو كنية من عرف باسمه ، وهى كتب الكنى والأسماء » .

ولاشتغال ابن عبد البر فى علم الرجال من الصحابة والتابعين وتابعيهم ألف كتابه الاستغناء وقسمه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : يذكر فيه من عُرف من الصحابة بكنيته واشتهر بها ، ولم يوقف على اسمه ، أو عُرف اسمه على اختلاف فيه .

واقتصر ابن عبد البر فى هذا القسم على أسماء المعروفين منهم وجرَّده من ذكر أخبارهم ، لأنه قد قام بذلك فى كتاب الاستيعاب .

القسم الثانى : يذكر فيه التابعين ومن بعدهم ممن اشتهر بكنيته . أو عُرف بكنيته ممن وُقف له على اسم ولكنه لم يُعرف به ، وإنما عُرف واشتهر بكنيته .

ووصف ابن عبد البر هذا النوع بقوله : « وهو باب من السّنة طريف مُستحسن لم يزل أهل العلم بالسُّنن يُعنون به ويحفظونه ويرسمونه فى كتبهم ويتطارحونه . رغبةً فى الوقوف عليه والمعرفة به ويَنتقصُون من جهله » . (١)

أصابت الرطوبة كثيرا من صفحاتها ويصعب قراءتها وعنوان هذه النسخة التى أثبت فى فهرس المعهد (كتاب فى الكنى) لأن العنوان مطموس . والمكتوب على صفحة العنوان : (هذا الكتاب اشتمل على ثلاثة كتب أولها فيما عرف من الصحابة بكنيته ...) وهو برقم ١٥٥ مغرب ثانية .

ــ وتوجد قطعة منه فى المكتبة الظاهرية بدمشق (برقم ٧٢٤٥ حديث) فى عشر ورقات عندى صورة عنها . والمكتوب على صفحة العنوان (كتاب المعروفين بالكنى) من الصحابة .

ــ ونسخة بجامعة القرويين بفاس (برقم ٢٨٧) ضمن مجموع .

انظر : (قائمة نوادر المخطوطات العربية فى مكتبة جامعة القرويين بفاس : وقد ذكر لى الدكتور سعدى الهاشمى أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بأن كتاب الاستغناء قد حُقّق فى كلية الحديث بالجامعة كرسالة جامعية فى السنة الدراسية ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م .

(١) انظر الاستغناء ورقة ١ مخطوطة معهد المخطوطات . ١٥٥ مغرب ثانية .

ويقول : « وإنى أرجو أن يأتى هذا الكتاب على أكثر أسماء المشهورين بالكنى ممن وقف أهل هذا الشأن على اسمه من المحدثين والفقهاء وسائر العلماء مع التعريف بهم والإشارة إلى بعض أحوالهم ». (١)

القسم الثالث : يذكر فيه المشهورين بالكنى ممن لم يذكر له اسم سوى كنيته .

وقد أثنى ابن الصلاح على ابن عبد البر بقوله (٢) :

« ولابن عبد البر فى أنواع منه كتب لطيفة رائعة » .

٢ ــ ترجمة الإمام مالك بن أنس . (٣)

٣ ــ التعريف بجماعة من فقهاء المالكية . (٤)

ج : الكتب التى فى حكم المفقود :

١ ــ أخبار أئمة الأمصار . (٥)

٢ ــ أخبار القاضى مُنذر بن سعيد البَلُّوطىّ (٢٧٣ / ٨٨٦ ــ ٣٥٥ هـ ــ ٩٥٧ م) . (٦)

(١) نفس المصدر ورقة ٢٥

وكان هذا القسم أضخم الثلاثة وهو فى ٧٠ ورقة من (٢٥ ــ ٩٥) .

(٢) التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لعبد الرحيم العراقى ٣٦٨ .

(٣) انظر : فهرس مخطوطات الرباط التى صورها اليونسكو : ٧٣ نسخة من هذا الفهرس فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مكتوبة على الآلة الكاتبة .

(٤) نسخة منه فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت (رقم ٦٢٩ تاريخ) مصورة عن مكتبة فيضى بتركيا وعندى صورة عنها .

وذكر عنوانها فى فهرس معهد المخطوطات كالآتى :

(تعريف بفقهاء المالكية) .

ولكن العنوان المثبت على المخطوط هو :

(كتاب فيه ذكر التعريف بجماعة من الفقهاء من أصحاب مالك)

وقد اختصرت العنوان كما هو مثبت لأن المخطوط يذكر فيه المؤلف تلاميذ الإمام وغيرهم . وسنعرف به بتفصيل فى الباب الثانى .

(٥) جذوة المقتبس : ٣٦٨ وترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ .

(٦) التكملة : لابن الأبار : ١ / ١٨٠ والقسم الثالث منها : ورقة ١٤٩ مخطوط .

بعنوان فضائل منذر بن سعيد : ومنذر بن سعيد (٢٧٣ هـ ــ ٣٥٥ هـ) ، هو قاضى الجماعة بقرطبة

٣ ـــ اختصار تاريخ أحمد بن سعيد بن حزم الصَّدفى (٢٨٤ ـــ ٣٥٠ هـ = ٨٩٧ ـــ ٩٦١ م)[١].

٤ ـــ أعلام النُّبوة[٢].

٥ ـــ تاريخ شيوخ ابن عبد البر[٣].

٦ ـــ كتاب فى أخبار القضاة[٤].

٧ ـــ تواليف الفقيه الحافظ « أبو عمر ابن عبد البر » وجمع رواياته عن شيوخه[٥].

٨ ـــ فهرسة الشيخ الفقيه الحافظ « أبو عمر ابن عبد البر »[٦].

كان خطيبا مصقعا وشاعرا بليغا وله مواقف جريئة مع الخليفة الناصر .

انظر : تاريخ ابن الفرضى : ٢ / ١٤٤ ـــ ١٤٥ والجذوة : ٣٤٨ ، والنفح : ١ / ٣٧٢ ـــ ٣٧٥ .

(١) ترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ وانظر تاريخ الفرضى ١ / ٤٣ ـــ ٤٤ ، الجذوة : ١٢٥ .

(٢) أشار إليه ابن عبد البر فى كتاب الدرر : ٣١ .

(٣) النفح : ٣ / ٦٩ .

(٤) نقل عنه النباهى : المرقبة العليا (تاريخ قضاة الأندلس) انظر : ٤٤ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤ . ويقول فيه : قال أبو عمر بن عبد البر . قال القاضى أبو عمر ابن عبد البر ... الخ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٤٤٤ ولعله هو نفسه فهرسة ابن عبد البر ، وكرر ابن خير ذكرها .

(٦) الدرر : ٢٧٦ وفهرسة ابن خير : ٤٢٩ .

وقد اهتم علماء الأندلس بهذا النوع من المصنفات فكان عندهم الفهارس والبرامج والمشيخات .

وقد نوَّع علماء الأندلس طرائق تأليفها : فمنهم من يُرتبها على أسماء الشيوخ ومنهم من يرتبها على أسماء الكتب ، ومنهم من يجمع بين الطريقتين .

وقد درس د. ناطق صالح المطلوب الأستاذ بجامعة الموصل بالعراق فى رسالته للدكتوراه التى قدمها فى قسم التاريخ بجامعة عين شمس هذه الفهارس وصنفها حسب مناهجها فى التأليف واعتبرها من الوثائق التاريخية التى ترصد لنا التطور الثقافى فى المجتمع الإسلامى فى الأندلس والمغرب . والفهارس التى درسها هى :

ـــ فهرسة شيوخ عبد الحق ابن عطية الغرناطى (ت ٥٤١ هـ) مخ : الأسكوريال برقم ١٧٣٣٣ فى ٥٧ ورقة .

ـــ الغنية فهرسة شيوخ القاضى عياض المحيصبى (ت ٥٤٤ هـ) مخ : دار الكتب المصرية برقم ١٢٨٤ تاريخ تيمور فى ١٣٥ ورقة .

ـــ فهرسة محمد بن خير الأشبيلى (ت ٥٧٥ هـ) مط : تحقيق فرانشكة كوديرا .

برنامج شيوخ على بن محمدالرعيبى (ت ٦٦٦هـ) مط : تحقيق إبراهيم شبوح .

ـــ برنامج عبيد الله ابن أبى الربيع الإشبيلى (ت ٦٧٧ هـ) مط : تحقيق عبد العزيز الأهوانى .

« برنامج أبى العباس أحمد بن أحمد العبرينى (ت ٧٠٤ هـ) مط : تحقيق عادل نُويهض .

« برنامج القاسم بن يوسف التُجيبى السبتى (ت ٧٣٠ هـ) نسخ : الأسكوريال برقم ٣٥٣ فى ٢٢٢ ورقة .

« برنامج محمدبن جابر القيسى الوادياشى (ت ٧٤٩ هـ) حققه : د. ناطق صالح ، جزء من رسالة الدكتوراه ، =

٩ ــ الذّب عن عكرمة البربرى (١).

١٠ ــ محن العلماء (٢).

١١ ــ المغازى (٣).

= المقدمة فى جامعة عين شمس كلية الآداب قسم التاريخ ١٩٧٨ لم تطبع بعد .

وهناك تحقيق آخر للبرنامج لمحمد على محفوظ : نشر دار المغرب الإسلامى . أثينا ــ بيروت ١٩٨٠ .

فهرسة قاسم بن عيسى ابن ناحى القيروانى (ت ٨٣٧ هـ) : مخ : معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، برقم (١٥٢٢) تاريخ ، فى (٧٧) ورقة .

» فهرسة محمد بن قاسم ابن الرُّصاع التونسى (ت ٨٩٤ هـ) مط : تحقيق محمد العِنّابى .

» فهرسة شيوخ محمد بن أحمد ابن غازى المكناسى (ت ٩١٩ هـ) مخ : الأسكوريال برقم ١٧٢٥ فى ٦٣ ورقة .

والفهرس : بالكسر وهو (الكتاب الذى تجمع فيه الكتب) وهو ليس بعربى ولكنه معرب فهرسة

انظر : لسان العرب : ٥ / ٣٤٨٠ طبعة دار المعارف .

« وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا : فهرس كتابه فهرسة : وجمع الفهرسة فهارس » انظر تاج العروس ٤ / ٢١١ط .

وقال الكتانى: وهو فى الاصطلاح : الكتاب الذى يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلق بذلك ، انظر فهرس الفهارس ١ / ٤٠ .

والبرنامج : ضبطه صاحب القاموس بفتح الباء والميم ، وعرفه بقوله : « الورقة الجامعة للحساب معرب برنامه » . انظر ترتيب القاموس المحيط للزاوى : ١ / ٢٦٢ .

وقال فى المُعْرب فى ترتيب المعرب : « هو النسخة التى يكتب فيها المحدث أسماء رواته ، وأسانيد الكتب المسموعة والمقروءة » المغرب ١ / ٣٢ .

والمشيخة : أطلقت على الكتاب الذى يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده انظر فهرس الفهارس : ١ / ٢٩ . وانظر الرسالة المستطرفة ١٤٠.

وتُطلق المشيخات على المشيخات الحديثة أغلب الأحيان وإن كانت ترادف الفهرسة أو البرنامج . وانظر فهارس . وانظر فهارس شيوخ العلماء : د. ناطق صالح رسالة دكتوراه ص ١ ــ ٣ م. ج وانظر معجم المصطلحات الحديثة : ٩٩ .

(١) أحال إليه ابن حجر فى التهذيب فى معرض الدفاع عن عكرمة مولى ابن عباس حيث اتهم بأنه من الخوارج وأنه يكذب على ابن عمر وقيد دلك عبد البر وقال ابن حجر بأن عكرمة ثقة ثبت وتوفى سنة ١٠٧ هـ . انظر : التهذيب ٧ / ٢٧٣ وتذكره الحفاظ : ١ / ٩٥ .

(٢) أشار إليه ابن عبد البر فى الدُرر مُبديا الرغبة فى إفراد ما تعرَّض له الصحابة من المحن فى كتاب ، ويبدو أنه حقق دلك مُضيفاً إليه المحن التى مرّ بها العلماء فى مختلف العصور ، وقد أحال إليه ابن قيم الجوزية فى كتابه مدارج السالكين ٢ / ٣٢٣ .

(٣) برنامج شيوخ الواداياشى : تحقيق ناطق المطلوب : ١٢٥ رسالة دكتوراه لم تطبع ، وانظر هدية العارفين ٢ / ٥٥ ولعله كتاب أوسع من الدرر .

خامسا : مؤلفاته فى الأدب والثقافة العامة :

وابن عبد البر كان فارسا فى ميدان الأدب شاعرا ، وناثرا ، وخاض غمار التأليف فى هذا الفن ، فكانت له كُتب كُتبتْ لها الحياة فوصلتنا لتعكس ، ثقافة ابن عبد البر وبراعته فى هذا الجانب والتى تُمثِّل سمة من سمات أهل الأندلس الأصيلة الذين شغفهم الأدب حبا فهم يتذاكرونه ويسمرون به .

وقد شهد مؤرخو الأدب الأندلسى لابن عبد البر ، « بأنه فى الأدب فارس »[(١)] ، ووصفه ابن خاقان بقوله : « وأما أدبه فلا تُعبر لُجَّتهُ ولاتُدحض حُجته ، وله شعر لم أجد منه إلا مانفث به عن أنَفةٍ وأوصى فيه عن معرفة » .[(٢)]

وورد له آراء نقدية فى كتبه :جامع بيان العلم ، والبهجة ، والاهتبال تدل على ثقافة واسعة وذوق أدبى .

أ : الكتب المطبوعة :

١ ــ « بهجة المجالس وأُنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس » :

وهو من أكبر كتبه فى الأدب وأشهرها تجسّمت من خلاله مَلَكةُ ابن عبد البر الأدبية الأصيلة التى أنعم الله بها عليه ، « فلا عجب فهو فى الأدب فارس وكفاك دليلا كتابه بهجة المجالس »[(٣)] وقد ألّفه ابن عبد البر بناء على طلب الأمير المظفر بن الأفطس .[(٤)]

وهو سِفْر ضخم يتكون من مجلدين كبيرين وقد حُقّق[(٥)] تحقيقاً علمياً جيدا ،

(١) المغرب فى حلى المغرب : ٢ / ٤٠٨ .

(٢) مطمح الأنفس : ٧٠ .

(٣) المغرب : ٢ / ١٠٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ورقة ١٨٣ .

(٥) حققه : د . محمد مرسى الخولى رحمه الله ، ونشرته الهيئة العامة للكتاب بمصر فى مجلدين كبار سنة ١٩٦٢ م وأعاد المحقق تصويره فى ثلاثة مجلدات ونشرته دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م .

وقد لخص ابن عبد البر قصده من تأليف الكتاب وبين بأن له هدفا تربويا ، وهدفا علميا تعليميا ، وهدفا ترويحيا ترفيهيا .

ولأجل هذه الأهداف حشد ابن عبد البر مادة أدبية منوّعة تضم معانى أدب الدين والدنيا .

وقسم الكتاب إلى مائة واثنين وثلاثين باباً ، يستشهد فى كلّ باب بالآيات ثم الأحاديث التى ترتبط بموضوع الباب ، ثم يُتبعه بذكر عيون الأخبار والشعر ، والحكم والأمثال عند العرب ناقلا ذلك كله عن أمهات المصادر(١) ، وقد يحيل إليها فى سياق كلامه فضلاً عن إحالته إلى كتبه التى سبقت التأليف ، كالتمهيد(٢) والاستيعاب(٣) وجامع بيان العلم وفضله(٤).

وقدم لنا بذلك نموذجا من المؤلفات الأدبية فى الأندلس فى القَرنين الرابع والخامس الهجريين .

ولقيمة الكتاب الأدبية اهتم به أدباء الأندلس فأقبلوا على روايته(٥) واختصاره(٦) واهتم المُحدَثون ببعض بحوثه وأفردوها بالنشر(٧).

(١) بهجة المجالس : ١ / ٥٦ ، ١٢٠ ، ٢٦٢ ...الخ .
(٢) نفس المصدر : ١ / ٥٧ ، ١١٨ ، ١٦٤ ...الخ .
(٣) نفس المصدر : ١ / ٥٨ .
(٤) نفس المصدر : ١ / ٥١ ، ٢٠٥ ، ٤٢٨ ، ٧٦٧ ...الخ .
(٥) انظر : جذوة المقتبس : ٣٦٨ .
: فهرسة ابن خير الإشبيلى : ٢٢٧
: الغنية فهرسة عياض : ورقة ١٢٣
: مرآة الجنان : ٣ / ٨٩ وأسماه بهجة المحاسن .
(٦) اختصره سعيد بن أبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن ابوب التجيبى (٨٦١ هـ — ٧٥٠ هـ) .
وسمّاه (بغية المؤانس من بهجة المجالس وأنس المجالس) وتوجد منه نسخة فى جامعة القروينى برقم : ١٣٥١
انظر : تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : ٦ / ٢٦٣
وهناك نسخة أخرى فى الخزانة العامة بالرباط
انظر : فهرس المخطوطات العربية فى الخزانة العامة بالرباط : ٢ / ٦٠ .
(٧) جردت الأمثال التى وردت فى الكتاب وطبعت فى ذيل مجلة المحيط المجلدة الخامسة : القاهرة ١٩٠٧ (انظر بروكلمان : ٦ / ٢٦٣) .

٢ ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى من روايته وحمله :

وموضوع هذا الكتاب يدل عليه عنوانه فقد ضمنه ابن عبد البر بحوثا عن العلم وفضله ، وآداب العالم والمتعلم ، وما يلزم الناظر فى اختلاف العلماء من الإحاطة بمذاهب علماء الأمصار ويُبين فيه كذلك المراحل التى يَمرّ بها طالب العلم ، والعلوم الأساسية التى يجب أن يلم بها : من فهم لكتاب الله ، ومعرفة بالسنة النبوية ، واللغة ، وحث الطالب على الاطلاع على العلوم المُكملة لثقافته الدينية مثل الجغرافية ، والطب ، وعلم الحساب ، والترجمة .

ثم رسم منهجاً تعليمياً لمن أراد أن يكون مُجتهداً ، فأرشده إلى التوسع فى الحفظ للسنن ، والإحاطة بأصول المذاهب الإسلامية المختلفة ، والأدلة التى قامت عليها ليتسنى له النظر فيها والترجيح بينها .

ولم يَفتْه أن يرسم لمن سلك طريق العلم والعلماء أدب المناظرة ، والزاوية التى ينظر منها إلى الخلاف بين العلماء والتأدب فى نقدهم ، وتوجيه كلام بعضهم فى بعض .

وهو بذلك يُعد منهجاً تربوياً متكاملا لتكوين الطالب والعالم .

وقد حشد ابن عبد البر فى كتابه هذا الجامع مادة أصيلة منوعة يغلُب عليه فيها النقل فى كثير من أبواب الكتاب . ملتزما فى نقله للأخبار والأشعار بالرواية على طريقة المحدثين ، ولكنه مع هذا كان يقف فى بعض المواضع ناقداً [١] ومُحللاً [٢] ومُوضحاً [٣] ، ومُستخلصاً للقواعد العامة من النصوص [٤] ويحيل فيه إلى كتبه الأخرى [٥] .

---

(١) الجامع : ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٢٣ ، ٢١٦ ، ٣٢٣ .

(٢) نفس المصدر ٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٣٣٣ ، ٣٤١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

(٣) نفس المصدر ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٦ ، ١٤٩ ، ٢٢٧ ، ٤٠١ ...

(٤) نفس المصدر ٥٢ ، ١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٨٨ ، ٢٣٥ ، ٣١٥ ...

(٥) نفس المصدر ٩ ...

وقد ذكر هذا الكتاب كثرة من العلماء[1] مُثنين عليه ولجلالته وعظيم فائدته طُبع عدة طبعات[2]، ومع هذا يحتاج إلى عناية أكبر فى تحقيق نصوصه والكشف عن قيمته التربوية[3].

٣ ـــ الجامع :

وهو رسالة صغيرة فى الأخلاق الإسلامية والآداب الشرعية ألحقها بكتابه الكافى فى الفقه[4]، لخص فيها كل مايجب أن يتحلى به طالب العلم بخاصة والفرد المسلم بعامة من أخلاق شخصية فى نفسه . وعائلته مع زوجته وأولاده وأقربائه وخدمه ، واجتماعية مع الناس عامة .

وعرض فيه العادات الاجتماعية الجائزة شرعاً ، والعادات التى ينهى عنها الشرع فى اللّباس ، والزينة ، والسلام ، والزيارة وآدابها ، والأكل وآدابه ، واللهو وأنواعه ، والرفق بالحيوان ، وغيرها من العادات .

كل ذلك عرضه لنا بعبارة سلسة ، وجمل قصيرة واضحة جَلية لا يلتبس فهمها على أحد ، ولم يذكر الدليل الشرعى لها لأنها من باب تحصيل الحاصل ومما استفاضت معرفته بين المسلمين .

وهذه الرسالة ملحقة بكتاب (الكافى) مع أن موضوعها مستقل ولكنه يبدو

---

(١) انظر : جذوة المقتبس : ٣٦٨ بغية الملتمس : ٤٩٠ فهرسة ابن خير : ٢٦١ كشف الظنون : وذكره بعدة أسماء (فضل العلم) ، (بيان أداب العلم) انظر : ١ : ٢٦٠ ، ٢ : ١٢٧٩ .

(٢) اختصره أحمد بن عبد العزيز الحمصانى : القاهرة ١٣٢٠ المطبعة المنيريه بجزئين : القاهرة ١٣٤٦ هـ

المكتبة السلفية بالمدينة المنورة : تحقيق عبد الرحمن عثمان ١٩٦٨

دار الكتب الحديثة (الإسلامية الآن) القاهرة : ١٩٧٥ .

وهى التى اعتمدت عليها .

(٣) قدمت رسالة ماجستير فى كلية تربية الأزهر سنة ١٩٧٨ بعنوان (الفكر التربوى فى الأندلس فى سنة ٤٠٣ هـ ٤٧٨ م) ودرس فيها المنهج التربوى عند ابن عبد البر وابن حزم قدمها عبد البديع عبد العزيز الخولى .

(٤) والذى يرجح أنها رسالة قائمة بذاتها وألحقها الناسخ بكتاب الكافى أن ابن حزم له رسالة بنفس الاسم والمضمون (الجامع) وقد حققها دكتور عبد الحليم عويس ونشرتها دار الاعتصام .

أنه ألحقه ليُنبه الناظر فى كتابه (الكافى) ـــ وهو فى فروع الفقه على ما يتوجب المن كان من حملة الفقه أن يتمثل أخلاقيات الإسلام وآدابه ، وأن المعرفة العلمية لاتُغنى وَجْدَهَا وإنما يجب أن تكون هناك أخلاق يتحلى بها من يتصدى لإفتاء الناس وتعليمهم .

ثم إن محقق كتاب (الكافى) الدكتور محمد ولدماديك الموريتانى لم يُنبه فى رسالته إلى مسألة هل أن الجامع رسالة منفصلة أم من ضمن كتاب الكافى ثم قام بنشرها[1] بعد ذلك منفصلة من غير أن يحققها تحقيقاً علمياً .

ب : الكتب المخطوطة :[2]

١ ـــ الاهتبال بما فى شعر أبى العتاهية من الحكم والأمثال :

جمع ابن عبد البر فى هذا الكتاب الأبيات الشعرية التى تضمنت حكما وأمثالا وكل ما يدعو إلى مكارم الأخلاق فى جميع جوانب الحياة الشخصية للفرد أو المجتمع .

وقدم لنا مقدمة بين فيها دواعى تأليف الكتاب ومنهجه فيه . وعرّف بعد ذلك بأبى العتاهية وأقوال الأدباء والمؤرخين فيه . كالمُبّرد ، والفرّاء ، والزُّبير بن بَكّار ، وغيرهم ورتّب الأشعار على حروف المعجم[3] على حسب القافية التى ينتهى بها البيت ، وبما يوصَلُ بالقافية من ضمير الغائب أو المخاطب . وهكذا إلى آخر الكتاب[4] . وهو فى (١٦١ ورقة) .

---

(١) الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة (١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م) .

(٢) منه نسخة فى مكتبة عارف حكمت فى المدينة المنورة كتبت فى سنة ٩٩٢ هـ بخط محمد الصالحى الهلال برقم (١٨ أدب) .

انظر المنتخب من مخطوطات المدينة المنورة : ٦١ .

وقد صورها معهد المخطوطات برقم ١٠٣٦ أدب وعندى صورة عنها .

(٣) رتبها حسب حروف المعجم عند الأندلسيين .

(٤) يقول مثلا : ورقة ٣٥ .

باب : الباء ما وصل بهاء فى هذا الباب باب لدال وما وصل بكاف .

٢ ـــ (الأمثال السائرة والأبيات النادرة) .[١]

٣ ـــ (رسالة فى أدب المجالسة وحمد اللسان) .[٢]

٤ ـــ (مختارات من الشعر والنثر) .[٣]

٥ ـــ (نزهة المستمتعين وروض الخائفين) .[٤]

ج : الكتب التى فى حكم المفقود :

١ ـــ الإنصاف فى أسماء الله[٥] : يبدو من عنوانه أنه فى أسماء الله الحسنى .

٢ ـــ البستان فى الإخوان[٦] : لعلها رسالة فى أدب الأخوة .

٣ ـــ الرقائق[٧] : وهو كتاب فى الأخلاق والزهد .

---

(١) وهو قطعة من كتاب بهجة المجالس ابتدأ به من (باب أدب المجالسة وحق الجليس وينتهى بباب الحق والباطل) وليس كتابا مفردا كما توهم البعض ، انظر بهجة المجالس : ١ / ٣٥ .

وتوجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية برقم (١٩٦٣ / أدب) فى ١٣٥ ورقة ويبدو أن الناسخ اختار العنوان من مقدمة بهجة المجالس .

(٢) وهى كسابقتها وقد ذكرها بروكلمان على أنها كتاب منفرد وهى ليست كذلك انظر (تاريخ الأدب العربى : ٦ / ٢٦٣)

توجد منها نسختان فى دار الكتب إحداهما ضمن مجموع الأولى : برقم ٥٥٢ أدب تيمور ، والثانية : برقم ٣ / ١٦٦ / أدب ضمن مجموع .

(٣) رتبها حسب موضوعاتها فى سبعين فصلا

ذكره بروكلمان ضمن مخطوطات المتحف البريطانى

انظر تاريخ الأدب العربى ٦ / ٢٦٣ .

(٤) ذكره بروكلمان وأشار بأنه توجد نسخة منه فى المتحف البريطانى

وقال : لايذكر فى موضوع آخر والراجح أنه منحول .

تاريخ الأدب العربى : ٦ / ٢٦٤ .

(٥) تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٢٩ .

(٦) ترتيب المدارك : ٣ / ٨١٠ .

(٧) انظر درء التعارض بين العقل والنقل لابن تيمية الجزء الثانى ط ١ .

وقد أحال إليه عند الحديث عن القدر وقد نبهنى إلى ذلك :

الدكتور محمد السيد الجليند الأستاذ المساعد فى قسم الفلسفة بدار العلوم .

٤ ـــ العقل والعقلاء وما جاء فى أوصافهم عن العلماء والحكماء [1].



---

(١) جذوة المقتبس : ٣٦٨ البغية : ٤٧٦
وكشف الظنون : ٢ / ١٤٤٠ .
وأحال إليه ابن عبد البر فى كتابه بهجة المجالس
باب العقل والحمق ١ / ٥٣٢ .

الباب الثالث

إطار البحث التاريخى
عند ابن عبد البر

مدخل :

تنوعت الأطر التى عرض لنا ابن عبد البر القرطبى من خلالها بحثه التاريخى فقدمه لنا مرة فى إطار السيرة النبوية الشريفة ، وأخرى فى كتابة التراجم وعلم الرجال ، فأرخ للحضارة الإسلامية من خلال أعلامها ، فترجم للصحابة ، والتابعين ، ومشاهير فقهاء المسلمين من السلف ، وترجم لشيوخه ، ومشاهير الأندلسيين ، ونجد ذلك مبثوثاً فى كُتب تلامذته ، أو فيما ألفه هو ولم يصلنا . وهو بذلك قد أخذ بالمنهج الموضوعى [(١)] فى التأليف ، وأنه لم يكن ضمن مؤلفاته كتباً فى التاريخ العام .

وهذا الباب سيعرض لنا إنتاج ابن عبد البر فى علم التاريخ ، ودراسة لأهم مؤلفاته التى عرض من خلالها هذا العلم ، ففى **الفصل الأول** سنعرض لما ألّفه فى السيرة النبوية .

والفصل الثانى : لما ألّفه فى علم الرجال والتراجم والأنساب .



---

(١) وفى هذا المنهج يقوم المؤرخ بالتأريخ للدول أو لعهود الخلفاء والحكام ، أو الكتابة فى التراجم والأنساب ، أو التأريخ المحلى .

انظر : (مناهج المؤرخين العراقيين فى عصر الدولة البويهية) : ٢٥٨ ، رسالة ماجستير بدار العلوم قدمها عبد الرحمن العزاوى ١٩٧٩ م بإشراف د. محمد حلمى أحمد .

الفصل الأول

السيرة النبوية

أهميّة تدوين السيرة النبوية ودراستها :

إن أهمية تدوين السيرة النبوية تنبع من مكانة الرسول ﷺ وطبيعة رسالته التى أرسل بها للبشرية جمعاء . فصاحب السيرة محمد بن عبد الله ﷺ الذى اصطفاه الله نموذجاً للإنسان الكامل « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »[(١)] وجعله الأسوة التى يُقتدى بها « لَقَد كانَ لَكُم فى رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ »[(٢)] . « فمواقِفه الرائعة مع أسرته تُعتبر نموذجاً لكل ربِّ أسرة ، ومواقفه الرائعة مع أصحابه تُعتبر قدوة لكل رفيق »[(٣)] .

وتكمُنُ أهمية دراسة السيرة النبوية فى أنّ تصرفات الرسول وسلوكه تجسيدُ حيّ لطبيعة رسالته كما أرادها الله تعالى أن تطبق فى عالم الواقع . فتعاليم الإسلام جاءت لتكون سلوكاً إنسانياً ، ومنهجَ حياة شاملاً يعيشه الفرد المسلم فى نفسه وشخصه ، ويمارسها فى واقعه ومجتمعه ، وقد « وضع القرآن الكريم صيغة الحياة للمسلمين ونظّم لهم شئون الدين والدنيا ، وأفاض فى تشريعات المال ، والتشريعات الخاصة بالمرأة ، والحدود ، والنظم والأخلاق وغير ذلك من التشريعات »[(٤)] .

المصادر الأولى للسيرة ونشأتها :

بدأت دراسة المغازى فى المدينة ضمن دراسة أحاديث الرسول فكان رُوادها الأوائل مُحدِّثين يَنصبُّ اهتمامُهم فى الرواية على الإسناد ، فبه تكسب الرواية أهميتها توثيقاً ، أو تضعيفاً من خلال رواتها ، « وقد بقيت المغازى فى الأعم الأغلب أحاديث مرتبة بشكل مترابط يُكوّن وحدة موضوعية متجانسة »[(٥)] فكُتب الحديث كلُّها أفردت أبوابا خاصة بالمغازى أمثال : صحيح البخارى وصحيح مسلم

---

(١) سورة القلم الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

(٣) موسوعة التاريخ الإسلامى : أستاذنا د. شلبى : ١ / ١٩٣ الطبعة العاشرة : ١٩٨١ .

(٤) نفس المصدر ١ / ١٩٨ وانظر مصادر دراسة السيرة النبوية وتقويمها د. فاروق حمادة : دار الثقافة : المغرب : الطبعة الأولى ١٩٨٠ : ١٩ وانظر السيرة النبوية دروس وعبر : د. مصطفى السباعى طبعة المكتب الإسلامى ، وانظر : المجتمع المدنى فى عهد النبوة : د. أكرم العمرى .

(٥) أصالة الفكر التاريخى : بحث د. بشار عواد : انظر مجموعة بحوث المؤتمر التاريخى العالمى ببغداد ١٩٧٣ .

وغيرهما .

ومن أوائل الذين كتبوا فى المغازى أبان بن عثمان بن عفان (ت ٩٥ / ٧١٤ ـــ ١٠٥ هـ / ٧٢٤ م) وكان ثقة يروى الحديث ، ويبدو انّ ما كتبه لم يكن كتاباً بالمعنى الدقيق وإنما كان مجموعة من الأخبار المتُعلقة بسيرة النبى عليه السلام [(١)].

وتبعه عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ = ٧١٣ م) وهو فقيه محدث مشهور ، ويُعتبر مؤسس مدرسة المغازى ، إذ كان أول مَنْ ألّف كتاباً فى المغازى ، ونقلت عنه المصادر ، فجاء نصوصاً مُتناثرة فيها ، فنقل عنه : ابن إسحاق والواقدى ، والطبرى ، وابن عبد البر ، وابن سيد الناس ، وغيرهم . ومرويات عروة هى من أقدم ماوصلنا فى تاريخ المغازى .

ومن رجال مدرسة المدينة شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣ هـ) وهو من مُعاصرى عُروة بن الزبير ، وكان يُدوّن رواياته . فقد دَوَّن قوائم بأسماء المهاجرين وأسماء المشتركين فى غزوتى بدر وأحد ، ووصفه سفيان بن عُيينَة بأنه لم يكن أحد أعلمُ بالمغازى والبدريين منه [(٣)].

وفى الجيل التالى لأبناء الصحابة اشتهر ثلاثة من طبقة كبار التابعين بإثراء دراسة المغازى وهم [(٤)]:

ـــ عبد الله بن أبى بكر بن حزم [(٥)] (توفى فى ١٣٠ = ٧٤٧ أو ١٣٥هـ = ٧٥٢ م)

---

(١) انظر المغازى الأولى : لهورفتس : ٦ تذكرة الحفاظ : ١ / ٦٢ ـــ ٦٣ .
وانظر : مصادر التاريخ الإسلامى : د. سيدة كاشف : ٢٥ .
(٢) قامت بجمعها وتنسيقها بحسب الموضوعات سلوى أحمد ممدوح موسى وحصلت بها على درجة الماجستير فى كلية الآداب قسم التاريخ بالجامعة الأردنية عام ١٩٨٠ بإشراف الدكتور عبد العزيز الدورى ، والرسالة بعنوان : عروة بن الزبير وبداية مدرسة المغازى . وقام الدكتور محمد مصطفى الأعظمى بجمع مرويات عروة ونشرتها له جامعة الرياض فى السعودية مؤخراً .
انظر : المجتمع المدنى : ٤٠ .
(٣) انظر : المغازى الأولى : هورفتس : ٢٦ .
(٤) انظر علم التاريخ : الدورى : ٢٢ . وهورفتس : ٣٧ .
(٥) تهذيب التهذيب : ابن حجر : ٥ / ١٦٤ ـــ ١٦٥ .

ـــ وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت ١٢٠ هـ = ٧٣٨ م) [١]
ـــ ومحمد بن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ هـ = ٧٤١ م) [٢]

وهؤلاء الثلاثة من أكابر الشيوخ الذين ينتمُون إلى مدرسة المدينة ، ولم تصلُنا مؤلفاتهم ، وليس لهم بين أيدينا إلا نقول اعتمد عليها ابن إسحاق والواقدى وابن عقبة [٣].

والزهرى منهم قد غلب عليه الاهتمام بالجانب التاريخى ، فلم يقتصر على رواية مغازى عروة بن الزبير فحسب بل قام بجمع روايات المدينة وأحاديثها ، وكتب كل ما سمعه . ثم قام بتمحيص هذه الروايات وتقديمها بشكل متين واضح [٤].

ويمكن اعتبار الزهرى أول من أعطى السيرة هيكلها التاريخى المعروف ، وهو أول من استعمل لفظ السيرة لتعطى مفهوما أوسع من لفظ المغازى ولتشمل بذلك إضافة إلى الجانب الجهادى للنبى ﷺ جوانب حياته [٥] قبل الاسلام وفى مكة والمدينة ، وأصبحت المغازى بعد ذلك مرادفة للسيرة .

وراعى الزهرى فى كتابته التسلسل التاريخى لأحداث السيرة ، واستعمل التأريخ للحوادث المهمة ، وأدخل استعمال الإسناد الجَمعِى ، حيث يدمج عدد من الروايات فى خبر متسلسل ، وبذلك يُعتبر هذا تحويلا فى طريقة الكتابة التاريخية [٦].

---

(١) نفس المصدر : ٥ / ٥٣ ـــ ٥٤ .

(٢) انظر التقصى لابن عبد البر : ١١٦ وتذكرة الحفاظ : ٢ / ١٠٨ ـــ ١١٣ ، وانظر الدراسة الوافية لترجمة الزهرى مُستلّه من تاريخ دمشق لابن عساكر ، نشرها محققة شكر الله نعمة الله الباحث بقسم البحوث وتحقيق التراث بجامعة محمد بن سعود فى الرياض . نشر دار الرسالة بيروت ١٩٨٢ . وانظر : الإمام الزهرى وأثره فى السنة ، رسالة دكتوراه فى كلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة ١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م قدمها د. حارث سليمان الضارى : الأستاذ المساعد بكلية الشريعة ببغداد .

(٣) علم التاريخ : ٢٣ والمغازى الأولى : ٢٤ .

(٤) علم التاريخ : ٢٤ .

(٥) المصدر السابق : ٢٤ وانظر مشاهير مؤرخى سيرة رسول الله : د. إبراهيم العدوى : ١٧٠ ، المجلة التاريخية المصرية مج ١٣ / ١٩٦٧ م .

(٦) انظر علم التاريخ . الدورى : ٢٣ ، ٢٤ . وتاريخ التراث : ١ / ٤٤٣ .

« وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ ، فإن الزهرى أسّس المدرسة التاريخية فى المدينة ، ويمكننا أن نؤكد أن أسس المغازى وضعت بدراساته الجديَّة »[1]. وظهرت ثمرة ذلك فى تلميذَيه المعروفَين موسى بن عُقْبَةَ ، ومحمد بن إسحاق .

أما الطبقة الثالثة التى خلفت جيل الزهرى فيمثلها ثلاثة من أشهر تلامذته وهم :

ــ موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ = ٧٥٨ م)[2]
ــ ومحمد بن إسحاق (٨٥ ــ ١٥١ هـ = ٧٠٤ ــ ٧٦٨ م)[3]
ــ معمر بن راشد (٥٧ ــ ١٥٤ هـ = ٧١٤ ــ ٧٧٠ م)[4]

أما موسى بن عقبة فقد عده العلماء من المحدثين الثقاة وشهدوا بدقته وتثبُّته فى كتابة السيرة النبوية ، فأثنى عليه الإمام مالك بن أنس ووثق مغازيه بقوله : « عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنّه ثقة »[5]، وورد مثل هذا عن الإمام أحمد بن حنبل[6]، وقال الشافعى : « وليس فى المغازى أصحُّ من كتاب موسى ابن عقبة مع صِغره وخُلُوه من أكثر مايُذكر فى كتب غيره »[7].

وروى له البخارى ومسلم فى صحيحهما[8] والإمام مالك فى الموطأ[9] مما يدلُّ

(١) علم التاريخ : للدورى : ١٠١ ــ ١٠٢ .

(٢) انظر ترجمته : التقصى : لابن عبد البر : ١٦٦ .
والتهذيب : لابن حجر : ١٠ / ٣٦٠ .

(٣) انظر ترجمته : عيون الأثر : لابن سيد الناس : ١ / ١٠ ــ ١٧ .
والتهذيب : لابن حجر : ٩ / ٣٨ ــ ٤٦ .

(٤) انظر ترجمته : المعارف لابن قتيبة : ٢٥٣ ، ميزان الاعتدال : للذهبى : ٣ / ١٨٨ . تاريخ التراث : ١ / ٤٦٤ ــ ٤٦٥ ، التهذيب : لابن حجر ١٠ / ٢٤٤ .

(٥) التهذيب : لابن حجر : ١٠ / ٣٦١ .

(٦) انظر التذكرة للذهبى : ١ / ١٤٨ .

(٧) الجامع لأخلاق الراوى السامع : للخطيب البغدادى ، مخطوط لوحة ١٦ الجزء الثامن : معهد المخطوطات بالقاهرة .

(٨) انظر تهذيب الأسماء : للنووى : ٢ : ١ / ١١٨ .

(٩) انظر التقصى لابن عبد البر : ١٩٦٥ .

على جلالته .

وكان مُتّبِعاً فى منهجه مدرسة المدينة فى كتابته السيرة ، ويتضح ذلك فى التزامه بالإسناد التزاماً دقيقاً ، ويهتمُّ بالتسلسل الزمنى للأحداث عند كتابة السيرة ، لذلك يستعمل التواريخ عند ذكر الحوادث المهمة ، واعتمد فى تدوين مغازيه على الوثائق المكتوبة — إضافة إلى آثار شيخه الزُّهرى — من ذلك حصوله على كتاب النبى ﷺ للمنذر بْنِ ساوى(١) .

ولم يصل من كتاب ابن عُقبة فى المغازى غير قطعة منه عثر عليها المستشرق الألمانى إدوارد سخاو فى المكتبة البروسية الرسمية وقد نشرها بنصها العربى مع ترجمة ألمانية سنة (١٩٠٤ م) .(٢)

وكتب السيرة والمغازى المتوفرة بين أيدينا نقلت كثيرا عنها ، أمثال : المغازى للواقدى ، وابن سيد الناس فى عيون الأثر ، واعتمدهُ ابن عبد البر فى الدرر ، ونقل عنه ابن سعد فى الطبقات الكبرى وابن حجر فى الإصابة وغيرهم(٣) .

وأما معمر بن راشد فهو من ثقاة المحدثين الذين رَووا عن الزهرى ، ونقلوا عنه ، وقد صنّف كتابه فى المغازى وضمّنه رواياته عن أستاذه الزهرى ، ولم يرتب مادته ترتيباً زمنياً ، بل رتَّبها ترتيباً موضوعياً على غرار ما فعلهُ فى علم الحديث ، ثم إنه لم يقتصر على مادة السيرة النبوية فقط وإنما أضاف إليها تاريخ الرسل السابقين .(٤)

وعُثر على قطعة من مغازيهمكتوبة على جلد قديم جداً محفوظ فى المعهد الشرقى فى شيكاغو نشرتها نبيهه عبود .(٥)

---

(١) انظر : علم التاريخ : الدورى : ٢٧ .

و (موسى بن عقبة) : مقالة د. أكرم العمرى : فى مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد : ٥٩ العدد الأول لسنة ١٩٦٧ .

والمغازى الأولى : هورفتس : ٧١ — ٧٣ .

(٢) المغازى الأولى : هورفتس : ٧١ وتاريخ التراث : سزكين : ١ / ٤٥٩ .

(٣) موسى بن عقبة : مقالة مجلة الدراسات الإسلامية : د. أكرم العمرى : ١٣ .

(٤) المغازى الأولى : ٧٣ — ٧٥ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ١٩٠ — ١٩١

(٥) انظر تاريخ التراث : لسزكين ١ / ٤٦٥

Nabia Abbott, Studies in Arabic Literory, Chicago, 1957, p, 76 .

ولقد ذكر الدكتور الدورى كتاباً لمعمر فى الحديث والمغازى لا يزال محفوظاً فى استانبول على رَقّ الغزال ، وقد نُسخت هذه النُسخة فى طُليطلة سنة (٣٦٣ هـ = ١٩٧٣ م)[١].

ولكن سزكين[٢] أورد لنا كتاباً غير (المغازى) الذى نشرته نبيهه عبود ، واسم هذا الكتاب (الجامع) وهو فى الحديث وذكر أنّ تاريخ نسخه (٣٦٤ هـ) ، مُودَع فى مكتبة صائب بأنقرة .

وتلميذ الزهرى الثالث هو محمد بن إسحاق الذى صار عَلَماً على ماألف فى السيرة النبوية ، بلغت شهرته الآفاق وبز جميع أقرانه أو من سبقه ، بل حتى على من ألف بعده ، وخاصة بعد اختصار ابن هشام لكتاب بن إسحاق . وكان ثقة فيما يرويه فى السيرة .

ولقد دوّن ابن إسحاق أفكاره التاريخية لثلاث مراحل تاريخية[٣] :

ــ المبتدأ ويختص بفترة بدء الخليقة .

ــ المبعث يختص بفترة ماقبل هجرة النبى ﷺ من مكة إلى المدينة

ــ والمغازى أرّخ فيه للفترة المدنيّة ومغازى النبى ﷺ وسراياه .

وقد اكتشفت نُسخ منه فى أمكنة متعددة ذكرها سزكين .

ونُشرت قطعة منه تضُمُّ المغازى بتحقيق الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى فى المغرب[٤] ، وكَررَ نشره الدكتور سُهيل زَكَّار مُحققاً فى دمشق[٥].

وقد وثّق ابن إسحاق كثيراً من العلماء ، ولعل المقدمة التى قدمها ابن سيد

---

(١) مصادر التاريخ الإسلامى : د. سيدة كاشف : ٨ .

نقلا عن د. عبد العزيز الدورى وناجى معروف فى : موجز تاريخ الحضارة العربية : (بغداد ١٩٥٢) .

(٢) تاريخ التراث ١ / ٤٦٥ .

(٣) انظر تاريخ التراث ١ / ٤٦١ . وقد أشار إلى أنّ هناك أقساما من الكتاب فى المغرب والشام .

(٤، ٥) انظر : مصادر السيرة : د. فاروق حمادة : ٥٠ ولم يذكر مَظان النسخ التى اعتُمدت فى التحقيق أو عددها .

الناس فى عيون الأثر قد استوعبت هذا الأمر ، فأورد أقوال الموثقين له وأقوال المضعفين. وقد مدحهُ الشافعى بقوله[1] : « من أراد أن يتبحَّر فى المغازى فهو عيال على ابن إسحاق » وقال أبو زُرعة عبد الرحمن النّصرى[2]: « محمد بن إسحاق قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم سفيان الثورى[3]وشعبة[4]وابن عيينة[5]والحمادان[6]وابن المبارك وإبراهيم بن سعد . وروى عنه من الأكابر يزيد بن أبى حبيب[7] ، وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقا وخبرا مع مِدْحَة بن شهاب له »[8].

أسباب تضعيف ابن إسحاق أمور منها :

أنه اتُّهم بقوله بالقدر ، وقيل إنه يَتَشَيَّع وأجاب الحافظ ابن سيّد الناس عنه بأنّ

---

(١) عيون الأثر : ١ / ٩ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٢ ــ ١٧٣ ووصفه بقوله : كان أحد أوعية العلم ، حبْراً فى معرفة المغازى والسِّيَر وليس بذاك المُتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة وهو صدوق فى نفسه مرضى .

(٢) الحافظ الثقة محدث الشام قال عنه أبو حاتم صدوق توفى سنة ٢٨١ هـ .
انظر تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٢٤ .

(٣) شيخ الإسلام سيد الحفاظ أمير المؤمنين فى الحديث أثنى عليه ووثقه أئمة علم الحديث ولد سنة (٩٧ هـ) فى الكوفة وتوفى سنة (١٦١ هـ) ، بالبصرة ، انظر : تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٠٣ ــ ٢٠٧ .

(٤) هو شعبة بن الحجاج الحُجةُ الحافظ شيخ الإسلام قال عنه الشافعى : لولا شعبة لما عرف الحديث بالعراق وقال عنه الإمام أحمد : كان شعبة أمة وحده فى هذا الشأن يقصد علم الرجال والحديث . انظر التذكرة : ١ / ١٩٣ ــ ١٩٧ .

(٥) سفيان بن عيينة العلامة الحافظ شيخ الإسلام محدث الحرم ولد سنة (١٠٧ هـ) قال عنه الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز توفى سنة (١٩٨ هـ) .
انظر التذكرة : ٢٦٢ ــ ٢٦٥ .

(٦) وهما حماد بن سلمة الإمام الحافظ شيخ الإسلام كان بارعا بالعربية فصيحا مُفوّها صاحب سُنّة توفى سنة (١٦٧ هـ) وقد قارب الثمانين . انظر تذكرة : ١ / ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .
وحماد بن زيد الإمام الحافظ المجود شيخ العراق قال عنه يحيى بن معين : ليس أحد أثبت من حماد بن زيد . ولد سنة (٩٨ هـ) وتوفى سنة (١٩٧ هـ) انظر تذكرة : ١ / ٢٢٨ ــ ٢٢٩ .

(٧) وهو يزيد بن سويد الأزدى (٥٣ ــ ١٢٨ هـ) كان مفتى أهل مصر فى زمانه ووصف بأنه تابعى ثقة .
انظر التهذيب ١١ / ٣١٨ .

(٨) عيون الأثر : ١ / ٩ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٢ ــ ١٧٣ .

ذلك ليس بالسبب القائم فى تضعيف أخباره مالم يكن داعياً فيها إلى بدعته [1] وقد استشهد به البخارى [2].

والسبب الثانى : هو وصف الإمام مالك بن أنس له بأنه دَجَّال من الدجاجلة ، وقد أرجع بن سيد الناس ذلك إلى كلام قاله ابن إسحاق فى الإمام مالك عندما سُئل عن الموطأ فقال : أنا بيطاره فأغضب ذلك الإمام مالك ، وقوله فى الإمام مالك : بأنه من موالى ذى أصْبَح ، فجرى بينهما ما يجرى بين الناس من خلاف . ولكنّهما تصالحا بعد خُروج محمد بن إسحاق إلى العراق [3].

والثالث : جَرح هشام بن عروة لابن إسحاق ، وتكذيبه فى روايته عن فاطمة بنت المنذر زوجته ، ونفى عن أن يكون ابن إسحاق قد رآها ، وليس هذا بالسبب القائم على تجريحه ، كما قال هشام . لأن بعض التابعين رَووا عن عائشة رضى الله عنها من وراء حجاب ، وكذلك حال فاطمة مع ابن إسحاق . أو أنه دخل عليها وهو غلام [4]. وذكر هورفتس [5] احتمال عدم علم هشام بدخول ابن إسحاق على زوجته ليروى عنها لكبر سنّها حيث كانت تَكْبُر بن إسحاق بثلاثين أو أربعين عاما . ولوجود أمثلة أخرى لرواية الرجال عن النساء ، ولعل فاطمة كانت تأذن لابن إسحاق دونَ عِلم زوجها لهذا السبب .

ويعتبر ابن إسحاق بداية التحول فى أسلوب الكتابة التاريخية وتطورها ، حيث جمع بين أسلوب القصاص والمحدثين وذهب بذلك إلى أبعد من حدود مدرسة المدينة وخاصة فى اهتمامها بالإسناد ، فأكثر من استخدام الإسناد الجمعى مقدما لنا ــ بدمجه للروايات ــ بناءا تاريخيا جذابا [6].

(١) انظر : نفس المصدر : ١١ ، ١٣ .
(٢) انظر عيون الأثر : ١١ ، ١٣ .
(٣) انظر عيون الأثر : ١١ ، ١٦ ، ١٧ وتذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٣ .
(٤) انظر عيون الأثر : ١٠ ، ١١ ، ١٦ .
(٥) انظر : المغازى الأولى : لهورفتس : ٧٨ ، ٧٩ .
وانظر تاريخ الإسلام للذهبى ٦ / ٣٧٧ .
(٦) انظر : علم التاريخ عند العرب : د. الدورى : ٢٨ ، ٢٩ .

وباختصار ابن هشام لكتاب ابن إسحاق وتخليصه من الأخبار الضعيفة ـ وخاصة فى كتاب المبتدأ ـ والأشعار المنتحلة نال كتاب ابن إسحاق قبولا عند عامة المؤرخين بعد أن اقترب به ابن هشام من وجهة نظر المحدثين[1].

وقد ترسم كل من جاء بعد ابن هشام طريقته فى سرد أحداث السيرة بالترتيب الزمنى . ولم يعد من ألف فى السيرة بعد ذلك أن يكون مختصراً لسيرة ابن هشام ؛ أو شارحا لها أو شارحا غريبها ومشكلها كما فعل السهيلى . أو الاكتفاء بعيونها ودُرَرها كما فعل ابن عبد البر وابن سيد الناس . وقسم آخر نظمها شعراً .

وقد سار المُحدثون على أثر من سبقهم بالاهتمام بسيرة نبيهم ، فتصدوا للتأليف فيها على اختلاف مناهجهم ومشاربهم .

فمنهم من اهتم بعرض السيرة بأسلوب أدبى قصصى جذاب[2]. ومنهم من اهتم بفقه السيرة يستلهم منه العبر والدلالات ليحصل التأسى به ﷺ[3]. وهم فى ذلك كله لا يخرجون عن الإطار الذى وضعه ابن هشام بعد جمعه بين جزئى سيرة

(١) انظر نفس المصدر : ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) خاتم النبيين : الشيخ محمد أبو زهرة : دار الفكر العربى بالقاهرة : ١٣٩٢ هـ .

ـ حياة محمد ﷺ : محمد حسين هيكل
نشر دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨١ م .

ـ صور من حياة الرسول : محمد أمين دويدار : دار المعارف بالقاهرة ١٣٩٨ هـ .
١٩٧٨ م ، ط ٤ ، نشر دار المعارف .

ـ على هامش السيرة : د . طه حسين ، نشر دار المعارف بالقاهرة (١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م) ط ٢٢ .

ـ الرسول القائد : محمود شيت خطاب نشر دار الرسالة ببيروت .

(٣) فقه السيرة : د. محمد سعيد رمضان البوطى
نشر دار الفكر الحديث : لبنان ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م . ط ٧ .
القول المبين فى سيرة سيد المرسلين : د. محمد الطيب النجار
توزيع دار الاعتصام بالقاهرة .
السيرة النبوية دروس وعبر : د . مصطفى السباعى
نشر المكتب الإسلامى بدمشق سنة ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م .
دراسات فى السيرة : د. عماد الدين خليل
نشر دار الرسالة ببيروت : ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

١ ــ ابن إسحاق ، المبعث والمغازى .

ويرى أستاذنا الدكتور أحمد شلبى أنّ الإطار الذى قدّم فيه بن هشام السيرة لا يستوعب السيرة النبوية بمفهومها الكُلّى الشامل لجميع جوانب حياة الرسول ﷺ فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والإدارية .

لذا أسهم أستاذنا فى [1] هذا الجانب وأرّخ للسيرة بمفهومها الكلى الشامل . فعرض لنا علاقة الرسول بأزواجه ، وطبيعة حياته فى بيته ، وعلاقته بالمجتمع من حوله فى تعامله مع أصحابه ، وتربية الولاة ، والدعاة والقادة والقضاة وموقفه من الشباب والعمل ، ومعاملته لغير المسلمين وغير ذلك .

وأسهم بذلك فى تدوين السيرة من جديد كما ينبغى بعد أن جمع مُتناثر أخبارها من مختلف المصادر، وبخاصة كتب الحديث النبوى الشريف[2]، ليقدم بذلك صورة صادقة لسيرة الرسول عليه السلام الذى جعله الله قدوة للمسلمين ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ﴾[3] ،ليستطيعوا أن يتمثّلوا حياته وينتفعوا بها فى تربية أنفسهم وفى تصرُّفاتهم فى كل المجالات [4].

السيرة ومؤلفاتها فى الأندلس

لما كان الأندلس جزءاً من الوطن الإسلامى الذى ترامت أطرافُه شرقاً وغرباً فى تلك الحِقبة فبالضرورة فإن الثقافة الإسلامية هى البناء الفكرى له بعد أن عمّت

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى الجزء الأول فى طبعته العاشرة ، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م .

(٢) هناك مشروع لكتابة السيرة وتوثيق نصوصها واستكمال جوانبها الشاملة بتطبيق منهج النقد عند المُحدّثين على الروايات التاريخية .

ويشرف عليه أستاذنا الدكتور أكرم العمرى رئيس المجلس العلمى ورئيس قسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وأسهم هو فى هذا المشروع بكتابه (المجتمع المدنى فى عهد النبوة وخصائصه وتنظيماته الأولى) وقد سجّلت رسائل درجتى لنيل الماجستير والدكتوراه لتنفيذ هذا المشروع وأنجزت بعض هذه الرسائل مثل : (مرويات غزوة بنى المصطلق) تحقيق ودراسة إبراهيم بن إبراهيم قُريبى . وإشراف د. أكرم العمرى وقد قام المجلس العلمى بنشر هذين الكتابين الأول سنة (١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م) ، والثانى سنة (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م)

(٣) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

(٤) انظر موسوعة التاريخ : ١ / ١٩٧ ط ١٠ .

العقيدة الإسلامية تلك الربوع .

وبالتالى فالنمو الثقافى وإنتاجه كان امتدادا للثقافة الإسلامية فى المشرق لأنه جزء منها .

لذا فإنّ المصادر الأولى لكُلّ العلوم قد نُقلت إلى الأندلس ، وكان من ضمن ما نقل من تأليف ، المصادر الأولى فى السيرة النبوية الشريفة ، وقد حفظ لنا أصحاب فهارس الكتب و مؤلفو براجم العلماء والمشيخات أسماء أهم هذه المصادر .

وقد حفظ لنا ابن خير الإشبيلى (ت ٥٧٥ هـ = ١١٧٩ م) الذى تعتبر فهرسته « مادة لدراسة حركة التأليف فى الأندلس »[(١)] من تلك الكتب :

١ ــ مغازى رسول الله ﷺ[(٢)]

تأليف موسى بن عُقبة (ت ١٤١ هـ = ٧٥٦ م) .[(٣)]

٢ ــ كتاب سيرة رسول الله ﷺ لسليمان بن طَرْخان (٤٦ هـ / ٦٧٥ م ــ ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م) .[(٤)]

٣ ــ كتاب المغازى والسير لمحمد بن إسحاق (٨٥ / ٧٠٤ ــ ١٥١ هـ / ٧٦٨ م)[(٥)] بروايات تلاميذه الثلاثة :

زياد بن عبد الله البَكَّائى (ت ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م)[(٦)]

إبراهيم بن سعد (ت ١٨٤ هـ ــ ٨٠٠ م)[(٧)] وقيل ١٨٥ هـ .

---

(١) كتب برامج العلماء : عبد العزيز الأهوانى : مقالة فى مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة م ١ ج ١ ــ ٢ القاهرة : ١٩٥٥ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ٢٣٠ تاريخ التراث ١ / ٤٥٧ ــ ٤٥٩ .

(٣) انظر : طبقات خليفة بن خياط : ٢٦٧ والتقصى لابن عبد البر : ١٦٦ .

(٤) انظر سزكين : ١ / ٤٥٧ انظر فهرسة ابن خير : ٢٣١ وانظر التقريب : ١ / ٣٢٦ .

(٥) سزكين : ١ / ٦٠ ــ ٤٦٣ وانظر الفهرسة : ٢٣٢ وانظر التقريب : ٢ / ٤٥ وقال ثقة عابد إمام المغازى صدوق ذكره الرعينى فى برنامجه ٣٨ ، ١٦٦

(٦) انظر تقريب التهذيب : ١ / ٢٦٨ وقال عنه : صَدوق ثَبت فى المغازى .

(٧) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٥٢ ــ ٢٥٣ وانظر التقريب : ١ / ٣٥ وقال : ثقة حجة .

يونس بن بُكير (ت ١٩٩ هـ = ٨١٥ م)[١].

٤ ـــ كتاب السير لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفَزاريّ (ت ١٨٥ هـ = ٨٠١ م)[٢] وقيل ١٨٦ هـ .

٥ ـــ كتاب السير لسعيد بن يحيى الأموى (ت ٢٤٩ هـ = ٨٦٣ م)[٣]

٦ ـــ كتاب سير الوليد بن مسلم الأموى (١١٩ ـــ ١٩٥ هـ= ٧٣٥ـــ ٨٧١ م)[٤].

٧ ـــ كتاب سيرة رسول الله ومغازيه لمحمد بن عمر الواقدى (١٣٠ ـــ ٢٠٧ هـ = ٧١١ ـــ ٨٢١ م)[٥].

٨ ـــ كتاب المغازى لعبد الرزاق بن همام الصنعانى (ت ٢١١ هـ = ٨٢٦ م)[٦].

٩ ـــ كتاب تهذيب مغازى ابن إسحاق لعبد الملك بن هشام الحميرى (ت

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٢٦ ـــ ٣٢٧ والتقريب : ٢ / ٣٨٤ وقال عنه يخطىء

(٢) سزكين : ١ / ٤٦٧ فهرسة ابن خير الإشبيلى : ٢٣٦

انظر تقريب التهذيب : ١ / ٤١ وقال : الإمام ثقة حافظ وكان من المجاهدين فى الثغور .

الموجود من الكتاب الجزء الثانى ، مكتوب على رَقّ غزال بقلم أندلسى سنة (٢٧٠ هـ) وعدد أوراقه : (١٨ ورقة) وهو برقم : (٣٢٠ مغرب ثانية / الخزانة العامة) فى معهد المخطوطات بالقاهرة . انظر مصورات المغرب القائمة الثانية ١٩٧٠ م .

وتوجد منه مخطوطة تتضمن الجزء الأول والثالث والرابع والخامس فى مجلد واحد فى (٥٩ ورقة) مكتوبة بقلم أندلسى عتيق والنسخة فيها تقطيع شديد ولون الورق مائل إلى الحمرة وهى برقم (٣٢١ مغرب ثانية / الخزانة العامة) فى معهد المخطوطات بالقاهرة . انظر مصورات المغرب القائمة الثانية ١٩٧٥ م .

(٣) سزكين : ١ / ٤٦٨ بن خير الإشبيلى : ٢٣٧

انظر تقريب التهذيب : ١ / ٣٠٨ وقال عنه : ثقة وربما أخطأ .

(٤) سزكين ١ / ٤٦٩ . فهرسة ابن خير الإشبيلى : ٢٣٦ ، تذكرة الحفاظ ١ / ٣٠٢ ـــ ٣٠٤ ، انظر التقريب : ٢ / ٣٣٦ وقال عنه : ثقة ، لكنه كثير التدليس .

(٥) سزكين ١ / ٧٠ ـــ ٢٧٥ ابن خير الإشبيلى : ٢٣١

انظر التقريب : ٢ / ١٩٤ وقال عنه متروك ـــ أى فى الحديث ـــ مع سعة علمه فى التاريخ .

(٦) سزكين : ١ / ١٤٤ ابن خير الإشبيلى : ٢٣٦

تقريب التهذيب : ١ / ٥٠٥ وقال عنه : ثقة حافظ عمى فى آخر عمره فتغير .

٢١٨ هـ ٨٣٣ م) [١].

١٠ ــ تاريخ أبى بكر بن أبى خَيْثمة زهير بن حَرب النسائى (٢٧٩ هـ= ٨٩٢) [٢]

١١ ــ أعلام النبوة : لأبى داود سليمان بن الأشعث السِّجسْتانى (٢٠٢ ــ ٢٧٥ هـ = ٨١٧ ــ ٨٨٨ م) [٣].

هذه هى أمهات المصادر فى السيرة النبوية التى دخلت الأندلس وكانت مدار اعتماد العلماء الأندلسيين ، وتشهد لنا بذلك فهارس العلماء التى ذكرتها وهناك كتب أخرى اعتمدها العلماء الأندلسيون إضافة إلى كتب السيرة والمغازى تناولت السيرة النبوية والمغازى ضمنا [٤]. أو أفردت [٥] جانبا من جوانب السيرة بمؤلف .

وقد تناقل علماء الأندلس مصادر السيرة السالفة الذكر وغيرها ، وكانت تروى فى حلقات العلم أو تقرأ على الطلاب .

وكان أهل الأندلس يُطلقون لفظ (المَشاهد) على المغازى ، والعالم الذى يروى روايات السيرة ومؤلفاتها يوصف بأنه (حافظ للمشاهد) .

---

(١) سزكين ١ / ٧٥ ــ ٢٨٠ ابن خير الإشبيلى : ٢٣٣
وانظر فهرس ابن عطية الغرناطى : ورقة : ٢٢ ، ٢٥
وانظر الغنية : مخطوط للقاضى عياض : ورقة : ١٢١
وانظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٤٥ وقال عنه : صاحب المغازى كان أديبا إخباريا ، توفى بمصر .

(٢) انظر فهرسة ابن عطية الغرناطى : ورقة ٢٢ وابن خير : ٢٠٦ وانظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٩٦ وقال عنه الخطيب البغدادى ثقة عالم متقن حافظ بصير بأيام الناس .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ : ١٢ / ٥٩١ وقال عنه الحكم : أبو داود إمام أهل الحديث فى عصره .

(٤) كما فعل ابن سعد فى طبقاته إذ أفرد الجزئين الأول والثانى للسيرة النبوية وخليفة بن خياط فى تاريخه : مطبوع وكذلك كل كتب التاريخ العام مثل تاريخ الطبرى والكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها .

(٥) مثل : كتاب الشمائل النبوية للترمذى مطبوع
ودلائل النبوة لأبى ذر الهروى : انظر فهرسة ابن خير : ٢٨٦
ومعيشة النبى وأصحابه لأبى ذر الهروى كذلك : نفس المصدر .
وشرف المصطفى لأبى سعد محمد الواعيظ النيسابورى : نفس المصدر ٢٨٩ .
وانظر كشف الظنون : ٢ / ١٠٤٥ وغير ذلك من الكتب .

فيقال : مثلاً : إن فلاناً « رحل فسمع من عبد الملك [1] بن هشام المشاهد » [2] أو « كان حافظا لأخبار العرب ووقائعها وأيامها ومشاهد النبى ﷺ » [3] ، أو « كان حافظا للمشاهد » [4] أو « كان حافظا للأخبار والمشاهد » [5]

وشاع ذلك فى القرن الثالث وأوائل الرابع ويحتمل أنه كان قبل أن يتجه الأندلسيون للتأليف فى السيرة الشريفة .

وفى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى أو قبله بقليل بدأت كتابات الأندلسيين فى السيرة النبوية الشريفة تظهر [6] ، هى ثمرة من ثمرات النمو الثقافى فى الأندلس بانتقاله من الأخذ إلى العطاء . ولكن الغريب أن فهارس وبرامج العلماء الأندلسيين والمغاربة الموجودة بين أيدينا [7] لم تنقل لنا أغلب هذا النتاج . فهل كانت المؤلفات فى هذا الفن نادرة ؟ ولا يجزم الباحث أنّ ذلك صحيحاً ، لأنّ

---

(١) عبد الملك بن هشام المتوفى سنة ٢١٨ هـ الذى هذب سيرة ابن إسحاق واشتهرت باسمه : تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٥ .

(٢) والمقصود بالرحلة هو عبد الله بن محمد بن خالد بن مرتنيل من أهل قرطبة توفى سنة (٢٥٦ هـ) انظر تاريخ ابن الفرضى ١ / ٢١٣ .

(٣) انظر ترجمة عفر بن سعد بن عفير ابن بشر بن فضالة الغسانى من أهل موررو نزيل قرطبة المتوفى سنة (٣١٧ هـ) : المصدر السابق ١ / ٣٤٣ .

(٤) انظر ترجمة : محمد بن حبيب بن كسرى اليحصبى من أهل أستُجّة المتوفى سنة (٣٢٧ هـ) .المصدر السابق ٢ / ١٤٥ .

وانظر ترجمة موسى بن أزهر بن موسى بن حريش من أهل أستُجّة استشهد عازيا سنة (٣٠٦ هـ) المصدر السابق ٢ / ١٤٩ .

(٥) انظر ترجمة محمد بن أبان بن سيد بن أبان اللخمى من أهل قرطبه المتوفى سنة (٣٥٤ هـ) المصدر السابق ٢ / ٦٧ .

(٦) هذا لايعنى أنه لم يكتب الأندلسيون فى السيرة قبل القرن الرابع مؤلفات لكنها لم تكن تشكل ظاهرة تلفت النظر .

ولكن الاستقراء دلّ على أن ظاهرة التأليف فى السيرة بصورة أكثر كثافة بدأ فى النصف الأول من القرن الرابع وما بعده على الأغلب .

(٧) وقد ذكر أهمها فى الفصل السادس من الباب الأول .

أهل الأندلس أهل عناية بعلم الحديث . والسيرة أكثر العلوم لُصوقاً بعلم الحديث ، فضلا عن أنها تسجيل لحياة مَنْ صدر عنه الحديث ﷺ . أو لعلّ أهل الأندلس كانوا يفتخرون بالأصول التى ألفها أهل المشرق فى هذا الفن فيكتفون بها ، ثم يضيفون إليها مؤلفات المشهورين من العلماء الأندلسيين أمثال الليثى ، وابن عبد البر . لكن كُتُبَ التراجم استدركت هذا النقص بذكر بعض المؤلفات خلال تراجم العلماء الأندلسيين .

ومن المحاولات المبكرة [1] للتأليف فى السيرة النبوية أو أحد جوانبها كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطى (ت ٣٠٢ هـ = ٩١٥ م) ، واختصار سيرة رسول الله ليحيى بن عبد الله الليثى (ت ٣٦٨ هـ = ٩٧٨ م) وغيرهما .

وما أن أطلّ القرن الخامس الهجرى ـــ عصر الازدهار العلمى فى الأندلس ـــ حتى نشطت ظاهرة التأليف وغَزر الإنتاج الثقافى فى كل جوانب المعرفة وكان أشهر من ألّف فى هذا القرن فى السيرة النبوية : قاضى الجماعة أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ = ١٠١١ م) ، والحافظ أبو عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) ، والحافظ ابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٨ هـ = ١٠٦٥ م) ، وعبد الله بن عبد العزيز البكرى (ت ٤٨٧ هـ ـــ ١٠٨٥ م) وغيرهم وسنذكر مؤلفاتهم فى السيرة بعد قليل .

ثم أخذت مؤلفات السيرة النبوية تكثر ، ويتفنن العلماء فى طُرق تأليفها والجوانب التى تتخصص فيها ، وكل ذلك على نسق أهل المشرق [2] نظماً ونثراً فكتبوا فى :

---

(١) ذكر السخاوى فى الإعلان بالتوبيخ فيما صنّف فى السيرة عبد الملك بن حبيب (ت ٢٢٨ هـ) ولكن سقطا وقع فى المخطوط أوقع فى اللبس ولكن مترجم كتاب علم التاريخ د . صالح أحمد العلى عقب قائلا « هل إن عبد الملك بن حبيب هو المؤرخ الأندلسى الذى كتب فى السيرة كما نعلم » فأثبت أنّ له كتاباً فى السيرة ولكنه لم يُحل إلى مصدر ذلك .

انظر علم التاريخ لروزنتال : ٥٢٧ .

(٢) انظر كشف الظنون عند كلام حاجى خليفة على علم السير وفنونه ٢ / ١٠١٢ .

أسماء النبى ﷺ — ومولده — ومبعثه — وخصائصه — وفضائله وشمائله وأعلام نبوته — ومغازية — أو جمعوا بين ذلك كُله .

وحاول الباحث استقصاء ما يستطيع من المؤلفات فى السيرة النبوية التى ألفها الأندلسيون : وهى على سبيل المثال لا الحصر :

— **مغازى رسول الله ﷺ** لعبد الملك بن حبيب (٢٣٩ هـ — ٨٥٤ م)(١).

— **الدلائل أو شرح غريب الحديث** . .(٢)

لقاسم بن ثابت بن حزم السرقسطى (٢٥٥ — ٣٠٢ هـ = ٨٦٨ — ٩١٤ م)(٣) وقد كان بدأ بتأليفه ولكنه لم يكمله وأكمله أبوه ثابت بن حزم(٤) السرقسطى (٢١٧ — ٣١٣ هـ) بعد وفاة ابنه .

— **اختصار سيرة رسول الله ﷺ** . .(٥)

لأبى عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (٣٦٨ هـ — ٩٧٩ م)(٦) .

— **أعلام النبوة ودلالات الرسالة** . .(٧)

---

(١) انظر الديباج المذهب : ٢ / ١٣ .

(٢) انظر فهرسة بن خير الإشبيلى : ١٩١ وتاريخ بن الفرضى ١ / ٣٦١ وصنفه السخاوى فى الإعلان ضمن كتب دلائل النبوة : انظر علم التاريخ روزنتال ٥٣٢ .

وقد نقل عنه ابن سيد الناس فى كتابه عيون الأثر : ١ / ٢٦٥ ، وانظر مصادر السيرة وتقويمها : ٤٤ .

والموجود فى الدلائل :

الجزء الثانى والثالث فى معهد المخطوطات بالقاهرة ، الجزء الثانى برقم ٨٩ مغرب ثانية / الخزانة العامة بالرباط وهو فى ١٥٣ ورقة فى نسخة قديمة بخط أندلسى نفيس .

والجزء الثالث من النسخة نفسها برقم ٩٠ مغرب ثانية / الخزانة العامة وهو ١٥٤ ورقة : انظر قوائم مصورات المغرب ، القائمة الثانية / ١٩٧٥ .

(٣) انظر ترجمته تاريخ بن الفرضى : ١ / ٣٦٠ — ٣٦١ .

(٤) المصدر السابق : ١ / ١٠٠ .

(٥) انظر فهرسة بن خير الإشبيلى : ٢٣٢ .

(٦) تاريخ بن الفرضى : ٢ / ١٩٢ .

(٧) ذكره بن بشكوال فى الصلة : ٣١١ وصنفه السخاوى فى الإعلان ضمن كتب دلائل النبوة : انظر كتاب =

لقاضى الجماعة أبى المطرف عبد الرحمن محمد بن فطيس (٤٠٢ هـ ١٠١٢ م)[١].

ــ الدُّرر فى اختصار المغازى والسير [٢]

للحافظ أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمرى القُرطبى (٣٦٨ ــ ٤٦٣ هـ = ٩٧٩ ــ ١٠٧٠ م)[٣].

ــ وله أعلام النبوة .

ــ جوامع السيرة .[٥]

لأبى محمد على بن أحمد بن حزم الظاهرى (٣٨٤ ــ ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ ــ ١٠٦٤ م)[٦]

ــ أعلام النبوة .[٧]

لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى (٤٨٧ هـ = ١٠٨٥ م)

ــ اختصار كتاب أخلاق رسول الله ﷺ .[٨]

لأبى بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى (٥٢٥ هـ ــ ١١٥٧ م)[٩].

علم التاريخ لروزنثال ٥٣٦

وانظر مصادر السيرة وتقويمها : ٤٤ .

(١) وهو من شيوخ ابن عبد البر وأفذاذ علماء الأندلس وكان من جهابذة المحدثين وله تآليف كثيرة فى علم الرجال والسير والأخبار . انظر الصلة : ٣٠٩ ــ ٣١٣ .

(٢) طبع وحققه د. شوقى ضيف ونشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٦ م .

(٣) انظر جذوة المقتبس : ٣٦٨ . والصلة ٦٧٧ .

(٤) أشار إليه فى كتابه الدرر : ٣١ .

(٥) طبع بتحقيق د. ناصر الدين الأسد ، الدكتور إحسان عباس ومراجعة أحمد محمد شاكر ونشرته دار المعارف بالقاهرة مع رسائل أخرى .

(٦) انظر الصلة لابن بشكوال : ٣١٥ ــ ٣١٧ .

(٧) انظر الصلة : ٢٨٧ وهو من تلاميذ ابن عبد البر .

(٨) وكتاب أخلاق رسول الله لأبى محمد عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهانى المعروف بأبى الشيخ المتوفى سنة (٣٦٩ هـ) وهو فى ستة أجزاء . انظر فهرسة ابن خير : ٢٧٦ ومصادر السيرة وتقويمها : ٧٥ .

(٩) بغية الملتمس : ١٣٨ والصلة : ٢ / ٥٧٥ وقال بن بشكوال توفى سنة ٥٢٠ .

ـــ **معراج المناقب وعُنوان الحسب الثاقب**[1].

لأبى عبد الله بن مسعود بن طيب بن فرج بن خَلَصَة بن أبى الخِصال (٤٦٥ ـــ ٥٤٠ هـ = ١٠٧٢ ـــ ١١٤٦ م)[2].

ـــ **الروض الأنف والمَشرع الرّوى فى تفسير ما اشتمل عليه كتاب سيرة رسول الله ﷺ واحتوى**[3] لأبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السُهيلى (٥٠٨ ـــ ٥٨١ هـ = ١١١٤ ـــ ١١٨٥ م) .

ـــ **الشمائل بالنور الساطع الكامل بأربعة أسفار**[4]

لأبى الحسن على بن محمد بن إبراهيم الفزارى الغرناطى المعروف بابن المَعَرّى (٥٥٢ هـ = ١١٥٧ م) .

ـــ **معجزات الرسول ﷺ** لعبد الحق بن عبد الرحمن الأزدى الإشبيلى (٥١٠ ـــ ١٨٦ هـ = ٥٨١ ـــ ١١٨٦ م)[5].

ـــ **شرح غريب سيرة بن هشام**[6].

لأبى ذر الخُشنى مصعب بن محمد الجيّانى المعروف بابن أبى الرُّكب (٥٣٣ ـــ ١١٣٨ هـ = ١١٣٨ ـــ ١٢٠٧ م = ٦٠٤ هـ ـــ ١٢٠٧ م)[7].

ـــ **شرح أسماء النبى ﷺ**[8] .

---

(١) وهى منظومة بائية فى نسب رسول الله ومعجزاته : انظر المعجم لابن الأبار ١٤٦ وانظر : برنامج شيوخ الوادياشى تحقيق د. ناطق صالح مطلوب كجزء من رسالة الدكتوراه المقدمة لجامعة عين شمس كلية الآداب قسم التاريخ ١٩٧٩ م ولم تطبع بعد : ٢ / ١٣٠ وانظر كشف الظنون : ١ / ٩٠ وفهرسة ابن خير : ٤٢٠

(٢) انظر المعجم لابن الأبار : ١٤٤ ـــ ١٤٩ وقال : كان عالما بالأخبار والسير .

(٣) طبع بتحقيق عبد الرحمن الوكيل : نشر دار الكتب الحديثة (الإسلامية الآن) بالقاهرة سنة ١٩٦٧ فى سبعة مجلدات وطبع طبعات أخرى غير محققة .

(٤) كشف الظنون : ٢ / ١٠٥٩ وانظر الديباج المذهب : ٢ / ١١٦ .

(٥) انظر الديباج المذهب ٢ / ٥٩ ـــ ٦١ .

(٦) توجد منه نسخة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ضمن مصورات المغرب برقم (٤٤١ مغرب ثانية / الخزانة العامة) .

(٧) انظر شذرات الذهب ٥ / ١٤ .

(٨) انظر نفح الطيب : ٢ / ١٠٤ .

ــ نهاية السول فى خصائص الرسول .[1]

ــ الآيات البينات فى ذكر ما فى أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات .[2]

ــ المعراج .[3]

ــ التنوير فى مولد السراج المنير .[4]

كل هذه المؤلفات من تأليف أبى الخطاب مجد الدين عمر بن الحسن بن على . المعروف بابن دُحية الدّانى الأندلسى الظاهرى (٥٤٤ ــ ٦٣٣ هـ = ١١٤٩ ــ ١٢٣٥ م) .[5]

ــ الاكتفاء فى مغازى رسول الله ﷺ ومغازى الثلاثة الخلفاء[6] للحافظ الشهيد أبى الربيع سليمان بن موسى الكلاعى (٥٦٥ ــ ٦٣٤ هـ = ١١٧٠ ــ ١٢٣٦ م) .[7]

ــ الخصائص النبوية .[8]

لمحمد بن يوسف بن موسى الجُذامي الأندلسى المعروف بابن المُسَدّى (٦٦٣ هـ = ١٢٦٤ م) .[9]

ــ ملاذ المُستعيذ وعياذ المُستعين فى بعض خصائص سيد المرسلين[10] لابن

(١) معجم المؤلفين : ١ / ٢٨٠ .

(٢) انظر نفح الطيب : ٢ / ١٠٤ .

(٣) انظر علم التاريخ لروزنثال : ٥٣٤ .

(٤) انظر نفح الطيب : ٢ / ١٠٤ .

(٥) انظر نفح الطيب : ٢ / ٩٩ ــ ١٠٤ هـ وشذرات الذهب : ٥ / ١٦٠ .

(٦) طبع منه جزآن بتحقيق مصطفى عبد الواحد ونشرته مكتبة الخانجى بالقاهرة صدر الجزء الأول منه فى ١٩٦٨ م . وصدر الثانى : فى ١٩٧٠ م ولم يصدر الجزء الثالث للآن .

(٧) كان من أولى العزم والبسالة والإقدام يحضر الغزوات ويباشر بنفسه القتال استشهد فى وقعة « أنيشة » قرب بلنسية انظر الديباج : ١ / ٨٥ ــ ٣٨٨ .

(٨) كشف الظنون : ١ / ٧٠٥ .

(٩) انظر التذكرة : ٤ / ١٤٤٨ والنفح ٢ / ١١٢ .

(١٠) ديباج ٢ / ٣٧١ والنفح : ٦ / ١٤٥ .

الحجّاج يوسف بن موسى المَنْتَشاقِرى الرُّندى [1].

ـــ كتاب فى معجزات النبى ﷺ[2] .

لابن غصن محمد بن إبراهيم الإشبيلى النحوى (٦٥٣ ـــ ٧٢٣ = ١٢٥٥ ـــ ١٣٢٣ م) [3].

ـــ أرجوزة فى أسماء النبى ﷺ وشرحها[4].

لأبى عبد الله القرطبى .

ـــ رسالة فى السيرة والمولد النبوى

لشهاب الدين الرُّعينى الغِرناطى (٧٧٩ هـ = ١٣٧٧ م) [5] .

ـــ رسالة فى السيرة والمولد النبوى .

لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى (٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م) [6].

ابن عبد البر والتأليف فى السيرة النبوية :

خاض ابن عبد البر غمار التأليف فى السيرة النبوية وما يتعلق بها ، وكان ذلك أمراً بَدَهيًّا بحكم اشتغاله فى علم الحديث ، وماالحديث إلا كلّ قول ، أو فعل ، أو تقرير صدر عن النبى ﷺ . والسيرة هى صياغة هذه الأقوال والأفعال والتقريرات فى تسلسل حَدَثىّ فى إطار زمنى مُترابط يبدأ بمبعثه ﷺ وينتهى بوفاته ﷺ ، أما الحديث عن حياة الرسول قبل البَعثة فقد ذكره فى الاستيعاب .

وسار ابن عبد البر على أثر من تقدّمهُ ممن ألّف فى هذا الفن ، فقدم لنا كتابه فى

(١) ديباج ٢ / ٣٧١ ونفح الطيب ٦ / ١٣٨ ـــ ١٤٥ .

(٢) نفح الطيب : ٢ / ٢٠٧ وانظر ذيل كشف الظنون ٤ : ٥٠٨ .

(٣) انظر غاية النهاية : ٢ / ٤٧ .

(٤) كشف الظنون : ١ / ٩٠ .

(٥) مخطوط بدار الكتب المصرية : برقم ٤٩٤ مجاميع تاريخ

(٦) مخطوط بدار الكتب المصرية ضمن المجموع السابق .

السيرة ، وانتقى فيه الدرر من الأخبار ، وجعله خاصا بسيرته ومغازيه ﷺ ، ابتدأ فيه بمَبعث النبى وانتهى بوفاته ﷺ .

ثم إنّ ابن عبد البر قدم فى صدر كتابه الاستيعاب (١) ترجمة مختصرة تكلم فيها عن مولد النبى ﷺ ونسبه وتسميته وفضائله وأزواجه ووفاته « مما لايليق بذى علم جهلها وتحسُنُ المذاكرة بها لتتم الفائدة للعالم الراغب والمتعلم الطالب فى التعريف بالمصحوب والصاحب » (٢).

وأشارابن عبد البر فى كتابه الدرر ، بأنه سيؤلف كتاباً فى فَنّ أعلام النبوة (٣) يُفرده لذلك ، وعليه فلم يُفَصِّل فى كتاب الدُّرر فى هذا الموضوع وإنما ذكر ما يجمُل ذكرُه لارتباطه بموضوع كتاب الدرر .

تنظيم الكتاب ومُحتوياته :

لخّصَّابن عبد البر ذلك فى مُقدمة كتابه بقوله : « هذا كتاب اختصرت فيه ذكر مبعث النبى ﷺ وابتداء نُبوته وأوّل أمره فى رسالته ومغازيه وسيرته فيها ، لأنى ذكرت مولده وحاله ونشأته ، وعيوناً من أخباره صدر كتابى فى الصحابة ، وأفردتُ هذا الكتاب لسائر خبره فى مبعثه ، وأوقاته ﷺ ... فذكرت مغازيه وسيره على التقريب والاختصار ، والاقتصار على العيون من ذلك دون الحَشو والتّخليط » (٤).

ورتّب الكتاب على ثمانية أبواب ، يحتوى كل باب على المادة التاريخية التى تَخصُّه ، وقسّم بعض الأبواب إلى عناوين فرعية .

وكان مُعتمداً فى تنظيم مادة الكتاب وتسلسلها الزمنى على كتاب ابن إسحاق (٥)

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٥ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٢٥ .

(٣) انظر : ٣١ ولم يصلنا هذا الكتاب ولعله مما فقد .

وأعلام النبوة عن العلامات والإرهاصات التى وقعت قبل بعثته والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد نبوته .

(٤ ، ٥) انظر خطبة كتاب الدرر : ٢٩

ولقد قام الدكتور شوقى ضيف بتحقيق الكتاب تحقيقاً دقيقاً موثقاً . وقدم مقدمة قيّمةً للكتاب بين فيها -

وكانت الأبواب على التسلسل الآتى :

ـ باب خبر مبعثه ﷺ .

ـ باب دعاء الرسول قومه وغيرهم إلى دين الله والدخول فى الإسلام وذكر بعض مالقى من الأذى وصبره فى ذلك على البلوى ﷺ . ويحتوى هذا الباب على :

١ ـ دعوة الرسول قومه وغيرهم إلى الإسلام .

٢ ـ أول الناس إيمانا بالله ورسوله .

٣ ـ ذكر بعض مالقى الرسول وأصحابه من أذى قومه وصبرهم على ذلك .

٤ ـ المجاهرون بالظلم لرسول الله ولكل من آمن .

٥ ـ المستهزئون .

ـ باب ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة .

ـ باب ذكر دخول بنى هاشم بن عبد مناف وبنى المطلب بن عبد مناف فى الشعب ومالَقَوا من سائر قريش فى ذلك .

ـ ذكر من انصرَف من أرض الحبشة إلى مكة .

ـ ذكر إسلام الجن .

ـ ذكر خروج الرسول إلى الطائف وعوده إلى مكة .

ـ إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى .

ـ حديث الإسراء والمعراج مختصرا .

ـ عرض الرسول الإسلام على قبائل العرب .

ـ العقبة الأولى .

ـ العقبة الثانية .

ـ العقبة الثالثة .

= مصادر ابن عبد البر ، ومنهجه فى التأليف ، وآراءه فى السيرة ، وتأثر كتاب السيرة به مما يشهد بأهمية الكتاب وقيمة آراء ابن عبد البر فيه . وأعاد طبعه فى سنة ١٩٨٣ م بدار المعارف بالقاهرة . وكل من يكتب عن كتاب الدرر لايستغنى عما كتبه الدكتور ضيف بل يجعله المفتاح لما كتب .

- تسمية من استشهد من المسلمين يوم خيبر .
- قدوم بقية المهاجرين إلى الحبشة .
- فتح فَدَك .
- فتح وادى القرى .
- عُمرة القضاء .
- غَزوة مُؤتة .
- تسمية من استشهد بمُؤتة .
- غزوة فتح مكة .
- غزوة حُنين .
- تسمية من استشهد من المسلمين يوم حُنين .
- غزوة الطائف .
- تسمية من استشهد من المسلمين فى حصار الطائف .

- باب فى قسمة غنائم حنين وما جرى فيهم :

- أعطيات المؤلفة قلوبهم .
- موقف بعض الأنصار .
- عمرة رسول الله من الجِعرانة .
- غزوة تبوك .
- بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة .
- العودة من تبوك .
- مسجد الضرار .
- حديث كعب بن مالك وصاحبيه المتخلفين .
- إسلام ثقيف .
- حجة أبى بكر الصديق .

- باب وفود العرب على رسول الله ﷺ من بلادها للدخول فى الإسلام :

- حجة الوداع .

ـ حديث جابر فى حجة الوداع .

ـ باب ذكر وفاة النبى ﷺ .

مصادره فى كتاب الدرر :

يحدد ابن عبد البر المصادر الأساسية التى استقى منها مادته التاريخية مُبيناً ذلك فى مقدمة كتابه وخاتمته . وقد أشار إلى أنه اختصر مادة كتابه من : كتاب المغازى لموسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ = ٧٥٨ م) ، وكتاب ابن إسحاق (١٥١ هـ ـ ٧٦٨ م) الذى كان جُل اعتماده عليه برواياته الثلاثة المشهورة عنه :[١]

رواية إبراهيم بن سعد (ت ١٨٤ أو ١٨٥ هـ = ٨٠٠ م) .[٢]

ورواية زياد البكّائى (ت ١٨٣ هـ = ٧٩٩ م) عن ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ = ١١٥٦ م) برواية ابن هشام[٣].

ورواية يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ = ٨١٤ م)[٤]

والمعروف أنّ ابن إسحاق « كان أحد أوعية العلم حَبْراً فى معرفة المغازى والسِّيَر »[٥] « والذى تقرر وعليه العمل . أنّ ابن إسحاق إليه المرجع فى المغازى والأيام النبوية ، مع أنه كان يشذُّ بأشياء ، وأنه ليس بحُجة فى الحلال والحرام ، نعم ، ولا بالواهى بل يُستشهدُ به »[٦].

والمصدر الرئيسى الآخر الذى اعتمد ابن عبد البر فى كتابه هو كتاب المغازى لموسى بن عقبة ، الذى يُعتبر عند كثير من المحدثين أوثق من ابن إسحاق . وقد نقل الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م)[٧] فى كتابه « الجامع لأخلاق

(١) انظر الدرر : ٢٧٥ .

(٢) نقل عنه ابن عبد البر فى : ٣١، ٢١١ .

(٣) نقل عنه ابن عبد البر فى : ٤٠ ،٤١ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢٧٣ .

(٤) نقل عنه ابن عبد البر فى : ٢١١ .

(٥،٦) تذكرة الحفاظ : ١ / ١٧٣ وانظر شذرات : ١ / ١٤٨ .

(٧) أبو بكر على بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادى كان يسمى حافظ المشرق وابن عبد البر بحافظ المغرب ، انظر تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٣٥ .

الراوى والسامع »[1] أن الشافعى قال : « وليس فى المغازى أصح من كتاب موسى بن عقبة مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر فى كتب غيره »[2] وكان الإمام مالك يقول إذا سئل عن المغازى : « عليك بمغازى الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنه أصح المغازى »[3].

وقد روى ابن عبد البر مغازى بن عقبة بثلاثة طرق ، ويحيل إلى كتابه الاستيعاب وإلى فهرسة مروياته لمعرفة هذه الطرق التى روى بواسطتها مغازى موسى بن عقبة [4]، وهى طريقان بروايته عن شيوخه إلى موسى بن عقبة ، والرواية الثالثة عن ابن أبى خيثمة أحمد بن زهير (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) فى كتابه التاريخ الكبير [5].

وكانت كتب الواقدى من مصادره ، ونصّ على ذلك فى خاتمة كتاب الدُّرر ولكنه لم ينقل عنه فى الكتاب إلا نصاً واحدا [6].

ولم يورد لنا سند روايته عن الواقدى فى الدرر ، وإنما أُحال إلى الاستيعاب [7] خشية الإطالة بذكره فى الدرر مما يُخرجه عن خطته فى الاختصار . وكُتُب الواقدى التى نقل عنها ابن عبد البر هى : « الطبقات و التاريخ » .

اكتفى ابن عبد البر بذكر بعض المصادر فى مقدمة كتاب الدرر وخاتمته خوف

(١) مخطوط فى معهد المخطوطات بالقاهرة لم يصنف بعد .
(٢) الجامع لأخلاق الراوى ، مخطوط ، ج ٨ : لوحة ٦ .
(٣) نفس المصدر : ج٨ لوحة ١٦ .
(٤) انظر الدرر ٢٧٥ وروى عنه ابن عبد البر فى الدرر ، انظر ٣٩ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ .
(٥) انظر الاستيعاب : ١ / ٢١ وانظر مقدمة الدرر : ٩.
وترجمة ابن أبى خيثمة ، انظر تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٩٦ .
(٦) انظر الدرر ، ٣٩ .
(٧) انظر الاستيعاب ، ١ / ٢١ ــ ٢٢

الإطالة [١] ، وإذا قلّبنا صفحات الكتاب لوجدنا أن هناك ذخيرة كبيرة من المصادر المتنوعة نقل عنها ، بعضها فى السيرة ، ومنها ماهو فى علم الرجال ، ومنها كتب رواية الحديث .

والذى يبدو من خلال مراجعة أسانيد رواياته فى كتاب الدررأن جُلّ اعتماده على كتب السيرة التى وصلت الأندلس من المشرق ، وإذا فاته الحصول على الأصول التى نقل عنها أصحاب هذه السيرة اكتفى بما نقلوه عن تلك الأصول حتى يحصل على المصدر الأصلى بروايته الشخصية عن شيوخه . أو نقله عن كتب الحديث التى نقلت عنهم لتوثيق الرواية . ومن المصادر التى نقل عنها ولم يذكرها فى مقدمة الدرر ولا خاتمته :

كتاب محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى (ت ١٢٤ = ٧٤١ م) ولاندرى هل وصل كتاب المغازى لابن شهاب الزهرى للأندلس أم لا ؟ فالباحث لم يجد فى كتب الفهارس ما يشير إلى ذلك ولكن الرواية عنه جاءت مُضمنة مصادر السيرة والحديث التى دخلت الأندلس ، أمثال : سيرة ابن إسحاق [٢] ، وموسى بن عقبة [٣] أو الوليد بن مسلم [٤] ، أو معمر بن راشد (ت ١٥٣ هـ = ٧٧٠ م) [٥] ومُصنَّف أبى داود سليمان بن الأشعث السِّجستانى فى الحديث [٦] .

ومن مصادره الأخرى : كتاب السِّير لسعيد بن يحيى بن سعيد الأموى [٧] ، وهو من المصادر التى دخلت الأندلس ورواها ابن عبد البر إجازة عن أبى ذَر عبد

---

(١) انظر الدرر : ٢٩ ، ٢٧٦ .

(٢) نقل ابن عبد البر عن الزهرى برواية بن إسحاق : ٥٦ ، ٢٠٢ .

(٣) قارن الدرر : ٣٩ ، ٥٦ ، ٦٢ ، ١٨١ ، ٢١٦ .

(٤) قارن الدرر : ٦٠ .

(٥) قارن الدرر : ٢٦٧ .

(٦) قارن الدرر : ٣٣ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ١٣٩ ، وأحيانا يفرد النقل عن بن شهاب فهل هو نقل عن مغازيه أم عن المصادر التى نقلت عنه انظر الدرر : ٣٩ ، ٢٢٠ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٢٧٣ .

(٧) انظر الدرر : ٣٩ ، ٢١١ ، ٢٣٥ .

بن أحمد الهروى[1]، وكتاب أعلام النبوة لأبى داود السجستانى برواية بن أبى داسَةَ رواه ابن عبد البر عن شيخه عبد الله بن عبد المؤمن .[2]

ومن ثقاة مؤلفى السير الذين نقل عنهم بواسطة ابن إسحاق وغيره : سعيد بن المُسيِّب المخزومى (١٣ هـ ــ ٦٣٤ م = ٩٤ هـ ــ ٧١٢ م)[3]، عروة بن الزبير (ت ٩٤ هـ = ٧١٣ م)[4]، عاصم بن عمر بن قَتادة المدنى (ت ١٢ هـ = ٧٣٨ م)[5]، أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعىّ (ت ١٢٧ هـ)[6]، أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل رَبيب عروة (ت ١٣١ هـ = ٧٤٨ م)[7]، عبد الله بن أبى بكر بن حزم (ت ١٣٥ هـ = ٧٥٢ م)[8] وغيرهم .

ولم يكتَف ابن عبد البر بالمصادر التاريخية ، وإنما انتقى من كُتب الحديث مايمت إلى السيرة من أحاديث ، فطعَّم بها كتابه ليُخرج لنا سيرة موثقة ومن الذين نقل عنهم :

الحسن بن يسار البصرى (١١٠ هـ ــ ٧٢٨ م)[9]، وشبعة بن الحجاج (٨٢ هـ ٧٠١ م = ١٦٠ هـ ٧٧٦ م)[10] وأبو داود الطيالسى (ت

(١) انظر فهرسة ابن خير : ٤٢٨ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ١١٠ ونقل عنه ابن عبد البر فى الدرر ولم يُشر إلى اسمه ولكن سند مارواه من أعلام نبوة النبى ﷺ يدل على النقل عنه .

قارن الدرر : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) قارن الدُرر : ١٣٩ ، ٢٦٧ .

(٤) قارن الدُرر: ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٦٧ ، ١٣٩ .

(٥) قارن الدرر ٤٣ ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٨٥ .

(٦) قارن الدرر ٢٧٤ .

(٧) قارن الدرر : ٥٦ ، ٥٩ .

(٨) قارن الدرر : ١٥٠ .

(٩) قارن الدرر : ٣٧ ، ٤٠ .

(١٠) قارن الدرر : ٣٧ .

٢٠٤ هـ = ٨١٩ م) [١] وسُنيد بن داود واسمه الحسين (ت ٢٢٦ هـ = ٨٤٠ م) [٢] ، وأبو بكر بن أبى شَيبَة عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ = ٨٤٩ م) [٣] وأبو داود السجستانى سليمان بن الأشعث [٤] وأبو بكر بن داسة محمد بن بكر التّمّار [٥] .

ومن مصادره : مؤلفاته : فقد أحال ابن عبد البر إليها ولم يُفصّل فى النقل عنها التزاما بالاختصار ، وإنما ذَكَرها للراغب فى طلب التفصيل . وأهم هذه الكتب : التمهيد [٦] ، والاستيعاب [٧] ، وفهرسة رواياته [٨] ، وكُتب أبدى رغبته فى تأليفها مثل : كتاب محن العُلماء [٩] الذى كان البحث فى السيرة سبباً فى تأليفه . وذلك عندما تكلّم عن الإيذاء والتعذيب الذى تعرض له النبى ﷺ وأصحابه .

وكتاب أعلام النبوة [١٠] الذى أراده ابن عبد البر أن يكون مُكمّلا لكتاب الدُّرر ، الذى اختصّ بذكر المبعث والمغازى لذا لم يتوسع فى الكلام عن أعلام نبوته ﷺ ، التى كانت قبل نبوته من قبيل الإرهاص مثل حادثة رضاعه وما تم فيها ، أو المعجزات التى ذكرتُها كُتبُ الحديث والمغازى ، وقد أفردها العلماء بمؤلفات اختصت بهذا الجانب من السيرة .

مما مَرّ يتبيّن لنا أنّ ابن عبد البر حرص على أن يقدم لنا كتاباً فى المغازى والسير

---

(١) قارن الدرر : ٣١ ، ٣٥ ، ٩٦ .

(٢) قارن الدرر : ٩٦ ، ٩٧ ، ١٧٠ .

(٣) الدرر : ٩٨ ، ٢١٢ ، ٢٧٩ .

(٤) الدرر : ٣٠ — ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٣ — ٤٥ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦٣ — ٦٥ ، ٦٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ٢١٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٩ .

(٥) الدرر : ٣٥ ، ٦٢ ، ٦٤ .

(٦) قارن الدرر : ٣٣ ، ١٧٦ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٨٧ .

(٧) قارن الدرر : ٤٠ ، ٤٤ ، ١٢٣ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ .

(٨) والفهرس سجل أو كتاب يذكر فيه مروياته عن شيوخه ويذكر معها مؤلفاته أو يفردها كما سنذكر ذلك . انظر الدرر : ٢٧٦ .

(٩) انظر الدرر : ٤٩ وقد ألفه بعد ذلك ونقل عنه بن حجر فى مدارج السالكين كما بينا فى فصل مؤلفاته ص .

(١٠) انظر الدرر : ٣١ .

مختصراً مُنوع المصادر ، موثّقاً فى مادته .

منهجه فى كتاب الدرر :

أثّرت ثقافة بن عبد البر الموسوعية التى اتسم بها فى الحديث والفقه والأدب والتاريخ على منهجه فى تدوين السيرة النبوية ، ومن أهم السّمات التى نتملاها فى كتابه الدرر التى تَدُلُّنا على هذا التأثير هى :

ــ مَزجه بين أسلوب المُحدّثين والمؤرخين فى تدوين السيرة فكان يهتم بالأسانيد فى كتابته ، ولكنّه لا يتقيد بها فى كثير من المواضع ، مع الاحتفاظ بوحدة الموضوع والمحافظة على تسلسل الأحداث ، لذلك كان يُداخل بين الأسانيد أحياناً ليُعطينا صورة متكاملة من مجموعة من الروايات (١).

ــ الحكم على الأسانيد تَضعيفا وتصحيحاً (٢).

ــ الحكم على النصوص ، فكان يكثر من ذكر اصطلاحات الأحكام القاطعة أو المُرجحة لنص على آخر (٣).

ــ تناول بعض المسائل الفقهية من خلال أحداث السيرة وناقش ما يحتاج المناقشة على أن لا يخرج من خُطّته فى الاختصار وإلا فيحيل القارىء إلى كتبه التى عالج فيها المسألة بتوسع (٤).

ــ يَبثُّ ابن عبد البر آراءه فى كتاب الدرر ويناقش الأحداث ويرجح ما يراه موافقا لما تحصّل لديه من معلومات عند ورود الاختلاف (٥).

ــ لايغفلُ أهمية القرآن فى البناء التاريخى للسيرة وخاصة الأحداث التى كانت

---

(١) انظر الدرر : ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) نفس المصدر : ٣٥ ، ٦٤ .

(٣) نفس المصدر : ١١٨ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٤٥ .

(٤) انظر الدرر : ١٧٦ ، ٢١٠ ، ٢١٤ ــ ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٨٧ .

(٥) نفس المصدر : ٥٤ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

سبباً فى نزول القرآن [١]

ـ يستعينُ بالشِّعر فى استكمال التعبير عن الحدث مراعيا الاختصار [٢].

ـ التفاعل مع الحدث بحيث يدعوه ذلك إلى التصريح برغبته فى إفراد موضوع الحدث بمؤلف يدرُسُهُ بتفصيل كما حدث فى موضوع تعذيب الصحابة والمحنة التى تعرّضوا لها فى مكة . [٣]

أهمية كتاب الدرر :

من خلال التعرف على ملامح منهج ابن عبد البر فى كتابه الدرر اكتسب هذا الكتاب أهميته ، يضاف إلى ذلك كونه من أوائل ما ألف الأندلسيون فى السيرة النبوية ، ولأن مّؤلفه إمام من الأئمة المؤرخين المحدثين ، وبالتالى فقد كان هذا الكتاب مَصدراً مُهمّاً بين يَدَى من ألف فى هذا الفن أمثال ابن حزم والسُّهيلى ، والكلاعى من الأندلسيين . وابن سيد الناس وابن كثير والصالحى ، وغيرهم من أهل المشرق . وقد حاول الباحث إثبات ذلك من خلال المقارنة بين النصوص كما سيأتى فى الصفحات المقبلة .

بل إن مُحققى كتاب جوامع السيرة لابن حزم جزما بأن ابن حزم نقل عن كتاب الدرر لابن عبد البر وذلك بملاحظتهم نقول ابن سيد الناس عن ابن عبد البر وبعد نشر الدرر تبين صدق ذلك وبما أن ابن عبد البر كان حجة الأندلس فى حفظ الحديث فى عصره ، ولُقّب بحافظ المغرب لذا فقد قدّم لنا سيرة موثقة . وحرر فيها مواضع الخلاف ، وبث آراءه فى بعض الوقائع فى طّياتها . مُستخدما المصادر بحس تاريخى مرهف فى انتقاء مادته ، ونقله عن مؤلفات أصيلة كثير منها فى حكم المفقود ، ليضع بذلك بناء متكاملا موثقا لسيرة المصطفى عليه السلام . وقد اهتم الذين جاءوا بعد ابن عبد البر من الأندلسيين وغيرهم بكتابه الدرر . وقد ذكر

---

(١) نفس المصدر : ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٥٩ ، ١٧٥ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ .
(٢) نفس المصدر : ١١٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .
(٣) نفس المصدر : ٤٧ ، ٤٩ .

لنا بن حجر العسقلانى فى كتابه فتح البارى مصدرا من مصادره عنوانه (شرح السيرة لابن عبد البر)[1]. ومؤلف هذا الكتاب هو العلامة بن المنيِّر[2].

ولا ندرى هل كتاب السيرة الذى شرحه ابن المُنيّر هو كتاب الدرر أو هو كتاب آخر أوسع من الدرر .



(١) انظر فتح البارى : ٧ / ٢٠٣ .

(٢) وابن المُنير هذا هو أحمد بن منصور بن أبى القاسم المنعوت بناصر الدين المعروف بابن المُنَيِّر الجروى الجذامى الاسكندرى . كان إماما بارعا برع فى الفقه وفى فنون شتى ، كان علّامة الاسكندرية وفاضلها ولى القضاء فيها سنة ٦٥٢ هـ .

قال عنه العز بن عبد السلام : الديار المصرية تفتخر برجلين فى طرفيها ابن دقيق العيد بقوص ، وبن المنير فى الاسكندرية توفى سنة (٦٨٣ هـ) .

انظر الديباج المذهب : ١ / ٢٤٣ ـــ ٢٤٦ .

الفصل الثانى

علم الرجال والأنساب

مقدمة عن نشأة كتب علم الرجال والتراجم وأهميتها :

نشأ علم الرجال أول نشأته لدراسة أحوال رجال الأسانيد الحديثية وعندما تعاقبت الأجيال أصبحت سلاسل الأسانيد طويلة ، فبعد أن كان الراوى من الصحابة يروى عن النبى ﷺ مباشرة ، زاد فى زمن التابعين راوياآخر ، وفى زمن تابعى التابعين زاد راوياً ثالثاً وهكذا ، حتى تضخم عدد الرواة ، فأصبح من الضرورى التعريف بهؤلاء الرواة ، وضبط أسمائهم وكُناهم وألقابهم وأنسابهم ومعرفة العدول منهم ، وتمييز المجروحين ، ومعرفة طبقاتهم ، ومدنهم ، ورحلاتهم لتمييز الاتصال والإرسال والانقطاع فى الأسانيد ، وتمييز الأسماء المتشابهة والمتفقة لئلا يحسب الراويان واحداً . أو الواحد اثنين أو أكثر — إذا ذكر مرة بكنيته ، وأخرى باسمه ، وثالثة بنسبته — .

ولهذه العوامل ظهر التصنيف فى علم الرجال ، وتنوعت المؤلفات فيه وتعددت الأساليب فى ترتيب مادته وطُرق عرضها . (١)

وقد تنوع التأليف فى علم الرجال بحسب الموضوع الذى يعالجه كل مصنف من هذه المصنفات : (٢)

— فمنها ما اختص بمعرفة الصحابة فقط .

— ومنها ما شمل الصحابة والتابعين ومن تبعهم .

— ومنها ما اهتم بتوثيق الرجال أو تضعيفهم ، وسمى هذا النوع الأخير بكتب علم الجرح والتعديل والتى كانت أكثر تخصصا ، فاقتصر بعضها على الثقات فقط .

---

(١) انظر : موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد . د. أكرم العمرى : ٦٩ وانظر مقدمة طبقات خليفة بن خياط د. أكرم العمرى . وانظر بحوث فى تاريخ السنة المشرفة له : ٤٥ .

والمنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : د. فاروق حمادة وأصالة الفكر التاريخى عند العرب : د. بشار عواد . بحث ضمن مجموعة بحوث المؤتمر التاريخى العالمى ببغداد سنة ١٩٧٣ : ٨٩٩ .

ومصادر التاريخ الإسلامى : د. سيدة كاشف : ٦٥ — ٦٦ .

(٢) انظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٣٧ .

والنوع الثانى اقتصر على الضُّعفاء فقط ، وأما الثالث فجمع بين الثقات والضعفاء . وهذا القسم الثالث ينقسم إلى أقسام :

- كتب الجرح والتعديل .
- كتب الأسماء والكنى والألقاب .
- كتب المؤتلف والمختلف .
- كتب المتفق والمفترق .
- كتب الوفيات .
- التواريخ المحلية .
- معاجم الشيوخ .

وقد اختلفت أساليب تنظيم كتب علم الرجال وتحددت بحسب الآتى :[1]

ـ التنظيم على النَّسب :

وهو يعنى : أن المصنف يجمع الرواة الذين هم من قبيلة واحدة فى موضع واحد ثم يقسم كل قبيلة إلى بطون وفروع . ويذكر من ينتمون إليها من الصحابة أو التابعين أو غيرهم .

ـ التنظيم على الطبقات :

اختلف العلماء فى تحديد الطبقة زمنياً ، وخاصة فى الأعصر الأولى ، وقد أطلق مصطلح الطبقة على القرن مجازا ، ولم يُتفق على فترة زمنية معينة للجيل .

وأما محمد بن عثمان الذهبى (٧٤٨ هـ ـ ١٣٤٧ م) فقد جعلها تساوى عشر سنوات . وبذلك خالف الأقدمين الذين اعتبروا اللقيا أساس التقسيم على الطبقات ، بل خالف نهجه هو فى تذكرة الحفاظ الذى اعتبر فيه اللقيا ولم يعتبر

---

(١) انظر هذا التقسيم : بحوث فى تاريخ السنة : ١٦٥ ـ ١٩٩ .
وأصالة البحث التاريخى : ٩٠٠ ـ ٩١١ .

الوفيات . [1]

والتنظيم على الطبقات انفرد به المسلمون ولم يتأثروا بأية مؤثرات أجنبية كما يقول روزنثال [2].

ـ التنظيم على المدن :

وهو أن يكتب المؤلف كتابا يجمع فيه رجال مدينة معينة ، فهو أقرب إلى التاريخ المحلى ، ولكن كتب التنظيم على المدن تختص برجال الحديث . أما التاريخ المحلّى فلا يتقيد بذكر المحدثين فقط ، وإنما يضم إليهم أعيان تلك البلدة ، ومن أقام فيها أياً كان اختصاصه أو عمله .

ـ التنظيم على حروف المعجم :

وقد اهتم المحدثون وغيرهم بهذا الأسلوب من التنظيم للمادة العلمية لتسهيل الكشف عن أصحاب التراجم خاصة وأنّ المُؤلفين القدامى لم يستعملوا الفهارس المفصلة بشكلها الحديث ، وقدرتبت كثير من الكتب على هذه الطريقة مثل كتب الصحابة ، ومعاجم الشيوخ ، وطبقات الشعراء وغيرها .

ـ التنظيم حسب الوفيات :

واختصت بعض مؤلفات علم الرجال والتراجم بترتيب الأعلام بحسب تاريخ وفاتهم بغضّ النظر عن منزلة المترجم ومكانته العلمية أو مهنته ، وميزةُ هذا النوع من التنظيم أنه يُبينُ لنا طبقة الشيوخ ، والطلاب الذين أخذوا عنهم ، أو عاصروهم مما يساعد على كشف من يدَّعى الأخذ عن شيخ ما ، وهو فى الحقيقة لم يُدركه ، وبذلك يحفظ للحديث سلامة سلسلة رواته .

* * *

---

(١) انظر بحوث فى تاريخ السنة المشرفة : أستاذنا د. أكرم العمرى : ١٧٤ . ١٨٤

(٢) انظر علم التاريخ عند المسلمين : ١٣٣ ـ ١٣٤ .

وبالنظر للموضوع الذى تخصصت فيه كتب علم الرجال ، تظهر أهميتها بكونها مصدراً تاريخياً لأنها تتضمن أخبار المترجم له وتأثيره أو تأثره بالأحداث فى عصره ، مما قد تفوت على كتب التاريخ العام التى تهتم بالأحداث الكبرى فقط ، لذلك فقد عُدّ علم الرجال فرعاً من فروع التاريخ ، لأن موضوعه هو الإنسان ، العنصر الرئيسى فى البناء التاريخى .

وأما كتب التراجم : فهى تمثل نَمَطاً من الكتابة التاريخية القديمة التى ظهرت منذ بواكير التدوين «[1]، ونجدها رافقت التاريخ منذ بداية الطريق تحمل المشاعر للباحثين فى التأريخ »[2] ، وهى أعمُّ فى الاصطلاح من كتب علم الرجال إذ علم الرجال خاص برجال الحديث . بينما التراجم قد عنيت بتراجم الخلفاء ، والأمراء ، والقادة ، والشعراء ، وأرباب الصناعات وغيرهم ، وقد تُجمع تراجم فترة تاريخية معينة لكل هذه الأصناف من الناس ، وقد يُفرد أهل الاختصاص الواحد بمؤلف[3]، والكثير من هذه التراجم مملوءة بالأحداث التاريخية .. ومنها كتب للتراجم تؤرخ للحوادث ، وتورد أهمَّ ما يكتنفُ حياة المترجم له مما يراه المؤلف مُهما لموضوع مؤلفه »[4]، « وليست المادة التاريخية فى التراجم من نوع واحد ، بل هى ترتفع وتنخفض وتنبسط وتتعقد ، وتتزن وتتطرف حسبَ معارفِ المؤلف ومعلوماته ، وأمانته واعتداله وأسلوبه وقدرته على استجلاء الحقائق والتخلص من المبالغة والحزبية »[5] .

[6] وعلى هذا فإنّ أهمية كتب التراجم فى دراسة التاريخ الإسلامى كبيرة وشاملة لما تُلقيه من أضواء على الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عن أنها تعكس لنا تطورات الحركة الفكرية من حيث تياراتها الفكرية وإنتاجها الثقافى ،

---

(١) موارد الخطيب : ١٧١ .

(٢) التاريخ العربى ومصادره : الأمن مدنى : ٣٢٥ .

(٣) نفس المصدرين أعلاه : ١٧١ ، ٣٢٥ .

(٤) التاريخ العربى ومصادره : ٣٢٣ .

(٥) التاريخ العربى ومصادره : ٣٢٤ .

(٦) مصادر التاريخ الإسلامى : ٦٥ .

وبالتالى الكشف عن كل من أسهم فى وضع أسس هذه الحضارة الإسلامية أو شارك فى بناء صرحها الشامخ ويشارك ، حتى تُحقّق الهدف الذى كلّفها به خالقها بقوله . « وَكَذَلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » .(١)

مشاركة ابن عبد البر بالتأليف فى علم الرجال والتراجم :

إنّ ثقافة ابن عبد البر الحديثية الواسعة مكّنته من معرفة نَقَلة الحديث وأحوالهم ، وطبيعة عمله العلمى أملت عليه الاهتمام بعلم الرجال وبخاصة اهتمامه بموطأ الإمام مالك بن أنس حيث قام بشرحه ووصْل أسانيد أحاديثه المرسلة والمنقطعة ، وبلاغات الإمام مالك كما بيّنا ذلك عند الكلام عن التمهيد . وهذا العمل بالضرورة استدعاه أن يُميز الصحابة من غيرهم والتابعين وتابعى التابعين ليتسنى له القيام بعمله على خير وجه .

فألف فى بعض أنواع علم الرجال من ذلك :

ـــ معرفة الصحابة :

وله فى هذا النوع كتابه المشهور « الاستيعاب فى معرفة الأصحاب » ورتبه على حروف المعجم المغربى وقد طبع عدة طبعات(٢).

ـــ الكنى :

وله فى ذلك « كتاب الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى » وهو فى ثلاثة أقسام سنبينها . وقد رتبه ابن عبد البر على حروف المعجم المغربى وهو مخطوط للآن .

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(٢) طبع عدة طبعات بمصر منها : طبعة السعادة بهامش الإصابة سنة ١٣٢٣ هـ وأعادت تصويرها مكتبة المثنى ببغداد . وطبعة مصطفى محمد بمصر . وطبعة مكتبة نهضة مصر بتحقيق محمد على البجاوى (بدون تاريخ) فى أربعة مجلدات . طبعة مكتبة الكليات الأزهرية فى اثنى عشر مجلدا فى هامش الإصابة بتحقيق طه عبد الرؤوف سنة ١٩٨٠ م

وطبع فى حيدر آباد فى الهند

ــ الجرح والتعديل :

وله فى ذلك كتاب « اختصار تاريخ أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى »[1] وهو فى حد ذاته اختصار لتاريخ يحيى بن معين ، وهذا لايعنى أن ابن عبد البر لم يكن إلا ناقلا للآراء فقط . لأننا إذا ألقينا نظرة فى كتابه الضخم التمهيد[2] لوجدناه يزخر بأقوال ابن عبد البر فى جرح الرجال وتعديلهم من خلال إحاطته بأقوال المتقدمين .

ــ الأنساب : وله فى ذلك « كتاب الأنباه على قبائل الرواه » جعله ابن عبد البر مدخلا لكتاب الاستيعاب إيثارا للاختصار وعدم التطويل فى الاستيعاب وقال فيه : « وجعلته دليلا على أصول الأنساب ومَدخلا إلى كتابى فى الصحابة ليكون عونا للناظرين فيه » .

وذكر فيه أمهات القبائل التى ينتسب إليها الرواة عن الرسول

وأما فى التراجم : فقد كان لابن عبد البر مؤلفات لم يصل منها إلا القليل بعضها تراجم خاصة ، أى لشخصيات معينة مثل :

ــ أخبار المنذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة زمن الناصر . والكتاب فى حكم المفقود

ــ ترجمة الإمام مالك : مخطوط فى مكتبة اليونسكو .

ــ الدفاع عن عكرمة البربرى وهو فى حكم المفقود .

والبعض الآخر فى مؤلفاته فى التراجم العامة مثل :

ــ الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء مالك وأبو حنيفة والشافعى وقد طبع الكتاب وسنعرف به فى الصفحات القادمة .

---

(١) انظر ترتيب المدارك ٣ / ٨١٠ وأحمد بن سعيد بن حزم الصدفى هو أحد شيوخ والد ابن عبد البر . وقد بلغ فى كتابه الغاية فى الإتقان . انظر فهرسة ابن خير ٢٢٧ .

(٢) انظر التمهيد : ٤ / ٢٠ ، ٣١ ، ٧٨ ، ١٤٠ ، ٢٦٢ ، ٥ / ٢٤ ، ٧٧ ، ٢٢٤ ، ٣٠٠ ، ٦ / ١ ، ١٧ ، ٣٩ ، ٥٥ ، ٩٥ ، ٢٢٧ ، ٣٥٩ ، ٤٣٦ .

ـ أخبار أئمة الأمصار ، وهذا فى حكم المفقود .

ـ التعريف بجماعة من فقهاء المالكية : وهو مخطوط وسنُعرّف به .

هذا ما وصلنا من أسماء مؤلفاته فى علم رجال الحديث والتراجم . وقد أثنى عليها العلماء واعتمدوها ولو تفَحَّصنا الكثير من كتب التراجم لوجدنا رأى ابن عبد البر يحتج به عندهم فى كثير من الأحيان وقد يُعترض عليه أحيانا .

وسنتعرض فى المباحث القادمة لدراسة كتبه فى علم الرجال والتراجم .



المبحث الأول
تراجم الصحابة

بيَّن لنا ابن عبد البر فى مقدمة كتابه الاستيعاب أن لتراجم الصحابة ومؤلفاتها فائدتين الأولى عامة والثانية خاصة ، والعامة هى : أن البحث فى أحوال الصحابة وسيرتهم أمر مُهم للمسلم ليتحقَّق له بذلك الاقتداء بهم وسلوك سبيلهم لكونهم خير القرون قاطبة [(١)] .

والفائدة الخاصة : هى علمية بحتة فمعرفة الصحابة تعرف الحديث المرسل — أى الذى سقط منه الصحابى — من السند وهو الذى يرفعه الصحابى إلى النبى ، ووصفه ابن عبد البر بأنه : « عِلمٌ جسيم لايُعذر أحد يُنسب إلى علم الحديث بجهله ، ولا خلاف عَلِمتهُ بين العلماء أن الوقوف على معرفة أصحاب رسول الله من أوكد علم الخاصة وأرفع علم أهل الخبر وبه ساد أهل السِّير » . [(٢)]

وعلى ضوء هاتين الفائدتين كان إقدام ابن عبد البر على التأليف فى هذا الفن بحكم اختصاصه .

من هم الصحابة :

الصُّحبة فى اللغة [(٣)] : يتحقق مدلولها فى شخصين بينهما ملابسة ما ، أو أشخاص بينهم ملابسة ما كثيرة أو قليلة حقيقةً أو مجازا .

قال تعالى : « فقال لصاحبه وهو يُحاوِرُهُ » [(٤)] . فقضى بالصحبة مع الاختلاف فى الاعتقاد .

وقال تعالى : « والصّاحبِ بالجَنْب » [(٥)] وهو المرافق فى السفر أو الزوجة

(٢،١) انظر الاستيعاب : ١ / ١٩ .

(٣) وفى لسان العرب : صَحِبَهُ يصحبه صحبةً بالضم وصحابة بالفتح .

والصاحب : المُعاشر والجمع : أصحاب وأُصاحيب وصُحْبان وصَحابة .

انظر ٣ / ٢٤٠٠ وانظر الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم : ٥٤ .

وانظر : المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ١٨٦ .

(٤) سورة الكهف آية : ٣٤ .

(٥) سورة النساء آية : ٣٦ .

ويطلق هذا الأمر على الملازمة وغيرها ، ولو صحب الإنسان رجلا ساعة فى نهار أو لازمه فى بعض الأسفار .

وفى الحديث الشريف :« إنكُنَّ صَواحبُ يوسف » أى خُلُقُكُنّ كأخلاق النّسوة اللّاتى كان لهنّ مع يوسف قصة .

وقوله سبحانه : « ياصاحِبَى السِّجن »(١) .

وهذا كله على سبيل الحقيقة وقد تُصرف إلى الصحبةِ المَجازية للجمادات كأن يقال : صاحب الكتاب ونحوه ، أو مثل وصف عبد الله بن مسعود ، بصاحب السواك والنعلين والوسادة » فقد كان يحملها لرسول الله .

وأما فى الاصطلاح :

يرى بن حجر أنّ الصحابى : من لَقى النبى ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام «فيدخل فيمن لقيه : من طالت مجالسته ، أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يَغزُ ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض العمى .

ويخرج بقيد الإيمان ، من لقيهُ كافرا ولو أسلم بعد ذلك ، وكذلك من لقيه مؤمنا بغيره كمن لقيه من مؤمنى أهل الكتاب قبل البعثة ، وكذلك من لقيه مؤمنا ثم ارتد ومات على الردة والعياذ بالله .

ويدخل فى التعريف من لقيه مؤمنا ثم ارتدَّ ثم عاد إلى الإسلام ومات مسلما كالأشعث بن قيس فإنّه ارتد ثم عاد إلى الإسلام فى خلافة أبى بكر الصديق(٢)

وقد فرّق ابن عبد البر بين الرؤية قبل التمييز(٣) وبعد التمييز .

ففى الأولى أثبت ابن اعبد البر لمن رأى النبى ﷺ صفة الصحبة لرؤية النبى له

---

(١) سورة يوسف آية : ٣٩ .

(٢) انظر : الإصابة ١ / ٧ والباعث الحثيث : ١٨١ الهامش للشيخ أحمد شاكر .

(٣) التمييز : أى أن يميز مايرى .

لشرف منزلة النبى ﷺ ، فهو صحابى لهذه الحيثية [١]. ولكنه لم يُثبت له حق الرواية ، لأنه دون سن التمييز قبيل وفاة النبى ﷺ . وعَدَّ روايته كرواية التابعى [٢]، وأما من رآه بعد سن التمييز فلا يختلفون فى صحة روايته وحقيقة صحبته .

وقيل إنما يكون صحابيا من أقام مع النبى ﷺ سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين . وهذا مذهب سعيد بن المسيب وهو مذهب الأصوليين — أى علماء أصول الفقه — الذين اشترطوا كثرة الصُّحبة واستمرار اللقاء بخلاف من وفَدَ عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة ولا متابعة فلا ينصرف إليه اسم الصحابى . [٣]

ونقل من اشترط الصحبة العُرفية عن أنس بن مالك قوله عندما سئل : عمن بقى من أصحاب رسول الله غيره — لأنه كان من أواخر من توفى — فأجاب أنس : بأنه « بقِىَ ناسٌ من الأعراب قد رأوه ، أما من صحبه فلا » ، وإسناد هذا الخبر جيد حدث به الإمام مسلم [٤]

ومع هذا فقد تعقب علماء الحديث هذه الآراء فقال العراقى [٥] :
أما ماروى عن سعيد بن المسيب فهو لا يصح عنه ، لأن فى الإسناد إليه محمد بن عمر الواقدى وهو ضعيف عند المحدثين .

---

(١) انظر : فتح البارى ٧ / ٣ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٩٦ .
ومن هؤلاء عبد الله بن الحارث بن نوفل كان عمره سنتين ، انظر : الاستيعاب : ٣ / ٨٨٥ والإصابة ٣ / ٥٨ ، وعبد الله بن معمر : الاستيعاب : ٣ / ١٠١٣ والإصابة : ٣ / ٧٦ — ٧٨ .
(٢) أى حديثه بحكم المرسل ولكنه أعلى درجة من مراسيل كبار التابعين . الفتح ٧ / ٤ .
(٣) انظر التقييد والإيضاح : ٢٩٧ .
ولعلهم اشترطوا ذلك لأن الملكة الفقهية تحتاج إلى صُحبة النبى ﷺ فترة زمنية مناسبة لتحقيق ذلك .
(٤) نفس المصدر : ٢٩٩ .
(٥) نفس المصدر : ٢٩٧ .

ثم إنّ هذا الرأى خلاف ما اتفق عليه الجمهور من المحّدثين « لأنهم اتفقوا على عَدِّ جمعٍ جَمٍ فى الصحابة لم يجتمعوا بالنبى — بعد لقائه الأول — إلّا فى حَجة الوداع »[1].

وأما ماروى عن أنس بن مالك ، فيُصرف قول أنس إلى نفى الصُّحبة الخاصة عن هؤلاء الأعراب ، ولا ينفى عنهم الصحبة العامة ، فى رؤيته ﷺ التى اصطلح عليها جمهور علماء الحديث من أنّ مجرد الرؤية فى إطلاق الصحبة لشرف رسول الله ﷺ وجلالة قدره وقدر من رآه من المسلمين[2].

وقد نسب السيوطى[3] لابن عبد البر أن الصحابى : هو من أدرك زمن النبى ﷺ وإن لم يرو عنه ، وكذا من حُكم بإسلامه تبعاً لأبويه ، وهذا مبالغ فيه ، لأن ابن عبد البر وإن كان قد نصَّ فى مقدمة الاستيعاب على أنه سيترجم فى كتابه لمن أدرك زمن النبى ولم يرو عنه ، أو من حُكِم بإسلامه تبعاً لأبويه ، ولكنه لم يُرد من الترجمة لهم اعتبارهم من الصحابة بدليل أنه عندما يترجم لمثل هؤلاء ينفى صفة الصحبة عنهم ، وإنّما ترجَم لهم من باب استيعاب تاريخ القرن الأول الذى وصفه النبى ﷺ بالخيرية[4].

كتاب الاستيعاب فى معرفة الأصحاب

كان الاستيعاب من أوائل ما ألف ابن عبد البر من كتب ، لأننا نجد أنه يحيل إليه فى كتبه[5] ، التى وصلتنا ، وقد وردت إشارة فى ترجمة أحد تلاميذه[6] ، أنه روى

---

(١) انظر فتح البارى : ٧ / ٤ .

(٢) انظر الباعث الحثيث : ١٨٠ وكذلك فتح البارى : ٧ / ٤ .
وقد أطلق على الصحبة الخاصةبالصحبة العرفية .

(٣) تدريب الراوى : ٢١٢ .

(٤) انظر الاستيعاب ١ / ١٢ ، ٢٢ .

(٥) انظر الدرر ٢٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ١٦٢ ، ٢٢١ ، ٢٧٦ وانظر : جامع بيان العلم : ٧٠ ، ٨٥ ، ١١٠
وانظر الكافى فى الفقه : ١ / ٩٠ ، ٢ / ٦٥ ، ٧٠
بهجة المجالس : ١ / ٦٠ ، ٨٧ ، ٢ / ٥٥ ، ٩٢ .

(٦) التكملة لابن الأبار : ١ / ٨٠ .

عن ابن عبد البر كتاب الاستيعاب فى مدينته دانية سنة (٤٣٣ هـ — ١٠٤١ م) ، مما يدل أن الكتاب ألف قبل هذا التاريخ .

وقد أثنى عليه كثير من العلماء المعاصرين لابن عبد البر ، وممن جاء بعده ، لما امتاز به عن غيره ممن تقدمه من المؤلفين فى التفصيل فى الجانب الحديثى والتاريخى كما سنبين ذلك ، فضلاً عن أنه من أوائل المؤلفات الأندلسية التى وردتنا ولم يشتهر من كتب الصحابة التى ألفها الأندلسيون مثلما اشتهر الاستيعاب ، فضلا عن أن الكثير من المؤلفات الأندلسية التى سبقته فى حكم المفقود .

منهج ابن عبد البر فى الاستيعاب :

أولا : توزيع مادة الكتاب :

رتّب ابن عبد البر كتابه الاستيعاب فى مقدمة[(١)] يذكر فيها سبب الاعتناء بالسنة الشريفة المبينة لمراد الله تعالى وأن معرفة ناقليها عن النبى ﷺ من أوكد السبل المؤدية إلى حفظها .

ثم ينتقل إلى الكلام عن عدالة الصحابة الثابتة بتعديل الله لهم ، وثناء رسوله عليهم ، ثم يذكر تفاوتهم فى الفضل بحسب ملازمتهم للنبى ، وسابقتهم فى الإسلام . فمن طالت مجالسته للنبى نال من الخير أكثر ممن رآه مرة أو مرتين .

ثُم بيّن أن السابقين هم من صلى القبلتين على قول ، وفى قول آخر هم أهل بيعة الرضوان وكان عددهم ألفاً وخمسمائة وقيل أربعمائة .

ثم بين أن النبى المصطفى أخبر بأن أهل بدر والحديبية لايدخلون النار ، وأمر الرسول كذلك بإكرام الصحابة واحترامهم .

ثم يورد ابن عبد البر وصف ، النبى لبعض الصحابة ببعض الصفات الخاصة بهم للاستدلال على فضلهم ومنزلتهم فى الدين والعلم .

---

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ١ — ٢٥ .

ثم يذكر بعد ذلك ما يجب معرفته عن الصحابة وهو : معرفة اسم الصحابى ونسبه والبحث عن سيرتهم للاقتداء بها ، وأما عدالتهم فهى بَدَهِيَّة مقطوع بها فلا يسأل فيها ولا يُستفسر عنها

وتعرض بعدها للمؤلفات التى سبقته وبين أن مؤلفيها قد طوَّلوا فى ذكر الأنساب وأكثروامن إيراد الروايات الحديثية ، بينما فاتهم تقصى أخبارهم وأحوالهم وبين منهجه فى الأخذ عنهم مراعيا فى ذلك الاختصار .

ويذكر بعد ذلك مصادره التى اعتمدها فى كتابه وذكر أهمها مُعدّداً طرق روايته لها .

ثم ينبه القارىء بعد ذلك بأنه لم يقتصر على من صحَّت صحبته ولو بلُقْيةٍ واحدة أو رؤية فقط ، أو سمع منه لفظة فأداها عنه . وإنما ذكر كذلك من ولد على عهده ، ومن كان مؤمنا به ولم يَرِدْ عليه .

ثم يشير إلى أنه جعل للاستيعاب مَدْخلاً مستقلاً يذكر فيه أنساب الرواة عن النبى على حسب قبائلهم .

وبعد المقدمة التى اختصرْنا محتواها[1] يورد سيرة النبى ﷺ مقتصرا فيها على ما يجب الوقوف عليه « مما لايليق بذى علم جهلها وتحسن المذاكرة بها ، لتتم الفائدة للعالم الراغب والمتعلم الطالب فى التعرف بالمصحوب والمُصاحب »[2] ، فيتكلم فى اسمه ونسبه ﷺ معرفا بأجداده وما عرفوا به من الصفات .

ثم يُعرِّف بولادته ورضاعته فى بنى سعد ، وزواجه من خديجة ، مبينا الخلاف فى سِنّها يوم زواج النبى منها .

ويورد ابن عبد البر بداية مبعثه ﷺ وسِنِّه يوم بُعث والأقوال المختلفة فى ذلك

---

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٥ ــ ٥٤ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٢٥ .

وترجيحه هو .

ويمرُّ مروراً سريعا على الأحداث التى حصلت بعد إعلانه للدعوة وفجيعته بوفاة أبى طالب عمه وزوجته خديجة ، ثم يُعرّج على حادثة الإسراء والمعراج ومتى وقعت .

ويذكر لنا الهجرة ووقتها بصورة مختصرة تاركاً التفصيل فى كتابه الدرر .

ثم يذكر زوجات النبى بأسمائهن ووقت زواجه منهن ويحيل إلى القسم الخاص بالنساء من كتاب الاستيعاب لمعرفة التفاصيل من خلال تراجمهن .

ــ ثم بعد ذلك يذكر مرضه ﷺ ووفاته .

ــ ثم يذكر ذرية النبى أولاده وبناته الذين رزق بهم ومن مات فى حياته منهم ومن بقى رضى الله عنهم .

وعقب انتهائه من سيرة الرسول ﷺ يترجم لإبراهيم بن النبى ﷺ[1] ، فيتكلم عن أمّه مارية رضى الله عنها وعن ولادته ورضاعته ومرضة ثم وفاته عندما بلغ سِنّه ستة عشر شهرا . ويُبين كيفية دفن إبراهيم ، وأنه أوّل من رُشّ قبره ، وبكاء النبى عليه .

وفى ختام ترجمة إبراهيم بن النبى يورد وجها تفسيرا لأية « ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[2] عن المفسّر مُجاهد بن جبر (٢٠ ــ ١٠٣ هـ = ٦٤٠ ــ ٧٢١ م)[3] التابعى المعروف ، يجعل فيه التذاكر فى أخبار الصحابة من الأمور التى تعين على ذكر الله ، لان سِيَرهُم هى التطبيق الحى للإسلام والأسوة الحسنة ، وبذلك يربط ابن عبد البر بين سيرة النبى عليه السلام وموضوع الكتاب المخُصص لتراجم أصحابه ، لإبراز فضل المصحوب والصاحب .

---

(١) الاستيعاب : ١ / ٥٤ ــ ٦١ .

(٢) سورة الرعد آية : ٢٨ .

(٣) روى عن مجموعة من الصحابة وكان من القُراء المشهورين وكان من أعلم التابعين بالتفسير انظر تذكرة الحفاظ : ١ / ٩٢ ــ ٩٣ .

ثم يبدأ ابن عبد البر بعد ذلك بالترجمة للصحابة الرجال منهم ثم يتبعه بقسم خاص بكنى الصحابة .

ويتبع ذلك بكتاب خاص بالنساء وكناهن .

ورتب ابن عبد البر هذه التراجم على حروف المعجم على النظام الذى يتبعه أهل الأندلس والمغرب فى ترتيب الحروف الهجائية وقد أوردناه من قبل .

وقد أعاد الأستاذ على محمد البجاوى ترتيب تراجم كتاب الاستيعاب لابن عبد البر على حروف المعجم كما يراها أهل المشرق ، وعلى هذه الطبعة كان الاعتماد فى هذا البحث لسهولة استعمالها .

وعلى طريقة ترتيب التراجم على حروف المعجم سار كثير من العلماء فى مؤلفاتهم وبخاصة التى ألفت فى الصحابة أمثال : أبى عبد الله بن مندة (٣٩٥ هـ ـــ ١٠٠٥ م) فى كتابه (معرفة الصحابة) ، وابن الأثير الجَزرى (٦٣٠ هـ ـــ ١٣٣٢ م) فى كتابه (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) وابن حجر (٨٥٢ هـ ـــ ١٤٦٠ م) العسقلانى فى كتابه (الإصابة فى تمييز الصحابة) .

ثانيا : عناصر الترجمة :

ـــ تفاوتت التراجم عند ابن عبد البر بين الطويلة والقصيرة فهو يبسط القول فى تراجم الصحابة المشهورين ، والذين كان لهم أثر فى الأحداث أمثال : أبى بكر الصديق(١) ، وعمر بن الخطاب(٢) ، وعثمان بن عفان(٣) ، وعلى بن أبى طالب(٤) ، والزبير بن العوام(٥) ، وعمار بن ياسر(٦) ، ومعاوية بن أبى سفيان(٧) ، وعمرو بن

---

(١) انظر الاستيعاب : ٢ / ٩٦٣ ـــ ٩٧٨ .
(٢) نفس المصدر : ٣ / ١١٤ ـــ ١١٥٩ .
(٣) نفس المصدر : ٢ / ١٠٣٧ ـــ ١٠٥٣ .
(٤) نفس المصدر : ٣ / ١٠٨٩ ـــ ١١٣٤ .
(٥) نفس المصدر : ١ / ٥١٠ ـــ ٥١٧ .
(٦) نفس المصدر : ٣ / ١١٣٥ ـــ ١١٤١ .
(٧) نفس المصدر : ٤ / ١٤١٦ ـــ ١٤٢٣ .

العاص[1] ، والحسن[2] ، والحسين[3] ، وغيرهم من الصحابة .

ـ يذكر الاسم والكنية وإن كان فيهما خلاف بينه ، كما يذكر أقارب الصحابى كأن يقول : عمُّه فلان ، وأخوه فلان ، وإذا كان مشهورا بالكُنية أحال إلى الكنى للتفصيل هناك .

ـ يبين تاريخ إسلام المترجم له . ويذكر الهجرة التى هاجرها هل هى هجرة الحبشة أم هجرة المدينة .

ـ يسرد الوقائع الهامة التى شهدها ، والغزوات التى شارك فيها مع رسول الله ﷺ ، أو فى زمن الخلفاء والدولة الأموية .

ـ يوضح صفاته التى امتاز بها عن سواه ، ومهنته التى عُرف بها كأن يكون تاجراً ، أو مزارعاً ، أو حلاقاً ، أو نجاراً وهكذا ويذكر الوظيفة التى كُلفَ بها كأن يكون عاملاً فى جمْع الزكاة والصدقات ، أو كاتباً أو سفيراً وهكذا .

ـ يكتفى بالإشارة إلى الأحاديث التى رواها الصحابى ، أو يسرد الحديث كله ، أو يكتفى ببعضه .

ـ يذكر وفاة الراوى ويتعرض للخلاف الذى يرد فيها متابعا أو مرجحا وفى عصر أى خليفة توفى !

ـ يستعمل ألفاظ الجرح والتعديل لنقد الرواة ، وبنقد الأسانيد ، ويُميز بينها ، ويرجح بين الروايات بقوله : (وهو الصحيح) ، (وهو الصحيح عندى) ، (وهو الأصح) ، (والصحيح ما قاله فلان) ، أو (ذلك غلط) ، (ولا يصح) ، (وهو وهمٌ) وغيرها من الألفاظ .

---

(١) نفس المصدر : ٣ / ١١٨٤ ـ ١١٩١ .
(٢) نفس المصدر : ١ / ٣٨٣ ـ ٣٩٢ .
(٣) نفس المصدر : ١ / ٣٩٢ ـ ٣٩٩ .

ـ يورد الآيات القرآنية التي يكون الصحابي سببا لنزولها .

ثالثا : أهم مصادره التي اعتمد عليها : [1]

ـ كُتب ومرويات موسى بن عقبة(ت ١٤١ هـ ـ ٧٥٨ م) ، وقد رواها بثلاث طرق بسنده المتصل عن مشايخه .

ـ كتب ومرويات محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ ـ ٧٦٩ م) ولا يكتفى برواية واحدة وإنما يروى عن ابن إسحاق بطريق تلاميذه المشهورين : إبراهيم بن سعد . وزياد بن عبد الله البكائي ، ويونس بن بُكير ، وقد قمنا بالتعريف بهؤلاء في صفحات سابقة .

ـ كتب ومرويات أبي عبد الله محمد بن عمرالواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧ هـ = ٧٤٧ ـ ٨٢٣ م) وتتضمن :

ـ **كتاب الطبقات :**

تضمن كتاب الطبقات لتلميذه محمد بن سعد (ت ٢٦٣ هـ = ٨٧٦ م) أكثر مادته .

ـ **وكتاب التاريخ :**

ويروى ابن عبد البر الكتابين بسنده عن شيوخه .

ـ طبقات خليفة بن خياط [2] (ت ٢٤٠ هـ = ٨٥٤ م)

ـ تاريخ خليفة بن خياط[3] .

(١) هذه القائمة صدر بها كتابه الاستيعاب وصرح بأسماء المصادر التي نقل عنها وعدد الطرق التي يرويها بها عن شيوخه ، انظر : ١ / ٢٠ ـ ٢٤ .

(٢) طبع بتحقيق د. أكرم العمرى : بمطبعة العاني ببغداد : طبعة أولى : ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ ، وانظر الاستيعاب : ١ / ٢٦ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ... ٢ / ٧٤٤ ، ٣ / ٩٤٦ ، ٩٦٢ ، ١٠٧٨ ، ٤ / ١٧٠٥ .

(٣) طبع بتحقيق د. أكرم العمرى : بمطبعة الآداب بالنجف ، طبعة أولى ١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ وهي التي اعتمد عليها البحث وطبع طبعة ثانية بدار القلم ببيروت ١٩٧٧ ـ ١٣٩٧ هـ .

وانظر الاستيعاب : ١ / ١١ ، ١١٠ ، ... ٢ / ٨١٧ ، ٨٣٥ ، ... ٣ / ٨٨٨ ، ٩١٣ ،

ـ كتاب الموفقيات للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ = ٢٦٩ م)
ـ التاريخ الكبير لابن أبى خَيثمة زُهير بن حَرب (٢٧٩ هـ = ٨٩٢) [٢]
ـ التاريخ الكبير للإمام البخارى (٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م) [٣]
ـ تاريخ أبى العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج (٣١٣ هـ = ٩٢٦)
ـ ذيل المُذيّل [٤]: لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ = ٩٢٢ م)
ـ المولد والوفاة: لأبى بشر محمد بن أحمد بن حَمّاد الدولابى (٢٢٤ ـ ٣٢٠ هـ = ٨٣٨ ـ ٩٣٢ م).
ـ كتاب الحُروف فى الصحابة: لأبى على سعيد بن عثمان بن السَّكن (٢٩٤. ٣٥٣ هـ = ٩٠٧ ـ ٩٦٤ م).
ـ كتاب الآحاد فى الصحابة: لأبى محمد بن عبد الله بن محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ = ٩٣٤ م).
ـ كتاب الصحابة: لأبى القاسم [٥] عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى (ت ٣١٣ هـ = ٩٢٦ م). (٦)
ـ كتاب الجرح والتعديل: لابن أبى حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازى (ت ٣٢٧ هـ = ٩٣٨ م) ١ / ٤٢٣، ٤٤٩.

= ١٠١٧، ...، ٤ / ١٣٠٤، ١٤٥٧، ١٥٣٧، ...

(١) طبع بتحقيق د. سامى مكى العانى، طبعة أولى، بمطبعة العانى ببغداد. نشر ديوان الأوقاف سنة ١٩٧٢ م ـ ١٣٩٢ هـ.

وانظر الاستيعاب: ١ / ١٩٨، ٢٥٥، ...، ٢ / ٤٤٢، ٤٥٥، ٩٨٧، ...، ٣ / ١٠٥٠، ...، ٤ / ١٦٥٥، ١٧٨٤، ...

(٢) توجد منه قطعة فى جامعة القرويين بفاس برقم ٢٤٤ انظر تاريخ التراث ١ / ٥١٣.

(٣) طبع فى حيدر آباد سنة ١٩٤١ ـ ١٩٤٥ فى ٤ مجلدات بثمانية أجزاء.

(٤) طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

نشر دار المعارف بالقاهرة: ١٩٧٧ م. ط ١.

(٥) توجد منه قطعة فى المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم: ٩٤ / ١١. انظر تاريخ التراث: ١ / ٢٨٠.

(٦) طبع فى حيدر آباد بالهند سنة (١٩٤١ ـ ١٩٥٣ م) فى ثمان أجزاء. انظر تاريخ التراث ١ / ٢٨٧.

وقد نص ابن عبد البر على أنه نقل فى الاستيعاب من مصادر أخرى ولكنه لم يُثبتها فى قوائم مصادره فى المقدمة . فقال : « وفى كتابى هذا من غير هذه الكتب من منثور الروايات والفوائد والمعلقات عن الشيوخ مالا يخفى عن متأمل ذى عناية » (١)

ولعل ابن عبد البر لم يورد أسماء هذه المصادر فى مقدمة كتابه إيثاراً للاختصار ولكنه مع ذلك ينص على كثير منها . ونصَّ على بعضها فى كتابه الاستيعاب عند الاقتباس منها ومن التى نص عليها ما يلى :

١ ــ الأنساب لهشام بن السائب الكلبى (ت ٢٠٦ هـ = ٨٢٢ م) (٢)

٢ ــ نسب قريش لأحمد بن محمد بن عُبيد العدوى (٣)

٣ ــ تاريخ أبى زرعة الدمشقى عبد الرحمن بن عمرو النَّصرى (ت ٢٨١ هـ - ٩٠٤ م) (٤)

٤ ــ تاريخ يحيى بن مَعين (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٧ م) (٥)

٥ ــ المغازى للوليد بن مسلم (ت ١٩٤ هـ = ٨٠٩ م) (٦)

---

(١) الاستيعاب : ١ / ٢٤ .

(٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ٨٦٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ٨٦٨ ــ ٤ / ١٤٧٠ .

(٤) نفس المصدر : ٢ / ٨٧١ ــ ٤ / ١٨١٧ حققه شكر الله نعمة الله يد الله : رسالة ماجستير بجامعة بغداد / كلية الآداب / قسم التاريخ ١٩٧٢ م ــ ١٣٩٢ هـ ، وقام بطبعها المجمع العلمى العربى بدمشق سنة (١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م) .

وانظر الاستيعاب : ١ / ٢٧٠ ، ٢٩١ ، ... ٢ / ٤٤٦ ، ٥٥٠ ، ٦١٠ ، ... ٣ / ٩٠٥ ، ١٢٣٠ ، ١٤١٦ ، ... ٤ / ١٦٩٠ ، ١٧٩٧ ...

(٥) نفس المصدر : ١ / ١٥٨ ، ٢٠٠ ، ٣٦٦ حققه د. محمد نور سيف : رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر / كلية أصول الدين ١٩٧٦ م ، ونشرها مركز التحقيق العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة (عبد العزيز سابقا) .

انظر الاستيعاب : ١ / ٢٠٠ ، ٣٦٦ ، ... ٢ / ٧٦٥ ، ٦٩٣ ٣ / ٩٥٦ ، ١٢٣٩ ... ٤ / ١٤٠٥ ، ١٥٧٠ ، ١٩٣٤ ، ... .

(٦) نفس المصدر : ٢ / ٥١٠ .

٦ ــ المغازى سعيد بن يحيى الأموى (ت ٢٤٩ هـ = ٨٦١ م)[١]
٧ ــ المغازى لأبى إسحاق الفزارى إبراهيم بن محمد (ت ١٨٦ هـ = ٨٠٢ م)[٢]
٨ ــ الجهاد لعبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ = ٧٩٧ م)[٣]
٩ ــ أخبار صفين لابن الكلبى[٤].
١٠ ــ يوم الدار ومقتل عثمان لسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ = ٧٩٦ م)[٥]
١١ ــ الأشربة لسيف بن عمر[٦]
١٢ ــ الكنى : لأبى أحمد الحاكم الكبير محمد بن محمد النيسابورى (ت ٣٧٨ هـ = ٩٧٩ م)[٧]
١٣ ــ المؤتلف والمختلف للدارقطنى على بن عمر البغدادى (ت ٣٨٠ هـ = ٩٩١ م)[٨]
١٤ ــ أحكام القرآن للسامى زكريا بن يحيى (ت ٣٠٧ هـ = ٩١٩ م)[٩]
١٥ ــ صحيح البخارى (٢٥٦ هـ = ٨٦٩ م)[١٠]
١٦ ــ صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٤ م)[١١]
١٧ ــ سُنن النسائى أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م)[١٢]
١٨ ــ الأذواء للمبرد[١٣].

---

(١) نفس المصدر : ٢ / ٥٩٨ ، ٧٥٩ ، ٨٨٨ .
(٢) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥١٣ .
(٣) نفس المصدر : ١ / ٤٠٨ .
(٤) نفس المصدر : ١ / ١٦٥ .
(٥) نفس المصدر : ٢ / ٦٤٦ .
(٦) نفس المصدر : ٢ / ٧٧٥ ، ٧٧٦ .
(٧) نفس المصدر : ٣ / ١٤٢٦ ــ ٤ / ١٦٠٣ ، توجد منه قطعة فى المكتبة الأزهرية برقم ٢٢٨ مصطلح . انظر تاريخ التراث ١ / ٣٣٢ .
(٨) نفس المصدر : ٣ / ١٠٢١ ، ١١١٧ .
(٩) نفس المصدر : ١ / ٢٧٥ ــ ٣ / ٨٨٠ .
(١٠) نفس المصدر : ٣ / ٨٦٨ ــ ٤ / ١٤٤٨ .
(١١) نفس المصدر : ٢ / ٦٣٧ ــ ٤ / ١٨٥٠ ، ١٨٦٩ .
(١٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٢٦ .
(١٣) نفس المصدر : ٢ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

١٩ ـــ طبقات الشعراء : لأبى عبد القاسم بن سلام [١]
٢٠ ـــ مصنف ابن أبى شيبة فى فتح العراق [٢]

رابعا : التأكيد على الجانب التاريخى :

إذا ألقينا نظرة فاحصة مقارنة بين ما ألفه ابن عبد البر وبين من ألف قبله فى تاريخ الصحابة لوجدنا أنّ ابن عبد البر يتميز عن غيره بأنّهُ أكدَّ على الجانب التاريخى فى تراجم الصحابة وقد انتقد من سبقه لأنهم « قد أضربوا عن التنبيه على عيون أخبار الصحابة التى يوقف بها على مراتبهم » وقال : لذلك « سأشير إلى ذلك بألطف ما يمكن وأذكر عيون فضائل ذى الفضل منهم وسابقته ومنزلته ، وأبين مراتبهم بأوجز ما تيسر وأبلغه ليستغنى اللبيب بذلك » [٣]

وبين أن السبب الذى دفعه للتأليف فى الصحابة والتأكيد على أخبارهم لكون هذا الجانب من « أوكد علم الخاصة ، وأرفع علم أهل الخبر وبه ساد أهل السير » [٤]

وقد شهد بن الأثير المؤرخ صاحب كتاب « أسد الغابة فى معرفة الصحابة » لابن عبد البر فى تَمَيُّزِهِ على من ألف فى تراجم الصحابة فقال : « ورأيت أبا عمر قد استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه وكل ما يعرفه به حتى أنه يقول هو ابن أخى فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية ، وكان هذا هو المطلوب من التعريف وأما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو يكتب الحديث أشبه » [٥] فجعل ابن الأثير كتاب ابن عبد البر أقرب سمتاً من التأليف التاريخى بخلاف المؤلفات الأخرى التى أكدت على الجانب الحديثى التى يجعلها إلى كتب الحديث أقرب .

---

(١) نفس المصدر : ٣ / ٩٠٢ ـــ ٤ / ١٨٧١ .
(٢) نفس المصدر : ١ / ٤٠٨
(٣) انظر معرفة الصحابة لابن مندة (ت ٣٩٥) مخطوط يوجد منه قطعة فى ٢٤ لوحة تبدأ بكنية (أبو حاضر وتنتهى بكنية أبو صفرة : ١ / ١٩ ، ٢٠).
(٤) نفس المصدر : ١ / ١٩ .
(٥) أسد الغابة : ١ / ١١ .

وبملاحظة المصادر التى اعتمد عليها نجد أن الذى يغلبُ عليها هو كتب التراجم والتواريخ والأخبار ، بل إن أهل الحديث وصفوا كتابه بأنه من أحسن ما ألف فى الصحابة « وأجلّها وأكثرها فوائد »[(١)] ولكنهم ينقدوه لبسطه الأمور التاريخية وكثرة نقله عن المؤرخين .

وعليه فقد استوعب ابن عبد البر مساحةً زمنيةً واسعة وذلك من خلال حركة الصحابى أو التابعى ، ومشاركته فى جميع النشاطات قبل الإسلام وبعده كالغزوات أو الأعمال والوظائف التى وليها الصحابى مع ذكر أسماء الخلفاء الذين تمت فى عهودهم هذه المشاركات وبذلك قدّم لنا ابن عبد البر مادة تاريخية تتعلق : بالعصر الجاهلى[(٢)]، وعصر صدر الإسلام لحين وفاة النبى[(٣)] (١١ هـ) ، وعصر الخلفاء الراشدين (١١ ــ ٤٠ هـ = ٦٣٢ ــ ٦٣٤ م) ويتضمن :

خلافة أبى بكر الصديق (١١ ــ ١٣ هـ = ٦٣٢ ــ ٦٣٤ م)[(٤)]
خلافة عمر بن الخطاب (١٣ ــ ٢٣هـ = ٦٣٤ ــ ٦٤٣ م)[(٥)]
خلافة عثمان بن عفان (٢٣ ــ ٣٥ هـ = ٦٤٤ ــ ٦٥٥ م)[(٦)]
خلافة على بن أبى طالب (٣٥ ــ ٤٠ هـ = ٦٥٥ ــ ٦٦٠ م)[(٧)]

ثم تولى الحسن بن على مدة لا تتجاوز سنة واحدة وتنازل بعدها لمعاوية بن أبى سفيان عام الجماعة سنة (٤١ هـ = ٦٦١ م)[(٨)]

ثم أورد لنا معلومات عن الدولة الأموية (٤١ ــ ١٣٢ هـ = ٦٦٢ ــ

---

(١) انظر : التقييد والإيضاح : ٢٩١ والباعث الحثيث : ١٧٩ وتدريب الراوى : ٢٠٧ .
(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ــ ٣٠ ــ ٢ / ٧٧٦ ــ ٣ / ١٩٥ ، ١٢١٠ .
(٣) نفس المصدر : ١ / ٢٥ ــ ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ .
(٤) انظر الاستيعاب : ١ / ٦٤ ، ٣٣٦ ــ ٤ / ١٣٣٤ ، ١٤٥٧ .
(٥) نفس المصدر : ١ / ٦٢ ــ ٤ / ١٣٤٨ ، ١٤٥٦ ، ١٤٧٧ .
(٦) نفس المصدر : ١ / ٣٢٧ ــ ٤ / ١٤٤٤ ، ١٤٤٧ .
(٧) نفس المصدر : ١ / ٣٣٥ ــ ١٣٤٩ ، ١٠٤٨ ، ١٤٤٧ .
(٨) نفس المصدر : ١ / ٣٨٣ .

٧٥٠ م) وتتضمن :

خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١ — ٦٠هـ = ٦٦١ — ٦٧٥ م)[(١)]
وخلافة يزيد بن معاوية (٦٠ — ٦٤ هـ = ٦٧٩ — ٦٨٣ م)[(٢)]
وخلافة مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ هـ = ٦٨٣ — ٦٨٤ م)[(٣)]
وخلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ — ٨٦ هـ = ٦٨٤ — ٧٠٥ م)[(٤)]
وخلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦ هـ — ٩٦ هـ = ٧٠٥ — ٧١٤ م)[(٥)]
وخلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ = ٧١٧ — ٧١٩ م)[(٦)]
وخلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥ — ١٢٥ هـ = ٧٢٣ — ٧٤٢ م)[(٧)]

ثم نقل لنا أخبارا وقعت عندما تولى عبد الله بن الزبير حكم الحجاز والعراق لحين وفاته (٦٥ — ٧٣ هـ = ٦٨٤ — ٦٩٣ م)[(٨)]

وامتد البعد الزمانى للاستيعاب للدولة العباسية : فذكر خلافة المهدى (١٥٨ — ١٦٩ هـ = ٧٧٥ — ٧٨٥ م) والهادى (١٥٨ — ١٦٩ هـ = ٧٧٥ — ٧٨٥ م) ، والرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ = ٧٨٦ — ٨٠٨ م) وذلك فى ترجمة[(٩)] سعد بن حبته الجد الأعلى للقاضى أبى يوسف (ت ١٨٢ هـ) صاحب أبى حنيفة الذى تولى القضاء لهؤلاء الخلفاء ، وذكر حادثة[(١٠)] كانت فى عهد المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ = ٨٤٦ — ٨٦١ م) .

---

(١) نفس المصدر : ١ / ٣٢١ — ٢ / ٤٧٢ — ٣ / ٩٣٣ — ٤ / ١٣٤٨ .
(٢) نفس المصدر : ٢ / ٧٤٥ ، ٨٨٥ .
(٣) نفس المصدر : ٢ / ٧٤٥ .
(٤) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٨٢ — ٤ / ١٣٤٥ .
(٥) نفس المصدر : ٣ / ١٠٣١ .
(٦) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦٢ .
(٧) نفس المصدر : ٣ / ١٢١١ .
(٨) نفس المصدر : ٣ / ٩٠٦ .
(٩) نفس المصدر : ٢ / ٥٨٤ .
(١٠) نفس المصدر : ٣ / ٨٧٩ .

ومفادها أنَّ بَغا التركى (٢٤٨ هـ = ٨٦٢ م) [1] ـــ مُقدِّم قُواد المتوكل ـــ قد اشترى سيف عبد الله بن جحش الذى أعطاه له رسول الله فى معركة أحد .

ملاحظات على النسخ المطبوعة :

لقد حظى الاستيعاب لابن عبد البر بالاهتمام ، فكان من أوائل كتبه التى طبعت وأقبل العلماء عليها .

ولكن هناك ملاحظات على هذه النسخ المطبوعة التى بين أيدينا وسنختار أشهر طبعتين حظيتا بالعناية من قبل المشرفين عليها .

الطبعة الأولى [2] : هى طبعة مطبعة السعادة بمصر سنة (١٣٢٨ هـ = ١٩٠٨ م) وكانت بهامش كتاب الإصابة لابن حجر العسقلانى .

وهذه الطبعة كانت على نفقة سلطان المغرب الأقصى « عبد الحفيظ بن السلطان مولاى الحسن » .

وقد أشرف عليها محمد بن العباس بن شقرون وكيل دولة المغرب الأقصى بمصر (أى سفيرها) وقد تابع هذا الإشراف ابنه عبد السلام شقرون .

وكانت هذه الطبعة اعتمدت على عدة نسخ واردة من المغرب الأقصى وعليها خطوط بعض العلماء الأعيان . وقوبلت على نسخ أخرى فى الكُتبخانة الخديوية المصرية (دار الكتب الآن) .

وطبعة مثل هذه لاشك قد توفرت لها العناية الجيدة ، لأن الجهة الناشرة لم يكن بحسبانها القصد التجارى ، وإنما حرصا على نيل فضيلة نشر هذا الكتاب الأندلسى .

وكانت كل المطبعات التجارية قد أعادت نشر هذا الكتاب اعتمادا على هذه

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير : ٥ / ١١٢ وشذرات الذهب : ٢ / ١٧٧ .

(٢) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة وبهامشه الاستيعاب : صفحة العنوان : وهذه الطبعة رتبت على حروف المعجم المغربى على حسب الأصل الذى كتبت فيه .

النسخة مع بعض التغيير فى شكليات الطبع . وقد أعادت مكتبة المثنى ببغداد تصويرها بالأوفست .

وأما الطبعة الأخرى فهى طبعة مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، وقد نشرت سنة (١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م) فى أربعة مجلدات وقد أفرد الاستيعاب لوحده .

والذى يعطى القيمة العلمية لهذه الطبعة أنها طبعت محققة بعناية المحقق المعروف الأستاذ على محمد البجاوى ، الذى لم يكتف بوجود النسخة المطبوعة السابقة ، بل اطلع على نسخ أخرى من الاستيعاب . ثم استعان بمخطوطات أخرى أعانته فى تحقيقه مثل مخطوط حواشى الاستيعاب لإبراهيم بن محمد بن خليل الحلبى المودع فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

وقد أعاد الأستاذ البجاوى ترتيب الكتاب بحسب الترتيب الهجائى المشرق تيسيرا للباحثين فى المشرق الإسلامى ، وقام بترقيم التراجم .

ولكن مع هذه العناية وجد الباحث من خلال تعامله مع الكتاب أن هناك فروقا واضحة فى عدد التراجم فى كل نسخة من هاتين النسختين المطبوعتين ، ثم إن النسختين المطبوعتين تزيدان فى عدد تراجمهما عن الأصل الذى كتبه ابن عبد البر .

كما وجدت زيادات فى نصوص الترجمة الواحدة من الأشعار والأخبار التى ذكرت فى طبعة ولم تذكر فى الأخرى .

الزيادات فى عدد التراجم :

ذكر الحافظ بن فتحون الأوريولى الأندلسى (ت ٥١٧ هـ) « أن ابن عبد البر ذكر فى كتابه من الصحابة ثلاثة آلاف وخمسمائة يعنى ممن ذكره باسمه أو كنيته أو حصل له فيه وهم »[١] وقد أكد ذلك كذلك الحافظ بن حجر العسقلانى فى كتابه الإصابة[٢].

(١) الرسالة المستطرفة : للكتانى : ٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٢) انظر الإصابة : طبعة السعادة : ١ / ٤ .

ثم إن ابن الأثير ، وهو أول المشارقة الذين اهتموا (بالاستيعاب) قد ضمن أغلب تراجمه فى كتابه (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) ويبدو أنه استبعد بعض من وهم فيهم ابن عبد البر ، فبلغت عدد التراجم التى ضمنها كتابه (٣٣٦٥) ترجمة . وهى قريب مما ذكر ابن فتحون .

ولكن النسخ المطبوعة اختلفت فى عدد تراجمها عن العدد الذى ذكره ابن فتحون ، وهو من أوائل من استدرك على ابن عبد البر .

وبإحصاء تراجم النسخ المطبوعة من الاستيعاب تبين أن :

مطبوعة السعادة بمصر بلغت عدد تراجمها (٣٦٢٤) ترجمة .

ومطبوعة البجاوى بلغت عدد تراجمها (٤٢٢٥) ترجمة .

والزيادة واضحة ، وبخاصة فى نسخة على محمد البجاوى ، وكان من المفروض أن لا يذكرها فى النص بل فى الهوامش .

ويبدو أن سبب الزيادة جاءت من النُّساخ الذين أدخلوا الزيادات والإستدراكات على الاستيعاب ، فى الاستيعاب نفسه .

فالمعلوم أنّ ابن عبد البر قد طلب من تلميذه المقرب أبى على الغسانى أن يلحق بكتابه الاستيعاب كل مافاته من تراجم الصحابة ، وجعل ذلك أمانة فى عنقه . فعمل الغسانى بوصية شيخه واستدرك مافات الاستيعاب [(١)].

وقد وردت بعض التراجم فى الاستيعاب [(٢)] من زيادة أبى على صراحة ، حيث وردت بصيغة : (قاله أبو على) ، أو (سقط لأبى عمر وألحقه أبو على) ، أو (قال أبو على) .

ومن التراجم مالم يصرح بنقلها عن أبى على . ولكن ذكر ذلك من ألف فى الصحابة بعد ذلك ، ورأوه فى مستدركه على الاستيعاب .

---

(١) انظر الروض الآنف : ٦ / ٣٣٤ . وتذكرة الحفاظ : ٤ / ١٢٣٤ .

(٢) انظر الاستيعاب : ٢ / ٧٣٩ ، ٤ / ١٨٤٣ وانظر الاستيعاب ١ / ٥١٥ طبعة السعادة .

ولم تكن زيادات أبى على الغسانى هى وحدها التى تسللت إلى أصل الاستيعاب ، وإنما كانت هناك زيادات لعلماء آخرين استدركوا ابن عبد البر وأدرجها النساخ فى الاستيعاب وقد ذكرها ابن الأثير وابن حجر فى موضعها بكتبهم .

ومن تلك الزيادات والاستدراكات على الاستيعاب :

ــ ذيل كتاب الصحابة : لأبى بكر محمد بن أبى القاسم خلف المعروف بابن فتحون الأريولى (ت ٥١٧ هـ) الأندلسى .(١)

ــ كتاب التنبيه على أوهام ابن عبد البر له كذلك .(٢)

ــ الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبى عليه السلام :

لأبى إسحاق إبراهيم بن يحيى المعروف بابن الأمين (ت ٥٤٤ هـ) القرطبى الأندلسى .(٣)

ــ استدراك عبد الله بن على اللخمى المُرى الأندلسى المعروف بالرشاطى (ت ٥٤٢ هـ) .(٤)

ــ استدراك أبى الوليد يوسف بن عبد العزيز اللخمى الأندلسى المعروف بابن الدباغ (ت ٥٤٦ هـ) .(٥)

ــ الارتجال فى أسماء الرجال : لأبى الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد الجماهيرى التنوخى الشافعى (ت ٥٥٨ هـ) استدرك فيه على مالم يذكر فى الاستيعاب .(٦)

---

(١) انظر : بغية الملتمس : ٧٣ وقال صاحب الصلة توفى فى (٥٢٠ هـ أو ٥١٩ هـ) انظر الصلة : ٥٧٧ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٣ .

(٢) انظر : بغية الملتمس : ٧٣ وقال صاحب الصلة توفى فى (٥٢٠ هـ أو ٥١٩ هـ) انظر الطلة : ٥٧٧ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٣ .

(٣) انظر : المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى : لابن الأبار : ٦٣ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٣ .

(٤) انظر : تذكرة الحفاظ : ٤ / ١٣٠٧ .

(٥) نفس المصدر : ٤ / ١٣١٠ ــ ١٣١٢ .

(٦) انظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٤ .

ـــ زيادات خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وقام بدمج زياداته مع زيادات ابن الأمين [(١)].

ـــ الرد على ابن عبد البر والتنبيه على أغلاطه :

لعقيل بن عطية القضاعى المراكشى الدار الطرطوشى الأصل (ت ٦٠٨ هـ) [(٢)].

ـــ استدراك محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقى الغرناطى المعروف بالملاحى (ت ٦١٩ هـ) [(٣)].

ـــ إكمال التذييل لأبى بكر بن فتحون على كتاب الاستيعاب :

لأبى العباسى أحمد بن عمر بن ميمون الأشعرى المانعى المعروف بابن السكان [(٤)].

وقد استدرك ابن الأثير (٦٨٠ هـ) فى كتابه أسد الغابة كذلك على ابن عبد البر .

وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) قد ختم ذلك كله بإصابته فى تمييز الصحابة .

* * *

نماذج من الزيادات فى النسخ المطبوعة :

ثم إنَّ مطبوعتى الاستيعاب قد اتفقتا فى بعض الزيادات وتفردت إحداهما عن الأخرى أحيانا .

---

(١) مخطوط بمعهد المخطوطات بالقاهرة برقم ٢٧ تاريخ وعندى صورة عنها ، وفيه تعليقات لابن الصلاح على هامشه .

(٢) انظر الحلل السندسية : ٣ / ٢٨ .

(٣) انظر التكملة لابن الأبار : ٢ / ٦١٠ وانظر الرسالة المستطرفة : ٢٠٤ .

(٤) انظر الجغرافية والرحلات عند العرب : نقولا زيادة نقله عن رحلة العبدرى فيمن لقيه العبدرى بتونس : ١٧٨ .

الزيادات التى تكررت فى المطبوعتين :

ـــ صلصال بن الدَّلَهْمَس[1] .

ـــ ترجمة عبد الله اليربوعى[2] .

ـــ زيادة فى ترجمة رقية بنت رسول الله ﷺ فى آخر ترجمتها[3] .

ـــ ترجمة : جُدامة بنت جَندل[4] .

ـــ ترجمة : جرباء بنت قَسَامة[5] .

ـــ جعدة بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار[6] .

ـــ جُمانه بنت أبى طالب[7] .

ـــ جُمَيل بنت يسار[8] .

ـــ جميلة بنت أوس المزنية[9] .

ـــ جميلة بنت عمر بن الخطاب[10] .

ـــ حَسْنَة أم شرحبيل[11] .

ـــ حمامة[12] .

ـــ الحُويصِلَة بنت قُطبة[13] .

---

(١) انظر الاستيعاب : ٤ / ٢٠٤ طبعة السعادة وقد أسماه صلصال بن الهميس وعند البجاوى صلصال بن الأيلم . وهذا من خطأ النساخ والصحيح ما أثبتناه نقلا عن استدراك ابن الأمين وابن بشكوال : مخطوط : لوحة ١٠ ، وانظر : الإصابة ٢ / ١٩٣ طبعة السعادة .

(٢) نفس المصدر : سعادة : ٣ / ٣٩٢ والبجاوى : ٣ / ١٠٠٤ استدركه ابن الأمين لوحة : ١١ .

(٣) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٣٠٢ ـــ ٣٠٣ والبجاوى : ٤ / ١٨٤٣ .

(٤) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٥ والبجاوى : ٤ / ١٨٠٠ استدركها ابن الأمين : لوحة ٢٢ .

(٥) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٧ والبجاوى : ٤ / ١٨٠٠ استدركها ابن الأمين لوحة ٢٢ .

(٦،٧) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوى ٤ / ١٨٠١ استدركها ابن الأمين لوحة ٢٢ .

(٨) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوى : ٤ / ١٠٨١ استدركها ابن الأمين : لوحة ٢٢ .

(٩) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٦٦ والبجاوى : ٤ / ١٠٨٢ استدركها ابن الأمين : لوحة ٢٢ .

(١٠) نفس المصدر : سعادة ٤ / ٢٦٦ والبجاوى : ٤ / ١٠٨٣ استدركها ابن الأمين : لوحة ٢٢ ، وفى البجاوى : المرية وهو من خطأ النساخ .

(١١) نفس المصدر : سعادة ٤ / ٢٧٨ والبجاوى : ٤ / ١٨١١ استدركها ابن الأمين : لوحة : ٢٢ ـــ ٢٣ .

(١٢) نفس المصدر : سعادة ٤ / ٢٧٨ والبجاوى : ٤ / ١٨١٣ استدركها ابن الأمين لوحة : ٢٢ .

(١٣) نفس المصدر : سعادة : ٤ / ٢٧٨ والبجاوى : ٤ / ١٨١٦ استدركها ابن الأمين لوحة : ٢٢ .

والزيادات التى انفردت بها طبعة السعادة :

ـــ ترجمة ربيعة بن عيدان .[1]

والزيادات التى انفردت بها طبعة البجاوى :

ـــ المنذر بن أبى أسيد الساعدى .[2]

ـــ المنذر بن ساوى العبدى .[3]

ـــ المنذر بن عدى بن المنذر بن عدى بن حجر .[4]

ـــ المنذر بن كعب الدّارمى .[5]

ـــ المنذر بن قيس بن عمرو بن عبيد .[6]

ـــ المنذر بن يزيد بن عامر بن حديدة .[7]

ـــ زيادة فى نسب المقداد بن الأسود .[8]

ـــ زيادات من الأشعار والأخبار فى ترجمة عاتكة بنت زيد .[9]

ـــ وأبيات شعر فى ترجمة هند بنت عتبة .[10]



---

(١) انظر الاستيعاب : طبعة السعادة : ١ / ٥١٥ .

(٢ ـــ ٧) نفس المصدر : طبعة البجاوى ٤ / ١٤٤٨ استدركه بن الأمين : لوحة ١٧ .

(٨) نفس المصدر : ٤ / ١٤٨٠ .

(٩) نفس المصدر : ٤ / ١٨٧٧ ، ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ .

(١٠) نفس المصدر : ٤ / ١٩٢٢ .

المبحث الثانى
تراجم الفقهاء

أهمية كتب تراجم الفقهاء من الناحية التاريخية :

تمثل كتب تراجم الفقهاء جانباً مُهماً من المكتبة التاريخية الإسلامية ، ووجه الأهمية فيها أنها تُلقى لنا ضوءاً على طبيعة مسار الثقافة الإسلامية بوجه عام والجانب التشريعى منها بوجه خاص .

وقد تنوّعت طُرق عرض المادة التاريخية فى هذا النوع من التأليف :

فمنها ما يتناول سيرة إمام من أئمة الفقه المشهورين[1] .

ومنها ما يتخصَّص بفقهاء مذهب معين فيعرض طبقات فقهاء المذهب أو مشاهيرهم[2] .

ومن خلال المادة التاريخية التى تحويها كتب تراجم الفقهاء يتمكّن الباحثون فى تاريخ التشريع أن يرصُدوا ظواهر كثيرة ومتنوعة فى هذا الجانب . من ذلك : معرفة

---

(١) من ذلك مثلا :

ـــ (فضائل أبى حنيفة) ليوسف بن أحمد الصيلانى المكى (ت ٣٨٨ هـ) انظر الانتقاء : ١٢٢ / ١٣٧ .

ـــ (مناقب الشافعى) لزكريا بن يحيى السّاجى (ت ٣٠٧ هـ) انظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧٠٩ وتاريخ بغداد : ٢ / ٢٤٠ .

ـــ (فضائل مالك) : لأبى بشر محمد بن أحمد الدولابى (٢٢٤ ـــ ٣١٠ هـ) انظر تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧٥٩ .

ـــ (الرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية) : لابن حجر العسقلانى . يترجم للإمام الليث بن سعد .

(٢) من ذلك :

ـــ (الجواهر المضية فى طبقات الحنفية) : لعبد القادر بن محمد القُرَشِى (٦٩٦ ـــ ٧٧٥ هـ) تحقيق د. عبد الفتاح الحلو . مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة ١٩٧٨ م ظهر منه للآن ثلاثة أجزاء .

ـــ (طبقات الشافعية الكبرى) : لعبد الوهاب بن على السبكى (٧٢٧ ـــ ٧٧١ هـ) تحقيق د. محمود الطناحى . وعبد الفتاح الحلو : مطبعة عيسى الحلبى القاهرة ١٩٦٤ م .

ـــ (الديباج المُذهب فى معرفة أعيان المذهب) : لإبراهيم بن على البعجرى المالكى المعروف بابن فرحون (ت ٧٩٩ هـ) . تحقيق د. محمد الأحمدى أبو النور ، نشر دار التراث بمصر ١٩٧٤ م .

وقد حفظ لنا السخاوى قائمة طويلة لهذه المصنفات : انظر علم التاريخ عند المسلمين : ٧٣١ ـــ ٧٥١ .

فقهاء الصحابة الذين اختصوا بالفُتيا، ورصد نشأة المذاهب الفقهية ، ومعرفة المندثر منها والباقى ، ومعرفة أئمتها المؤسسين ، ومعرفة الأصول التى اعتمدوها فى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية .

إضافة إلى ذلك فإن كتب الفقهاء وطبقاتهم تعرض لنا بعض الأحداث التاريخية التى كان الفقيه طَرفاً فيها ، أو حدثت فى عصره ، وتنقُل لنا كذلك الحكايات والأشعار المتعلقة بموضوعاتها . وتذكر لنا المؤلفات التى أُلّفها المترجم لهم ، والوظائف التى تولوها ، وعلاقاتهم بحُكام زمانهم ، ومواقفهم من قضايا الأمة بعامة ، وتعرض لنا الخصائص العقلية والجسمية للمترجم لهم .

مشاركة ابن عبد البر فى هذا النوع من التأليف :

إن ثقافة ابن عبد البر الفقهية الواسعة لم تقتصر على العلوم التى تتضمنها هذه الثقافة أو القضايا التى تعالجها وإنما كانت تشمل هذه الثقافة معرفة مشاهير الرجال الذين بَرعوا فى هذه العلوم وأئمتهم ومعرفة — على الأقل — موجزة عن حياتهم وأعمالهم ، لا سيما وأنّ الشيخ الذى كان يدير حلقة العلم معرضا للسؤال عن الرأى الفقهى وصاحبه ودرجته فى الاجتهاد ، ومكانته بين علماء عصره ونزاهته ، ومواقفه .

وبالفعل تعرض ابن عبد البر لمثل هذه الأسئلة خلال حلقات تدريسه الفقه وعرضه مذاهب العلماء فى قضاياه ، وألف بعض مؤلفاته فى هذا الجانب تلبية لهذه الرغبة .

وتنقسم مؤلفات ابن عبد البر فى تراجم الفقهاء إلى :

أولا : تراجم الفقهاء الأندلسيين .
ثانيا : تراجم الفقهاء من غير الأندلسيين .

أولا : تراجم الفقهاء الأندلسيين :

قدم لنا ابن عبد البر فى تراجم الأندلسيين كُتباً لم يصلنا منها شيء سوى ما تناثر فى المصادر من النقول عنها ، أو ذُكرت أسماؤها فقط لفقدانها ، مثلُها مثلُ الآلاف

من كتب الاندلسيين المؤلفة فى جوانب المعرفة المختلفة . منها ما فُنِىَ لعوامل التعصب ، أو للعوامل الطبيعية . ومنها ما هو فى بطون المكتبات الخاصة التى لم تُعرف للآن .

وقد وصلتنا نقول عن ابن عبد البر فى بطون كتب التراجم أمثال : جذوة المقتبس للحُميدى تلميذ ابن عبد البر ، وكتاب الصلة لابن بشكوال الذى كان من المُهتمين بمؤلفات ابن عبد البر . وما نقله الضبى فى بغية الملتمس ، والقاضى عياض فى فهرسة شيوخه .

ومن أهم هذه الكتب التى سنعرف بها :

١ ــ تاريخ شيوخ ابن عبد البّر .

٢ ــ أخبار المنذر بن سعيد البلوطى .

١ ــ كتاب تاريخ شيوخ ابن عبد البر :

وقبل أن يتناول الباحث الكتاب بالتعريف يقدم مقدمة موجزة فى طبيعة هذا اللون من التأليف وأهميته : فيقول : إن هذا النوع من المؤلفات درج عليه علماء المسلمين فى كافة أقطارهم يترجمون فيه لشيوخهم الذين نقلوا عنهم العلم بطرق التحمل [١] المختلفة التى تعارف عليها علماء المسلمين : كالسماع [٢] ، والقراءة [٣] والإجازة [٤] ،

---

(١) وهى : الطرق التى يروى بها العالم عن شيخه .

(٢) السماع : ويكون من لفظ الشيخ إملاء وتحديثا سواء أكان ذلك شفاها أو قراءة من كتاب وهو أعلى مراتب التحمل : انظر التقييد للعراق : ١٦٦ انظر : الكفاية : للخطيب البغدادى : ٦٢ وتاريخ التراث : سزكين : ١ / ٩٣ .

(٣) القراءة على الشيخ حفظاً أو من كتاب وهو « العرض » عند الجمهور والرواية به سائغة عند العلماء . وهى دون السماع من لفظ الشيخ . انظر : الباعث الحثيث : ١١٠ وتاريخ التراث : ١ / ١٩٣ .

(٤) الإجازة : إذن من الأستاذ لتلميذه أن يروى عنه مروياته أو مسموعاته أو بعضا منها . انظر التقييد : ١٨٠ وتاريخ التراث : ١ / ٩٣ .

والمُناولة [(١)]، والمُكاتبة [(٢)]، والوِجادة [(٣)]. وقد كان يقوم بعض العلماء بجمع أسماء شيوخ أحد المشهورين ممن سبقهم فى مؤلف [(٤)]. وكانت هذه المصنفات تُرتّب على حروف المُعجم فى الغالب، أو على تاريخ الوفيات، أو على بُلدان الشيوخ [(٥)].

وكان أهل الأندلس يَهتمُّون بتدوين أسماء شيوخهم والتعريف بهم وبمؤلفاتهم وبمروياتهم. وكانوا غالباً يطلقون عليها مصطلح (فهرسة) وقد مرَّ تعريفها. وكانوا يتفننون فى تنظيمها، فمنهم من كان يُرتبها على أسماء الكتب التى رواها بسنده عن شيوخه إلى مُؤلِّفيها. وأحيانا تُرتّب على أسماء الشيوخ ثم تُذكر أسماء مؤلفاتهم التى رويت عنهم والكتب التى رواها المؤلف بسنده عنهم إلى مؤلفى هذه الكتب. ومنهم من جمع بين النظامين، أى جمع بين الشيوخ والمؤلفات [(٦)].

ولا شك أن تواريخ الشيوخ، أو فهارس الشيوخ كانت تحوى معلومات دقيقة ينقلُها المؤلف عن شيوخه لمخالطته لهم فيكون بذلك أوثق من غيره فى نقل أخبارهم وأفكارهم العلمية وما قدموه من نتاج يُثرى الحضارة الإسلامية

ومن المعلومات المهمة التى تُقدّمها : إحصائيات وافية عن علماء عاشوا فى جيل واحد. وقد يقتصر المؤلف على بعض من روى عنهم من العلماء [(٧)].

---

(١) والمناولة : أن يناول الشيخ الطالب كتابا من سماعه ويقول له : « اروِ هذا عنى » أو يملكه إياه أو يعيره لينسخه ثم يعيده إليه وسمى هذا عرض المناولة انظر : الباعث الحثيث : ١٢٣ تاريخ التراث : ١ / ٩٣ .

(٢) والمكاتبة : أن يكتب إليه بشىء من حديثه . فإن أذن له فى روايته عنه فهو كالمناولة المقرونة بالإجازة وجعلوها أقوى من الإجازة المجردة . انظر : الباعث الحثيث : ١٢٥ وتاريخ التراث : ١ / ٩٣ .

(٣) الوجادة : أن يجد حديثا أو كتابا بخط شخص بإسناده فله أن يرويه عنه على سبيل الحكاية وهى ليست من باب الرواية . انظر : الباعث الحثيث : ١٢٧ وتاريخ التراث : ١ / ٩٤ .

(٤) تسمية شيوخ أبى داود السجستانى : لأبى على الغسانى تلميذ ابن عبد البر : فهرسة ابن خير / ٢٢١ .
تسمية شيوخ مالك وسفيان بن عيينة وشعبة لمسلم بن الحجاج : فهرسة ابن خير : ٢١٣ .

(٥) انظر : موارد الخطيب البغدادى : ٤١٢ .

(٦) انظر فهارس الشيوخ فى المغرب والأندلس : ١ / ٢٥ ــ ٢٨ .
رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة بجامعة عين شمس .
وقد صنف الفهارس التى اختارها بحسب التصنيف الآنف، ومن ثمّ درسها بمجموعات تحسب أنماط تأليفها .

(٧) انظر : موارد الخطيب البغدادى : ٤١٢ .

وتكشف لنا هذه المؤلفات كذلك عن مراكز الإشعاع الثقافى وذلك من خلال توزُّع العلماء وكثافة وجودهم فى حاضرة من حواضر العالم الإسلامى .[(١)]

ومن الفوائد المهمة الأخرى التى تستقرأ من خلال هذه المؤلفات : رصد المُصنَّفات التى كانت مَدار التدريس فى حِقبةٍ من الحقب ، أو صقع من أصقاع العالم الإسلامى ، ويستدل على ذلك من خلال كثرة تكرارها فى فهارس العلماء واستكثارهم لطرق الرواية لها أو تسجيل سماعاتهم عليها بالسند إلى مؤلفيها .[(٢)]

وكان العلماء يهتمون بهذا النوع من التأليف ، لأنه يعكس كذلك جهودهم العلمية الذاتية التى يبذلونها فى تنقلهم بين المدن ، والبلدان للأخذ عن الشيوخ بمختلف تخصصاتهم . وهذا لاشك مما يفخر به العالم على أقرانه .

وأما كتاب تاريخ شيوخ ابن عبد البر[(٣)] فقد وصلتنا نقول عنه تضمنتها مؤلفات تلاميذ ابن عبد البر وغيرهم ممن ألّف فى تراجم علماء الأندلس ولم يصلنا الكتاب نفسه ، ولعله موجود فى بطون خزائن المكتبات الخاصة أو أنه فُقد مع الآلاف المؤلفة من المخطوطات .

ومن العلماء الذين نقلوا عنه المحدث والمؤرخ الأندلسى أبو نصر الحميدى (ت ٤٤٨ هـ) الذى تتلمذ على يد ابن عبد البر قبل رحلته إلى المشرق فى سنة (٤٤٨ هـ) ، وقد نقل عنه (أربعة وتسعين) نصا فى كتابه جذوة المقتبس ، وتتفاوت هذه النصوص طولا وقصرا بحسب نوع الخبر ، وكان الحُميدى يصدر نقله بقوله : (ذكره لنا ابن عبد البر)[(٤)] ، أو (قال ابن عبد البر)[(٥)] أو (أخبرنا أبو

(٢،١) نفس المصدر : ٤١٣ وانظر فهارس شيوخ العلماء فى المغرب والأندلس : رسالة دكتوراة على الآلة الكاتبة : ١ / ٣٨٧ ـــ ٣٨٨ .

(٣) أورد المقّرى اسم هذا المؤلف فى النفح انظر : ١ / ١٦٩ .

(٤) انظر الجذوة : ٣٨ ، ٢١٠ ، ٣٢٤ .

(٥) نفس المصدر : ٤٢ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ١٢١ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٦٤ ، ... ٣٨٦ .

عمر)[1] ، (ذكره أبو عمر)[2] ، (روى عنه شيخنا أبو عمر ابن عبد البر)[3] ، (روى عنه أبو عمر ابن عبد البر)[4] .

فالحميدى أكثر فى الرواية عن ابن عبد البر فى كتابه جذوة المقتبس . ولكن الذى فاق ابن عبد البر فى نقل الحميدى عنه هو ابن حزم[5] ، الذى لازمه الحميدى أكثر من ابن عبد البر .

وأما ابن بشكوال[6] : فقد جعل ابن عبد البر من مصادره التى نقل عنها لجلالة هذا العالم الفذ ، الذى عمَّر ما يقارب قرناً من الزمان ، مما جعله بقية سلف يُتسابق على الرواية عنه ، لأنه قد رأى عدداً كبيراً من الشيوخ ، فأخذ عنهم ، فضلا عن أخذه عمن رحل إلى المشرق ، وإن كانوا من تلاميذه ، فروى عنهم مارووه من كتب لم يجدها عند غيرهم . حتى عدا ابن عبد البر ثقافة قرن كامل .

حرص ابن بشكوال على أن يَخُصّ شيوخ ابن عبد البر فى كتاب من تأليفه أسماه (شيوخ أبى عمر ابن عبد البر) وأشار إليه ابن خير الأشبيلى فى فهرسته[7] ، ولكنه فى حكم المفقود كذلك .

وقد احتفظ لنا ابن بشكوال فى صلته[8] (بستة وخمسين) نصا عن بن عبد

---

(١) نفس المصدر : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ١٠٧ ، ١٤١ ، ١٦٤ ، ٢٢٥ ، ٣٧٧ .

(٢) نفس المصدر : ٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٨٨ ، ٤٠٥ ...

(٣) نفس المصدر : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٨٩ ...

(٤) نفس المصدر : ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٢٦ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ...

(٥) نقل عنه (٢٢٠) . فى مجمل كتابه انظر ابن حزم الأندلسى مؤرخا رسالة دكتوراة بدار العلوم : ١٨١ .

(٦) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الأندلسى (٤٩٤ — ٥٧٨ هـ) كان مقدما على أهل وقته حافظاً حافلاً إخبارياً تاريخياً ذاكراً لأخبار الأندلس ، انظر : المعجم فى أصحاب أبى على الصدفى : ٨٢ — ٨٥ . وتذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٣٩ — ١٣٤١ . ونقل عنه (٥٣) نصا .

(٧) الفهرسة : ٤٣٢ .

(٨) ونقل ابن عميرة الضبى فى بغية الملتمس (٤٦ نصا) .

البر ، تروى أخباراً وأشعاراً ومؤلفات لشيوخه ، وبصيغ متعددة .

فيقول ابن بشكوال مثلا :

(حدث عنه ابن عبد البر)[1] ، (روى عنه أبو عمر)[2] ، (ذكره ابن عبد البر)[3] ، (أخذ عنه ابن عبد البر)[4] ، وهكذا ...

★ ★ ★

٢ ــ كتاب المنذر بن سعيد البلوطى وأخباره :

ومن إنتاج ابن عبد البر فى تراجم الأندلسيين كتاب أفرده للقاضى المنذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة (٢٧٣ ــ ٣٥٥ هـ)[5] الذى اقترن اسمه باسم الخليفة الناصر لدين الله ، لأنه كان يتولّى منصب القضاء فى عصره ، وله مواقف عديدة من الناصر جعلته علما للنزاهة والصلابة فى الحق ، فضلا عن نصحه ، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر . إضافة إلى كونه من أهل الاجتهاد .

ومن هذه المواقف[6] : نُصحُهُ وتذكيره للناصر بسبب تخلفه عن صلاة الجمعة ثلاثة أسابيع متتالية ، لانشغاله ببناء قصر الزهراء ، وقد عرَّض به فى صلاة الجمعة ، وبيّن أنّ من تأخر ثلاث جمع متتالية كُتبَ فى أهل النفاق . وكان ذلك بحضور الخليفة الناصر ، وفى نهاية الصلاة التفت الناصر إلى ولى عهده المستنصر وقال له : « والله لقد تعمّدنى منذر بخطبته »[7] ، فأشار المستنصر بعزله فوبَّخه الناصر بقوله : « لا أمّ لك يُعزل فى إرضاء نفس ناكبة عن الرّشد » .[8]

---

(١) الصلة : ١١ ، ٢٣ ، ٤٧ ، ٦٧ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ٢٢٤ ، ٥١٨ ...

(٢) نفس المصدر : ٢٦ ، ٣١ ، ٨٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٨ ، ٥٥٣ .

(٣) نفس المصدر : ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٣٠٩ ، ٣٦٩ .

(٤) نفس المصدر : ٢٠٢ ، ٤٤٣ .

(٥) انظر : ترجمة : ابن الفرضى ٢ / ١٤٣ ــ ١٤٥ .

(٦) مطمح : ٤٥ ــ ٤٧ . والمرقبة العليا ٦٦ ــ ٧٤ وجذوة المقتبس ٣٤٨ .

(٧، ٨) مطمح : ٤٦ . والمرقبة العليا : ٧٠ .

ولكن كل ما فعله الخليفة أنه انقطع عن صلاة الجمعة فى جامع قرطبة ، وانتقل للصلاة فى جامع الزهراء .

صورة مشرقة فى التعامل بين العالم العامل الذى لايداهن فى دين الله ، والحاكم العاقل المُقِرّ بتقصيره .

والموقف الثانى [1] : وقع عندما دعا الخليفة الناصر المنذر بن سعيد للمشاركة فى افتتاح قصر الزهراء فى جمع من العلماء ، والوزراء . وأعيان قرطبة . فكان المنذر هُوَ فى تَحيُّنه الفرص المناسبة لتذكير الخليفة ، لكيلا يغرُّه الترف الذى هو فيه ، فينسى ماقد يعانيه شعبه ، أو قد يغُره الترف فتضعف فيه روح الجندية والجهاد ، وخاصة والأندلس مُهددة من أعدائها . فقد طلب المنذر من الناصر إزالة سقف قُبته المُحلّاة بصفائح الذهب والفضة . لأن ذلك ليس من سمات الحُكّام الحريصين على أموال الأمة . إضافة إلى أنّ المُبالغة بهذا الشكل لا يمدحُها الإسلام لقوله تعالى : « ولولا أن يكونَ الناسُ أمة واحدة لجعلنا لمن يَكفُرُ بالرحْمن لبيوتهم سُقُفاً من فضةٍ ومعارجَ عليها يَظهَرونَ » [2] .

فأمر الناصر بنقض سَقف القُبة ، وأعاد قراميدها تراباً ، وأثنى على المنذر خيراً لتذكيره فى لحظة أخذته النشوة والإعجاب بالمُلْكِ .

وكان من نزاهة المنذر بن سعيد البلوطى أنهّ « لم تُحفظ له قضية جَور ، ولا جُربت عليه فى أحكامه زَلّة » [3] . وله حكم قضائى يعتبره العلماء من غرائب الاجتهاد فى استنباط الأحكام من قصص السابقين الواردة فى القرآن ، فقد عُرضت عليه قضية منزل لأيتام أراد الخليفة الناصر شراءه بثمن بخس وأرسل من يُغرى الوصى عليهم ، فأخبرهم بأن البيع لا يجوز إلّا بأمر القاضى ، فأرسل الناصر

---

(١) مطمح الأنفس : ٥٢ وانظر : تاريخ قضاة الأندلس : للنباهى : ٧١ ـــ ٧٢ ، ونفح الطيب : ١ ٥٧٠ ـــ ٥٧٢ .

(٢) سورة الزخرف : ٣٣ .

(٣) مطمح الأنفس ومسرح التأنس : ٤٩ .

من يحاول إقناع القاضي بذلك . ولكنّه طلب مبلغاً مُعيناً استكثره الخليفة ، فخاف المنذر أن يتعرَّض الأيتام لبعض الضغوط ، فأمر وصيهم بنقض المنزل وبيع أنقاضه . فكان ثمنُ الأنقاض أكثر مما دفعه الخليفة ، وعندما سمع الناصر بذلك غضب ، وأرسل للقاضي وسأله :

هل أنت أمرت بذلك ؟

قال : نعم .

قال : وما دعاك إلى ذلك !!

قال : أخذت فيها بقول الله تعالى :﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم مَلِكٌ يأخذ كلّ سفينة غصبا ﴾[1].

فقال الخليفة : نحن أوّلُ من انقاد إلى الحق فجزاك الله تعالى عنّا وعن أمانتك خيرا[2] .

ويضاف إلى هذه المواقف أنّ المنذر كان « حسن الخُلق كثير الدعابة فربما ساء ظن من لايعرفه ، حتى إذا رام أن يصيب من دينه شعرة ثار عليه ثورة الأسد الضارى[3] .

ولعل ابن عبد البر أراد من عرض سيرة هذا الرجل أن يُعطى لعلماء عصره ومن بَعدَهم القدوة والمثل الأعلى لما يجب أن يكون عليه صاحب الفكر البنّاء من إيثار مصلحة الأمة والحق على مصلحته الذاتية ، والجهر بالإصلاح من خلال وظيفته المهمة (كقاضي للجماعة) في الأندلس . وكان منصبا كبيراً بمثابة قاضي القضاة في المشرق ، أو وزير العدل كما يُطلق عليه في عصرنا .

ثانيا : تراجم الفقهاء من غير الأندلسيين :

بما أن المكونات الثقافية الأساسية للحضارة الإسلامية واحدة ، لذلك لا تجد

---

(١) سورة الكهف : آية : ٧٨ .

(٢) مطمح الأنفس ومسرح التأنس : ٤٩ .

(٣) نفح الطيب : ٣ / ١٧ .

انفصاماً بين أقطار الإسلام في التكوين الثقافي ، وإنما تجد وحدة متناسقة متكاملة بين الأقطار ، ورجال هذه الحضارة هم رجالها في كل أقطارها يساهمون في بناء كيانها .

وابن عبد البر هو واحد من الذين صاغتهم هذه الحضارة وساهموا في بنائها الشامخ . ومع هذا لم ينس حقوق من كان لهم سهمٌ في بنائه الفكري خاصة ، وبناء الفكر الإسلامي بوجه عام من غير الأندلسيين .

إنّ أئمة المذاهب الكبرى المعروفة في العالم الإسلامي يُعتبرون هم البُناة لصَرح الفقه الإسلامي ، وواضعو أصوله وقواعده ، التي استقرءوها من المصادر الأساسية ، الكتاب والسنة والإجماع ، وكانوا هُم الهداة الذين صار على هديهم كل من أوغل في طريق إثراء هذا البناء الفقهي الأصيل ، فضلا عن أنهم المُتّبعون من قِبل عامة الأمة .

لذلك كان لابد لابن عبد البر وهو الفقيه المجتهد ـ كما وصفه ابن حزم الظاهري ـ أن لا ينسى فضل هؤلاء الأعلام ، وأن يُنشّيء طُلابه على الاعتراف بفضلهم وإسهامهم الثر في هذه الحضارة العظيمة . إضافة إلى أنه بذلك يعمل على محو التعصب الذي قد يتولّد من الإعجاب بأحدهم واتباعه فتضيع الحقيقة العلمية في تّيار هذه العاطفة المبالغ فيها ، من غير نظر أو تدبُّر .

فألف لذلك كتاب (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء : مالك والشافعي وأبي حنيفة) بسط فيه سِيَرهُم ، ومالهم وما عليهم ، وتعريف بكبار تلاميذهم وإيراد نماذج من اجتهاداتهم وفتاواهم ، فيُعطي للقاريء صورة متكاملة متجردة موضوعية .

ومن إسهاماته الأخرى في تراجم الفقهاء : الترجمة للإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام المذهب الذي تبنّاه ابن عبد البر ، وبقي يفتي بموجبه مع اجتهاده ، لأنه مذهب أهل زمانه الذي ساد الأندلس والمغرب ، ولا يزال إلى الآن هو مذهب المغرب الإسلامي وأفريقية .

فقد ترجم للإمام مالك ترجمة أفردها بمؤلَّف لم أستطع الحصول عليه ، وقد أفرد له ابن عبد البر ترجمة فى كتابه الانتقاء وترجَم له كذلك ترجمة واسعة فى مقدمة كتابه التمهيد .

كما أفرد ابن عبد البر رسالة صغيرة عن تلاميذ الإمام مالك وغيرهم من فقهاء المذهب ، الذين كان لبعضهم الدور الكبير فى نشره فى المغرب والأندلس . وهم الذين يَعتمِد المالكية آراءهم لقُربهم من الإمام مالك وأخذهم عنه ، وتَرجَم لعشرين منهم .

وسنُعَرّف بالكتب التى استطاع الباحث الحصول عليها وهى :

١ ــ الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء .

٢ ــ التعريف بجماعة من فقهاء المالكية .

١ ــ كتاب الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء :

عاش ابن عبد البر فى بيئة مالكية ترجع فى قضائها إلى مذهب إمام أهل المدينة مالك بن أنس وكان هو وأمثاله من العلماء المجتهدين الذين أحاطوا بأخبار علماء الأمصار وأقوالهم ــ حريا به أن يكتب معرِّفا بأئمة المذاهب الأخرى لتلامذته الذين سألوه أن يعرفهم بأخبار هؤلاء العلماء الأفذاذ : أبى حنيفة ومالك والشافعى . الذين ساهموا فى بناء صرح التشريع الإسلامى .

واقتصار ابن عبد البر على الأئمة الثلاثة لا يعنى أن الفقه محصور فيهم فقد كان لعلماء آخرين مذاهب امتدت حياتها حتى عاصرت ابن عبد البر . وإنما اقتصر على هؤلاء لكثرة أتباعهم ، وشيوع مناهجهم الفقهية ونيلها ثقة جمهور المسلمين باتباعهم .[1]

وعدم ذكر ابن عبد البر للإمام أحمد بن حنبل لايعنى عدم اعترافه بإمامته فى الفقه لأنه شَهِدَ له بذلك فى كتاب الانتقاء بقوله[2] : « وله اختيار فى الفقه على

---

(١) انظر الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث : د. عبد المجيد محمود : ١٢٨ .

(٢) الانتقاء : ١٠٧ .

مذهب أهل الحديث وهو إمامهم » .

ولعل ابن عبد البر قد تابع أبا داود السجستانى فى قوله الذى ترجم فيه على الأئمة الثلاثة اعترافا منه بإمامتهم فقال : « رحم الله مالكاً كان إماماً . رحم الله الشافعى كان إماماً ، رحم الله أبا حنيفة كان إماماً . » [١]

وهو بذلك ينبه المتعصبين والمُغالين من أتباع هؤلاء الأئمة الذين غالـوا فى تعصبهـم لاجتهادات أئمتهم ، مما أدى إلى الإفراط فى ذلك ، والتفريط فى حق غيرهم من الأئمة . [٢]

وأراد ابن عبد البر القرطبى بترجمته لهؤلاء الأئمة وذكر ما قيل فيهم ودفاعه عنهم ، وذكر فضائلهم أن يُثبت مبدأً مُهماً فى أدب الخلاف وهو :

« أنّ الخلاف الفقهى فى الفروع لايكون سبباً للتفرق فى الدين ولا يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ، ولكُل مُجتهدٍ أجرُهُ ولا مانعَ من التّحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظلّ الحُبّ فى الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجُرَّ ذلك إلى المراء المذموم والتّعصب . » [٣]

ترتيب الكتاب :

قسم ابن عبد البر كتاب الانتقاء إلى ثلاثة أجزاء . خصص كل جزء منها لإمام من الأئمة .

ثم قسم كل جزء إلى قسمين متميزين بمقدمة وخاتمة ، القسم الأول : يتضمن الأخبار المتعلقة بالإمام المترجم له . والقسم الثانى : يتضمن الأخبار المتعلقة بتلاميذ الإمام المختصين به وأشهر رجال مذهبه من بعده .

---

(١) الانتقاء : ٣٢ .

(٢) انظر الاتجاهات الفقهية . د. عبد المجيد محمود : ١٢٨ .

(٣) من وصايا الشيخ حسن عبد الرحمن الساعاتى انظر الوصايا الخالدة : لعبد البديع صقر : ٩٥ . وانظر شرح الأصول العشرين للشيخ عبد الله البنا : ١٧ وانظر جامع بيان العلم لابن عبد البر ٣٧١ ـــ ٣٨٣ . (باب إثبات المناظرة وإقامة الحجة) .

ثم قسم الجزء الخاص بالإمام إلى أبواب ، وفرع من هذه الأبواب فروعا تتضمن جزئيات الموضوع . بينما القسم الثانى الخاص بتلاميذ الإمام وأشهر رجال مذهبه ، كان يتضمن تراجم هؤلاء فقط وأخبار كل واحد منهم على وجه الإجمال .

ويبدو أنّ كتاب الانتقاء عبارة عن محاضرات ألقاها ابن عبد البر فى حلقات دروسه ، ثم دوّنها فى رسائل صغيرة ، ثم ضمَّها فى كتابٍ جامع سمّاه الانتقاء . والذى يشهد لذلك أنه قدّم مقدمة لكل قسم من هذه الأجزاء الثلاثة تتضمن فحوى القسم ، وختّمهُ بخاتمة مناسبة .

مادة الكتاب :

ونُبيّنُ هنا المادة العلميةِ التى كان يحتويها الكتاب بأجزائه الثلاثة :

الجزء الأول : أخبار مالك وأصحابه .

القسم الأول : أخبار الإمام مالك ويتضمن : عشرة أبواب :

باب ذكر مولد الإمام مالك ونسبه وحلفه مع قريش .

ـ باب الرواة عن مالك .

ـ باب كيف كان أخذ مالك للعلم وعمن أخذ .

ـ باب ذكر حفظ الإمام مالك .

ـ باب ذكر ثناء العلماء على الإمام مالك .

ـ باب قول الإمام مالك فى أهل الأهواء والبدع .

ـ باب جامع فضائل مالك .

ـ باب فى رئاسة مالك ووجاهته .

ـ باب ذكر محنة الإمام مالك مع السلطان .

ـ باب ذكر وفاة الإمام مالك وذكر مارُثىَ به .

القسم الثانى : أخبار أصحاب الإمام مالك .

وذكر فيه عشرين ترجمة لأشهر تلاميذه ورجال مذهبه (١)

الجزء الثانى : أخبار الإمام الشافعى وأصحابه

القسم الأول : أخبار الإمام الشافعى ويتضمن أحد عشر باباً :

- باب معرفة نسبه وبلده ومولده .
- باب فى طلبه للعلم .
- باب من فضائل الشافعى وثناء العلماء عليه .
- باب فى حثّه على حفظ السنن وكراهة مذاهب أهل الكلام والبدعة .
- باب جامع فضائل الشافعى وأخباره .
- باب أخبار الشافعى وحكايته .
- باب فى فصاحته واتساعه فى فنون العلم .
- باب ما امتحن به مع هارون الرشيد وهو شاب .
- باب من كلام الشافعى فيما يجرى مجرى الحكمة .
- باب تاريخ موت الشافعى ومدّة عُمره .
- باب ذكر المكتوب على البلاطة التى عند رأس الشافعى .

القسم الثانى : أخبار أصحاب الإمام الشافعى

وقسمهم بحسب البلدان التى رووا فيها عنه :

- من أخذ عنه بمكة وعدَّ منهم أربعة .
- من أخذ عنه ببغداد وعدّ منهم سبعة .
- من أخذ عنه بمصر وعدّ منهم ثمانية عشر .

ثم يذكر المراثى التى قيلت فيه (٢)

---

(١) وقد رتّب ابن عبد البر الأئمة بحسب أفضلية بقاعهم التى نشأت مذاهبهم فيها . فالإمام مالك فى المدينة المنورة وهى أفضل من مكة . والشافعى بمكة . وكلاهما أفضل من الكوفة منشأ مذهب الإمام أبى حنيفة
انظر : الانتقاء : الهامش : ٩ .

(٢) وكان الأولى أن يذكرها فى القسم الخاص بأخبار الشافعى ولعله نسى أن يدونها هناك فاستدركها هنا أو أن

الجزء الثالث : أخبار الإمام أبى حنيفة وأصحابه

القسم الأول : أخبار الإمام أبى حنيفة . ويتضمن سبعة أبواب :

- باب فى ذكر مولد أبى حنيفة ونسبه وسنه .
- باب ذكر ثناء العلماء على أبى حنيفة .
- باب جامع فى فضائل أبى حنيفة وأخباره .
- باب ذكر بعض ماذُمّ به أبو حنيفة .
- باب ذكر طرف من فطنته ونباهته ونُبذ من فقهه .
- باب مذهب أبى حنيفة فيما يعتقده أهل السنة والجماعة .
- باب فى زهده وورعه .

القسم الثانى : أخبار أصحاب الإمام أبى حنيفة وترجم لأشهر ثلاثة من تلامذته فقط :

- أبى يوسف يعقوب
- محمد بن الحسن الشيبانى .
- زفر بن الهذيل .

منهجه فى الكتاب :

لقد قام ابن عبد البر بعرض مادة كتابه بطريقة أهل الحديث ، أى يورد الأخبار بأسانيدها عن طريق شيوخه إلى راوى الخبر . فنجدهُ يستعمل (أخبرنا) (وحدثنا) هذا فى الرواية الشفهية .

أما فى نقله عن مصادر مكتوبه فكان ينقل عنها بسند روايته كأن يقول : حدثنا أحمد بن عبد الله عن أبيه عن عبد الله بن يونس عن بقى بن مخلد قال : قال لنا خليفة فى كتاب الطبقات .

فهذا سنده لرواية كتاب الطبقات لخليفة بن خياط [1] أو حدثنا أبو القاسم عبد

ذلك من تصرف النساخ .

(١) انظر : الانتقاء : ١١ ، ٤٥ .

الوارث بن سفيان قال حدثنا قاسم بن اصبغ قال : حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى ...

فهذا سنده لرواية (كتاب التاريخ) لأحمد بن زهير المعروف بتاريخ أبى بكر بن أبى خيثمة [١]

وعندما يستغنى عن ذكر السند يقول :
ذكر الدولابى فى كتاب فضائل مالك [٢] .

أو ذكر أبو العباس السراج محمد بن إسحاق السَّراج فى تاريخه [٣] — يحيل إلى كتبه الأخرى إذا اقتضى الأمر . وقد أحال إلى الاستيعاب [٤] .

— يورد الشعر بخاصة فى رثاء من يترجم له فى كتابه [٥] .
وأحياناً ما قاله بعض من ترجم له [٦] . أو قيل فيهم فى مدح أو غيره [٧] .

— الحيدة العلمية والتَّجرد ومع كون ابن عبد البر مالكى المذهب .
نجده لا يقبل تَعصُّب بعض المالكية . ولا يستسيغُ كلام العلماء بعضُهم فى بعض ويحاول توجيه المتناقض من الأخبار فى ذلك [٨] .

— يورد لنا أخباراً تاريخية من خلال الترجمة مثل : علاقة صاحب الترجمة بخليفة من الخلفاء ،وطبيعة هذه العلاقة ، كموقف الإمام مالك من بيعة أبى جعفر المنصور [٩] . ورفض أبى حنيفة تولى القضاء لأبى جعفر [١٠] ، ومحنة الشافعى مع

(١) انظر : نفس المصدر : ٤٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .
(٢) انظر : نفس المصدر : ١٨ .
(٣) انظر : نفس المصدر : ٥٠ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٧ .
(٤) انظر : نفس المصدر : ١٧٢ .
(٥) انظر الانتقاء : ٤٥ ، ١١٥ — ١١٩ ، ١٧٥ .
(٦) انظر نفس المصدر : ٨٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .
(٧) انظر نفس المصدر : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٥٢ .
(٨) انظر نفس المصدر : ١٥٠ .
(٩) انظر نفس المصدر : ٤٣ — ٤٤ .
(١٠)انظر نفس المصدر : ١٦٩ — ١٧١ .

هارون الرشيد[1]. وغير ذلك .

ثانيا : كتاب التعريف بجماعة من فقهاء المالكية :

وهو رسالة صغيرة ألّفها ابن عبد البر استجابة لطلب بعض طلابه ، يدل على ذلك سياق سند رواية هذه الرسالة حيث سُئل فأجاب بقوله : « وسألتم رحمكم الله عن التعريف بابن وهب وابن القاسم وأشهب ، فحد القول فيهم وفيمن حضرنى ذكره ونظرائهم من أهل الفقه من أصحاب مالك رضى الله عنهم أجمعين »[2]

ويبدو أنه ألقاها فى حلقة درس من دروسه وَدَوَّنها بعد ذلك ، فلذلك ذكر من تذكَّره من أصحاب مالك فجاءت أسماؤهم غير مرتبة بحسب طرق تأليف كتب التراجم المعهودة ، كالترتيب على الطبقات أو على حروف المعجم ، أو الوفيات أو غيرها . وكان الأولى أن يستدرك النقص عند تدوينها بإعادة ترتيبها واستيعاب تراجم تلاميذ الإمام مالك .

ولعل الذى دوّن الرّسالة ليس ابن عبد البر وإنما أحد تلاميذه ولم يعرضها على شيخه .

ـــ محتويات الكتاب :

ـــ ترجم فيه ابن عبد البر لعشرين فقيهاً من فقهاء المالكية من تلامذة الإمام مالك وغيرهم وهم :

١ ـــ عبد الله بن وهب (١٢٤ ـــ ١٩٧ هـ)[3]
٢ ـــ عبد الرحمن بن القاسم (١٢٨ ـــ ١٩١ هـ)[4]
٣ ـــ أشهب بن عبد العزيز (١٤٠ ـــ ٢٠٤ هـ)[5]

(١) انظر نفس المصدر : ٩٥ ـــ ٩٨ .
(٢) انظر الورقة ١ من المخطوط . التعريف بجماعة من فقهاء المالكية .
(٣) انظر : نفس المصدر : الورقة : ١أ ـــ ١ب .
(٤) نفس المصدر : ق : ١ ب ٢ أ .
(٥) نفس المصدر : ٢ أ ـــ ٢ ب .

٤ ــ عبد الله بن عبد الحكم (١٥٠ ــ ٢١٠ هـ)(١)

٥ ــ المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث (ت ١٨٦ هـ)(٢)

٦ ــ محمد بن إبراهيم بن دينار الجهنى (ت ١٨٢ هـ)

٧ ــ عبد العزيز بن أبى حازم (١٠٧ ــ ١٨٥ هـ)(٤)

٨ ــ عثمان بن عيسى بن كنانه (ت ١٨٥ هـ)(٥)

٩ ــ محمد بن مسلمة بن هشام المخزومى (ت ٢١٦ هـ)(٦)

١٠ ــ عبد الله بن نافع الصائغ (ت ٢٠٦ هـ)(٧)

١١ ــ عبد الله بن نافع الزبيرى (١٥٠ ــ ٢٢٠ هـ)(٨)

١٢ ــ عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون (ت ٢١٢ هـ)(٩)

١٣ ــ مطرف بن عبد الله بن مطرف (ت ٢٢٦ هـ)(١٠)

١٤ ــ يحيى بن يحيى بن كثير الأندلسى (ت ٢٣٣ هـ)(١١)

١٥ ــ على بن زياد التونسى (١٨٣ هـ)

١٦ ــ عبد الله بن غانم الأفريقى (١٢٨ هـ)(١٣)

١٧ ــ معن بن عيسى بن يحيى القزاز (ت ١٩٨ هـ)(١٤)

١٨ ــ عبد الله بن مسلمة بن قُعنب القُعنبى (ت ٢٢٠ هـ)(١٥)

١٩ ــ أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الحرث الزهرى (ت ٢٤١ هـ)(١٦)

٢٠ ــ يحيى بن يحيى بن بكير التميمى (ت ٢٣١ هـ)(١٧)

---

(١) نفس المصدر : ٢ ب ــ ٣ أ .

(٢) نفس المصدر : ٣ أ .

(٣) انظر : المصدر السابق : الورقة : ٣ أ ــ ٣ ب .

(٤،٥،٦،٧) نفس المصدر : ٣ ب .

(٨)(٩) نفس المصدر : ٤ أ .

(١٠) نفس المصدر : ٤ أ ــ ٤ ب .

(١١) نفس المصدر : ٤ ب ــ ٥ أ .

(١٢) (١٣)(١٤) نفس المصدر : ٥ أ .

(١٥) نفس المصدر : ٥ أ ــ ٥ ب .

(١٦) نفس المصدر : ٥ ب .

(١٧) نفس المصدر : ٥ ب ــ ٦ أ .

منهجه فى الكتاب :

ــ استعمل ابن عبد البر الإسناد فى إيراد الأخبار المتعلقة بالعَلَم الذى يُترجم له .

فكان يذكر السند مرة بالرواية عن شيوخه [(١)] وأحيانا يسند الخبر إلى قائله من غير أن يذكر الرواية وسنده إليها كأن يقول : قال ابن أبى حاتم [(٢)]، أو قال الإمام أحمد بن حنبل [(٣)]، أو قال الزُّبير بن بكَّار [(٤)] .

ــ عندما يُترجم للعَلَم يذكر نسبه كاملا وتاريخ ولادته . ومكانها وأحيانا لا يذكر تاريخ الولادة [(٥)]

ــ يذكر الشيوخ الذين روى عنهم المترجَم له [(٦)]

ــ يذكر التلاميذ الذين رووا عن العلم [(٧)] .

ــ يذكر أقوال علماء الجرح والتعديل فيه كقولهم ثقة أو صدوق إلى غير ذلك من الاصطلاحات [(٨)]

ــ يذكر ثناء العلماء عليه والصفات التى تميز بها [(٩)]

ــ يُفرد لنفسه رأيا بالمترجم له ويُصدر الكلام بقوله : قال أبو عمر [(١٠)].

ــ ثم ينهى الترجمة بذكر وفاة العلم ومكانها [(١١)] .

---

(١) انظر : المصدر السابق : ورقة : ١ أ ــ ١ ب ، ٢ ب ، ٣ ب ، ٤ أ .
(٢) نفس المصدر : ١ ب ، ٢ ب ، أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ أ ، ٥ ب ..
(٣) نفس المصدر : ١ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ ب .
(٤) نفس المصدر : ٤ أ ، ٥ ب .
(٥) نفس المصدر : ١ أ ، ١ ب ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٣ ب ...
(٦) نفس المصدر : ١ أ ، ٢ أ ، ٣ أ ، ٣ب ،٤ أ ، ٤ ب ...
(٧) نفس المصدر : ١ ب ، ٢ ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ أ ، ٥ ب .
(٨) نفس المصدر : ١ ب ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ ب .
(٩) انظر : المصدر السابق : ورقة ١ ب ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٤ ب ، ٥ أ ، ٥ ب ، ٦ أ ..
(١٠) نفس المصدر : ١ أ ، ٢ أ ، ٢ ب ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٥ ب .
(١١) نفس المصدر : ١ أ ، ٣ أ ، ٣ ب ، ٤ أ ، ٤ ب ، ٥ أ .

المبحث الثالث

الأنساب

مدخل لنشأة هذا اللون من التأليف وأهميته :

كانت القبيلة هي وحدة النظام الاجتماعي والسياسي عند العرب قبل الإسلام [1]. لذلك « كانت كل قبيلة تحفظ نسبها وتُحفّظه أبناءها لتَظل نقية بعيدة عن الشوائب ، ولتستطيع أن تفخر به على القبائل الأخرى » [2].

وكان نسّابو كلّ قبيلة وشعراؤها يصوغون مفاخر القبيلة ومآثرها قصصاً وأشعاراً تُروى ولا تخلوا من المبالغة . وهي بإطارها هذا نمطٌ من أنماط التعبير التاريخي .

وعندما جاء الإسلام « لم يمنع الاهتمام بالأنساب وإن كان قد قاوم العصبيّةَ القبلية وكل عصبية جاهلية ، ذلك لأن العصبية شيىء ومعرفة الأنساب شيىء آخر ، فقد حثّ القرآن الكريم النّاس على التعارف ، ولا يكون التعارف دون معرفة الأنساب [3] ، « وبذلك أتاح للأنساب أن تَنْشط إمكانياتها التاريخية [4] » في ظل المنهج الإسلامي .

«وقد ظهرت بواعث جديدة للاهتمام بمعرفة الأنساب ، وكانت هذه البواعث هي ضرورات دينية واجتماعية واقتصادية وعسكرية وإدارية في المجتمع الإسلامي منها : [5]

أن كثيرا من الأحكام الشرعية يتوقف تطبيقها على ثبوت نسب الفرد في المجتمع المسلم كأحكام الأسرة وما يتفرع منها ، وأحكام الميراث والوصايا ، والرضاع ، والدّيات وغيرها .

ومنها قضية العَطاء ـــ أي المرتبات وهي قضية مالية إدارية ـــ وضبط توزيعه وما يلحق به من غنائم وفيىء وخراج وخاصة في فترة الفتوحات التي اتسعت

(١) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي : د. أحمد شلبي : ١ / ٠٩١ ط ١٠

(٢) نشأة التدوين التاريخي : د. حسين نصار : ٧ وانظر مصادر التاريخ الاسلامي : د. سيدة كاشف : ١٢ .

(٣) مقدمة تاريخ خليفة بن خياط : د. أكرم العمرى ٣٣ م .

(٤) علم التاريخ عند المسلمين : روزنتال : ٣٤ .

(٥) موارد الخطيب البغدادي : د. أكرم العمرى : ٢٠٤ .

معها الرقعة الإسلامية فاحتيج إلى تنظيم هذه المسألة فوضعت الدواوين لتنظيمها فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . لذا « اعتمدت الدولة الإسلامية فى هيكلها فى القرن الأول الهجرى على أساس من التنظيمات القبلية » (١)، وراعى عمر رضى الله عنه فى هذا النظام « القرابة من النبى ﷺ فى تسلسل القبائل التى سجلها فقدم بنى هاشم على غيرهم من العشائر القُرشية وقدّم قُريشاً على غيرها من القبائل العربية . » (٢) وبعد القرابة من النبى راعى عمر فى الديوان أهل السابقة فى الإسلام من المهاجرين والأنصار وذراريهم .

ومنها القضية الإدارية التى جدت بدخول أمصار جديدة إلى الإسلام حيث تطلب الأمر تنظيم إقامة الجيش الإسلامى الفاتح وهو مجموعة من القبائل ، لذا قسمت الأمصار إلى أقسام إدارية بحسب القبائل ، « فالبصرة مثلا قُسمت إلى أخماس ، لكل قبيلة من القبائل النازلة فيها سكَنٌ خاصٌّ بها يُسمى (ربْع) ، كما قُسّمت الكوفة إلى أربعة أقسام حسب القبائل النازلة فيها أيضاً » (٣).

« اجتمعت العوامل السابقة فأشعلت الروح التاريخى فى المسلمين » (٤) فتدوين ديوان الجند أدى إلى بحث تاريخ الفتوح . وتنظيم العطاء بحسب القرابة من الرسول ﷺ ، أو السبق فى الإسلام أدى إلى الاهتمام فى البحث فى الأنساب وبالتالى ظهور كتب الطبقات . والفخر بأيام العرب وأنسابها انتقل إلى العناية بغزوات الرسول ودور القبيلة فى الغزوات وفى الفتوح من بعد (٥). كل ذلك جعل القرن الثانى الهجرى يشهدُ نشاطاً عند النّسابين والأخباريين واللُّغويين كلٌ فى حقله (٦) .

---

(١) بحث أصالة الفكر التاريخى عند العرب : د. بشار عواد : ٨٨٩ ــ ٨٩٠ لأن القبيلة كما ورد أنها كانت الوحدة السياسية قبل الإسلام وكانت تنظم قضاياها الاقتصادية بما يتلاءم وطبيعة ارتباطها القبلى . وقد أقرّ هذا التنظيم فى عهد الرسول وكان لكل قبيلة عرفاؤها الذين يرفعون طلبات باقى أفراد القبيلة إلى رسول الله ﷺ ولكن عندما كثُر العدد وجاءت الفتوحات تطلّب ذلك التدوين .

(٢) مقدمة طبقات خليفة بن خياط : د. أكرم العمرى : ٣٤ م ــ ٣٥ م .

(٣) بحث أصالة الفكر التاريخى عند العرب : ٨٩٠ وانظر : بن عبد الحكم : ١١٥

(٤) نشأة التدوين التاريخى : ١٢ .

(٥) انظر نفس المصدر : ١٠ ، ١١ .

(٦) انظر علم التاريخ عند العرب : ٣٣ .

ثم أخذ الاهتمام بالأنساب فى القرون التى تلت منحى جديداً ، وخاصة عند المحّدثين لأهمية الأنساب فى معرفة رواة الحديث وبالتالى :

« فمادة الأنساب ليست دخيلة على علم الرجال فالأصل فى كتب الرجال التعريف بالرواة بذكر أنسابهم وأمهاتهم »[1].

لذلك فقد أخذ بعض المُصنّفين فى علم الرجال يُرتبون مادّتهم على النسب . فكان المصنّف فى هذا الفن يجمع الرواة الذين هم من عشيرة أو قبيلة واحدة فى موضع ، كأن يجمع الرواة من قريش وبطونها فى مكان واحد . ثم يُنسّق ترتيب القبائل بحسب قرابتها من النبى ﷺ فيذكر الأصل الذى تفرعت عنه القبيلة فمثلا · يبدأ بمُضَر ثم يبدأ من مضر بقُريش ثم من قريش بنى هاشم ، ثم يورد أسماء القبائل الأخرى المتفرعة من مُضر . ومن ثَمَّ يذكر قحطان وما تفرَّع عنه من قبائل وبطون .[2]

وأقدم من رتبوا مصنفاتهم على هذا النَّسق محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) فى كتابه الطبقات الكبرى ، وخليفة بن خياط (٢٤٠ هـ) فى كتابه الطّبقات ويمتاز ابن سعد عن خليفة أنه مزج فى ترتيبه على النسب السّابقةَ فى الإسلام وطبقة الصحابى فيها .[3]

ولم يستمر المصنفون فى علم الرجال فى ترتيب مؤلفاتهم على الأنساب لصعوبة الوصول إلى المعلومة الحديثية أو التارخية ، لاسيما وأنهم لم يستعملوا نظام الفهارس المفصلة التى تُسَهل لنا فى هذا العصر استعمال كثير من المؤلفات . لذا غير العلماءطرائق تأليفهم ونظّموها بأساليب تيسر على الباحثين استعمالها فكان الترتيب على حروف المعجم هو أيسر هذه الطرق فعمَّ استعماله[4].

---

(١) مقدمة طبقات خليفة : د. أكرم العمرى . ٣٧ م .

(٢)(٣) مقدمة طبقات خليفة : د. أكرم العمرى : ٣٧ م ، ٣٨ م ، ٣٩ م وكذلك مصعب بن عبد الله الزبيرى (١٥٦ — ٢٣٦ هـ) فى كتابه نسب قريش . والزبير بن بكار (١٧٢ — ٢٥٦ هـ) فى كتابه جمهرة نسب قُرَيْش وأخبارها .

(٤) انظر مقدمة طبقات خليفة بن خياط : ٤١ م .

وقد ظهرت أنماط جديدة لترتيب المادة العلمية لكتب الرجال كما أسلفنا فى أول هذا الباب اقتضاها اتساع الرقعة الإسلامية ودخول أجناس جديدة إلى حظيرة الإسلام إضافة إلى النمو الحضارى العام . فنُظِّمت كتب الرجال تنظيماً جديداً ، وذلك على حسب البلدان والصنائع والمهن أو على تاريخ الوفيات .

وقيمة كتب الأنساب التاريخية أنها تُقدّم لنا مادةً تاريخية مهمةً من خلال أخبار القبائل التى تُسجل فيها مفاخرها ومواقفها فى الجاهلية والإسلام . ودور هذه القبائل فى الفتوح وطبيعة مسار هذه الفتوح وترصد لنا التوزيع الجغرافى لهذه القبائل وأثره فى نشوء المدن الجديدة . ومعرفة التحولات المختلفة من خلال اختلاط هذه القبائل بشعوب البلاد المفتوحة ، وأثر ذلك كله على أوضاع العالم الإسلامى السياسية .

وهناك نوع آخر من مؤلفات الأنساب يؤرخ لأنساب البشر بعمومهم وتوزعهم فى العالم من لدن سيدنا آدم إلى عصر المؤلف . ويعرض فيها أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وماهى إسهاماتهم فى الحضارة الإنسانية [1] ، ومشاهير رجالها . ومن ذلك كتاب أخبار الزمان للمسعودى . وطبقات الأمم لصاعد الطُّلَيطلى .

مشاركة ابن عبد البر فى هذا المضمار :

ولقد أسهم ابن عبد البر فى التأليف فى هذه الأنواع ولم يكن مُتطفّلاً ، وإنّما كان بارعاً فارس ميدان فى هذا الجانب من التأليف ، لثقافته الواسعة والمتنوعة فى العلوم المختلفة ، ومنها الأنساب .

وقد وصفه كثيرٌ ممن ترجم له بأنّه كانت « له بَسطة كبيرة فى علم النسب والخبر » [2] ، ووصف بأنّه من المُتبجرين « فى الفقه والعربية والأخبار » [3].

---

(١) انظر التاريخ العربى ومصادره : أمين مدنى : ٢٩٥ .

(٢) الصلة ٦٦٨ وفيات الأعيان : ٦ / ٦٥ وشذرات الذهب : ٣ / ٣١٥ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ج ١١ قسم ٢ ورقة ١٨٣ .

وكانت من مؤلفاته التى « طارت فى الآفاق »[1] والتى تدل على أنه « كان موفقا فى التأليف معانا عليه »[2].

كتاب : الإنباه على قبائل الرواه .

وكتاب : القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم .

وسنعرضها فى الصفحات الآتية لبيان باعه فى هذا الجانب .

أولا : كتاب الإنباه على قبائل الرواه :[3]

الكتاب فى الأصل مدخل لكتاب الاستيعاب لابن عبد البر ، وقد أشار إلى ذلك فى مقدمة الإنباه بقوله : « وجعلته دليلا على أصول الأنساب ومدخلا إلى كتابى فى الصحابة ليكون عونا للناظرين فيه ومُنبها على ما يحتاج إليه من معرفة الأنساب »[4].

وقد قصد ابن عبد البر بإفراده عن الاستيعاب بالتأليف أمرين :

الأول : تيسير تتبع الأنساب وتفريعاتها فى الكتاب فقدمها للقارىء مرة واحدة بكل حلقاتها .

الثانى : هو الاختصار الذى ألزم نفسه به فى كتاب الاستيعاب ، وعدم الاستطراد فى جوانب تكميلية لكتاب الاستيعاب ، مما قد يقطع النَّسق الذى سار عليه فى تقديم ترجمة الصحابى . وإن كان ابن عبد البر قد خالف ماالتزم به أحيانا وتكلم فى

(١) ترتيب المدارك : ٣ / ٨٠٩ . والديباج المذهب : ٢ / ٣٥٨ .

(٢) الصلة : ٦٦٨ .

(٣) هناك نسخة مخطوطة من الكتاب تحتوى على زيادة فى العنوان : وهى : كتاب الإنباه فى ذكر أصول القبائل والرواة : وهى من مصورات المغرب وعندى صورة عنها .

وقد ألحقه القدسى بكتاب القصد والأمم وجعلها فى كتاب واحد لتقارب موضوعيهما وأعطاهما تسلسلا واحدا . وقد قدم (القصد) لكونه أعم فى الأنسب من (الإنباه) مع العلم أنه متأخر فى التأليف عن (الإنباه) : انظر ٢١ .

(٤) القصد والأمم : ٣٤ .

نسب الراوى وقبيلته .

منهجه :

وقد قدم ابن عبد البر لكتابه مقدمة ذكر فيها أهمية علم الأنساب وقال : « فلو كان لا منفعة له لما اشتغل العلماء به . لأن معرفة الأنساب علم لا يليق جهله بذوى الهمم والآداب »[1].

ثم أورد جملة من النصوص يستدل بها على ندب النبى ﷺ إلى تعَلُّم هذ العلم بقوله : « تعلَّموا من أسابكُم ما تصلُون به أرحامكُم »[2] .

ويستشهد بقول عمر بن الخطاب : « تعلّموا أنسابكُم تَصِلوا أرحامكم ولا تكونوا كنبط السّواد ــ قبائل تسكُن العراق ــ إذا سُئل أحدهم ممن أنت قال : من قرية كذا فوالله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيىء لو يعلم الذى بينه وبينه من دَخلة الرّحم لرَدَعهُ ذلك عن انتهاكِهِ »[3] .

ثم يقول : « وهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه كان أعلم الناس بالنسب نسب قريش وسائر العرب »[4] ويذكر غيرهم ممن عُرف بعلمه بالنسب .

وعلى هذا فيقول : ما أنصف القائل أنّ علم النسب علم لاينفع وجهالة لا تضر »[5] .

ثم يذكر بعد ذلك مصادره التى استقى منها مادة كتابه فيقول : « هذا كتاب أخذته من أمهات كتب العِلِم بالنسب وأيام العرب بعد مطالعتى لها ووقوفى على أغراضها »[6]

ومن أهم هذه المصادر[7] :

ـ كتاب أبى بكر محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)

(١،٢) الإنباه : ٤٢ ــ ٤٣ .

(٤،٣) الإنباه : ٤٢ ــ ٤٣ .

(٥) نفس المرجع والصفحات .

(٦) نفس المرجع : ٤٥ ــ ٤٦ .

(٧) نفس المرجع والصفحات .

ــ كتاب أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت ٢٠٤ هـ)أو (٢٠٦هـ) [(١)]

ــ كتاب أبى عبيدة معمر بن المثنى (١١٤ ــ ٢١٠ هـ = ٧٣٢ ــ ٨٢٨ م) . [(٢)]

ــ كتاب محمد بن عبدة بن سليمان فى النسب [(٣)] .

ــ كتاب محمد بن حبيب مختلف القبائل ومؤتلفها . [(٤)]

ــ كتاب أبى عبد الله أحمد بن محمد بن عبيد العدوى فى نسب قريش [(٥)] .

ــ كتاب الزبير بن بكار فى نسب قريش (١٧٢ ــ ٢٥٦ هـ) . [(٦)]

ــ كتاب مصعب بن عبد الله الزبيرى فى نسب قريش (١٣٧ ــ ٢٣٣ هـ) [(٧)]

ــ كتاب على بن كيسان الكوفى فى أنساب العرب .

ــ كتاب على بن عبد العزيز الجرجانى .

ــ كتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسى (ت ٢٣٩ هـ) [(٨)] .

ثم هناك بعض المصادر لم يوردها ابن عبد البر فى المقدمة وإنّما أوردها خلال النص ولم يكتف بكتب الأخبار والأنساب . وقد نبه إلى ذلك فى مقدمته بقوله : « إلى فِقَر قَيدتُها من الحديث والآثار ونوادر اقتطفتها من كتب أهل الأخبار » [(٩)].

ــ سيرة بن هشام [(١٠)].

---

(١) انظر ترجمته فى الفهرست لابن النديم ١٤٠ ــ ١٤٣ وانظر تاريخ التراث : ١ / ٤٣٢ ــ ٤٣٧ .

(٢) انظر ترجمته فى الفهرست لابن النديم : ٧٩ ــ ٨٠ وتاريخ التراث : ١ / ٤٣٢

(٣) انظر الفهرست : ١٥٣ .

(٤) انظر نفس المصدر : ١٥٥ ــ ١٥٦ .

(٥) انظر نفس المصدر : ١٦٠ ــ ١٦٢ .

(٦) انظر نفس المصدر : ١٦٠ .

(٧) نفس المصدر : ١٦٠ .

(٨) تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٣٧ ــ ٥٣٨ وتاريخ التراث : ١ / ٥٨٥ .

(٩) الإنباه : ٤٦ .

(١٠)الإنباه : ٥ / ٥٩ / ١١٤ .

ــ طبقات خليفة بن خياط .[1]

ــ كتاب العقيلى .[2]

ــ كتاب محمد بن عمر الواقدى .[3]

ــ كتاب ابن سنجر فى الحديث .[4]

ــ كتاب أحمد بن زهير بن أبى خيثمة .[5]

ــ كتاب الشرق القطامى .[6]

ــ كتاب نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى .[7]

يضاف إلى ذلك روايته الشفهية عن شيوخه .[8]

ومن مصادره المهمة : الشعر الذى كان يستشهد به إثباتا لآرائه أو استئناسا به فى توكيد خبر يَمسُّ قبيلة من قبائل الرواة . ومن هؤلاء الشعراء الذين استشهد بأشعارهم :

لبيد بن ربيعة ، وحسان بن ثابت ، وعباس بن مرداس ، وقيس بن الخطيم ، وزهير بن أبى سلمى ، والأفلح بن يعقوب الأعشى التغلبى ، وكُثير عَزَّة ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وعدى بن الرقاع ، وامرؤ القيس ، وكعب بن مالك ، والكميت أبو العباس عبد الله بن الناشىء .[9]

وهناك أشعار كثيرة لم تنسب لقائليها .[10]

---

(١) نفس المصدر : ٥٠ .

(٢) نفس المصدر : ٥٨ .

(٣) نفس المصدر : ٦٨ .

(٤) نفس المصدر : ٦٤ .

(٥) نفس المصدر : ١١٥ .

(٦) نفس المصدر : ٦٠ .

(٧) نفس المصدر : ٤٦ ، ٥٩ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ .

(٨) نفس المصدر : ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٨ .

(٩) انظر الإنباه : ٦ وما بعدها .

(١٠) نفس المصدر : ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠٨ .

ومن خلال استقراء أسماء القبائل نراها تنضوى تحت ثلاثة أقسام [1]

١ ــ أنساب القبائل التى روت عن رسول الله عليه السلام من قريش .

٢ ــ أنساب القبائل التى روت عن رسول الله عليه السلام من الأنصار .

٣ ــ ذكر أنساب من روى عن الرسول ﷺ من غير قريش والأنصار .

ومن منهج ابن عبد البر عند كلامه عن كل قبيلة من القبائل :ــ

ــ يذكر الأحاديث التى يرد فيها ذكر القبيلة [2] .

ــ يذكر الأخبار التاريخية المتعلقة بالقبيلة [3] .

ــ يذكر الصفات والألقاب التى تطلق على القبيلة والسبب فى ذلك [4] .

ــ ثم يختم حديثه عن القبيلة بإيراد أسماء الذين ينتسبون إلى هذه القبيلة ممن روى حديث النبى [5]

ومن منهجه أن :

ــ يذكر آراءه مُصدّرا لها بعبارات : (قال أبو عمر) [6] .

ــ ويحيل إلى مؤلفاته [7] .

ــ يذكر درجة الحديث من الصحة والضعف [8] .

ــ يستعمل اصطلاحات الترجيح بين الأقوال ويختار ما يوافقه . ومن هذه المصطلحات : (وهذا أصح الأقوال)[9]، (وهذا المعوّل عليه) [10] ، (ويشهد

---

(١) انظر : الاستيعاب : ١ / ٢٤ ــ٢٥ . وانظر ابن عبد البر محدثا : رسالة ماجستير . مكتوبة على الآلة الكاتبة : ١٤٥

(٢) انظر الإنباه : ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٦ .

(٣) نفس المصدر : ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ .

(٤) نفس المصدر : ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١٧ .

(٥) نفس المصدر : ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢١ .

(٦) انظر الإنباه : ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٤

(٧) انظر الإنباه : ٩٧ ، ١٠٢ .

(٨) نفس المصدر : ٩٢ ، ١٠٥ .

(٩) نفس المصدر : ٦٧ .

(١٠) نفس المصدر : ٦٩ .

لذلك قول فلان) [1] (لا أعلم خلافا)[2]، (وقد أنكره أكثر أهل العلم بالنسب)[3]، (وهذا لايصح) ، (أصح شيىء)[5]، (هذا القول غير صحيح)[6].

ثانيا : القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم :

هذا المؤلف عبارة عن رسالة صغيرة مختصرة كما أراد لها ابن عبد البر ذلك ، واختار لها عنواناً يدلُّ على مقصده .

وكان هدفه من تأليفها إعطاء فكرة عامة عن الأجناس البشرية وأصولها . وكيف تفرّعت عنها الشعوب المختلفة وتوزَّعت فى بقاع العالم « وما تداخل من بعضهم فى بعض على تباعد البلدان ومرّ الدُّهور والأزمان إذ لايُحصى فروعهم وجماعتهم إلا الله خالقهم »[7].

وقد تكلم ابن عبد البر عن تاريخ الجنس البشرى من لدن سيدنا آدم ونوح عليهما السلام ومن ثم أولاد نوح الذين تفرعت عنهم سائر الأمم .

ومع ذلك فإن ابن عبد البر كان يتوقف عن أخذ بعض الأخبار بغير تمحيص ويعقب عليها بقوله : « وليس هذا العلم الذى يقطع عليه . ولا يحتاج فى الشريعة إليه . وحسب العالم أن يعلم ما قيل فى ذلك ويقف عليه . »[8]

وأسهم ابن عبد البر فى الكتابة فى هذا الفن جَرياً على عادة علماء ذلك الزمان

---

(١) نفس المصدر : ٨٢ .
(٢) نفس المصدر : ٨٣ .
(٣) نفس المصدر : ٨٣ .
(٤) نفس المصدر : ٨٤ .
(٥) نفس المصدر : ٩٠ .
(٦) نفس المصدر : ١٠٠ .
(٧) القصد والأمم : ٨ .
(٨) نفس المصدر : ١٩ .

إذ كان التأليف فيه دليلا على اكتمال العالم ، وسعة اطّلاعه [١]. أو لعله وجد من الموضوعية في التأليف أن يكتُب فى أنساب البشر ، ورد الأقوام الذين كانوا فى عصره إلى أصولهم ، والبقاع التى سكنوها والتى يسكنوها فى حال معاصرته لهم ، مع نبذة عن أحوالهم الحضارية بصورة عامة وطبيعة هذه الحضارة . لاسيما وأنه كتب عن قبائل العرب وأنسابهم فى الإنباه وغيره .

ترتيب محتويات الكتاب :

وقد رتب ابن عبد البر كتابه كالآتى :

ــ قدّم مقدمة لخّص فيها الهدف من تأليف الكتاب ونبذة مختصرة فى أصول الأمم « وما أجمع عليه أهل العلم بالأنساب والسير والأخبار من أهل الإسلام ، وما وصل إلينا عن غيرهم ممن ينسب أيضا إلى المعرفة بتداول الأيام وانتقالها عاما بعد عام » [٢]، وأردفها بقوله : « وهذه آثار مجملة مفتقرة إلى التفسير والتلخيص وسيأتى ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب . » [٣]

ــ ثم أعقب المقدمة بباب عن أول من تكلم بالعربية .

فذكر فى هذا الباب الروايات المختلفة التى أوردتها المصادر عن أول من تكلم باللسان العربى ، وعن أول من كتب بالعربية ، ويرجح بعض الروايات على بعضها بقوله [٤]. « وأولى ماقيل بالصّواب فى ذلك والله أعلم قول من قال إن آدم عليه السلام أول من تكلم بالعربية وبالسريانية وغيرهما . وأول من وضع الكتاب بذلك لأنه علم اللغات وعلم الأسماء كلها ، وعلم حساب الأزمنة ، والأيام والشهور وقد جاءت الآثار بذلك » ولقوله تعالى : « وعلّم آدم الأسماء كُلَّها » . [٥]

---

(١) نفس المصدر : (الإنباه) : ٤٢ .

(٢) القصد والأمم : (الإنباه) : ٨ .

(٣) نفس المصدر : ١١ .

(٤) نفس المصدر : ١٨ ــ ١٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ٣١ .

ـــ ثم تكلم عن سام بن نوح وأولاده ، وما تفرع عنه من أجناس توزّعوا فى البسيطة .

ـــ ثم الابن الثانى لنوح حام وأولاده وما تفرع عنهم من أجناس .

ـــ والثالث يافث بن نوح وولده وما تفرع عنهم .

ثم يبدأ بعد ذلك بذكر الأقوام وإلام ينتسبون ويذكر الاختلافات التى وردت ومع ذلك فهو يحاول التوفيق والترجيح بين الروايات .

ومن الأقوام الذين ذكرهم :

ـــ اليونانيون وهم الروم الأول .

ـــ الروم الثانية .

ـــ الفرس .

ـــ الأكراد .

ـــ البرجان .

ـــ الديلم .

ـــ الترك .

ـــ الأندلس .

ـــ الصقالبة .

ـــ ملوك خراسان .

ـــ ملوك الصين .

ـــ يأجوج ومأجوج .

وينتهى الكتاب بذلك .

منهج ابن عبد البر فى القصد والأمم :

ـــ بين لنا ابن عبد البر أن الهدف من تأليف هذه الرسالة أن يقف طالب العلم على أصول العرب والعجم وتاريخ ملخص عن الأمم السابقة لأن ذلك « علم لايليق جهله بذوى الهمم والآداب »[1]

ـــ وفى هذه الرسالة لم يقدم قائمة بمصادره ، فلعلّه اكتفى بما قدمه فى كتاب الإنباه لأنه مُتقدم فى التأليف عن القصد ، ولكنه مع ذلك يُطعِّم صفحات القصد بذكر مصادره ومنها مالم يذكره فى الإنباه .

ومن خلال كتابه نلحظ أن طريقته فى الإحالة للمصادر كانت كالآتى :

ـــ روايته بالسند عن طريق شيوخه إلى ناقل الخبر[2] .

ـــ يصرح بالنقل عن بعض المصادر بذكر اسم المؤلف من غير ذكر للكتاب كأن يقول : (قال ابن الكلبى)[3] ، (قال ابن أبى سعد الوراق)[4] ، أو (ذكر البخارى)[5] ، (قال على بن كيسان النسابة)[6] ، (قال على بن عبد العزيز الجرجانى النسابة)[7] (ذكر الشَّرقى بن القطامى)[8] وأحيانا يذكر المؤلف والكتاب . كأن يقول[9]. (قال يحيى بن إبراهيم فى تاريخه) .

ـــ وبعض المصادر كان لايذكرها إيثاراً للاختصار كأن يقول : (زعم بعض من ألَّف فى أخبار بغداد)[10] ، أو (وأخبارهم وأخبار مصر وعجائبها يطول

---

(١) القصد والأمم : ١١ .
(٢) انظر القصد : ١٤ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ .
(٣) نفس المصدر : ١٢ ـــ ٢٩ .
(٤) نفس المصدر : ١٥ .
(٥) نفس المصدر : ١٨ .
(٦) نفس المصدر : ٢٣ ، ٣٠ .
(٧) نفس المصدر : ٢٦ .
(٨) نفس المصدر : ٣٢ .
(٩) القصد والأمم : ٢٩ .
(١٠) انظر القصد : ٢٧ .

الكتاب بذكرها ›[1].

ـ ويحيل إلى بعض مؤلفاته كالإنباه [2].

ـ كانت ثقافته الشرعية تجعله يُحاول دائما تأصيل مادته العلمية وتوثيقها بذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار المروية عن الصحابة [3].

ـ استشهاده بالشعر فى بعض المواضع التى ورد الشعر فيها شاهداً تستدِل به أمة ما لنسبها [4].

ـ كان يشرح معانى بعض الأعلام وسبب تسميتها بما سميت به مثل : يثرب والجحفة والصين وغيرها [5].

ـ يذكر بعض الأخبار التاريخية القديمة والمعاصرة المتعلقة بأمة من الأمم التى يذكرها أو بلد من البلدان [6].

ـ وكان عند كلامه عن أصل الأمة يذكر من ادعت كون أصولها عربية : كالحبشة وبعض الروم وغيرهم [7].

ـ كان ابن عبد البر يطرح آراءه في ثنيات الكتاب فيرجح مرة ويرفض أخرى ويسكت ثالثة . فيقول مثلا [8] (قال أبو عمر) ، (من أحسن ماقيل ..) ، (لاخلاف علمته) ، (وأظن) ، (الاختلاف كثير والله أعلم بالصواب) ، (وأجمعوا ..)

ـ والمهم فى منهج الكتاب كذلك أنه كان عند انتهائه من الكلام عن أصول

---

(١) نفس المصدر : ٢٨ .
(٢) نفس المصدر : ٢١ .
(٣) نفس المصدر : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٣٩ .
(٤) نفس المصدر : ١٥ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٣ .
(٥) نفس المصدر : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣٦ .
(٦) نفس المصدر : ٢١ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٧) نفس المصدر : ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ .
(٨) انظر القصد والأمم : ٩ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٣ .

الأمة ، يذكر عاداتها الاجتماعية والجوانب التى بَرعَت بها تلك الأمة من صناعة او زراعة أو غيرها . (1)

عناية المستشرقين بالقصد والأمم :

وقد وصف المستشرق الروسى كراتشكوفسكى (2) كتاب القصد والأمم بأنَّه مُتمم للمحاولات الأولى لتفسير الحديث النبوى تفسيراً جغرافياً . وهى محاولات ترجع إلى عهد ابن عباس . وبداية اهتمام الأندلسيين بكتب الجغرافيا (3) ثم يقول : «(4) ومن الملاحظ أن تطور العلوم الجغرافية فى الأندلس كان أبطأ مما فى المشرق ، فمنذ القرن الحادى عشر ــ يقصد الميلادى ــ نلاحظ الاهتمام بأنماط كانت قد بدأت تتقهقر فى المشرق إلى الصف الثانى هذا إن لم تكن قد اختفت تماما ، ويقدم لنا مثالاً طريفاً المحدث الأندلسى المشهور ابن عبد البر النّمرى القرطبى »

ثم يصف الكتاب بقوله (5) : « ويحمل الكتاب عنوانا طنّاناً قد يختلف من مصدر لآخر.. ويعالج مسألة ظهور الشعوب الغربية التى ورد ذكرها فى الحديث ، وبعض مادته مأخوذة من العهد القديم . بل ومن أسطورة الإسكندر ذى القرنين كذلك . وهو فى هذا يتفق بعض الشىء مع روايات المسعودى » (6) .

---

(1) نفس المصدر : ٣٦ ، ٣٧ .

(2) وهو اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكى عضو أكاديمية العلوم الروسية ولد سنة (١٨٨٣ م) وتوفى سنة (١٩٥١ م) وله أربعمائة وثمانية وخمسون بحثا مطبوعا فى جوانب الحضارة .

انظر : تفصيل ذلك فى مقدمة كتاب تاريخ الأدب الجغرافى : ١ / ١ ــ ٧

(3) انظر تاريخ الأدب الجغرافى : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(4) نفس المصدر : ٢٧٢ .

(5) انظر تاريخ الأدب الجغرافى : ٢٧٣ .

(6) وكتاب المسعودى الذى تقترب مادة كتاب القصد منه هو كتاب (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران (نشر بعناية عبد الله الصناوى وطبعت طبعته الأولى بمطبعة عبد الحميد أحمد حنفى سنة (١٣٥٧ هـ ــ ١٩٣٧ م) بالقاهرة .

والمسعودى هو أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م) صاحب الكتب المشهورة فى التاريخ والجغرافية ومن أهمها : (التنبيه والإشراف) (ومروج الذهب ومعادن الجوهر) وغيرهما .

انظر ترجمته .

وبالمقارنة بين كتاب القصد والأمم لابن عبد البر، وكتاب أخبار الزمان للمسعودى تبين أنّ هناك توافقا فى العبارة فى كثير من المواضع .(1)

ومع وجود هذا التوافق فليس لدينا ما يشير إلى أن ابن عبد البر قد اعتمد على كتب المسعودى عامة، وأخبار الزمان خاصة . فبمراجعة الموجود من فهارس(2) الكتب الأندلسية والمغربية المشهورة لم نجد أحدا روى كتب المسعودى .

ولكن هناك خبراً (3) ينقله ابن عبد البر عن تاريخ يحيى بن إبراهيم المعروف بابن

---

(1) قارن على سبيل المثال :

القصد	أخبار الزمان
ذكر سام بن نوح : ١٩	٧٩
إبراهيم : ٢١	٧٩ ، ٨٠
إسماعيل بن إبراهيم : ٢١	٨٠
حام بن نوح : ٢٣ ، ٢٤	٦٣
يافث بن نوح : ٢٨ ، ٣٨	٦٨
ذكر اليونانيين : ٢٩	٧٠ ـــ ٧١
الروم : ٣٠	٧٦ ـــ ٧٧
الفرس : ٣٠ ـــ ٣١	٧٧
البرجان : ٣٢	٧٤
الترك : ٣٣	٧٥
الأندلس : ٣٣ ـــ ٣٤	٧٣ ـــ ٧٤
الصقالبة : ٣٥	٦٩ ـــ ٧٠
ملوك خراسان : ٣٥ ـــ ٣٦	٧٨
ذكر ملوك الصين : ٣٦ ـــ ٣٧	٧١ ـــ ٧٢ ، ٧٨
يأجوج ومأجوج : ٣٨ ـــ ٣٩	٦٨ ـــ ٦٩

(2) أهمها فهرسة ابن خير الإشبيلى والوادياشى والرصاع والتجيبى والغنية للقاضى عياض وكذلك : فهارس الشيوخ والعلماء فى الأندلس والمغرب : رسالة دكتوراه : ناطق المطلوب حيث أحصى كل المؤلفات التى وردت فى الفهارس المطبوعة والمخطوطة . وجعل لها ملحقا خاصا بها .

(3) انظر القصد والأمم : ٢٩ .

مزين[١] . وهذا الخبر موجود عند المسعودى ولكن مع الأسف لم نجد أحدا أشار إلى هذا الكتاب مع أن ابن خير[٢] قد روى أغلب كتب ابن مُزين .

ثم إنّ كراتشكوفسكى قد اتفق مع المستشرق الألمانى نُولدكه[٣] (NOLDEKE) بأنّ كتاب القصد والأمم ليس بذى قيمة علمية ولعله يمثل ذيلا لكتاب كبير فى الأنساب لابن عبد البر[٤] .

ومع هذا فإن كراتشكوفسكى من جانب آخر يؤيد المستشرق الفرنسى شيفير[٥] (SCHEFER) فى نشرة لقطعة من القصد والأمم مصحوبة بترجمة فرنسية وهى القطعة الخاصة بأهل الصين . ووجه الأهمية فى ذلك أنها أشارت إشارة دقيقة إلى عبادة الأسلاف كما توجد بها فكرة عن وجود قبائل الأينو (AINO) فى شمال الصين[٦] .

ثم يقول كراتشكوفسكى : « وفيران[٧] (FERRAND) رغم تشككه بصدد هذه النقطة الأخيرة ــ التى ذكرها شيفير ــ إلّا أنّ ذلك لم يمنعه من الاستشهاد بمتن ابن عبد البر حول مسألة علاقة الصين بسكان الملايو . »[٨]

---

(١) وهو أحد فقهاء قرطبة المشهورين وله عدة مؤلفات منها تفسير الموطأ ورجاله وفضائل القرآن وغيرها توفى سنة ٢٥٩ ، أو ٢٦٠ هـ . انظر تاريخ بن الفرضى : ٢ / ١٨١ ، والديباج ٢ / ٣٦١ .

(٢) انظر فهرس ابن خير : ٧٠ ، ٨٦ ، ٩٢ ، ٣٠٣ .

(٣) تيودورنولدكه (TH. NOLDEKE) مستشرق ألمانى (١٨٣٦ ــ ١٩٣٠ م)

(٤) تاريخ الأدب الجغرافى : ٢٧٣ .

(٥) شيفير (CH. SCHEFER) (١٨٢٠ ــ ١٨٩٨ م)

(٦) نفس المصدر . وانظر القصد والأمم : ٣٦ ــ ٣٧ .

(٧) جبريل فيران (G. FERRAND) مستشرق فرنسى خبير بالجغرافية العربية (١٨٦٤ ــ ١٩٣٥ م)

(٨) نفس المصدر أعلاه وانظر القصد والأمم : ٣٧ .

الباب الرابع

ابن عبد البر فى الميزان

الفصل الأول

روافد ثقافة ابن عبد البر التاريخية

ظهر مما سبق أن ابن عبد البر ذو ثقافة موسوعية تتميَّز بالتنوع والعمق وسعة الاطلاع والتمكُّن . وقد وضح ذلك جلياً من خلال التعريف بثقافته ، ومؤلفاته فى العلوم الإسلامية عامة مثل : علم القراءات ، والحديث ، والفقه ،والأدب ، والثقافة العامة . ومؤلفاته فى علم التاريخ وما تعلق به على وجه الخصوص مثل : مؤلفاته فى السيرة النبوية ، والتراجم وعلم الرجال ، والأنساب .

وبالتالى فمن خلال الاستعراض لمؤلفاته المختلفة ، وبيان منهجه فى بعضها ، تبين أنه يمكن حصر الروافد التاريخية لابن عبدالبر فى مجموعتين من الروافد :

أولا : روافد عامه .

ثانيا : روافد تخصصية .

أولا : الروافد العامة :

ويتصدر قائمة الروافد العامة التى أسهمت فى التكوين الفكرى لابن عبدالبر : القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفه ، وكتب الفقه الإسلامى .

فالقرآن الكريم يصور لنا من خلال سوره المكية والمدنية ، مرحلتين مرَّت بهما الدعوة الإسلامية : (١)

أولا : المرحلة المكيَّة وما تميزت به من تعميق للمفاهيم التى جاءت بها عقيدة التوحيد فى مواجهة الوثنية بكل صورها ، والتى لم ينجُ من تأثيراتها حتى أتباع الأديان السماوية . ثم يصف القرآن ما لاقاه النبى ﷺ وأصحابه من ابتلاء فى سبيل إعادة البشرية عامة والعرب خاصة إلى دين التوحيد .

ثانيا : المرحلة المدنية وما واكبها من تأسيس للدولة ، وترسيخ لأركانها ونزول آيات

---

(١) انظر علوم القرآن : غانم قدورى : ٢٢٢ ــ ٢٢٣ .

التشريع التى تنظم جوانب المجتمع الجديد . فأبطلت علاقات اجتماعية واقتصادية وسياسية . وأنشأت علاقات جديدة ، أو أقرت علاقات على ضوء ما أقرته عقيدة التوحيد .

إضافة إلى ذلك ، فقد جاء فى القرآن الكريم شيىء من أخبار العرب قبل الإسلام ، ولاسيما ذكر بعض القبائل العربية القديمة مثل : عاد وثمود . وذكر كذلك قصص الأنبياء ، وأورد ذكر بعض الأحداث مثل : أخبار ملوك اليمن والسيل العرم الذى سلّطهُ الله عليهم ، وقصة لقمان ، وأصحاب الفيل وغيرها .[1]

وقد جعل ابن عبد البر القرآن الكريم مصدراً[2] من مصادره المُهمة من خلال أسباب نزول الآيات ،[3] وخاصة غزوات الرسول ، أو ما كان نزوله ﷺ فى حادث وقع لصحابى ، أو مجموعة من الصحابة .

وأما الحديث النبوى فمورد ثرى لعلم التاريخ ، وتعتبر الروايات الحديثية هى الأساس الذى انبثق عنه علم التاريخ . واستمرت الرواية التاريخية متلازمة مع الرواية الحديثية تعانى التطور فى أشكال التعبير التاريخى . والسيرة النبوية كانت بداية تميز الرواية التاريخية لأنها كانت تبحث سيرة النبى ﷺ وتركز على غزواته وتجمع أخبار الهجرة للحبشة وإلى المدينة المنورة . وقد مضى بيان ذلك عند الكلام عن مؤلفات ابن عبدالبر فى السيرة .[4]

بل إننا نجد أن ابن عبدالبر قد تأثر بثقافته الحديثية عند كتابة التاريخ فلم يتخلّ

---

(١) انظر مصادر التاريخ الإسلامى : د. سيده كاشف : ١٥ .

(٢) ينقد الدكتور أحمد شلبى : الذين يُهملون هذه المراجع المهمة ويصفهم بأنهم متأثرون بالاتجاه الإغريقى الذى يرى أن الكتب السماوية لا تصلح مرجعا تاريخيا ويقول : وذلك إن جاز بالنسبة للتوراة والإنجيل فإنه لا يجوز بالنسبة للقرآن ، لأن الله تعهد بحفظه من التحريف .

انظر : موسوعة التاريخ ١ / ٥٨ — ٥٩ ط ١٠ ، ١٩٨١ .

(٣) انظر الدرر : ٣٨ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٨٣ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٥٩ ، ٢٠٩ ، ٢٣٥ .

انظر الاستيعاب : ١ / ١٠٩ ، ٢٠١ ، ٣٠٠ ، ٢ / ٤٣٧ ، ٥٦٨ ، ٦٠٠ ، ٣ / ٨٧٨ ، ١٢٨٩ ، ٤ / ١٤٧٢ ، ١٤٧٤ .

(٤) انظر مصادر التاريخ الإسلامى : د. سيده كاشف : ١٩ — ٢٧ .

أحيانا كثيرة عن الإسناد ، والاستكثار من طرق الرواية الواحدة كما سنفصل فى الصفحات القادمة .

وهذان المصدران الكريمان أفادا المؤرخ المسلم من زاويتين :

ـــ زاوية المادة التاريخية : سواء ما يتعلق بتاريخ الأمم السابقة أو بفترة الوحى .

ـــ زاوية منهج البحث : فأسلوب التواتر فى إسناد المادة ، والنظر فى أخلاق الراوى قبل الحكم على روايته ، قد مهّدا لنمو الحسّ التاريخى فى الفكر الإسلامى ، وتطورت عنهما بالتدريج قواعد النقد التاريخى .[1]

ومن الروافد العامة فى ثقافة ابن عبد البر معرفته بكتب أهل الكتاب التوراة[2] والإنجيل . وكتب حكماء الملل الأخرى ، كالفرس[4] ، والروم[5] ، وغيرهم . والمتصفح لكتب ابن عبدالبر سيجد نقولًا كثيرة بثها ابن عبدالبر فى مؤلفاته وخاصة : (بهجة المجالس) ، و(جامع بيان العلم) ، (والقصد والأمم) .

والرافد الآخر : كتب الفقه فالمعروف أن الحُكْمَ الفقهى يُوضع ابتداءً لحاجة جَدَّت فى المجتمع المسلم ، أو لوقوع حادثة تطلَّبت حُكماً مُعيَّناً وهذه الحوادث لاتعدو أن تكون فى نطاق العبادات أو المعاملات التى تشمل جوانب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية . فدارس الفقه سيتعرَّف من خلال الحكم الفقهى على الحدث الذى دعا لتشريع هذا الحكم . ولما كان التاريخ ما هو إلا مجموعة من

---

(١) انظر : ابن حزم الأندلسى مؤرخا : د. عبد الحليم عويس ، رسالة دكتوراه بدار العلوم مكتوبة على الآلة الكاتبة : ١٣٤ .

(٢) انظر بهجة المجالس : ١ / ٤٨ ، ٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣٣٩ ، ٣٦١ ، ٣٧٥، ٣٨٨، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٧٤٣ ، ٧٧٤ .

(٣) انظر بهجة المجالس : ١ / ٧٧ ، ١١٤ ، ١٩٦ ، ٢٧٥ ، ٣٨٣ ،٤٠٥ ، ٤٣٨ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٦٦٩ . وانظر ٢ / ٨٧ ، ٢١٣ ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،٣٠٢ .

(٤) نفس المصدر : قال كسرى : ١ / ٣٣٧ ، ٣٤٠ ،٢ / ٢٦٩ ، ٣٠٨ ، ٣٣٣ ،٥٣٧ ، ٦٨٨ . قال بزرجمهر : ١ / ٧٦ ، ١١٠ ، ١٩٦ ، ٣٠٨ ، ٤٤٥ ،٢ / ١٣٠ ، ٢٠٠ ، ٢٧٩ . وانظر جامع بيان العلم : قال بزرجمهر : ١٧٧ ،١٨٩ .

(٥) انظر بهجة المجالس : أقوال أرسطو طاليس : ١ / ١١٥ ، ٣٠٦ ، ٣٣٤ ، ٢ / ١٨٢ ، ١٩٩ . قال جاليوس : ١ / ١٦٨ وانظر جامع بيان العلم : ١٣٦ .

الأحداث ، لذلك ستنمو ثقافة الدارس الفقهى من الناحية التاريخية وإن لم يقصد علم التاريخ بذاته .[1]

ولقد وعى هذه الصلة جيل المؤرخين الرواد الذين امتزجت فى دراساتهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بالجوانب التاريخية أمثال : عبد الملك بن حبيب الأندلسى ومحمد بن جرير الطبرى وبقى بن مخلد ، وابن الفرضى وابن حزم ، وابن عبد البر ، فنجد مؤلفاتهم التاريخية تحوى قضايا فقهية مبثوثة من خلال سرد الأحداث التاريخية مما يدل على تناغم العلوم مع بعضهـــا فى تصور كلى يُدرس على أساسه عصر من العصور . ولايقتصر على السرد التاريخى التقليدى للأحداث وقد أكدت الاتجاهات التاريخية الحديثية هذا المفهوم .

ولايمكن أن نغفل كتب الأدب والثقافة العامة ، وأثرها فى ثقافة المؤرخ التاريخية وأسلوبه فى عرض مادته التاريخية .

فقد احتوت الكتب الأدبية على مادة تاريخية تفيد المؤرخ إذا أخذها على حذر لأن الذى يغلب على الكتب الأدبية عدم التميز فى جمع المادة التاريخية . وإنما تحرص على أن تحشد أكبرَ كم ممكن من الأخبار التى تتعلق بالموضوع الذى تعرضه .[3] وقد نقل ابن عبدالبر عن هذه المصادر ، ولكنه التزم بموازين النقد التاريخى عند النقل عن هذه الكتب ، واكتفى بإيراد الخبر مسندا عند استثنائه ببعض هذه الأخبار .[4]

كما أن الأشعار التى تحويها هذه المصادر تسهم فى إثراء البحث التاريخى ، لأن قائليها كانوا يسجلون بقصائدهم أحداثا قد تفوت المصادر المتخصصة ، مما تعين المؤرخ على كشف حدث مجهول ، أو تصحيح خبر خاطىء ، أو توكيد

---

(١) انظر مصادر التاريخ الإسلامى : ٧٨ — ٧٩ .

(٢) انظر ابن حزم الأندلسى مؤرخا : د. عبد الحلم عويس : ١٣٦ رسالة دكتوراة على الاله الكاتبة بكلية دار العلوم ١٩٧٨ .

(٣) انظر : مصادر التاريخ الإسلامى : ٧٥ .

وابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب : أستاذنا الدكتور إبراهيم العدوى : ٥٣ — ٥٤ .

(٤) انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٨١ ، ٣٦٤ ، ٣٤٢ ..

خبرمعروف . وبالإضافة إلى ذلك فهى تضفى على الخبر التاريخى جمالًا وطلاوة ، مما يعين على تجاوز الجفاف الذى قد يشوب الكتابة التاريخية أحيانا .

وقد استفاد ابن عبد البر من هذه الموارد فى بنائه الثقافى واعتمد عليها كذلك فى إنتاجه التاريخى وكانت من المصادر الرئيسية التى اعتمد عليها فى مختلف الأطر التى عرض من خلالها التاريخ الإسلامى فى السيرة أو التراجم أو الأنساب مما قد أشرنا إليه فى مواضعه ، وقد كان للشعر نصيب كبير فى ذلك . وقد شكل ذلك ظاهرة بارزة فى منهجه التاريخى . مما يدل على اطلاعه على دواوين شعرية كثيرة وحفظه الواسع الذى دلت عليه مؤلفاته الأدبية الرصينة . مثل كتاب (الاهتبال)[١] ، (وبهجة المجالس)[٢] وغيرهما من المؤلفات الأدبية التى عرّفنا بها فى مواضعها .

ومن أهم موارد ابن عبدالبر فى الأدب والثقافة العامة ، مما أحال إليه فى مؤلفاته أورواها عن شيوخه : (الحماسة)[٣] لأبى تمام بن أوس الطائى (والزاهر)[٤] لابن الأنبارى (ت ٣٢٨هـ) ، (كليلة ودمنة)[٥] ، و(الدرة اليتيمة) لابن المقفع (ت ١٤٣هـ) ، (والبيان والتبيين)[٦] و(الحيوان)[٧] للجاحظ (ت ٢٥٤ هـ) و (الكامل)[٨] و (الأذواء)[٩] لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) و (الأمثال)[١٠] و (الأصمعيات)[١١] للأصمعى عبد الملك بن قريب (ت٢١٤ هـ) و

---

(١) انظر مقدمة من الورق ١ـــ ٧ مخطوط بمعهد المخطوطات ، وعندى منه نسخة .
(٢) انظر : بهجة المجالس ١ / ٥٥١ ـــ ٥٥٣ .
(٣) بهجة المجالس : ١ / ٥١٠ .
(٤) فهرسة ابن خير الإشبيلى : ٤٤ .
(٥) بهجة المجالس : ١ / ٥٣٦ .
(٦) بهجة المجالس : ١ / ٢٢٨ ، ٣٦٢ .
(٧) نفس المصدر : ١ / ٣٦٧ .
(٨) الاستيعاب : ١ / ١٦٠ والفهرسة : ٣٢١ ـــ ٣٢٢ .
(٩) نفس المصدر : ١ / ٤٧٧ ، ٤٧٨ .
(١٠) الفهرسة : ٣٤٠ .
(١١) الاستيعاب : ٢ / ٧٩٤ ، ٣ / ١١٩٧ .

(طبقات الشعراء)[1] لأبى عبيد محمد بن سلام الجمحى (ت ٢٣١ هـ) و (كتاب العين)[2] للخليل بن أحمد الفراهيدى (ت ١٨٠ هـ) و (مختصر كتاب العين)[3] لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى وغيره من مؤلفاته ، و (الغريب فى اللغه والأدب)[4] لابن الأعرابى (ت ٢٣١ هـ) و (المعارف)[5] لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ) .

وهناك كتب الزهد والرقائق والأخلاق والرسائل وهى فى مجموعها تضم أخباراً وقصصا عن الصالحين تعكس لنا طبيعة علاقة هؤلاء بمجتمعاتهم ومواقفهم من الخلفاء الذين عاصروهم ودورهم فى الأحداث التى وقعت فى حياتهم سلبا أو إيجابا . ومن ذلك كله يستطيع المؤرخ أن يُقَيِّم دور شتى قطاعات الأمة فى حركة المجتمع .

وكان لهذه الكتب أثر كبير فى ثقافة ابن عبد البر ، يتَّضِحُ ذلك من خلال مؤلفاته حيث شكّلت هذه الموارد رافدا مهما أثرى تلك المؤلفات بأنواعها .

ومن أهم هذه المصادر :

(كتاب الزهد والعبادة والورع)[6] لإبراهيم بن أدهم .

(والزهد)[7] لابن أبى الحوارى .

(والزهد)[8] لجعفر بن محمد شاكر الصائغ .

(وكتاب أخلاق القرآن) و (كتاب صفة الغرباء من المؤمنين) و (رسالته إلى

---

(١) الاستيعاب : ٢ / ٥١٢ ، ٣ / ٩٠٢ ، ٤ / ١٥٧٣ — ١٨٧١ .

(٢) الفهرسة : ٣٤٩ — ٣٥٠ .

(٣) جذوة المقتبس : ٤٦ .

(٤) بهجة المجالس : ١ / ٥٦ .

(٥) الاستيعاب : ٤ / ١٨٦٣ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٢٧٠ .

(٧) نفس المصدر : ٢٧٧ .

(٨) نفس المصدر : ٢٧١ .

أهل بغداد) و (كتاب فضل العلم) وغيرها . كل هذه الكتب للطبرى ،[1] و (رسالة مالك بن أنس إلى هارون الرشيد) (والجهاد لعبدالله بن المبارك) [2]

ثانيا : الروافد التخصصية :

والمقصود بها فى هذا البحث هى المصادر المباشرة التى أسهمت فى بناءالثقافة التاريخية لابن عبدالبر ، والذى يُحمد عليه أنه كان يقدم لنا فى كثير من مؤلفاته أهم هذه المصادر التى اعتمد عليها فى إخراج موضوع الكتاب الذى ألفه . هذا على خلاف بعض معاصريه وتلاميذه مثل ابن حزم الذى كان يشير إشارة عابرة أو قليلا ما يشير إلى مصادره . بل إن ابن عبدالبر كان ينثر أسماء مصادره بين سطور بحثه فضلا عن أنه يقدم قائمة للمصادر المهمة فى مقدمة بحثه . وكان ينوع هذه المصادر مما يدل على توخيه إثراء البحث التاريخى باستقصاء مختلف المصادر التى تتضمن مادة موضوعه . [3]

ولقد مرّ فى الباب الثانى من هذا البحث إيراد قوائم لبعض مصادر ابن عبد البر من خلال التعريف بإنتاجه التاريخى وقد ذُكرت المصادر التى صرح ابن عبد البر بالنقل عنها فقط ، لأن استقصاء مصادره بصورة عامة يحتاج إلى بحث مفرد ، بل إن كتاب الاستيعاب بمفرده يحتاج إلى بحث أكاديمى لدراسة منهج ابن عبد البر فيه ودراسة مصادره التى أسهمت فى بنائه وتقويمها . [4]

ثم إن ثقافة ابن عبدالبر التاريخية كانت متنوعة وواسعة ، والدليل على ذلك تنوُّع

---

(١) نفس المصدر : ٢٨٥ — ٢٨٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢٩٧ .

(٣)سنقدم ملحقا بهذه المصادرالتى أُسهمت بصورة مباشرة فى بناء الثقافة التاريخية لابن عبد البر انظر ملحق (١) وسنقدم بعض النماذج النصية من هذه المصادر التى أُسهمت فى بناء مؤلفاته التاريخية انظر ملحق (٢)

(٤) وقد قدمت دراسات جامعية على هذا النمط : مثل :

« موارد الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد » رسالة دكتوراه قدمها د. أكرم العمرى بجامعة عين شمس بقسم التاريخ سنة ١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ « وابن حجر العسقلانى ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده فى كتاب الإصابة » ، رسالة دكتوراه قدمها د. شاكر محمود عبد المنعم بجامعة بغداد / بقسم التاريخ فى سنة ١٩٧٦ . وهناك بحث للدكتور جواد على عن موارد الطبرى فى تاريخه . منشورة فى مجلة المجمع العلمى العراقى .

الأُطر التأليفية لإنتاجه فى البحث التاريخى .

ونستطيع تصنيف موارد ابن عبدالبر التخصصية التى شكَّلت بناء فكره التاريخى ، وكانت العمود الفقرى لبحوثه التى تدور فى نطاق التاريخ إلى :

أ ــ موارده فى السيرة النبوية .

ب ــ موارده فى علم الرجال والتراجم والأنساب .

ج ــ موارده فى التاريخ العام .

وقد كانت هذه الموارد تتضافر مع غيرها من الموارد الأخرى فى بناء العمل التاريخى لابن عبدالبر كما تبيّن من خلال عرض إنتاجه التاريخى فى الباب الثانى .

وفى هذا الفصل سيقُتصر على ذكر الموارد المتخصصة لكل نوع من الموارد السابقة . سواء منها التى ذكرها فى كتبه التى ألفها ، أو التى ساهمت فى بناء ثقافته التاريخية ولم يذكرها صراحة فى مؤلفاته ، وإنما روتها عنه كتب الفهارس والمشيخات الأندلسية .

أ ــ موارده فى السيرة النبوية :

لقد اهتم ابن عبدالبر بالتأليف بالسيرة النبوية كما أسلفنا فى الباب الثانى ، وأسهم ببضع مؤلفات فى هذا الجانب من المكتبة التاريخية وأشهرها كتاب الدُّرر فى المغازى والسير ، وقد أفرده لسيرة النبى ﷺ من بداية البعثة إلى وفاته . وأما مايخصُّ ماقبل البعثة فقد ضمَّنه كتاب الاستيعاب .

وقد حشد ابن عبدالبر مصادر كثيرة لكتابه الدرر وقد اهتم بانتقائها وذلك بالاعتماد على ماوثَّقه مشاهير العلماء من أهل الاختصاص . فاعتمد على مغازى موسى بن عقبة الذى اشتهر توثيقه عند المحدثين[(١)] . ولم يغفل ابن عبدالبر سيرة ابن إسحاق

(١) قال عنه يحيى بن معين : كتاب موسى بن عقبه عن الزهرى من أصح هذه الكتب » نقل ذلك الذهبى وأما رأى الذهبى فيه فيقول : « سمعناها وغالبها صحيح ومرسل جيد لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة » . انظر سير أعلام النبلاء : ٦ / ١١٥ ــ ١١٦ ، ١١٧ .

التى تلقّاها العلماء بالقبول واعتبروا ابن إسحاق ثقة فى تخصصه وهو المغازى . ولكنه لم يكتسب الثقة المطلقة فى الحديث (١) حَدّ قول الذهبى : « وأما فى أحاديث الأحكام فينحطُّ إلى رتبة الحسن إلا فيما شذَّ فيه فإنه يُعدُّ مُنكراً» .(٢)

ولم يكتف ابن عبدالبر برواية واحدة لمغازى ابن إسحاق وإنما نقل عن رواياتها الثلاثة ، عن البكائى وابن بكير وابراهيم بن سعد وكلهم محدثون .(٣)

وأما كتاب المغازى للواقدى فقد أورد له فى الدرر نصا واحدا ، ويبدو أن ابن عبدالبر قد قدم عليه موسى بن عقبة ، وابن إسحاق لأنهما أكثر توثيقا عند عموم أهل الحديث والتاريخ . ولكنه مع هذا قد نقل عنه فى كتاب الاستيعاب لغلبة الجانب التاريخى عليه .

وإضافة إلى هذه الموارد التى تعتبر أساس كتب السير والمغازى أضاف إليها ابن عبدالبر كثيرا من الموارد الأخرى من كتب السير والمغازى التى دخلت الأندلس ، مثل : مغازى موسى بن عقبة ، ومسلم بن الوليد وأبى إسحاق الفزارى وسليمان بن طرخان ، وأسد بن موسى وغيرهم .

ولم يكتف ابن عبدالبر بكتب السير والمغازى ولكنه أضاف إلى ثقافته فى هذا الجانب ما حوته كتب الحديث من روايات المغازى والسير . وقد صرح بذلك فى كتابه الدرر فى اختصار المغازى والسير . وقد مر الكلام عنه

وهو بذلك قد احتفظ لنا بنصوص من مؤلفات مفقودة أو فى حكم المفقود . وهذا إن دل على شيىء فإنما يدل على حرص ابن عبدالبر على الحصول على المورد الموثق الذى يُضفى على مادته الأصاله والتوثيق .

---

(١) وقد شهد له بن عدى (ت ٢٠٧ هـ) بقوله : « وقد فتشت أحاديثه فلم أجد فى أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف ، وربما أخطأ أو يهم كما يخطىء غيره ، ولم يتخلف فى الرواية »

انظر : المجتمع المدنى فى عهد النبوة : د. أكرم العمرى : ٤٢ .

(٢) قاله فى كتاب (طرح التريب شرح التقريب) انظر المصدر السابق : ٤٣ .

(٣) وقد نقل عنه ابن عبد البر ما يزيد عن (٤٠٢ نصا) فى كتابه الاستيعاب .

ب ــ موارد ابن عبد البر فى علم الرجال والتراجم والأنساب :

وقد كان ابن عبد البر فارس هذا الميدان من المكتبة التاريخية . وقد أثرى ببحوثه هذا الجانب وقد شهد له بذلك علماء عصره ومن بعدهم . ولعل الدليل العملى على سعة ثقافته ، وثراء موارده ، قد تبين مما تقدم من تفصيل فى الكلام عن طبيعة نشأة هذه العلوم التى كتب فيها ابن عبد البر مع التعريف بأهم مصادرهاالتى اعتمد عليها فى بحوثه التاريخية .

وقد اطلع ابن عبدالبر على أغلب ما كُتب فى علم الرجال والتراجم والأنساب . وقد تَلقّى ذلك بطريق شيوخه المباشرين الذين تتلمذ على أيديهم ، وعن طريق شيوخه الغير مباشرين الذين أجازوه ولم يلقهم . وكان يحرص على الحصول على أصول شيوخه ، أو أصول الموارد التى يرويها عنهم . فاكتسب بذلك ثقافه واسعة مَكّنته من أن يُوثّق ويضعّف ويُقارن بين الأقوال فيرجّح ما يراه ويرد . حتى أصبح حافظ الأندلس فى زمانه فى الحديث وعلم الرجال والتاريخ والأنساب كما ذكر ذلك كل من ترجم له .

وقد تمثلت موارده فى هذا الجانب فى اطلاعه على الكمّ الكبير الذى سنورده[1] فى تراجم الصحابة والتابعين وتواريخ المحدثين وكتب الأنساب بعامة ومن ضمنها ما أسهم به الأندلسيون فى المكتبة التاريخية . وكان ابن عبدالبر يحرص على الحصول على ما يبلغ سمعه من هذه الموارد حتى لو تطلب ذلك أن يرويها عن تلاميذه بل تلاميذ تلاميذه . .

ولاتخفى أهمية هذه المؤلفات من الناحية التاريخية كما بينا فى الباب الثانى فإن كثيرا من الجوانب الشخصية لحياة كثير من الأعلام الذين كان لهم التأثير فى مسار الأحداث التاريخية ، أو الحضارية وتطورها ، لايمكن استخلاصها من كتب التاريخ السياسى فقط . بل إنّ بعض الأخبار الدقيقة والمؤثرات الخفية لأحداث سياسية مهمة وخطيرة لايمكن استجلاؤها إلا من خلال كتب التراجم بأنواعها .

---

(١) انظر الملاحق .

ج ـــ موارده فى التاريخ العام وما يتعلق به :

ومن الموارد المهمة التى أسهمت فى بناء الثقافة التاريخية لابن عبد البر كتب التاريخ العام . والتى جعلته على اطلاع واسع على تواريخ العالم القديم والجاهلى والإسلامى ، ولعل فيما تقدم من عرض لإنتاجه التاريخى دليلا مقنعا . وقد كان لهذه الموارد الفضل فى الإسهام فى بناء هيكل المادة التاريخية التى ضمنها لمؤلفاته فى السيرة النبوية والتراجم والأنساب . وقد اقتبس منها ابن عبد البر فى مؤلفاته السابقة ما يخدم موضوع بحثه ، على ضوء قوائم المصادر التى كانت تضمها مقدمات كتبه . أو ما يذكره منها خلال عرضه لمادة كتابه فيحيل إليها فى مواضعها كما أشرنا إلى ذلك فى مواضعه .

وقد تنوعت صور عرض المادة التاريخية فى هذا الجانب فمنها : ما هو مرتب على السنين ويبدأ منذ بدء خلق الدنيا إلى عصر المؤلف وتاريخ الطبرى (ت ٣١٠ هـ) على رأس هذا النوع من المصادر ويسميه أهل الأندلس (التاريخ الكبير) .[١]

ومنها ماهو مؤلف على السنين ويبدأ بالسيرة النبوية حتى عصر المؤلف مثل تاريخ خليفةبن خياط (ت ٢٨١ هـ) .[٢]

ومنها ماهو مختص بالصحابة والتابعين مثل كتاب ذيل المذيل للطبرى[٣] ، و (التاريخ الكبير) للخُطبى (ت٣٥٠ هـ)[٤] وقد رتبه على السنين كذلك ، ويبدو أنه بدأ منذ صدر الإسلام إلى عصره ، (والتاريخ الكبير) لعبد الملك بن شهيد الأندلسى (ت٣٩٣ هـ) .

ومنها ما لم يتبع نسقاً معيناً فى تنظيم المادة التاريخية ، وإنما يخلط بين التاريخ

(١ ، ٣) انظر الاستيعاب : ١ / ١٦٥ وجامع بيان العلم: ٢٨٥ .

ونقل ابن عبد البر (١٠٤ نصوص) عن الطبرى فى كتابه الاستيعاب عن ذيل المذيل .

(٢) وقد نقل عنه بن عبد البر فى مجمل كتبه أكثر من (٥٧ نصا) ذكر بعضها محقق التاريخ الأستاذ شكر الله نعمة الله .

(٤) أبو محمد إسماعيل بن على الخُطبى (كان فاضلا فهما عارفا بأيام الناس وأخبار الخلفاء وصنف تاريخا كبيرا على السنين) انظر تاريخ بغداد ٦ / ٣٠٥ . وانظر موارد الخطيب البغدادى : ١٥١ ـــ ١٥٤ .

الحولى والتراجم مثل كتاب (التاريخ) لأبى بكر بن أبى خيثمة (ت ٢٧٩ هـ) ومنهما ما كان يتكلم فى تاريخ مصر من أمصار العالم الإسلامى مثل تاريخ مصر لسعيد بن عفير (ت ٢٢٦ هـ) والأوسط فى تاريخ الأندلس لأبى محمد الرازى .

ومنها ما كان يؤرخ لمدينة من المدن مثل :

(أخبار مكه) لمحمد بن إسحاق الفاكهى (ت ٢٧٢ هـ) ، (أخبار المدينة) لعمر ابن شبة (ت ٢٦٣ هـ) (وأخبار قرطبة) لأبى أحمد التاريخى و (أخبار كورة البيرة) لمطرف الغسانى (ت ٣٧٧ هـ) وغيرها .

ومنها ما كان يتعرض لتواريخ الخلفاء أو دولة من الدول وما آلت إليه مثل (تاريخ الخلفاء) للحارث بن أبى أسامة ، وكتاب (المنتزين والقائمين بالأندلس وأخباهم) كتاب (مواعظ الخلفاء) (وحلم معاوية) لابن أبى الدنيا (ت ٢٨١ هـ) . ومنها ما كان يتعرض لتاريخ دولة من الدول مثل (مختصر تاريخ الخلفاء) للخطبى (ت ٣٠٥ هـ) و (أخبار ملوك الأندلس) لأحمد بن محمد التاريخى ، (والباهر فى تاريخ الدولة العامرية) لعبد الرحمن بن محمد بن أحمد الرعينى بن المشاط ت ٣٩٧ هـ) وغيرها من الموارد .

يتبين من نماذج الموارد التاريخية التى ذكرت والتى كان قسم منها مدار الاقتباس من قبل ابن عبد البر فى كتبه التى صنفها ــ وسنشير إلى ذلك بعد قليل ــ ومنها ما أسهم فى بناء ثقافته التاريخية وإن لم يرد ذكرها فى مصادره التى بين أيدينا ، ولعله اعتمد عليها فى مؤلفاته الأخرى التى هى فى حكم المفقود ، ولعلها إن وجدت ستلقى أضواء جديدة وثرية على الفكر التاريخى عند ابن عبد البر .

ولأهمية هذه الموارد فى ثقافة ابن عبد البر فسنرتبها فى قائمة تضم كل موارده فى التاريخ العام وما ألحق به من تواريخ الدول والمدن والخلفاء وسَنَذْكُرُهَا مرتبة بحسب موضوعاتها فى ملحق مصادره .

الاستيعاب النوعي للموارد :[1]

إنّ ابن عبد البر قد أسهم فى أنماط متنوعة من التأليف التاريخى كما تبيّن ذلك . واقتضاه هذا التنوع أن يستوعب موارده المتخصصة فى كل نوع ونمط ليقدم لنا مادته التاريخية بحسب النوع التأليفى الذى ألف فيه . كالسيرة والتراجم بأنواعها والأنساب .

ولم يكتف بتلك الموارد المتخصصة فقط وإنما استعان بموارد عامة تعينه على استكمال الموضوع الذى يقدمه : فكانت نصوص القرآن والحديث وكتب الفقه والأدب مورداً غنياً يُثرى بحوث ابن عبد البر .

واستطاع بذلك أن يضع أمامه ما استطاع وضعه من التراث التاريخى الإسلامى بأوسع مفاهيمه وأشملها ، منذ بدايته حتى القرن الخامس الهجرى . وهو تراث هائل وغنى قد مر بعصور ازدهار التأليف عند المسلمين الذين تفننوا فى تنويعه سواء أكان فى الأشكال التنظيمية المتعددة التى عرضوه بها ، أم بالمادة المتنوعة التى احتوتها تلك المؤلفات .[2]

وابتغى ابن عبد البر فى استيعاب مصادره بهذه الصورة الموسوعية أن يقدم تراجمه وأخباره موثقه بالرجوع إلى موارد متعددة متنوعة يصل من خلالها إلى تقديم صورة متكاملة عن الترجمة أو الحدث .

وقد جهد ابن عبد البر على أن يستفيد من جميع المؤلفات فى كل نوع من الأنواع التأليفية التى ألف فيها ، ولو ألقينا نظرة على موارده فى السيرة النبوية مثلا ، أو فى التراجم وعلم الرجال ـــ وتراجم الصحابة خاصة ـــ[3] لوجدنا أن ابن عبد البر استطاع أن يستوعب ما وصل إليه من تلك المؤلفات . بل نجده يروى (كتاب الصحابة) لأبى نعيم الأصبهانى الذى يعتبر من الكتب التى تأخر دخولها الأندلس ، ومع هذا

---

(١) أفرد الباحث ملحقا بموارده التى صرح بالنقل عنها أو ذكرتها كتب الفهارس بروايته أو مما رواه شيوخه .

(٢) انظر : الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام : د. بشار عواد معروف : ٣٩٤ .

(٣) يرجع للملحق رقم (١) .

فقد رواه ابن عبد البر عن طريق تلاميذ تلاميذه حرصا منه على استيعاب كل ما يصله من جديد فى الباب الذى ألف فيه .

واستعمل ابن عبد البر المصادر المشرقية والأندلسية . فإضافة إلى ما رواه عن شيوخه من مؤلفات علماء المشرق فإنه لم يغب عنه تطعيم مؤلفاته بالنقل عن شيوخه الأندلسيين الذين كونوا ثقافته الإسلامية . فمؤلفات عبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٩ هـ) الأندلسى فى التاريخ وغيره من العلوم كانت من ضمن موارده ، وبقىّ بن مُخلّد (ت ٢٧٦ هـ) وابن المكوّى (ت ٤٠٣ هـ) وابن الفرضى وغيرهم من أعلام الأندلس .

لقد جهد ابن عبد البر أن ينقل من المصدر المباشر فكان يتحرى أعلى (طرق التحمل)[١] للرواية التاريخية فإما أن يروى مؤلفات شيخه مباشرة عنه مثلما روى (كتاب تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضى . وأصبحت رواية ابن عبد البر من أوثق الروايات له .[٢]

أو أنه يستجيز شيخه لرواية مؤلفاته كما فعل مع (عبد الغنى بن سعيد المصرى) فروى عنه (كتاب المؤتلف والمختلف) وغيره .[٣]

وأما الموارد التى ليست لشيوخه المباشرين فكان يرويها عن شيوخه إما قراءة عليهم . أو إجازة منهم له . أو أنه يجمع بين القراءة والإجازة ، فيقرأ جزءا من المورد الذى يريد روايته ثم يطلب إجازته بباقى الكتاب ، مثلما حصل فى روايته (لمسند أبى محمد عبدالله بن أبى ناجية) حيث قال عنه ابن عبد البر :[٤]
« قرأت عليه ــ أى على شيخه خلف بن القاسم ــ منه جزئين وناولنى جميعه وأذن لى فى روايته عنه وكان عنده فى مائة واثنتين وثلاثين جزءا » .

---

(١) طرق التحمل وهى طرق الرواية كالسماع والإجازة والمناولة والوجادة كما مر تعريفها فى فصل سابق ، انظر هذا البحث : ٣٥٥ . وانظر معجم المصطلحات الحديثية : ٦٣ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٨ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٢١٦ .

(٤) فهرسة ابن خير : ١٤٣ .

وبعض الموارد كان يجد جزءاً منها عند شيخ فيرويها عنه ، ثم يستكمل النقص عند شيخ آخر ، مثلما حصل فى كتاب (مسند أبى بكر بن أبى شيبة)« قال ابن عبد البر حدثنا به أبو عثمان سعيد بن نصر إلا الجزء الأول منه ... لم يكن عند سعيد بن نصر فقرأته على عبدالوارث بن سفيان بن جبرون ... وهوفى عشرين جزءا »(١)
وكان يتحرى من يجد عنده الموارد بتمامه فمثلا : كتاب (تاريخ أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى المُنتَجيلى) وهو فى خمسة وثمانين جزءا . قال عنه ابن عبد البر :(٢) (لم أجده كاملا عند أحد من رواته غيره ــ أى لخلف بن أحمد المعروف بابن أبى جعفر ــ ولم يكمل إلا له ، ولأحمد ابن محمد الإشبيلى الرجل الصالح المعروف بابن الخَرّار » .

طرائق الإحالة إلى الموارد :(٣)

كان ابن عبد البر يستعمل صيغاً متعددة عند نقله عن موارده فمرة يصرح باسم المورد فيقول مثلًا (ذكر الكلبى فى أخبار صِفّين)(٤) ، أو يُعقّب بعد نقل الخبر بقوله : « هكذا ذكره يحيى بن سعيد الأموى فى السير »(٥) أو « ذكر ذلك كله حفيد يونس صاحب التاريخ المصرى »(٦) « وذكر الزبير فى الموفقيات »(٧) ، و « ذكر ابن المبارك فى كتاب الجهاد »(٨) .

وأحيانا لا يصرح باسم المورد ولكنه ينقل الخبر مباشرة عن مؤلف المورد فيقول : « قال محمد بن إسحاق »(٩) ، أو « روى ابن المبارك »(١٠) ، أو « ذكر الزبير »(١١) أو « قال

(١) نفس المصدر : ١٣٧ ــ ١٣٨ .
(٢) نفس المصدر : ٢٢٧ وانظر جذوة المقتبس : ٢٠٦ .
(٣) قارن النصوص ملحق (٣) .
(٤) الاستيعاب : ١ / ١٦٥ .
(٥) الاستيعاب : ٢ / ٥٩٧ ــ ٥٩٨ .
(٦) نفس المصدر : ١ / ١٨٩ .
(٧) نفس المصدر : ٣ / ٨٧٩ .
(٨) نفس المصدر : ١ / ٤٠٨ .
(٩) نفس المصدر : ٤ / ١٨١٩ .
(١٠) نفس المصدر : ٢ / ٦٧١ .
(١١) نفس المصدر : ٣ / ٨٨٩ ــ ٨٩٠ .

محمد بن هشام الكلبى » .[1]

وفى مواضع أخرى يروى ابن عبد البر بسنده إلى ناقل الخبر الأول ، أو الذى كان سبباً للحدث حال وقوعه : كأن يقول :[2]

« حدثنا عبدالله بن محمد ــ شيخ بن عبد البر ــ قال حدثنا محمد بن بكر ... قال حدثنى محمد ابن اسحاق عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى .. عن أم سلمة زوج النبى قالت : فكان الذى كلمهُ ــ للنجاشى ــ جعفر بن أبى طالب » أو « ذكر محمد بن إسحاق ... قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ... » .[3]

(١) التصد والأمم : ٩٧ ــ ٩٩ .

(٢) الدرر فى اختصار المغازى والسير : ١٤٢ ــ ١٤٦ .

(٣) نفس المصدر : ١١٦ .

الفصل الثانى

ابن عبد البر المؤرخ

توطئة :

لقد عرض هذا الفصل شخصية ابن عبد البر المؤرخ بكل جوانبها الفكرية والتطبيقية .

فعرَّف برُتبة التاريخ عند ابن عبد البر وفائدته ، ومفهوم الالتزام عنده .

ثم قدَّم مُقدمة موجزة فى نقد الخبر عند المسلمين ، بداياته ، ومنهجه ومقارنته بالمنهج الأوربى ، وعلى ضوئه درس الباحث منهج النقد عند ابن عبد البر بنوعيه الخارجى والداخلى . وردَّه للأسطورة .

ثم جلَّى اهتمامه بالجانب التاريخى فى علم الرجال الذى كان ميدانه الأساسى لعرض التاريخ .

ثم عرج على ثقافته الموسوعية التى أثّرت فى أسلوب كتابته التاريخية .

كالاهتمام بظاهرة الإسناد ، لغلبة ثقافته الحديثية عليه . وذكره للأحكام الفقهية واستشهاده بالشعر فى الخبر التاريخى .

ثم من خلال هذه الثقافة الواسعة والتوجيهات المتنوعة استكشف البحث مدرسته التاريخية . فهو ينتمى إلى مدرسة (المؤرخون المحدثون) من ناحية الثقافة والأسلوب من جانب وإلى مدرسة (عصر الفتنة الأندلسية) فى مفهومها الإصلاحى من جانب آخر .

ثم بين البحث أثره فيمن بعده من المؤرخين ومدى هذا التأثر .
وفى ختام ذلك أظهر نقد العلماء لابن عبد البر وآرائه فى التاريخ وبيان المآخذ وإظهار المفاخر .

أولا : رتبة علم التاريخ عند ابن عبد البر وفائدته :

إن ابن عبد البر قد أفرد بابا بين فيه أقسام العلوم بصورة عامة وجعله ضروريا

ومكتسباً وجعل من الضرورى معرفة الأمم التى قد خلت . فقال :[1]

« ومن الضرورى أيضا علم الناس أن فى الدنيا مكة والهند ومصر ، والصين وبلداناً عرفوها ، وأمما قد خلت . »

ثم يقسم العلوم بحسب أنواعها إلى ثلاثة أقسام :[2]

ـــ علم أعلى : وهو علم الدين .

ـــ وعلم أوسط : ويتضمن علوم الدنيا كالطب والهندسة .

ـــ علم أسفل :[3] ويتضمن أحكام الصناعات وضروب الأعمال مثل السباحة والفروسية والزى ، والتزويق ، والخط وما أشبه ذلك .

علمنا بأن علم التاريخ عند ابن عبد البر هو تسجيل لحركة الحياة الإنسانية ، ولما كان ابن عبد البر مسلما فقد صنف علم التاريخ تحت أقسام علم الدين لأن مفهوم الدين هو المنهج الذى أنزله الله لتنظيم حياة الإنسان على هذه الأرض .

وبالتالى فالعلم الذى يدرس حركة الإنسان ـــ فى هذه الحياة ـــ بهذا الدين من الأولى أن ينضوى تحته فى التقسيم . فلذلك قال ابن عبد البر :[4]

(والقسم الثانى : معرفة مخرج خبر الدين ، وشرائعه وذلك بمعرفة النبى ـــ يعنى سيرته ﷺ ـــ الذى شرع الله الدين على لسانه ويده .

وبمعرفة أصحابه ، الذين أدوا ذلك عنه ، ومعرفة الرجال الذين حملوه وطبقاتهم إلى زمانك ـــ المقصود به علم الرجال والتراجم بصورة عامة ـــ .

وبمعرفة الخبر الذى يَقطعُ العذر لتواتره وظهوره ـــ وهذا علم التاريخ العام) .

---

(١) جامع بيان العلم : ٢٨٧ .

(٢) انظر نفس المصدر والصفحة .

(٣) وابن عبد البر لم يرد بهذا التقسيم الحطّ من شأن هذه الأعمال لأنها مما تقوم به حضارة المجتمعات ولعله أراد محض الترتيب .

(٤) جامع بيان العلم : ٢٩١ .

يتبين لنا أن ابن عبد البر قد طبق رؤيته هذه من خلال مؤلفاته التى قدمها لنا . ومضى بحثُها .

وأما فائدة التاريخ عند ابن عبد البر : فنستكشفها من خلال مؤلفاته التى ألفها وما توخاه من ذلك .

وقد بين أن الفوائد التى توَاخَاها تنحصر فى الفائدة التعليمية والفائدة التربوية :

١ـ الفائدة التعليمية : وتتضمن :

ـ فوائد تختص بعلم الحديث : فمن خلال تراجم الصحابة يُعرف المسند والمُرسل من الحديث . ومعرفة علم الرجال يعرف به الثقات من الضعفاء من نقلة الحديث ، وبالتالى درجته .[١]

ـ فوائد تختص بعلم التاريخ : مثل معرفة تاريخ العصر الإسلامى الأول وما يليه من خلال سيرة النبى عليه السلام وسير أصحابه وأعمالهم ودورهم فى بناء التاريخ الإسلامى وحضارته[٢]

وكذلك معرفة حركة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية فى العصور التى تلت . من خلال معرفة تراجم رجال ذلك العصر من مُحدّثين وفقهاء وقاده وإداريين .[٣]

وهذه الفوائد التعليمية كانت الأولى منها خاصة بالأمة الإسلامية التى تفردت بعلم الرجال ودراسة الإسناد الذى هو طريق نقل حديث نبى هذه الأمة عليه السلام .

والفائدةالثانية وإن خرجت مخرج الخصوص عند ابن عبد البر ، ولكنها عامة فى كل أمة من الأمم ،« فالتاريخ ذاكرة الجنس الإنسانى ...وبها يتلقى جيل معين تجارب الأجيال السابقة عليه » كما يقول هرنشو .[٤]

(١ ، ٢) انظر الاستيعاب : ١٩ ، والاستغناء فى الكنى : ورقة : ١ .

(٣) انظر الانتقاء : ٩ والاستغناء فى الكنى : ورقة : ٤٦ ، ١٨٩ .

(٤) علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادى : ١٦٨ ـ ١٦٩ .

٢ ــ الفائدة التربوية :

« وتربية النشء هى العمل الأسمى فى وظائفه الإنسانية ولن تكون تربية النشء صحيحة كاملة إذا جهلنا ماضى سلالة من تربى ، وحياة أبويه وجدوده ». (١)

« والمسلك السهل لاجتــذاب تلاميذ المدارس وغير تلاميذ المدارس هو طريق السير . أى حياة العظماء ، ولاسيما الشخصيات ذوات الأثر الفعال ، وقواد البحر ، أو الجنود ، والرواد وحكاياتهم المثيرة ... فتلاميذ المدارس يستجيبون فوراً لنداء الوطنية وإلى روح التضحية ... واللحاق بأولئك الذين أنجزوا عملًا تذكرهم به بلادهم . (٢)

أو كما يقول بولنجُبروك : «لقد بان لى أن دراسة التاريخ دون سواها أصلح الدراسات لتعويد الإنسان الفضائل الخاصة والعامة» (٣)

وابن عبد البر كان علماً من أعلام التاريخ الإسلامى خاصة والبشرى عامة الذين بينوا الفائدة التربوية للتاريخ ، وإشاراته المتعددة فى مؤلفاته تؤكد هذا المعنى ، فاهتمامه بالسيرة النبوية وتدوينها نابع من هذا الأصل التربوى وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعه من هذا البحث .

وكذلك تدوينه لسير الصحابة توخى منه التَّعرف على أخلاقهم وسلوكهم وتضحياتهم فى سبيل الله ، كما عبّر هو بنفسه بأن سبب الاهتمام بذلك هو : « الاهتداء بهديهم فهم خير من سلَك سبيله ـــ أى الرسول ـــ واقتدى به» (٤)

ونفس السبب دعى ابن عبد البر للكتابة فى سير مشاهير الفقهاء وقد لخص ذلك بقوله : (٥)

= وانظر موسوعة التاريخ الإسلامى : ١٠ / ٣٥ ـــ ٤٠ .

(١) موسوعة التايخ الإسلامى : ١٠ / ٤٠ .

(٢) التاريخ أثره وفائدته : A.L. ROWSE ترجمة مجد الدين حفنى ناصف .

(٣) علم التاريخ : هرنشو : ١٥٨ .

(٤) الاستيعاب : ١ / ١٩ .

(٥) جامع بيان العلم : ٤٥٧ .

« فمن قرأ فضائل مالك ، وفضائل الشافعى وفضائل أبى حنيفة بعد فضائل الصحابة والتابعين وعُنى بها ، ووقف على كريم سِيَرهم وهَديهم كان ذلك له عملًا زاكياً . »

ثم إن الإسلام منهج ألزم الله به عباده . ولايتحقق إلا بوجود القدوة ، فكان التأكيد على الجانب التربوى فيه ، وأخذ الأسوة من الصدر الأول ومن قمم الإسلام فى كل جيل مطلباً أساسياً لتحقيق الالتزام بالإسلام عقيدة وسلوكاً .

ثانيا : الالتزام عند ابن عبد البر :

يرى البعض من الباحثين ممن عنى بالنقد والأدب أن مبدأ الالتزام من معطيات الثقافة المعاصرة ولم يعرفها الأقدمون ، ولكن الحقيقة « أن المؤرخين والمفكرين المسلمين عرفوا الالتزام والتزموا به من مطلع الإسلام »[1] بل إنّ القرآن قد وضع معالم هذا المبدأ بقول الله تعالى :

﴿ ولا تبخسوا النّاس أشياءهم ﴾ .[2] ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيّنوا ﴾ .[3] ﴿ إنّ السّمعَ والبَصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنهُ مَسئُولًا ﴾ .[4]

وقول النبى ﷺ :

« كفى بالمرءِ كذِباً أنْ يُحدِّثَ بكلِّ ما سمِع »[5]

« لاتسبُّوا أصحابى فو الذى نفسى بيدهِ لو أنّ أحدَكم أنفقَ مِثلَ أحدٍ ذهباً ما أدرَك مُدّ أحَدِهم ولا نَصيفَه »[6]

هذه هى الأصول التى يستمد منها المسلم مؤرخا كان أو غير مؤرخ فى الالتزام

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامى : ١٠ / ٤٤ .

(٢) هود : آية ٨٥ .

(٣) الحجرات : آية ٦ .

(٤) الإسراء آية : ٣٦ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ٧٣ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى : ١٦ ، ٩٢ .

مع بنى البشر كلّهم ، فضلًا عن رجال تاريخه ، وأعلام أمته ، والأحداث التاريخية التى لابسوها .

وقد أسهم ابن عبد البر فى ترسيخ أسس هذا المبدأ بالممارسة العملية فى كتابته التاريخية وغيرها ، وهذا إن دلّ على شيىء ، فإنما يدُل على سُمو فى الخُلُق ، وورع فى الكلمة واحترام لها .

وقد أفرد فى كتابه (جامع بيان العلم وفضله) باباً[(١)] نفيساً تفتقده كثير من الكتب التى ألفت فى هذا المضمار . وعنوان الباب : (حكم قول العلماء بعضهم فى بعض) ، ويُلَخص القول فى ذلك فيقول بعد أن حشدالكثير من النصوص :

« قال أبو عمر : هذا بابٌ غلط فيه كثير من الناس ، وضَلّت به نابتة جاهلة ، لاتدرى ما عليها فى ذلك ، والصحيح فى هذا الباب أنّ مَنْ صَحَّت عدالته ، وثبتت فى العلم أمانته ، وبانت ثقته وعنايته ، لم يُلتفت فيه إلى قول أحد إلا أن يأتى فى جرحته بيّنة عادلة تصِّح بها جرحته عن طريق الشهادات والعمل فيها من المشاهدة والمعاينة لذلك بما يوجب قوله من جهة الفقه والنظر .

وأما من لم تثبت إمامته ولا عُرفت عدالته ولا صحت ، لعدم الحفظ والإتقان روايته ، فإنه يُنظر فيه إلى ما اتفق أهل العلم عليه ، ويجتهد فى قبول ما جاء به على حسب ما يؤدى النظر إليه والدليل .

على أنه لا يقبل فيمن اتخذه جمهور من جماهير المسلمين إماما فى الدين قول أحد الطاعنين .

إن السلف رضوان الله عليهم قد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب .

---

(١) انظر : ٤٣٩ ــ ٥٤٧ .

وقد قدم أستاذنا الدكتور أحمد شلبى بحثا ألقى فى (ندوة السخاوى) التى أقامتها الجمعية التاريخية المصرية من ٢٨ فبراير ــ ٢ مارس ١٩٨١ بالقاهرة عنوانه : السخاوى والسيوطى والمعاصرة الفكرية ــ عالج فيه هذا الموضوع .

ومنه ماحَمَل عليه الحسد ... ومنه على جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه بما قال القائل فيه .

وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلا ، واجتهادا لايلزم تقليدهم فى شيىء منه دون برهان ولا حجه توجبه) .(١)

ثم يأتى بنماذج من كلام بعض العلماء فى بعض ويردُّ عليها .

ثم يُلخص القول فى الموقف الذى يتخذه الناظر فى قول المتعاصرين بعضهم ف بعض فى كل عصر من العصور فيقول :(٢)

(فمن أراد أن يقبل قول العلماء الثقات الأئمة الأثبات بعضهم فى بعض فليقبل قول من ذكرنا قوله من الصحابه رضوان الله عليهم أجمعين بعضهم فى بعض فإن فعل ذلك فقد ضَلَّ ضلالاً بعيداً وخسر خسراناً مبيناً .

وكذلك إن قبل فى سعيد ابن المُسيِّب قول عِكرمة وفى الشَّعبى والنَّخعى ، وأهل الحجاز وأهل مكة ، وأهل الكوفة وأهل الشام على جملة ، وفى مالك والشافعى ...

فإن لم يفعل ولن يفعل إن هداه الله وألهمهُ رُشده ، فليقف عندما شرطنا في أن لا يقبل فيمن صحت عدالته وعُلمت بالعلم عنايته ، وسَلِمَ من الكبائر ، ولزم المُروءة والتعاون ، وكان خيره غالباً ، وشرُّه أقلَّ عمله ، فهذا لايُقبل فيه قول قائل لا برهان له به .) .
وقد كان ابن عبد البر يُطبق منهجه هذا في سائر كتبه فمن عباراته التي استعملها : كأن يقول :
« وقد تكلم بكلام فيه جفاء وخشونة كرهت ذكره » (٣) ، أو « وله أخبار من نحو

---
(١) جامع بيان العلم : ٤٤٢ .
(٢) نفس المصدر : ٤٥٦ .
(٣) جامع بيان العلم .

هذا زَدِيَّة لم أذكرها » [1]

ويورد أبياتا شعرية ويعقب عليها بقوله :[2]

« وهى أكثر من هذه الأبيات تركت ذكرها لما فيها من الفخر بالجاهلية » .

وبهذا يتبين لنا أن ابن عبد البر قد طرق مبدأ مهما فى كتابة التاريخ ينبغى للمؤرخ أن يضعه نصب عينيه عند كتابة تاريخ أمته فى كل عصر من العصور ، « ولكن ليس معنى هذا أن نُغيّر فى التاريخ . فالتاريخ مقدس ومن الخيانة أن تلعب به الأهواء » .[3]

(فيراعى المؤرخ عدم إدانة حروب الصحابة مثلا وغيرها ، وتحاشى الغمزات التى تضر دينه ووطنه)

وبذلك يقدمه لأجيال أمته صورا تبعث القوة وتشحذ الهمّة لعلّنا نُربى بذلك النشىء تربية تجعله يحب دينه ، ويحترم الأسلاف ، ويسعد بالتراث ويرتبط به .[4]

ثالثا : نقد الخبر عند المسلمين :

بدايات النقد عند المسلمين :

قبل أن يُدلف إلى الكلام عن نقد النصوص عند ابن عبد البر فمن المناسب أن يقدم الباحث بين يدى بحثه نبذة سريعة عن مصطلح النقد معناه ، والعوامل التى أدت لنشوئه ، والنطاق الذى يحيط به النقد . ولما كان هذا البحث حول عالم من علماء المسلمين فيقتضى ذلك معرفة مفهوم النقد على أساس نشأته الإسلامية فى ظل علم الحديث النبوى لاسيما وأن ابن عبد البر كان محدث عصره فى الأندلس على ما وصف .

---

(1) الاستيعاب : 4 / 1679 .
(2) نفس المصدر : 2 / 468 .
(3) موسوعة التاريخ الإسلامى : 10 / 46 .
(4) نفس المصدر : 10 / 46 ، 47 ، 48 .

المعنى اللغوى لكلمة نقد : [١]

الأصل فى معناها هو (النقر) ، و (الالتقاط) واشتق منها (التميز) و (النظر إلى الشيء) .

فيقال : نقد الطائر الفخ ينقدُه بمنقاره : أى ينقُره .

ويقال : نقد الطائر الحبّ : أى التقطه واحداً واحداً .

ويقال : نقدتُ الدراهم وانتقدتُها : أى أخرجتُ منها الزيف .

ويقال : نقد الرجل الشيء بنظره ، ينقده نقداً .

ونقد إليه : أى اختلس النّظر نحوه .

وأما فى الاصطلاح [٢] فالنقد يعنى : « معرفة الصحيح من الزائف » من النصوص الحديثية أو التاريخية والأدبية .

وقد كان مُبتنى هذا المنهج عند المسلمين ونشأته على علم الحديث النبوى ، فكما هو معلوم أنّ الحديث هو المصدر الثانى بعد القرآن فى الشريعة الإسلامية ، لذا استوجب نقله التحرى والتمحيص لما ينبنى عليه من أحكام الحلال والحرام . [٣]

والرواية الحديثية تتكون من ركنين أساسيين :

السند : « وهو سلْسلَة الرواة الذين نقلوا الحديث »(٤) . وهو ما يسميه المعاصرون المصدر أو الوثيقة . [٥]

والمتن : « وهو ما انتهى إليه السند من الكلام » [٦] وهو ما يسميه المعاصرون المضمون ـــ أى مضمون النص ـــ . [٧]

---

(١) انظر لسان العرب : ٦ / ٤٥١٧ حرف النون طبعة دار المعارف ، ١٩٨١ م.

(٢) منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى : د.عثمان موالى : ١٠٤ .

(٣) علم التاريخ عند المسلمين : نقلا عن الإعلان بالتوبيخ للسخاوى : ٤٦٦ .

(٤ ،٥) معجم المصطلحات الحديثية : د. نور الدين عتر : ٥١ ، ٨٨ .

(٦)(٧) منهج النقد التاريخى الإسلامى : ٧ ، ١٤٥ .

وقد بدأ العلماء المسلمون إعمال منهج النقد مبكراً بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حفاظا على الأحكام ، وخشية الوقوع فى الخطأ فى الرواية ، مما يؤدى إلى خطأ فى حكم شرعى :

لذا فأبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم لم يقبلوا الحديث إلا بشاهد (١) ، خوف الخطأ ، لا خوف الكذب ، لأن الصحابة رضى الله عنهم مبرءون من الكذب ، وإذا وصف بعضهم بعضاً بالكذب فهذا يعنى الخطأ فى النقل ، ولا يعنى اصطناع وضع الحديث على رسول الله عليه الصلاة والسلام .(٢)

وقد ازداد التشدُّد فى قبول الرواية بعد استعار الفتنة (٣) التى بدأت بالخروج على

---

(١) سئل أبو بكر فى السؤال عن إرث الجدة ونصيبها فأجابه المغيرة بن شعبة بأنه سمع رسول الله يقول نصيبها السدس فطلب شاهدا على ذلك فشهد له محمد بن سلمة . انظر علوم الحديث : للحاكم : ١٥ .
وشهد عمر بن الخطاب على أبى موسى الأشعرى فى حديث الاستئذان ، فطلب من يشهد له بذلك .
انظر علوم الحديث : ٥٢ .

(٢) مثل ابن عباس قول أنس بن مالك : « والله ما كنا نكذب على بعض »
وقول البراء : « ماكل ما نحدثكم عن رسول الله ﷺ سمعناه منه ما سمعناه منه ، ومنه ما حدثنا أصحابنا ونحن لانكذب » .
انظر (بحوث فى تاريخ السنة المشرفة): د. أكرم العمرى : ٤٧ وانظر منهج النقد التاريخى).

(٣) « لم يكونوا يسألوا عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم » خلافا بين المعاصرين المسلمين منهم والمستشرقين .
يقول شاخت (SCHACHT): هى الفتنة التى وقعت زمن الوليد بن يزيد (ت ١٢٦ هـ) ويقول روبسون (ROBSON) : هى فتنة ابن الزبير وقعت فى حدود (٧٢ هـ) انظر : « بحوث فى تاريخ السنة » : ٤٦ ، ٤٩ . وقد ذهب د. عثمان موافى إلى أنها حرب على ومعاوية : انظر « منهج النقد التاريخى » : ٣٤ .
يذهب د. بشار عواد : إلى أن الفتنة تحمل على فشو الكذب ولا تحمل على فتنة بعينها
انظر : مظاهر تأثير علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين : مقالة فى مجلة الأقلام ، السنة الأولى : ٢٠٣ . العدد الخامس .
وأصالة البحث التاريخى عند العرب : مجموعة بحوث المؤتمر التاريخى العالمى (١٩٧٣ م) : ٨٩٨ — ٨٩٩ .
وقد ناقش د. أكرم العمرى : شاخت وروبسون . ورجح كون الفتنة هى الخروج على عثمان .
وأما ما ذهب إليه الدكتور بشار ، فيتحقق بما ذهب إليه الدكتور أكرم ، لأن فتنة عثمان هى أولى الفتن فهى مظنة فشو الكذب ، وقد وقع من قبل السبأيين الكذب على لسان الصحابة . وبعض أهل الكوفة فى اتهامهم للولاة بما يدل على ذلك .

سيدنا عثمان رضى الله عنه وماتلاها من إحن ومحن كانت بداية الصدع فى المجتمع الإسلامى وما ظهر بعد ذلك من الصراعات السياسية المتعارضة والآراء المتعصبة المتدافعة مما أدى إلى تجرؤ بعض من أسلم بعد الصدر الأول على وضع الحديث لتأييد آرائهم السياسية لأنهم لم يتذوقوا حقيقة التربية الإيمانية التى كانت تردع من ذاقها من صحابة رسول الله عن التردى إلى مهاوى الكذب على رسول[1] مع شدة الخلاف فى الرأى السياسى الذى استحكم لعوامل متعددة ليس مكان دراستها هنا .

والذى يدل على اهتمام التابعين منذ أوائل القرن الثانى الهجرى بالإسناد ما روى عنهم من شدة التزامهم فقد شبَّهُ الزهرى (ت ١٢٤ هـ) وشعبة (ت ١٦٠ هـ) بخطام البعير ـــ بقوده ـــ وجعله عبد الله بن المبارك من الدين فقال : « الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء »[2] وقال ابن سيرين :[3] « إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم »[4] وذلك لكون الحديث مدار استنباط الأحكام الشرعية .

ثم إن التزام الإسناد كان باعثاً على الراحة ، والطمأنينة ، والثقة بما يُروى من جانب الراوى أولاً ، لا ستشعاره بأن المسئولية لا تقع على عاتقه فقط وإنما يشاركه شيوخه وشيوخهم إلى الصحابة .[5]

ومن جانب السامع ثانياً : لأنه يجد أمامه سلسلة الرواة المرضيين كُلُّهم يشهد بالسماع عمّن قبله حتى يصل إلى الصحابى فالرسول عليه الصلاة والسلام .

= ثم إنّ كلمة فتنة إذا أُطلقت فأوّل ما يتبادر إلى الذهن هى فتنة قتل عثمان لأنها كانت مقدمة لفتنة على ومعاوية بعد ذلك .

انظر : « فواتح الرحموت فى شرح مسلم الثبوت » فى أصول الفقه : لابن عبد الشكور بهامش المستصفى للغزالى : ١٥٥ ، ط١ ، الأميرية ببولاق : ١٣٢٤ هـ .

(١) انظر التقييد والإيضاح للعراق : ٣٠١ .

(٢) بحوث فى تاريخ السنة المشرفة نقلا عن مخطوط الكامل لابن عدى : ٤٨ ، ٥٢ .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووى : ١ / ٨٧ وانظر تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٣٤ .

(٤) صحيح مسلم شرح النووى ١

(٥) انظر « بحوث فى تاريخ السنة المشرفة » : ٥٣ .

ونتيجة التأكيد على الإسناد والاهتمام به فقد التزمت به كتب الحديث التى دُوّنت منذ النصف الأول من القرن الثانى الهجرى وسميت (بالمسانيد) مثل مسند معمر بن راشد (ت ١٥٢ هـ) ومسند الطيالسى (ت ٢٠٤ هـ) والتى كانت الذخيرة التى[1] اعتمد عليها التدوين فى القرن الثالث الهجرى ومورداً مُهما للكتب الستة المشهورة عند المحدثين والتى كان الالتزام الدقيق بالإسناد من أهم سماتها .

منهج النقد عند المسلمين :

إنّ نقد الخبر عند علماء المسلمين قد تناول شقين السند والمتن ، لأنهما ركنا الرواية عند المسلمين .

نقد السند :

وبما أن السند هو سلسلة رواة الخبر لذلك قد انصب النقد على الرواة ، وذلك بمعرفة أحوالهم معرفة تُعين على الحكم على صحة نقلهم للخبر الذى يروون . وقد أورد الباحث فى الصفحات السابقة أقوال العلماء فى أهمية السند فى معرفة صحة الخبر من خلال اتصال النقل إلى راوى الحادثة أو الخبر .

وانصب التحقيق على أهلية الراوى لقبول روايته على صفتين الواجب توفرهما فيه وهما : العدالة والضبط .

أ ــ العدالة :

أما العدالة فقد عرفها العلماء بأنها :

« مَلَكَة تحمل صاحبها على التقوى واجتناب الأدناس وما يُخلّ بالمروءة عند الناس »[2]

---

(١) انظر نفس المصدر : ٥٤ .

(٢) معجم المصطلحات الحديثية : ٦٤ والمروءة هى آداب نفسانية [illegible] والاهتداء بالسلف والاقتداء بهم ، ويرجع معرفتها إلى العرف والعادة [illegible]

والمنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ١٥٣ وانظر المستصفى للغزالى ١٥٧ [illegible] كل حامل علم معروف العناية فهو عدلٌ محمولٌ فى أمره أبداً على العدالة [illegible] ﷺ « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » مقدمة ابن الصلاح : ٩٥ .

وهناك عوامل تؤثر فى العدالة مما يترتب عليها جرح الراوى وردّ روايته ، ويمكن حصرها فى ثلاثة عوامل : الكذب ، والسفه ، والابتداع .

١ ـــ **الكذب** : فى اللغة هو الإخبار بالشيء بخلاف ما هو عليه ويطلق على الخبر المخالف لما أخبر عنه ماضياً أو مستقبلاً .[(١)]

وفى اصطلاح المحدثين : « أن يفترى أحد على رسول الله ﷺ قولًا أو فعلًا . »[(٢)]

وهو من أقوى الأسباب الباعثة على جرح الراوى لأن الكذب من أكبر الكبائر . ولاتقبل رواية الكاذب عند المحدثين ولو تاب عن ذلك وتُقبل روايته عند المؤرخين وأهل الأدب إذا تاب عن كذبه .[(٣)]

٢ ـــ **السَّفه** : يرى كثير من العلماء أنّ السَّفه يُسقط العدالة ، ويخرم المروءة ويوجب رد الرواية .

ولكن ليس هناك اتفاق على معنى للسفه وخوارم المروءة . فتعددت أنواعه تبعا لذلك فقيل هو عدم التزام أدب الحديث والفحش فيه . أو الإتيان ببعض الأفعال غير اللائقة عرفا كالتبول فى الطريق ، أو الركض وراء الدابة أو كثرة المزاح المخل والمسقط للهيبة . أو سب السلف .[(٤)]

ويرى الخطيب البغدادى (ت٤٦٣ هـ)[(٥)] وجوب نظر العالم فى سلوك من أوغل فى المباحات وخرج عن الحد الشرعى ، أو جاء ببعض الأمور المُخلّة باللياقة ، فإن كان ذلك من طبعه وعادته ، واعترف الراوى بخطئه فى ذلك ، ولم يُعرف عنه الكذب فى الخبر والشهادة وجب التساهل معه فى قبول الرواية . ولكن إن كان غير ذلك فوجب ترك العمل بخَبَره وردّ شهادته .

---

(١) انظر تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢ / ١٢٢ .

(٢) المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٢٧٠ .

(٣) انظر الكفاية فى علم الرواية : ١٩٠ .

وانظر الباعث الحثيث : الهامش : ١٠١ ـــ ١٠٢ .

(٤) انظر الكفاية فى علم الرواية : ١٨٢ ـــ ١٨٦ والمستصفى : ١ / ١٥٧ وانظر : منهج النقد التاريخى : ١٢٥ ـــ ١٢٦ .

(٥) الكفاية فى علم الرواية : ١٨٢ ـــ ١٨٣ والمستصفى : ١ / ١٥٧ .

وحسما للاختلاف النسبى فى بعض الصفات الجارحة وضع العلماء قاعدة ذهبية وهى : (لا يُقبلُ الجرح إلا مُفسرا)[1]. تحقيقا للإنصاف .

٣ ـــ أهل الأهواء والبدع :[2]

يرى بعض العلماء عدم صحة رواية أهل الأهواء والمذاهب المبتدعة كالخوارج والمعتزلة والشيعة وغيرهم . بل منع هذا الفريق الرواية عنهم مطلقا لأن بدعتهم فسق غير متأول على أقل تقدير ، فردت روايتهم لأن الفسق يُسقط العدالة .[3]

وقد ذهب فريق آخر إلى التفصيل ، فقالوا بقبول رواية المبتدع ، ولكن بشروط وذلك : بأن لا يكون داعيا إلى بدعته ، وأن يُعلم عنه أنه لا يستحلّ الكذب . واعتذر له بأنه فاسق متأول ، فلا يُقطع بفسقه . ذهب إلى ذلك الشافعى (ت ٢٠٤ هـ) .[3]

وذهب أحمد محمد شاكر : إلى أنّ « العبرة فى الرواية بصدق الراوى وأمانته وثقته بدينه وخُلُقه . والمتتبع لأحوال الرواة يرى كثيراً من أهل البدع موضعا للثقة والاطمئنان » .[4]

وفرّق الذهبى[5] بين البدعة ، الصغيرة : كالتّشيع بلا غلو ولا تعصب ، وإنما تأييد على رضى الله عنه فى موقفه . والتحامل على معاوية وطلحة والزبير .

---

(١) منهج النقد التاريخى : ١٢٦ .

(٢) وأهل البدع نسبة إلى البدعة : وهى نقص فى الدين ، أو زيادة ، أو إيراد قول لم يستن قائله أو فاعله فيه بصاحب الشريعة .

(٣) انظر « الكفاية فى علم الرواية » : ١٩٤ . وانظر « بحوث فى تاريخ السنة » : ٨٧ وانظر : المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ .
وانظر المستصفى : ١٦٠ . منهج النقد التاريخى : ١٣٢ ـــ ١٣٤ .

(٤) الباعث الحثيث : ١٠٠ .

(٥) انظر الباعث الحثيث الهامش : ١٠١ وانظر فواتح الرحموت بهامش المستصفى : ٢ / ١٤١ . والتحامل هنا لايعنى القذف والافتراء وذكر مالا يليق من الأوصاف والألفاظ . وإنما يعنى إبداء الرأى فى سياسة معينة أو حدث ما . مع الأخذ بنظر الاعتبار للمؤثرات التى دفعت إلى قول ذلك كاشتداد الحساسية فى الخلاف أو الغضب الشديد الذى يدعو إلى تفلّت بعض العبارات .

والبدعة الكبيرة : هي تكفير أبي بكر وعمر والدعاء إلى ذلك . وقد صنّف الخطيب البغدادى (باباً فى جواز النقل عن المبتدعة وأهل الأهواء)[1] ، وذكر نقولا كثيرة عن مشاهير المُحدّثين . وبهذه الشروط التى ذكرها العلماء تتجلى الحيدة العلمية والموضوعية عندهم .

ب ــ الضبط :

ومعناه : « مراجعة ما حفظ الراوى وفهمه فهماً دقيقا سواء أكان مصدره فى ذلك الصدر أو الكتاب »[2] .

أو هو « حفظ الحديث فى الصدر إلى وقت روايته أو حفظه كتابة مع صيانة الكتاب عن أى تبديل أو تغيير منه »[3] .

وهناك عوامل تمسُّ ضبط الراوى ويترتب عليها جرحه وإضعاف روايته . وهذه العوامل هى :

الغفلة والشذوذ ، وكثرة الوهم والغلط والاختلاط والتغيير .

١ــ الغفلة : « وهى القابلية لتصديق كل شيء دون فهم أو فطنة أو تحر أو نقد له »[4] .

وصوّرها الخطيب بقوله :[5] « بأن يكون فى كتابه ــ الراوى ــ غلط فيقال له فى ذلك فيترك مافى كتابه ، ويُحدّث بما قالوا . ويُغيرهُ فى كتابه بقولهم ، ولا يعقل فرق ما بين ذلك . أو يُصحّف تصحيفاً فاحشاً يقلبُ المعنى . لا يعقِلُ ذلك فيكفُّ عنه » .

---

(١) انظر الكفاية : ٢٠٢ ــ ٢١٠ .

(٢) منهج النقد التاريخى : ٦٥ وانظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ١٩٨ .

(٣) معجم المصطلحات الحديثية : ٦٠ .

(٤) التقييد والإيضاح : ١٣٦ وانظر منهج النقد التاريخى : ١٣٥ .

(٥) الكفاية فى علم الرواية : ٢٣٣ .

وعلى كل حال فإن هذه الملاحظة النقدية التى اشترطها السلف فى الرواية والراوى ، ليست غريبة على المنهج النقدى المعاصر الذى يشترط فى الباحث « أن يكون فطناً ، حتى يقف دون عناء كبير على التفاصيل الهامة أو الظروف الأساسية التى تؤثر تأثيراً فعالا فى الظاهرة التى يلاحظها » . (١)

وبذلك يسبقُ المنهج الإسلامى فى النقد المناهجَ الحديثة فى اشتراط تحرُّر المؤرخ من السذاجة والتصديق الأعمى لكل ما يقال ، مما يدل على ضيق الأفق والقصور فى التفكير » . (٢)

٢ ـ الشذوذ :

ويعنى الشذوذ : مخالفة الراوى رواية الثقات ، وقد يرد ذلك إلى سوء حفظه نتيجة لضعف ذاكرته ، أو وُلوع الراوى بالشاذ والمنكر من الأخبار » (٣)

وقال الشافعى (٤) : « ليس الشاذُ من الحديث أن يروى الثقة حديثاً لم يروه غيره ، إنما الشاذ من الحديث أن يروى الثقات حديثاً فيشُذ عنهم واحد فيُخالفهم » .

وقال العراق (٥) (ت ٨٠٦ هـ) : « إذا انفرد الراوى بشىء نظر فيه فإن كان ما انفرد به مخالفاً لما رواه من هو أولى منه بالحفظ لذلك وأضبط ، كان كل ما انفرد به شاذاً مردوداً وإن لم تكن فيه مخالفة لما رواه غيره . وإنّما هو أمر رواه هو ولم يروه غيره ، فيُنظر فى هذا الراوى المنفرد فإن كان عدلاً حافظا موثوقا بإتقانه وضبطه قُبل ماانفرد به ولم يقدح الانفراد فيه ، وإن لم يكن ممن يوثق بحفظه وإتقانه لذلك الذى انفرد به كان انفراده خارما له مُزحزحاً له عن حيز الصحيح . »

وقد أورد الخطيب البغدادى نقولا عن العلماء المشاهير ، وأقوالهم فى الحديث الشاذ. (٦)

---

(١) المنطق ومناهج البحث : د. محمود قاسم : ١٠٥ ـ ١٠٦ ط ٢ .

(٢) منهج النقد التاريخى : ١٣٦ .

(٣) انظر الكفاية : ٢٢٤ وانظر التقييد والإيضاح : ١٠١ .

(٤) الكفاية : ٢٢٣ .

(٥) التقييد والإيضاح : ١٠٤ .

٣ ــ كثرة الوهم والغلط :

إنّ كثرة الوهم والغلط من العوامل التى تمس الراوى ، وتؤدى إلى جرحه . ومن ثم ردّ روايته ، ويثبُت ذلك بكثرة غلط الراوى لا بقليل الغلط .

لذلك يقول عبد الرحمن بن مهدى (ت ١٩٨ هـ) : « لا يترك حديث رجل . إلّا رجلا مُتّهماً بالكذب ، أو رجلا الغالبُ عليه الغلط .»[١]

ويقول كذلك : الناس ثلاثة : رجل حافظ متقن فهذا لا يختلف فيه ، وآخر يَهم والغالب على حديثه الصحة فهذا لا يترك حديثه ، وآخر يهم والغالب على حديثه الوهم فهذا يترك حديثه »[٢] .

ثم إنّ الغلط والوهم حالة حسية ظاهرية قد تقع لأى إنسان ولا يسلم أحد من الغلط والوهم . ولكنْ فرّق العلماء بين الذى يقع منه الغلط فيعترف به ويصححه ، وبين من يرفض تصحيح الغلط . فاعترفوا برواية الأول وقبلوها وجرحوا الثانى وردوا روايته[٣] .

يقول الخطيب البغدادى : « وليس يكفيه فى الرجوع أن يُمسك عن رواية ذلك الحديث ــ أى الذى وقع فيه الغلط والوهم ــ فى المستقبل فحسب ، بل يجب عليه أن يظهر للناس أنه كان قد أخطأ فيه وقد رجع عنه »[٤] .

٤ ــ الاختلاط والتغيير :

والصفة الرابعة التى يترتب عليها جرح الراوى والطعن فى روايته هى اختلاطه أو ذهاب عقله .

(١ ،٢) نفس المصدر : ٢٢٧ .

(٣) انظر منهج النقد التاريخى : ١٣٨ .

(٤) الكفاية فى علم الرواية : ٢٢٩ وانظر التقييد والإيضاح : ١٥٥ وانظر الباعث الحثيث : ١٠٢ .

والمختلِطُ هو : « الراوى الذى اختلّ حفظه فى آخر عمره يقبل حديثه إذا كان ثقة وعلم أنه حدث به قبل أن يختلط » [1]

وسبب الاختلاط « إماالخوف أو ضرر أو مرض أو عرض كعبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤ هـ) لمّا ذهبت كتبه اختلط فى عقله .» [2]

وقد أفاض العراقى فى ذكر أسماء من اختلط وتغير فى آخر عمره ، والسبب فى ذلك . والمدة التى تغيّر فيها [3]، ثم إنه ناقش ابن الصلاح لذكره بعض العلماء فيمن خلّط وهم ليسوا كذلك مثل أبى بكر بن مالك القطيعى . [4]

والحكمُ فيهم كما بينه ابن الصلاح : « أنه يُقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط . ولا يقبل حديث من أخذ عنهم بعد الاختلاط ، أو أشكل أمره ، فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده » [5]

مفهوم نقد السند بين المسلمين والأوربيين :

يتبين أنّ نقد العدالة والضبط يقابلهما فى الاصطلاح عند نقاد التاريخ الأوربى المعاصر نقد الأمانة والدّقّة .

فنقد الأمانة « هدفه معرفة ما إذا كان مؤلفُ الوثيقة لم يكذب ، ونقد الدقة هدفه معرفة ما إذا كان لم يخطىء — أى الناقل للخبر — » [6]

وقد فرّق علماؤنا المسلمون كذلك بين المصطلحين كما مرّ فاعتبروا الكذب إخلالاً بالعدالة ، والغلط اعتبروه إخلالاً بالضبط .

وهناك فرق فى مفهوم الأمانة عند المؤرخين الأوربيين وبين مفهوم العدالة عند

---

(١) معجم المصطلحات الحديثية : ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢) الباعث الحثيث : ٢٤٤ .
(٣) انظر التقييد والإيضاح : ٤٤٢ — ٤٦٥.
(٤) انظر التقييد والإيضاح : ٥٦٤ .
(٥) التقييد والإيضاح : ٤٤٢ .
(٦) النقد التاريخى : لأنجلوا وسينوبوس : ترجمة د. عبد الرحمن بدوى : ١٤٠ — ١٤١ .

العلماء المسلمين ، إذ هى عند المسلمين أوسع مدلولا وأشمل ، حيث أن الأمانة عند الأوربيين وجدانية بحتة لا ينظر فيها إلى سلوك المؤرخ الاجتماعى ، ولعل ذلك عائد لمفهوم الحرية الشخصية عندهم ، بينما عند علمائنا المسلمين العدالة تشمل الجانب الوجدانى وهو ما أطلق عليه بالورع والصلاح والتدين من جانب . والسلوك الاجتماعى من جانب آخر وهو ماعُرف بالمروءة وذلك لأن الإسلام يربط بين الوجدان والسلوك ويوحّد بينهما فى الشخصية .(١)

ونجد أن هناك تشابها بين نقد الضّبط عند المسلمين ونقد الدقة عند الأوربيين . ولقد أجمل لانجلوا(٢) وسينوبوس(٣) دوافع الخطأ كالآتى :(٤)

١ ـــ أن يكون المؤلف فى موضع يسمح له بملاحظة الواقعة وأنه نُحيل إليه أنَّه لاحظها فعلا لكن منعه من ذلك دافع باطن لم يكن على شعور به : هلوسة أو وهم .

٢ ـــ أن يكون المؤلف فى موضع لا يسمح له بالملاحظة فى شرائط الملاحظة الصحيحة أن يكون الملاحظ فى وضع يسمح له أن يرى بدقة ويجب أن يسجل مشاهدته فوراً .

٣ ـــ أن يؤكد المؤلف وقائع كان فى استطاعته أن يلاحظها لكنه لم يكلف نفسه بسبب كسل أو إهمال ، فأعطى معلومات كاذبة زائفة .

بذلك نرى أن المنهج الإسلامى قد كشف عن العوامل التى توصل إليها الأوربيون بعد ذلك .

---

(١) انظر منهج النقد التاريخى : ١٤٢ .

(٢) هو شارل فكتور لانجلوا (١٨٦٣ ـــ ١٩٢٩ م) مؤرخ فرنسى اهتم بالتأليف فى النقد التاريخى وعنى بالأدب الفرنسى بالعصر الوسيط :

انظر تصدير كتاب النقد التاريخى : ترجمة د. عبد الرحمن بدوى : ١١ .

(٣) هو شارل سينوبوس (١٨٥٤ ـــ ١٩٤٢ م) كان أستاذا حرا بالسوربون اهتم بالمنهج التاريخى وله كتب أخرى غير الذى اشترك به مع لانجلوا انظر المصدر السابق : ١٢ .

(٤) انظر النقد التاريخى : ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

فالدافع الأول الذى قرره لانجلوا وسينوبوس هو ماعبّر عنه علماؤنا بالوهم والاختلاط ، والدافعين الثانى والثالث عبّر عنه علماؤنا بالغفلة والتساهل فى الأداء.[1]

نقد المتن :

وأما نقد المتن فإنّه يمر بثلاث مراحل للوصول إلى نص صحيح من ناحية الشكل والمضمون .

فالمرحلة الأولى : التصحيح من التصحيف[2]

وتتم بتصحيح المتن من الأخطاء والتصحيفات التى توقع فى اللبس عند محاولة فهم النص .

والوقوع فى الخطأ والتصحيف سببه خطأ فى سماع النّص من الشيخ ، أو خطأ فى النقل من مصدر مكتوب . وقد أطلق العلماء المسلمون على الأول تصحيف السماع وعلى الثانى تصحيف البصر .[3]

وتصحيف السماع سببه ضعف فى سمع الراوى أو بعده عن الشيخ فى حلقة الدرس .

ومن تصحيف السماع حديث روى عن معاوية بن أبى سفيان قال : لعن رسول الله ﷺ الذين يُشققون الحطب تشقيق الشعر . صحّفه وكيع بن الجراح فقال : (الحطب) بالحاء المهملة المفتوحة بدل الخاء المعجمة المضمومة[4] .

ومثاله كذلك تصحيف اسم (عاصم الأحول) رواه بعضهم (عاصم الأحدب) وهذا مما لا يشتبه فى الكتابة وإنما أخطأ فيه سمْعُ من رواه.[5]

(١) انظر منهج النقد التاريخى : د. عثمان موافى : ١٤٣ .

(٢) والمُصحَّف من الحديث : هو الذى تحول فيه كلمة من الهيئة المتعارفة إلى غيرها .
انظر معجم المصطلحات الحديثية : ٩٩ .

(٣) انظر منهج النقد التاريخى : ١٤٧ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٨٤ .

(٤) التقييد والإيضاح : ٢٨٤ والباعث الحثيث : الهامش : ١٧٢ .

(٥) نفس المصدر وانظر الباعث الحثيث : الهامش : ١٧٣ .

وأما تصحيف البصر : فهو أن ينقل المُحدث ، أو المؤرخ عن مصدرفيخطىء في نقله ، مما يؤدى إلى تغيير فى المعنى .

ومثاله : التصحيف فى متن رواه بن لهيعة عن كتاب موسى بن عقبة « أن رسول الله ﷺ (احتجم فى المسجد) وإنما هو بالراء (احتجر فى المسجد) أى اتخذ حجرة من خوص أو حصير يصلى فيها فصحفه ابن لهيعة لكونه آخذه من كتاب بغير سماع» .[1]

ولقد مارس العلماء المسلمون تصحيح الأخطاء فى السند والمتن ممارسة فعلية منذ القرون الثلاثة الأولى ، وممن مارسه الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) والبخارى(ت ٢٥٦ هـ) ومسلم (ت ٢٦١ هـ) وأبو زرعة الرازى[2] (ت ٢٦٤ هـ) .

وقد تأخر التأليف إلى أواخر القرن الثالث وأول خطوة فى ذلك هى (كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه) لأبى أحمد الحسن بن عبدالله العسكرى (ت ٢٨٣ هـ) ثم ألف بعد ذلك على بن عمر الدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) كتابا فيه[3] .

المرحلة الثانية : شرح الغريب :

ولم يكتف العلماء المسلمون بتصحيح النص من الناحية اللفظية واللغوية وإنما انتقلوا إلى خطوة أخرى مهمة لاستكمال إيضاح مقصود النص وذلك بشرح الألفاظ الغريبة التى وردت فى النص وقد أطلق عليه العلماء المسلمون شرح الغريب) .

ومن ذلك أن الأصمعى سُئل عن قول رسول الله ﷺ (الجار أحق بسقبه) .

---

(١) التقييد والإيضاح ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) انظر منهج النقد التاريخى : ١٤٨ .

(٣) انظر الباعث الحثيث : الهامش : ١٧١ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٨٢ ـــ ٢٨٣ .

فقال : أنا لا أفسر حديث رسول الله ﷺ ولكن العرب تزعم أن السقب : اللزيق .[1]

وكان من أوائل من ألف فى (شرح الغريب) :

النضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ)وأبو عبيدة معْمر بن المثنى (ت ٢٠٨ هـ) وعبد الله ابن قريب الأصمعى (ت ٢١٣ هـ) .[2]

المرحلة الثالثة : معرفة المتن الصحيح من الضعيف

لم يكتف المسلمون بتصحيح المتن وتفسيره بإزالة الغموض الذى يعتوره وإنما تعدوا إلى نقده لتمييز الصحيح من الزائف .

ولذلك فإن العلماء المسلمين لم يشترطوا التلازم بين صحة السند وصحة المتن فلربما يصح الإسناد لكون رواته ثقات ولا يصح المتن . والعكس كذلك ، فربما يكون المتن صحيحاً والإسناد غير صحيح فلا تلازم بينهما وهذا الذى عليه المحدثون .[3]

وقد قسم الشيخ طاهر الجزائرى فى كتابه المخطوط (توجيه النظر) مواقف علماء الحديث من هذه القضية إلى ثلاث فرق :[4]

الفرقة الأولى : جعلت همّها النظر فى الإسناد فإن وجدتهْ متصلا ليس فى اتصاله شبهة ووجدت رجاله ممن يوثق بهم ، حكمت بصحة الحديث قبل إمعان النظر فيه . حتى أن بعضهم يحكم بصحته ولو خالف حديثاً آخر ، رواته أرجح . ويقول : كل ذلك صحيح ، وهذا أصح . وأحيانا يكون الجمع بينهما غير ممكن .

والفرقة الثانية : جعلت همها النظر فى نفس الحديث فإن راقها أمره حكمت بصحته وأسندته إلى النبى ﷺ ، وإن كان فى إسناده مقال ، مع أن فى كثير من

(١ ، ٢) انظر الباعث الحثيث : الهامش ١٦٧ ـــ ١٦٨ وانظر التقييد والإيضاح : ٢٧٤ ـــ ٢٧٥ وشرح الغريب : هو شرح ما وقع فى متون الحديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها . معجم المصطلحات الحديثية : ٦٩ .

(٣) انظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٣٤٥ .

(٤) انظر نفس المصدر : ٣٤٦ .

الأحاديث الضعيفة بل والموضوعة ما هو صحيح المعنى فصيح المبنى غير أنه لم تصح نسبته للنبى ﷺ . وقد قال بعض الوضّاعين : لابأس إذا كان الكلام حسناً أن تضع له إسنادا .

والفرقة الثالثة : جعلت همّها البحث عما صحّ من الحديث لتأخذ به فأعطت المسألة حقها من النظر فبحثت فى الإسناد والمتن معاً بحثا مؤثرا للحق . فلم تنسب إلى الرواة الوهم والخطأ ونحو ذلك ، بمجرد كون المتن يدلُّ على خلاف رأى لها مبنىّ على الظن ،ولم تعتقد فيهم أنهم معصومون عن الخطأ والنسيان . وهذه الفرقة هى أوسط الفرق وأمثلها وأعدلها وتتناول بحث المتن بكل دقة وإمعان . كما هو شأن البحث فى الإسناد . واستطاعوا من خلال النظر فى المتن أن يحكموا على الحديث بالوضع وذلك فى أحوال محددة مخصوصة ولو كان سنده صحيحا .

وهذه الفرقة الثالثة هى جمهور أهل الحديث والأصول ، الذين اعتمد المسلمون كتبهم ، وأما الفرقتان الأوليان فلا يُحتج بهما . (١)

وقد عالج ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) قضية المتن عن طريق سؤال وجّه إليه يقول : (٢)

« هل يمكن معرفة الحديث بضابط من غير أن ينظر فى سنده ؟

وقبل الإجابة قدم مقدمة بين فيها حال من يتصدى لبيان مثل هذه المسألة لكيلا يقول من شاء ما شاء فى حديث رسول الله ﷺ . قال : (٣)

« فهذا سؤال عظيم القدر وإنما يعلم ذلك من تضلّع فى معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة سيرة رسول الله ﷺ وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويُخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ، ويكرهه ، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول كواحد من أصحابه » .

---

(١) انظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٣٤٧ .

(٢) المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة : ٤٣ ـــ ٤٤ .

وقد وضع العلماء المسلمون قواعد كلية لنقد المتن ويعمل بها فى الحديث فى نطاق محدد أما فى غيره فبإطلاق وهى كما يلى :[1]

١ ـ أن يكون فيه مخالفة صريحة للقرآن : فإن وافقه قُبل وإن خالفه طرح ورُدَّ ، إن لم يقبل التاويل ليتّسق مع القرآن .

من ذلك حديث فى مقدار عمر الدنيا « وأنها سبعة آلاف سنة ونحن فى الألف السابعة » .

فإنه يخالف نصوصاً كثيرة من القران فى شأن قيام الساعة واستئثار الله بعلمها ووردت السنة كذلك بخلاف هذا .

٢ ـ مناقضة الحديث لما جاءت به السُّنة المتواترة :

فإن وافقها قُبل واعُتبر صحيحاً ، وإن خالفها رُدَّ وطُرح ، ونزل عن مرتبة الصحيح هذا إذا لم يمكن الجمع بوجه من الوجوه وإلاّ فلا .

ولعل مبتنى هاتين القاعدتين على حديثه عليه السلام الذى نقله الخطيب البغدادى :[2]

« سيأتيكم عنى أحاديث مختلفة فما جاءكم موافقا لكتاب الله وسُنّتى فهو منى وما جاءكم مخالفاً لكتاب الله تعالى وسُنّتى فليس منى .»

٣ ـ أن يناقض الإجماع : « فإن وُجد ما يوافقه قُبل واعتُبر صحيحاًوإن خالفه رُدَّ ونزل عن مرتبة الصحيح ، لأن الإجماع فى حكم التواتر . من ذلك « أنْ يدّعى أنّ النبى ﷺ فعل أمرا ظاهرا بمحضر من الصحابة كُلّهم وأنّهم اتفقوا على كتمانه ولم ينقلوه »[3]، كالنّص على وصاية عَلىّ رضى الله عنه وخلافته . لأن الأمة أجمعت أنه

---

(١) انظر المنار المنيف : ٤٣ ـ ١٠٦ والمستصفى : ١ / ١٤٠ ـ ١٤٥
والكفاية فى علم الرواية : ٦٠٢ ـ ٦٠٥ منهج النقد التاريخى : ١٥١
وانظر المنهج الإسلامى : ٢٧٦ ـ ٢٧٨ ، ٣٤٩ ـ ٣٥٢ ـ ٣٥٤ .

(٢) الكفاية فى علم الرواية : ٦٠٣ .

(٣) المنار المنيف : ٥٧ .

ﷺ لم ينصّ على تولية أحد بعده .

٤ ـــ **العقل** : وإذا لم يوجد الخبر أصلاً فى الكتاب أو السنة ، أو الإجماع ، فيلجأ إلى العقل ويُعرض عليه الخبر مضموناً ومتناً ، فإن وافق صريح العقل قُبل واعتبر صحيحاً وإن خالفه رُفض وردّ .[١] ومن أمثلة ذلك يقول ابن الجوزى : (ت ٥٩٧ هـ) :[٢]

« ألا ترى أنه لو اجتمع خَلْق من الثقات فأخبروا أن الجمل قد دخل فى سَمّ الخيّاط ، لما نفعنا ثقتهم ، ولا أثرّت فى خبرهم لأنهم أخبروا بمستحيلٍ فلا حديث رأيته يُخالف المنقول ، أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع فلا تتكلّف اعتباره »

٥ ـــ تعارض المتن مع حقائق التاريخ والأوضاع الاجتماعية المقررة التى أجمع عليها المسلمون .[٣] فيستدل بذلك على أنّ الحديث إما منسوخ أو لا أصل له ، مثل ادعاء بعض أهل الكتاب : أنّ النبى ﷺ وضع عنهم الجزية بشهادة سعد بن معاذ ، ومعاوية بن أبى سفيان مع أنّ الجزية لم تكن مفروضة عام خيبر وإنّما أنزلت آية الجزية عام تبوك وسعد بن معاذ قد توفى فى الخندق ومعاوية أسلم عام الفتح .[٤]

ومن ذلك ما نُسب إلى أنس بن مالك أنه دخل الحَمَّام على رسول الله مع أن الحمامات لم تكن معروفة على عهد النبى ﷺ .[٥]

مما تقدم يتبين لنا أن العلماء المسلمين برعوا فى نقد المتن كما برعوا فى نقد السند .

خلافا لما ادّعاه المستشرقون أمثال كايتانى (CEAITANIE) فى كتابه (حوليات الإسلام) . وتبعه جولد زيهر (GOLD ZEIHR) ويوسف

(١) انظر منهج النقد التاريخى : ١٥٢ .
(٢) الموضوعات ١ / ١٠٦ .
(٣) انظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٣٥٠ .
(٤) انظر المنار المنيف : ١٠٢ ـــ ١٠٣ .
(٥) انظر المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل : ٣٥١ .

شاخت ويونيبول[١]. وقد لخصّ جُليوم (GUILLAUME) آراء المستشرقين فى هذه القضية فى كتابة (الحديث النبوى) (THE TRADITION OF ISLAM) (THE CRITCISM OF HADITH) فقال ما ترجمته :[٢]

« إنّ نقدهم ـــ أى المسلمين ـــ لم يكن مُنصبًّا على المضمون وإنما على سلسلة الرواة أى الإسناد . » ثم عاد فقال :

« وعلى كل حال فإنهم لم ينقدوا الحديث من مضمونه أى على أساس موافقته لصريح العقل ، حيث يمكن تصديقه ، وإنما على أساس ازدياد شهرة رواة الحديث » .

وكان من أوائل من تصدى للرد على هذه الآراء ، الأستاذ أمين الخولى فى تعليقه على مادة أصول بدائرة المعارف الإسلامية .[٣]

والدكتور مصطفى السباعى فى كتابه القيّم : (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى) .[٤]

والشيخ سيد أحمد رمضان المُسيِّر فى بحثه : (دفع شبهات عن الحديث والمحدثين أثارها صاحب فجر الإسلام وضحاه) .[٥]

والدكتور عثمان موافى فى رسالته للدكتوراه : (منهج النقد التاريخ الإسلامى والمنهج الأوربى) .[٦]

والدكتور فاروق حماده فى كتابه : (المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل) .[٧]

---

(١) انظر منهج النقد التاريخى ١٤٥

(٢) نفس المصدر : ١٤٦ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية المترجمة : مادة أصول .

(٤) عميد كلية الشريعة بدمشق سابقا والكتاب رسالة دكتوراة فى أصول الدين بالأزهر طبعت ، الطبعة الأولى ١٩٦١ بالقاهرة .

(٥) أستاذ التفسير والحديث بكلية أصول الدين بالأزهر ورئيس قسم الدعوة سابقا ، طبع البحث بالقاهرة سنة ١٩٧٥ م ، طبع ثانية .

(٦) أستاذ النقد العربى بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية والبحث رسالة دكتوراة نوقشت فى ١٩٦٦ م وطبع الكتاب ١٩٧٦ م ط ٢ .

(٧) الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة القرويين بفاس المغرب ، والكتاب رسالة ماجستير إشراف د. على عبد الواحد وافى ، نوقشت سنة ١٩٧٥ م .

مفهوم نقد المتن بين المسلمين والأوربيين :

عُلم مما سبق أنّ المتن يقابله عند الأوربيين مصطلح المضمون ، وقد اهتموا بنقده وجعلوا الخطوة الأولى لنقد المضمون تصحيح النص من الأغلاط والتحريفات التى تطرأ عليه وقد أرجعوا أسباب التحريف إلى الإساءة فى السماع حين يكتبون إملاء أو يعود للتحريف والغلط الموجود فى الأصل فينقله المؤرخ كما هو من المصدر .(١)

ولقد عبّر لانجلوا وسينوبوس عن ذلك بالقول التالى :(٢)

والتحريفات التى تطرأ على الأصل فى نسخة منقولة ، وهى التى تسمى باسم (اختلافات النقل) ، سببها إما التزييف أو الغلط ، فبعض النُساخ يُحدثون عن عمد تعديلات أو يحذفون مواضع فى الأصل . وكلُّ النساخ تقريباً ارتكبوا أغلاطا فى النقل ، مرجعها إلى الإدراك أو قد تحدث عَرَضاً . فالأغلاط الراجعة إلى الإدراك تقع حينما يكونون أنصاف متعلمين ، أو أنصاف أذكياء ، فيخيّل إليهم أنّ ثمتّ أغلاطا فى الأصل فيصححونها ، لأنهم لم يفهموها . والأغلاط العَرَضية تحدث حينما يسهُون فى قراءة الأصل أو لا يعرفون أن يقرأوه ، أو حينما يسيئون السماع وهم يكتبون إملاء ، أو حينما يرتكبون عن غيْر قصد سقطات قلمية .

وهذا الذى ذهب إليه الأوربيون قد مارسه المسلمون فيما أسموه معرفة المُصحّف .(٣)

والخطوة الثانية فى نقد المضمون عند الأوربيين هى : تفسير النص وذلك بتحديد المعنى الحرفى والحقيقى للنص (وذلك من خلال معرفة اللغة التى كُتب بها ... فلفهم وثيقة ما ينبغى معرفة لغة العصر ، أعنى معنى الألفاظ والصيغ فى العصر الذى كتبت فيه الوثيقة ... وهذه القواعد لو طُبقت بدقة تؤلف منهجا دقيقا فى التفسير لا يكاد يترك أى مجال للخطأ » (٤)

---

(١) انظر منهج النقد التاريخى : ١٤٧ .

(٢) النقد التاريخى : ٧٧ ترجمة د. عبد الرحمن بدوى .

(٣) انظر التقييد والإيضاح : ٢٨٢ .

(٤) النقد التاريخى : لأنجلوا وسينوبوس : ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١ .

وقد عبر العلماء المسلمون عن هذه الخطوة شرح الغريب كما مر سابقا .

والخطوة الثالثة هي : نقد المضمون للوصول إلى النص الأصلي أو مايقاربه ، فإن مسلك الأوربيين أكثر مايقوم على التخمين وحساب الاحتمالات للوصول إلى أقرب نص من النص الأصلي ومع هذا فهو ليس النص الأصلي .(١)

فنقد النص عند الأوربيين عاجز وقاصر عن الوصول إلى المؤلف الحقيقي للنص والنص الأصلي أيضا . والسبب في ذلك يبدو وهو البعد الزمني بين زمن كتابة النص وزمن دراسته ، وبخاصة الكتب اللاتينية واليونانية عندهم . (٢)

وأما بالنسبة لنقد المتن عند المسلمين فإنهّم وصلوا بعد تصحيح المتن وتفسيره إلى معرفة أصله أي صحيحه وزائفه من خلال قواعد وضعوها لهذا الغرض . فضلا عن أنّ نقد السند قد سهّل الوصول إلى المصدر الأول الناقل للخبر ، أو لشاهد العيان . ويبقى الإسناد خِصِّيصة من خصائص الأمة الإسلامية في حفظ أخبارها .(٣)

رابعا : منهج النقد عند ابن عبد البر :

النقد الخارجي ـــ الإسناد والمصدر ـــ عند ابن عبد البر :

ولقد مارس ابن عبد البر النقد الخارجي بالنسبة لمصادره التي اعتمد عليها في تدوين مؤلفاته التاريخية .

وشمل نقده السند ، الذي هو الركن الأول في الرواية عند المسلمين . لأن الإسناد كان بمثابة الوثيقة أو المصدر الذي يحتج به المؤرخ في نقله للخبر أو الحدث .

وقد حرص ابن عبد البر أن يقدم لنا مادة تاريخية موثقة إلى مراجعها ولم يكتف بذكر السند ، ويترك للقارىء تتبع رجال الإسناد ومعرفة أحوالهم من حيث العدالة والضبط أو الأمانة والدقة . بل كان ابن عبد البر يتعقب السند ورجاله بالنقد فيقبله ، أو يرده على ضوء أقوال العلماء في ذلك الإسناد ورجاله ، ومن

---

(١) نفس المصدر : مقالة بول ماس في نقد النص : ٢٥٧ .

(٢)(٣) منهج النقد التاريخي : ١٧٩ ، وانظر الباعث الحثيث الهامش : ١٥٩ ، ١٦٠ .

خلال وجهة نظره هو التى يتوصل إليها من خلال التدقيق فى ذلك ، حتى اشتهر بأنه أعلم أهل الأندلس قاطبة بالإسناد فى عصره .

فلذلك كنا نرى عباراته القاطعة فى التضعيف والتوثيق تملأ صفحات كتبه .

وهذه بعض النماذج التى تبين لنا ذلك :

« إبراهيم الطائفى والد عطاء بن إبراهيم . لم يرو عنه غير ابنه عطاء . وإسناد حديثه ليس بالقائم ، ولامما يُحتجُّ به ، ولا يصحُّ عندى ذكره فى الصحابة وحديثه مرسل عندى »[1].

« أسلم بن بجرة الأنصارى حديثه فى بنى قُريظة أن رسول ﷺ ضرب عنق من أنبت الشَّعرَ منهم ومن لم يُنبت جعله من غنائم المسلمين . إسناد حديثه ضعيف لأنه يدور على إسحاق بن أبى فروة ، ولا يصح عندى نسب أسلم بن بجرة هذا وفى صحبته نظر .»[2]

وفى وقعة بدر يقول : « وما رأيت أحداً ذكر أنها يوم الاثنين إلّا فى هذا الخبر من رواية ابن لُهيعة عن خالد ابن أبى عمران عن حَنَش ، ولا حجة فى مثل هذا الإسناد عند جميعهم إذا خالفه من هو أكثر منه .»[3]

« وعصام ابن قدامه ثقه وسائر الإسناد أشهر من أن يُحتاج لذكره .»[4]

ولما كان القرن الثالث قد ازدهر فيه التأليف فكان الاعتماد على المؤلفات والنقل عنها قد شاع جنباً إلى جنب مع الرواية الشفوية . بل إنّ العلماء كانوا يحرصون على رواية هذه المؤلفات عن مؤلفيها بطرق التحمل المختلفة ويحرصون على اتصال سندهم بالمؤلف .

وكان ابن عبد البر يتحرى الأمانة فى الإشارة إلى مصادره التى اعتمد عليها ،

---

(١) الاستيعاب : ١ / ٦١ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٨٦ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٩ .

(٤) نفس المصدر : ٤ / ١٨٨٥ .

فكان يقدم لنا قوائم بأهم المصادر التى اعتمد عليها وقد وضح ذلك من خلال الفصل الأول من هذا الباب . وكان ابن عبد البر قد ألزم نفسه بذلك بقاعدة وضعها لنا تقول :

« إنّ من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله » .[1]

ومن دقته فى النقل عن المصادر (مثلاً : قوله فى :

« ترجمة النعمان بن غصَر بن الربيع :

قال موسى بن عُقبة ، وابن إسحاق ، وأبو معشر ، والواقدى ، نعمان بن عِصْر بكسر العين وسكون الصاد .

وقال هشام بن محمد الكلبى نعمان بن غصر بالفتح .

وقال عبد الله بن محمد بن عمار . هو (لقيط بن عصر) .[2]

وكان إضافة إلى تحرى الدقة فى النقل عن المصادر المكتوبة ، فإنه كان يبين وجهة نظره فى دقتها فى النقل ، فمثلا فى ترجمة يعلى بن أمية التميمي يقول :

قال أبو عمر أهل الحديث وأصحاب التواريخ يقولون : مُنية بنت غزوان أخت عتبة بن غزوان . ويقولون هى أم يعلى بن أمية .

وقال الطبرى : هى مُنية بنت جابر عمة عتبة بن غزوان وأم يعلى بن أمية . وقال الزبير بن بكار : هى جد يعلى بن أمية أم أبيه ، قيل له يعلى بن منية نسب إلى جدته ولم يُصب الزبير فى ذلك ، والله أعلم .»[3]

وفى أحيان أخرى كان يحاول أن يجمع بين النصوص لدرء التناقض الذى قد يقع بين روايتين .

ففى تزويج أم حبيبة للنبى ﷺ : قال أبو عمر : هكذا فى كتاب الزبير فى هذا الحديث مرة زوَّجها إياه عثمان بن عفان . ومرة قال زوَّجها إياه النجاشى . وهذا

---

(١) جامع بيان العلم : ٤ / ١٥٨٧ .

(٢) الاستيعاب : ٤ / ١٥٠٣ .

(٣) الاستيعاب : ٤ / ١٥٨٧ .

تناقض ظاهر ، ويحتمل أن يكون النجاشى هو الخاطب على رسول الله ﷺ والعاقد هو عثمان .[1]

وكان يستعمل عبارات[2] (وَهِمَ) ، (وغَلَطَ) ، (وأخطأ) استعمالا واضحا فى نقده لمصادره.

فنراه مثلا ينقد الزهرى على خَلْطه بين ذى اليدين وذى الشمالين وجعلهُما لقبين لرجل واحد . فيقول :

« وذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعى ... هو غير ذى اليدين ، ذاك سُلَمى اسمه خِرباق ، وهو صاحب حديث السهو .

ووَهِم فيه الزهرى على جلالة قدره ـــ وفى الاستيعاب على علمه بالمغازى ـــ لأنه بنى على أنّه لقب واحد ، واعتمد أبو العباس المبرد ذلك من كلام ابن شهاب فغلط . وتحقيق ذلك أنّ ذا اليدين روى حديثه أبو هريرة وكان إسلام أبى هريرة بعد قتل ذى الشمالين بسنين عدة » .[3]

والمثال الثانى : تصحيحه لخطأ ابن قتيبة فى كتابه المعارف[4] فى ترجمته لسمية أم عمار بن ياسر :

« قال ابن قتيبة : خَلَفَ عليها بعد ياسر ، الأزرق وكان غلاماً رومياً للحارث بن كِلدة فولدت له سَلَمَةَ بن الأزرق فهو أخو عمار لأمه . وهذا غلط من ابن قتيبة فاحش .
وإنما خَلفَ الأزرق على سمية أم زياد زَوَّجَهُ مولاه الحارث بن كلدة منها . لأنه كان

---

(١) الاستيعاب : ٤ / ١٨٤٤ .

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٥٠ ، ٣ / ٦٦٨ ، ١٠٨٤ ، ٤ / ١٥٢٧ ...

(٣) الدرر : ١١٧ وانظر الاستيعاب : ١ / ٤٧٦
والمبرد هو صاحب كتاب الكامل فى الأدب وكتاب الأذواء ـــ أى كل من يسمى بذى مثل ذو اليدين وغيره ـــ وعنه نقل ابن عبد البر فى الاستيعاب .
انظر الاستيعاب : ١ / ٤٧٨ .

(٤) المعارف : ٢٥٦ .

مولى لهما : فسلمة بن الأزرق أخو زياد لأمه لا أخو عمار ، وليس بين سُمية أم عمار وسمية أم زياد نسب ولا سبب ، وسمية أم عمار أول شهيدة فى الإسلام وماتت قبل الهجرة رضى الله عنها » . (١)

النقد الداخلى ـــ المتن ـــ عند ابن عبد البر :

لم يكتف ابن عبد البر بالنقد الخارجى ـــ الإسناد ـــ للوصول إلى صحة الخبر التاريخى .

وإنما تعرض للمتن ونقده داخليا من خلال تحليله بحس تاريخى ونظر عقلى رزين . وذلك من خلال الشك والافتراض عند تحليل الخبر . ورده للنصوص التى هى أقرب إلى الأساطير من الخبر الواقعى .

وقد مارس ابن عبد البر هذا الأمر فى أغلب كتبه فنراه عندما يورد خبرا ما فإنه يتوقف قبل قبوله ، فإن كان الخبر يتعلق بشخصية ما فإنّه يسترجع طبيعة تلك الشخصية وهل هذا الخبر ينسجم مع طبيعة تكوينها وسلوكها الاجتماعى أو السياسى أو الثقافى .

فمثلا يورد لنا ابن عبد البر خبراً عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فيقول : « أصبح عند على بن أبى طالب رضى الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف فأنكر ذلك ، فقالوا له : إنه يوم النيروز . قال : فنيروزاً لنا إذا كل يوم »(٢).

فتعقب ابن عبد البر هذا الخبر بالمناقشة فقال :(٣)

كان هذا منه رضى الله عنه ـــ إن صح ـــ قبل أن يدخل الكوفة وأن يكون خليفة . لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه فى بيت المال » .

---

(١) الاستيعاب : ٤ / ١٨٧٣ ـــ ١٨٦٤ .

(٢) النيروز : هو يوم الربيع عند الفرس مثل شم النسيم . وكان أهل العراق يحتفلون فيه جريا على العرف الذى كان سائدا آنذاك . انظر بهجة المجالس : ١ / ٢٨١ .

(٣) بهجة المجالس : ١ / ٢٨١ .

فهو يشك فى أصل الرواية ويحتاط لنفسه ، فيحاول تأويلها ثم بيان أنّ سائر النص لا ينسجم وما كان عليه الإمام علىّ فى سياسته .

والخبر الثانى الذى يدلنا على ملكةَ ابن عبد البر النقدية دفاعه عن حسّان بن ثابت شاعر رسول الله حيث اتهمه بعض رواة الأخبار بأنه كان من أجبن الناس . فيرد ذلك ابن عبد البر إذ لو كان حسان جبانا لهجاه من كان يهجوهم حسان فى الجاهلية والإسلام من الشعراء بل لهُجى ابنه عبد الرحمن بعد ذلك .

ثم يرده لكون هذا الكلام يتنافى والالتزام الذى تمسك به ابن عبد البر مبدأ فى عدم قبول ما يسيء إلى رجالات الإسلام .

ثم يصف من أنكر هذه الحادثة (بأهل العلم بالخبر) ولم يصف بها من أورد هذا الخبر ، وإنما وصَفَهُم (بأهل الأخبار) فقط .

ونص الخبر هو :

« وقال أكثر أهل الأخبار والسير : إن حساناً من أجبن الناس وذكروا من جبنه أشياء مستشنعة أوردوها عن الزبير أنّه حكاها عنه كَرِهتُ ذكرها لنُكارتِها .

ومن ذكرها قال : إنّ حسَّاناً لم يشهد مع رسول الله ﷺ شيئا من مشاهده لجُبنه .

وأنكر بعض أهل العلم بالخبر ذلك وقالوا :

لو كان حقاً لهُجىَ به « من قِبَل »[1] من كان يُهاجيهم فى الجاهلية والإسلام ولهُجى بذلك ابنه عبد الرحمن فإنه كان كثيرا ما يُهاجى الناس من شعراء العرب » .[2]

---

(١) الاستيعاب : ٣ / ٣٤٨ والزبير : هو الزبير بن بكار المؤرخ صاحب (الموفقيات) و (جمهرة نسب قريش وأخبارها) .

وقد أورد ابن إسحاق إحدى الحوادث المروية عن حسان ، انظر السيرة النبوية : ٣ / ٢٢٨ .

(٢) الدرر : ١٨٦ .

والمثال الثالث : واقعة حدثت بين الشعبى وعبد الملك بن مروان ينقلها ابن عبد البر فيقول :

« قال الشعبى : أخطأت عند عبد الملك بن مروان فى أربع :
حدثنى بحديث يوما ، فقلت : أعِدهُ علىّ . فقال :
أما علمت أنّ أمير المؤمنين لا يستعاد .

وقلت له حين أذن لى عليه : أنا الشعبى .
فقال : ما أدخلناك حتى عرفناك .

وكَنَّيتُ عنده رجلا . فقال : أما علمت أنه لا يُكنى أحد عند أمير المؤمنين .وحدثنى بحديث فسألته أن يكتبه . فقال :
إنّا لانكتِّب لا نكْتُب .» (1)

وعقب ابن عبد البر على هذا الخبر بقوله :
« وهذا الخبر عندى غير صحيح لأنّ المحفوظ عن الشعبى أنه قال : ما استعدت حديثا قط . ولا تشبه سائر الحكاية أخلاق الشعبى . » (2)

الأسطورة :

«والأساطير نوع من الروايات الشفوية ، وتكثر عند الجماعات الفطرية أو فى البيئات غير المثقفة مثل : بعض القبائل أو سكان الريف أو الجُند . ويوجد عصرُ أساطير فى تاريخ كل أمة ... وفى عهود الحضارة تستمر الأساطير الشعبية فيما يتعلق بالحوادث ذات التأثير فى أذهان الناس .

وحينما تبدأ أمة من الأمم فى تدوين تاريخها لا تنتهى الروايات الشفوية ... وعلى ذلك تنشأ النوادر أو القصص المسماه بأساطير الجماعات المتحضرة مثل الإشاعات

(1 ، 2) بهجة المجالس 1 / 342 . والشعبى هو : عامر بن شراحبيل الكوفى علامة التابعين كان إماما حافظاً فقيهاً متفنناً ثبتاً وعنه أنه قال : ما كتبت سوداء فى بيضاء إلى يومى هذا ، ولا حدثنى رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده علىّ » انظر تذكرة الحفاظ : / 79 — 88 .

والأوهام ... والحكايات التى تتركز حول بعض الشخصيات والحوادث »[1]

والأساطير عند العرب كثيرة منها : الكلام عن السُّعلاة ، والغول ، وعَوجُ بن عَنق ، وأحاديث الجن ، وغيرها مما كان يشيع فى البيئة العربية ، وتزخر بها كتب أيام العرب وبقيت هذه الروايات الشفوية تتناقلها كتب الأدب والأسمار مثل كتب الجاحظ (كالحيوان)و (البيان) والأغانى لأبى فرج الأصبهانى وغيرها .

وقد تصدى ابن عبد البر لهذا النوع من الأخبار بالنقد الشديد والتكذيب .

من ذلك : خبر ينقله عن الجاحظ عند تعليقه على أبيات من الشعر لأبى البلاد الطّهوى يصف فيها كيفية قتاله للغول حيث ضربها ضربة فقالت له : زد — أى ضربة أخرى[2] — فيقول الجاحظ :

« أما قوله : فقالت : زِد . فإنّهم يزعُمون أنّ الغول تستزيد بعد الضربة الأولى لأنها تموت من ضربة وتعيش من ضربتين إلى ألف ، .. فإذا ضُربت ماتت إلا أن يُعيد عليها الضارب قبل أن تقضى ضربة أخرى ، فإنه إن فعل ذلك لم تمت »[3]

وعقب ابن عبد البرعلى هذه الأسطورة بقوله : « وهذا عندى من أكاذيب الأعراب وحماقات عمرو بن بحر ومجونه »[4]

وبذلك يثبت ابن عبد البر ظاهرة وهى أن الأسطورة تشيع فى البيئات الفطرية ، وبيئة الصحراء وما فيها من عوامل تساعد على ظهور هذه الأساطير بين قبائل العرب وغيرهم .

وبعد نقده للخبر ينقد المصدر الذى نقلها لكون الجاحظ قد غلب على مؤلفاته وخاصة التاريخية إيراد الأسمار والحكايات لقصد المُتعة بذكر الطرائف والنوادر والقصص الشعبى الأسطورى .

---

(١) منهج البحث التاريخى : د. حسن عثمان ط ٤ : ١٣٥ .
(٢) انظر بهجة المجالس : ٢ / ١٧٦ — ١٧٧ .
(٣، ٤) انظر بهجة المجالس : ٢ / ١٧٧ .

خامسا : اهتمامه بالجانب التاريخي فى علم الرجال :

سبق الكلام بأن فائدة التاريخ عند بن عبد البر فائدة تعليمية وفائدة تربوية . فلذلك نراه يحاول أن يوائم بين الهدفين فى مؤلفاته فى علم الرجال . والمعلوم أن علم الرجال نشأ لخدمة علم الحديث فتراجم الصحابة ومعرفة طبقاتهم يعين على معرفة الحديث المرسل من الحديث المسند كما بين هو فى مقدمة كتابه الاستيعاب .[1]

وقال فى كتابه جامع بيان العلم حينما رتب العلوم التى ينبغى لطالب الحديث معرفتها : منها معرفة تراجم الصحابة والتابعين وحملة العلم عموما .[2]

ولما كان ابن عبد البر قد حدد لنفسه هدفا آخر وهو هدف تربوى أخلاقى يتحقق من خلال النموذج النبوى فى سيرته ﷺ وفى النماذج التى تربّت فى ظل المنهج الإسلامى والتوجيه النبوى .[3]

فلذلك نجد أنّ ابن عبدالبر قد التزم فى التأليف فى تراجم الصحابة نهجاً غير النهج الذى كان يلتزمه من سَبَقه ممن ألف فى تراجم الصحابة خاصة ، فالسابقون له كانوا يؤكدون على الجوانب التى تتعلق بعلم الحديث ، كإيراد نسب المترجم له ، وذكر نماذج من مروياته الحديثية ، ونادرا ما يشار إلى أخباره الخاصة .

ولكنّ ابن عبد البر للأهداف التى وضعها حاول أن يعطى صورة متكاملة نوعاً ما عن الصحابى ، أو لبعض مشاهير الصحابة ، يضمنها أخباراً تاريخية متنوعة تشد القارىء إليها ، وتُقدم له الأسوة من خلال الأخبار الخاصة بالصحابى . مثل : كيفية إسلامه ، وما عاناه فى سبيل دينه من أهله وعشيرته . وهجرته وغزواته التى شارك فيها .والوظائف التى تولاها . ومواقف التضحية والفداء والتواضع ، التى تخلّق بها ، والأخطاء التى بدرت من صاحب الترجمة ليتحقق بذلك الهدف التربوى الذى وضعه ابن عبد البر لنفسه .

---

(١) الاستيعاب : ١ / ١٩ .

(٢) جامع بيان العلم : ٢٩١ ، ٤٤٦ .

(٣) الاستيعاب : ١ / ١٩. وانظر الاستغناء : لابن عبد البر : ورقة : ٢ .

وقد رصدَ هذه الظاهرة بحس تاريخى مرهف مؤرخ أصيل هو ابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ) صاحب (الكامل فى التاريخ) و (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) حيث قال فى مقدمة كتاب الأسد : (١)

« ورأيت ابن مندة وأبا نعيم قد أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكرا عللها ، ولم يكثرا من ذكر نسب الشخص ، ولا ذكر شيء من أخباره وأحواله ، ومما يعرف به .

ورأيت أبا عمر ـــ ابن عبد البر ـــ قد استقصى ذكر الأنساب ، وأحوال الشخص ومناقبه ، وكل ما يعرفه به ، حتى أنه يقول : هوابن أخى فلان وابن عم فلان ، وصاحب الحادثة الفلانية ،وكان هذا هو المطلوب من التعريف .

أما ذكر الأحاديث وعللها وطرقها فهو بكُتب الحديث أشبه »

وقد اقتضى هذا الهدف التربوى ابن عبد البر أن يستقى أخباره من مختلف المصادر وبخاصة التاريخية منها لكى يقدم لنا صورة أقرب إلى واقع صاحب الترجمة . (٢)

وقد كان اعتماد ابن عبد البر فى إيراد أخبار تراجمه على المصادر المتقدمة فيما خص عصور الصدر الأول والأمويين والعباسيين ، إضافة إلى المصادر المتأخرة المعاصرة له ليشكل من ذلك كله إطار بحوثه فى التأريخ ومنها : (٣)

---

(١) أسد الغابة : ١ / ١١ .

(٢) انظر الاستيعاب : تراجم أبى بكر وعمر وعلى وعثمان ومعاوية وسعد بن عبادة ونعيمان بن عمرو بن رفاعة [و]أبى موسى الأشعرى وسهيل بن عمرو وابنه أبى جندل وغيرهم .

وانظر الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء .

(٣) انظر ملحق موارده التاريخية

[و]يدل على كثرة نقله عن المؤرخين هى تلك النصوص التى تملأ كتبه عنهم : فنقل عن محمد بن إسحاق : [فى] الاستيعاب (٤٠٢ نصا) وفى الدرر (٢٩ نصا) والانتقاء : نص واحد ، وفى القصد والأمم والانباه : (٢٣ نصا) فيكون المجموع (٤٥٥ نصا) .

[ونقل] عن خليفة بن خياط عن التاريخ والطبقات : فى الاستيعاب (٧٨ نصا) وفى القصد والأمم (نصا واحدا) [و]الانتقاء (نصين) . والمجموع (٨١ نصا) ونقل عن يحيى بن معين عن كتابه التاريخ : (٨١ نصا) فى =

موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) ، ومحمد بن إسحاق(ت ١٥١ هـ) ومحمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ) فى كتبهم فى المغازى والسير والفتوح .

وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) فى كتابيه (الردة) و (الدار ومقتل عثمان) ومصعب الزبيرى (ت ٢٣٣ هـ) فى كتابه (نسب قريش) والزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) فى كتابيه (الأخبار الموفقيات) و (جمهرة أنساب قريش) وعمر بن شبة(ت ٢٦٣ هـ) فى (الدار ومقتل عثمان) و(أخبار المدينة) و(أخبار البصرة) ، وهشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت ٢٠٦ هـ) فى كتبه فى الأنساب وغيرها .

وكذلك كتب ابن أبى خيثمة (ت ٢٧٩ هـ) ، ومحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فى كتابيه (التاريخ) و(ذيل المذيل) . و (التاريخ الكبير) لإسماعيل بن على الخُطبى (ت ٣٥٠ هـ) والتاريخ الكبير للحارث بن أبى أسامة (ت ٢٨٢ هـ) وغيرها من كتب التواريخ والأنساب والسير .

إضافة إلى ذلك فهناك العشرات من كتب الرجال والتراجم والمناقب والفضائل .

وكان فى أخباره الأندلسية جُلّ اعتماده فيها ، على شيخه ابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) صاحب تاريخ علماء الأندلس :

وعبد الملك بن شهيد صاحب التاريخ الكبير (ت ٣٩٣ هـ) والرازى والخُشنى وغيرهم .

وكان ابن عبد البر يقدم فى بعض الأحيان رواية المؤرخين على غيرهم لما فى

=الاستيعاب وفى الانتقاء (١٢ نصا) وفى القصد والأمم (ثلاثة نصوص) والمجموع (٩٦ نصا) ونقل عن الزبير بن بكار عن كتابيه الموفقيات وجمهرة نسب قريش : (١٦٩ نصا) فى الاستيعاب و (٢١ نصا) فى القصد والأمم والانباه . و (٤ نصوص) فى الانتقاء . فالمجموع(١٩٤ نصا) .

ونقل عن محمد بن جرير الطبرى عن كتابيه التاريخ وذيل المذيل : (١٠٤ نصا) فى الاستيعاب (وثلاثة نصوص) فى الانتقاء فالمجموع (١٠٧نصوص).

ونقل عن أبى زرعة الدمشقى فى تاريخه : (٢٤ نصا) فى الاستيعاب فقط .

رواية المؤرخين من الوضوح والإحاطة بالحدث بحكم التخصص بينما كتب الحديث وإن كانت أكثر تدقيقاً وتحرياً للرواية ولكنها قد تقتصر على ما صحَّ من رواية تاريخية وتترك الجزء الذى لم يصح بموازين الرواية الحديثية مما قد يوقع فى اللبس .

مثلا فى روايته لبعث بئر معونه ،فمع إيراده للخبر عن سنيد[1] (ت ٦٢٦ هـ) ، ولكنه يعقب بقوله : (وسياق ابن إسحاق لخبرهم أحسن وأبين) .[2]

وفى تعليقه على سن عبد الله بن عباس أورد رأى أهل الحديث حيث قالوا : إنّ ابن عباس كان عمره يوم توفى رسول الله ﷺ خمس عشرة سنة وأهل التاريخ يقولون عمره ثلاث عشرة سنة .

فعقّب ابن عبد البر بقوله : (وماقاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندى أصحُّ » .[3]

ومن ذلك تقديمه لرواية ابن إسحاق فى تاريخ غزوة بنى المصطلق (المُريسيع) حيث حدَّد تاريخها فى شوال سنة ست . وهذا خلاف رواية موسى بن عقبة التى اختارها البخارى ومن تابعه . قال ابن عبد البر : « وقد اختلف فى وقت هذه الغزاة . قيل : كانت قبل الخندق وقريظة . وقيل كانت بعد ذلك وهو الصواب إن شاء الله » .[4]

كذلك خالف رواية أهل الحديث فى أن المشادة الكلامية التى وقعت فى هذه الغزوة بشأن الإفك وكانت بين أسيد بن حضير وسعد بن عبادة . لا كما تذهب الرواية التي يرجحها البخارى[5] ومن تابعه القائلة : بأنهما سعد بن معاذ وسعد بن

---

(١) سُنيد أحد أوعية العلم كان صدوقا وله تفسير مشهور : تذكرة : ٤ / ٤٥٩ .

(٢) الدرر فى المغازى والسير : ١٧٠ .

(٣) الاستيعاب : ٣ / ٩٣٤ .

(٤) الدرر فى المغازى والسير : ٢٠٠ .

(٥) وقد اعتذر بن حجر للبخارى بأن ذلك سبق قلم لأن هذا الرأى خلاف رأى الجمهور القائل بأنها فى شوال سنة خمس الذى اختاره ابن حجر . وللتوفيق بين زمن الغزوة والمشادة التى وقعت بين سعد بن معاذ وسعد بن=

عبادة ، لأن سعد بن معاذ قد توفى فى غزوة بنى قُريظة . فيقول : ابن عبد البر :

« ورواية من روى أنّ سعد بن معاذ راجع فى ذلك سعد بن عبادة وهم وخطأ وإنما تراجع فى ذلك سعد بن عبادة مع أسيد بن حضير . كذلك ذكر ابن اسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله وغيره وهو الصحيح ، لأن سعد بن معاذ مات فى مُنصرف رسول الله ﷺ من بنى قُريظة لا يختلفون فى ذلك ولم يدرك غزوة المريسيع ولا حضرها » . (١)

ومن العبارات التى كان يستعملها ابن عبد البر والتى تدل على كثرة نقله عن المؤرخين واعتماده عليهم فى تدوين مؤلفاته من ذلك قوله :

ــ « قال أبو عبيدة ... وقال الزبير ... والعدوىّ وهذا أصح » (٢)

ــ « قال أبو عمر : هذا أصح ما قيل فى تاريخ عام الجماعة وعليه أكثر أهل الصناعة من أهل السير والعلم بالخبر » . (٣)

ــ « قال الزبير وغيره من أهل العلم بالسير والخبر » (٤)

ــ « اتفق الزبير وعمه مصعب ومحمد بن إسحاق المسيبى ... وهؤلاء أعلم بطريق أنساب قريش » (٥)

ــ « ذكر جماعة من أهل الأخبار ومنهم عمر بن شبه » (٦)

ــ « ذكر ابن الكلبى فى أخبار صفين » (٧)

ــــعبادة على رواية البخارى افترض أن غزوة بنى المصطلق متقدمة على الخندق لكيلا يقع التناقض فتُرد رواية البخارى مع العلم أن البخارى قد رتب غزوة بنى المصطلق بعد الخندق وقريظة لا قبلهما . انظر فتح البارى : ٧ / ٤٣٠ .

(١) الدرر : ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ٢٤١ وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) والزبير : هو الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) والعدوى هو أحمد بن محمد النسابة ، وكلهم مؤرخون ونسابة .

(٣) الاستيعاب : ١ / ٣٨٧ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٩٣٣ .

(٥) نفس المصدر : ٤ / ١٧٥٢ .

(٦) نفس المصدر : ٢ / ١٤٥٣ .

(٧) نفس المصدر : ١ / ١٦٥ .

وهذا الأمر جعل ابن عبد البر يتعرض لنقد المحدثين وخاصة فيما ورد فى كتابه الاستيعاب حيث وصفه ابن الصلاح بقوله :

« ومن أجلّها وأكثرها فوائد كتاب الاستيعاب لابن عبد البر . لولا ما شانه به من حكايته عن الإخباريين لا المحدثين وغالب على الإخباريين الإكثار من التخليط فيما يَرونه » . (١)

سادسا : أثر ثقافته الموسوعية على كتابته التأريخية

لاشك أن هذه الثقافة كان لها أثرها الذى بان فى مؤلفات ابن عبد البر بعامتها ، والتاريخية بخاصة ، فقد كان ابن عبد البر يحاول أن يقدم لنا مادة تاريخية مُوثقة ، بِلُغة سهلة واضحة مقبولة ، ولا يفوته الاستنباط والتحليل ، من خلال النقل والعقل .

ومن مظاهر أثر هذه الثقافة الموسوعية : الاهتمام بالسند وذكر الأحكام الفقهية خلال سرد الأحداث التاريخية وكثرة استشهاده بالشعر كمعضد للخبر التاريخى .

وسيعطى الباحث فكرة موجزة عن مدى هذا التأثير ، وأسبابه :

١ ــ الاهتمام بالإسناد :

لقد نشأ ابن عبد البر فى البيئة الأندلسية التى كانت تهتم برواية الحديث والثقافة الحديثية ، وكان هذا هو السمت العام الذى كان عليه أغلب علماء العصر ، فكانت الثقافة الحديثية تكون جانبا أصيلا فى بناء المؤرخ الأندلسى ، فعبد الملك بن حبيب مؤرخ الأندلس ، وابن الفرضى ، وابن حزم وغيرهم ، كان تكوينهم الأساسى يستند إلى الثقافة الحديثية ، ثم تفرعت الاهتمامات والاختصاصات من بعدُ .

وكان ابن عبد البر حافظ المغرب كما اشتهر بل إنَّهُ صنف ضمن سبعة من حفاظ

---

(١) مقدمة ابن الصلاح : ٢٦٢ .

الحديث الذين انتُفِعَ بتصانيفهم بعد أصحاب الكتب الستة.[1] ولهذا الأمر لمساته وآثاره فيما كتب فلذلك نجد التزامه بالإسناد يمثل ظاهرة فى معظم إنتاجه التاريخى .

والدافع الثانى الذى جعل ابن عبد البر يُسند أخباره التى يُوردها هو أمانة إرجاع القول إلى قائله لأنه يعتبر ذلك من صفات المؤرخ اللازمة .

وكان يُكرر الإسناد بطريق آخر أحيانا ليؤكد المعنى الذى توخاه من إيراد الخبر فمن ذلك ما نقله عن شيخه خلف بن قاسم فى خبر تنازل الحسن لمعاوية رضى الله عنهما والخطبة التى ألقاها الحسن ، فروى ابن عبد البر الخبر بسندين مختلفين عن شيخه . الأول عن الزهرى والثانى عن الشّعبى .[2]

« وإذا أحسّ بأن هناك شكاً فى إحدى الروايات فإنه يُعيد ذكرها مع بيان سلسلة الإسناد لكل مظهر من مظاهر تلك الرواية ».[3]

فمثلا حادث تنازل الحسن لمعاوية ، وخطبة الحسن بهذه المناسبة . فإن لابن عبد البر إسنادين حدث بهما عن شيوخه إلى راوى الخبر وذلك لتعضيد الرواية .

ومن آثار ثقافته الحديثية فيه أنه كان يتكلم فى الحديث تضعيفا وتوثيقا كأن يقول : (حديث كثير الاضطراب)[4] ، أو (إسناده ضعيف)[5] ، أو (كلها أحاديث صحاح)[6] ، أو (وهذا حديث صحيح ثابت لا مقال فيه لأحد)[7] وغير ذلك من المصطلحات الحديثية .

(١) انظر الباعث الحثيث : ٢٤١ .

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٨٧ ، ٣٨٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٠٦٥ .

وانظر بن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب : ٥٥ .

(٤) الاستيعاب : ٢ / ٤١٨ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٢٧٣ .

(٦) نفس المصدر : ٣ / ٩٣٥ .

(٧) نفس المصدر : ٣ / ٩٢٢ .

٢ ــ ذكر الأحكام الفقهية :

وكان ابن عبد البر إذا ما تعرض لذكر حدث تاريخى معين ، فإنه يورد الأحكام الفقهية المتعلقة بالحدث التاريخى ، أو أحد رجال هذا الحدث .

ففى غزوة خيبر هناك عدد من الأحكام التى تعرض ابن عبد البر لها منها :

هل يَصحُّ العتاق صداقاً ؟ فالنبى ﷺ أعتق صفية بنت حيى بن أخطب بعد أن أسلمت ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها ثم قال : « وهذه مسألة اختلف الفقهاء فيها فمنهم من جعل ذلك خصوصاً له كما خُصَّ بالموهوبة ــ التى وهبت نفسها للنبى ــ ومنهم من جعل ذلك سُنّة لمن شاء من أمته » .[1]

والحكم الثانى : ما هو حكم الأرض المفتوحة إذا فُتحت عنوة ــ بالقتال ــ أو صلحا ؟

فيذهب ابن عبد البر إلى أنّ خيبر فُتحت كلّها عنوة ، ومن قال بأن خيبر كان بعضها صلحا وبعضها عنوة فقد وهم وغلط .

« وقال : « وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمُهما أهلهما لحقن دمائهم »[2] ، ولم يتركوها إلا بالحصار والقتال .

والحكم الثالث الذى يذكره ابن عبد البر : هو تحريمُ لحم الحُمُر الأهلية الذى وقع فى غزوة خيبر .[3]

وهناك قضايا فقهية أخرى مبثوثة فى كتابه الدرر[4] ، والاستيعاب .[5] وإنما كان القصد إعطاء بعض النماذج على ذلك .

(١) الدرر : ٢١٠ .

(٢) نفس المصدر : ٢١٥ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٢١٧ وانظر الاستيعاب ٤ / ١٩٦٣ .

(٤) انظر الدرر : ٢١٤ ، ٢٣٠ ...

(٥) انظر الاستيعاب : ١ / ١٦٦ ... ٤ / ١١٤٧ ، ١٥٢٤ ، ١٥٣٠ .

٣ ــ الاستشهاد بالشعر فى الخبر التاريخى :

لقد غلب على ابن عبد البر الاستشهاد بالشعر فى معظم كتبه فى الفقه والحديث وكان حظ التاريخ من ذلك كثيراً . إذ لم يغفل عن الشعر فى كونه اللغة التى كان يعبر بها العرب قبل الإسلام عَن أحوالهم وأخبارهم ويُضمنونه الأحداث المهمة التى وقعت على مدار هذا التاريخ . فهو مرآة تعكس لنا أحوال المجتمعات .

وعندما جاء الإسلام كان للشعر دوره فى مواكبة متطلبات الدعوة الإسلامية فكان شعراء الإسلام حسّان ،وكعب بن مالك ، وابن رواحة يُدوِّنون التاريخ بتلك القصائد التى كانوا يقولونها فى مختلف المناسبات والأغراض . (١)

وكان العرب المسلمون أصحاب قريحة شعرية بداهة ، فكانوا يصفون غزواتهم وما يجدُّ من أحداث فى هذه الغزوات . (٢)

وكان ابن عبد البر لا يكتفى بإيراد أشعار المُلابسين للأحداث بل كان يُورد من أشعار أهل عصره من الأندلسيين لأنها تُعبِّر عن موقف يراه . (٣)

وكان يستعين بالشعر كذلك لإثبات قضايا تاريخية اختلف فيها ، مثل إثباته أن أبا بكر أوّل مَنْ أسلم . (٤)

ويضاف إلى ذلك أنّ ابن عبد البر كان ينظم الشعر ويتذّوّقهُ وينقده ويحفظ الكثير منه وقد كان يحقق هذه الملكة فى إيراد ما يحفظه ، فيُضفى على تعبيره التاريخى جمالاً يستدرك به جفاف تتابع الأخبار المجرّدة .

---

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٧٥ ، ٢٢٩ ، ٢٩٣ ، ٣٧٤ ، ٥٣٦ ، ٢ / ٨١٣ ، ٨١٥ .. ٣ / ٩٧٦ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١... ٤ / ١٦٢٢ ، ١٦٧٢ ، ١٨٢٨ــ ١٨٢٩..

(٢) انظر الدرر : ١٨٥ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ .

(٣) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٢٨ ــ ١١٢٩ ، ٤ / ١١٣١ ــ ١١٣٣ .

(٤) نفس المصدر : ٣ / ٩٦٤ ــ ٩٦٥ .

سابعا : مدرسة ابن عبد البر التاريخية :

لعل الناظر فى مسار هذا المؤرخ فى جميع مراحل حياته ، وخاصة عند استجلاء تكوينه الثقافى ، وفكره التاريخى ، ومنهجه النقدى ، وممارسته الحياةالعامة ، وموقفه من قضايا مجتمعه ، وبخاصة وطنه الأندلسى ، يخلص إلى تحديد ملامح المدرسة التى ينتمى إليها ابن عبد البر .

فمن خلال فكره التاريخىّ ينطلق من خلال عقيدته الإسلامية التى تحدد للفرد نظرته إلى الكون والحياة والإنسان . فتحقق وجود الإنسان من خلال علاقته بخالق هذا الكون الذى يُجليه مفهوم توحيد الله ونبوة محمد ﷺ . من خلال تلك المبادىء والتشريعات التى تصوغ الحياة على هذه الأرض ، فكان مفهومه لفكرة التاريخ وأهميته ، ومفهوم الالتزام نابعاً من هذه العقيدة بمبادئها وأخلاقياتهم فى إطار مُتناغم مُنسجم .

وأما فى منهجه النقدى فكان لمكوناته الثقافية الأولى طابعها على منهجه فقد جمع بين منهج النقد الحديثى الذى اختص بالخبر الشرعى ، وبين المنهج التاريخى الذى يعتمد الشك والفرض ، وإخضاع الخبر للنظر العقلى ، وسيلة للوصول إلى الحقيقة وقد وُفق فى هذا الأمر إلى حد كبير .

وعليه فيمكننا ضمه إلى مدرسة (المؤرخون المحدثون) .

وعلى ضوء هذين الخطّين فى تكوينه التاريخى تشكلت مواقفه فى معالجة قضايا عصره ، وذلك بضم جهوده إلى جهود قادة الرأى من العلماء والشعراء والمفكرين أمثال : ابن حزم وأبى الوليد الباجى وابن حيان مؤرخ الأندلس والهَوزنى الشاعر ، وعبد الله بن يوسف بن عبد البر الكاتب وغيرهم ، للمناداة برفع الظلم ، وترك الخلافات السياسية وإعادة وحدة الأندلس ، وبيَّنا مواقفهم فى التمهيد من هذا البحث . قام ابن عبد البر بكل ذلك من خلال حركته اليومية فى حلقات التدريس ودواوين القضاء ومجالس الأمراء . فكان يوجه طلابه بغرس معانى الفضيلة وتنفيرهم من الظلم ، ودفعهم إلى اتخاذ المواقف الإيجابية لحل قضايا مجتمع الأندلس الذى تُمزقه الفُرقة ويعُمه الشتات .

ولم يتوان عن نصح الأمراء فى مجالسهم وخاصة عند المظفر بن الأفطس أمير بطليوس وتوابعها ، ومجاهد العامرى أمير دانية والمنصور عبد العزيز بن أبى عامر أمير بلنسية .

هذه المدرسة التى كان هذا اتجاهها العملى فى الإصلاح الذى دعت إليه تلك الآثار التى خلفتها الفتنة القرطبية يمكن تسميتها (بمدرسة عصر الفتنة الأندلسية) .

« ولقد كان التاريخ بالنسبة لهذه المدرسة عالماً ينزحون إليه ، يجدون عنده التسلية ... والعلاج ، ويتخذون منه مجالا لدراسة مجد الإسلام الأندلسى المُهدّد ... الذى يتمنون استقراره » .[1]

« فلذلك نجد أن هذه المدرسة قد تناولت التاريخ بمنهج غير حولى لكى يُتاح لها أن تجد فى التاريخ العالم الذى تنشده » .[2]

ونتيجة لهذا أيضا نجد أن التاريخ قد تآلف فى حس هذه المدرسة مع العلوم الأخرى كالفقه والأدب بأنواعه . فقدمته هذه المدرسة بمفهوم كُلى شامل لا يغفل سائر العوامل والمؤثرات التى تدخل فى صُنع الحدث التاريخى . وقد ترجمت كتب ابن عبد البر هذا مثل (بهجة المجالس) ، (وجامع بيان العلم) ، و (الاستيعاب) وغيرها .

ثامنا : أثر ابن عبد البر فيمن بعده من الناحية التاريخية :

لقد فاح شذى عَرْف ابن عبد البر فى غير الأندلس ، كما شاع نفحُ طيبه فى الأندلس ، حتى غدا مَعْلَماً على القرن الذى عاشه .

وقد حمل تلامذته آراءه وأفكاره إلى بقاع العالم الإسلامى الأخرى ، وأقبل علماء المسلمين على اقتناء كتبه التى سارت بها الركبان .

(١ ، ٢) ابن حزم مؤرخا : عبد الحليم عبد الفتاح عويس : ١٧٧ — ١٧٨ .رسالة دكتوراه ، مكتوبة على الآلة الكاتبة .

فلذلك لا تجد كتاباً فى السيرة أو تراجم الصحابة والفقهاء . إلّا ويستشهد بقول لابن عبد البر أو رواية له .

وأما كتب الرجال فلم تستغن عن أقوال ابن عبد البر فى الجرح والتعديل .

وسنذكر فى الصفحات القادمة أثر ابن عبد البر فى هذه الأنواع التأليفية فى المكتبة التاريخية ، وسنختار نماذج لتوضح هذا الأثر ومداه مما يُبرز مكانة الرجل وقيمة آرائه .

ثم يعقب ذلك الكلام عن بعض الجوانب التى تتبعه العلماء فيها فى هذه الجوانب التاريخية .

أ : أثره فى مؤلفات السيرة النبوية :

لقد شارك ابن عبد البر فى التأليف فى السيرة النبوية . وله فى ذلك رسائل وكتب ذكرت فى فصل مؤلفاته . وأشهر كتبه التى وصلت إلينا هو : (كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير) والذى كان مدار اعتماد مؤلفى السيرة فى عصره وما بعده ، وسنختار نموذجين ممن تأثروا به من كُتّاب السيرة وهما : ابن حزم القرطبى تلميذه وقرينه (ت ٤٥٦ هـ) وابن سيد الناس اليعمُرى (ت ٧٣٤ هـ) .

١ ــ أثره فى ابن حزم :

تأثر ابن حزم تلميذ ابن عبد البر ومعاصره بما كتب شيخه وهو يكتب السيرة النبوية، ومن البديهى أنّ مؤلفى ذلك العصر كانوا إذا أرادوا أن يؤلفوا فى موضوع ما فإنهم يبحثون عن مصادره أولا فهى إما روايات شفهية ينقلونها عن شيوخهم بالسند إلى منتهاه . أو أنهم ينقلون عن الكتب التى يروونها عن شيوخهم من مؤلفاتهم أو مما أجازهم إياه العلماء الآخرون .

وقد كتب ابن حزم كتابه فى السيرة ، وأسماه : (جوامع السيرة) ، قدم لنا فيه مغازى رسول الله ﷺ وبعض سيرته بأسلوب يغاير أساليب أهل العصر فى نهجه .

فقد تجاوز فيه عن :

الإسناد فقد خلّى كتابه تماما من الإسناد .

والأخرى أنه لم يذكر قائمة مصادره كما درج أهل عصره . وقد نقل عن خليفة ابن خيّاط والواقدى . وأبى حسان الزيادى وصرح بذلك النقل.[1]

وعند مطابقة نصوص كتاب جوامع السيرة لابن حزم مع كتاب ابن عبد البر الدرر فى اختصار المغازى والسير وجدنا أن ابن حزم قد تابع كتاب شيخه فى النسق العام فى أغلب المواضع فضلا عن نقله نصوصاً كثيرة بنص عبارتها عن ابن عبد البر .

والملاحظة الثانية على ابن حزم أنه تابع ابن عبد البر حتى فى الأخطاء التى وقعت فى نسخة شيخه .

هذا مما يدل على أن ابن حزم قد وضع كتاب الدرر نصب عينيه وهو يكتب سيرة المصطفى ﷺ .

وقد لاحظ محققا جوامع السيرة هذا الأمر من خلال النصوص التى نقلها ابن سيد الناس فى (عيون الأثر) ولكنهما افترضا أنه من الممكن أنهما ينقلان عن مصدر ثالث.[2] وهذا فرض ضعيف « لأن ابن عبد البر عيَّن فى سيرته مصادره التى نفذ من خلالها إلى وضع كتابه بينما لم يذكر ابن حزم »[3] فى المواضع التى اتفق فيها معه مصدرا آخر .

وإنّ ابن حزم وإن كان يتابع ابن إسحاق فى ترتيب أحداث السيرة إلا أنّه فى الواقع يتابع ابن عبد البر . للتوافق الذى ذكرناه .

---

(١) انظر جوامع السيرة : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ .
(٢) انظر مقدمة جوامع السيرة ، تحقيق دكتور ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس : ٨ .
(٣) انظر مقدمة كتاب الدرر : الدكتور شوقى ضيف : ١٥ .

وهذه نماذج تدل على أنّ ابن حزم قد نقل عن ابن عبد البر :

١ ــ متابعته فى ترتيب الغزوات .

٢ ــ نقله بعض الغزوات نصا من كتاب الدرر .(١)

٣ ــ موافقته لابن عبد البر فى تصحيحه لبعض الأحداث مثلا :

ــ موافقته فى أن أبا موسى الأشعرى لم يكن ممن هاجر إلى الحبشة وإنّما وافق قدومه قدوم مهاجرى الحبشة فوقعت الشبهة من هنا .(٢)

ــ يتابعه فى أن ذا الشمالين استشهد ببدر ، وهو غير ذى اليدين ، على خلاف ماذهب إليه الزهرى .(٣)

اتفاقه مع ابن عبد البر فى تحديد وقت غزوة بنى المُصطَلِق وهو شوال سنة ست . وإنها كانت على حين غِرَّة . وأن المشادة التى حدثت فيها كانت بين أسيد بن حضير وسعد بن عبادة ، وليس سعد بن معاذ .(٤)

٤ ــ متابعته لابن عبد البر فى بعض الأخطاء اللغوية التى وقعت فى النسخة التى نقل عنها ، ومع هذا لم يُصححها . من ذلك :

ــ هناك خطأ وقع فى كتاب الدرر حيث قلب اسم أنس بن النضر إلى النضر بن أنس ، وقد ورد نفس الخطأ عند ابن حزم وصححه المحققان .(٥)

ــ وهناك لفظة وردت فى جوامع السيرة موافقة للفظة ابن عبد البر عند كلامه عن غزوة أُحد وجرح رسول الله حيث قال : وأكبّت عليه الحجارة . فاستبدلها المحققان ب (ألّبت) ، وأكبّت هى الأصح .(٦)

---

(١) انظر جوامع السيرة : غزوة بن سليم : ١٥٢ . والدرر : ١٤٧

غزوة السويق : ١٥٢ ــ ١٥٣ والدرر : ١٤٧ ، غزوة ذى أمر : ١٥٣ . والدرر ١٥٣ غزوة بدر الثالثة : ١٨٤ ، الدرر : ١٧٧ ، غزوة دومة الجندل : ١٨٤ ــ ١٨٥ ، الدرر : ١٧٨ ، فتح فدك : ٢١٨ ، الدرر : ٢٢٠ ، فتح وادى القرى : ٢١٩ الدرر : ٢٢٠ بعث خالد إلى أكيدر دومة : ٢٥٣ الدرر : ٢٥٦ .

(٢)(٣) (٤) نفس المصدر : ٥٨ ، ١٤٦ ، ٢٠٣ ــ ٢٠٦ . .

(٥) نفس المصدر : ١٦٠ ، والدرر : ١٥٦ .

(٦) انظر جوامع السيرة : ١٦٠ والدرر : ١٥٦ .

ـ يتابع ابن عبد البر فى خطأ آخر وقع فى اسم واقف .

فعندما يذكر ابن عبد البر من حضر العقبة الثانية يذكر واقفاً فقط . ولو أن ابن حزم نقل عن ابن إسحاق ذلك لذَكَر واقفاً ووائلا بحسب تلك الرواية ولكن يبدو أنه نقلها عن ابن عبد البر .(١)

ـ وقد تفرَّد ابن عبد البر بذكر عُمير بن عدى بن خطمة فى شهداء أحد وتابع ابن حزم ذلك وقد نص محققا الجوامع بأن ابن حزم نقله عن ابن عبد البر ولم يحيلا إلى مصدر والأكثر نقلاه عن ابن سيد الناس فى عيون الأثر .(٢)

من ذلك نخلص إلى أن ابن حزم قد وجد بين يديه سيرة محررة لا تعتمد على كتب السيرة وحدها بل تعتمد على كتب الحديث ورواية الموثقين مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بدقة الأعلام مع المعرفة الواسعة بعلم الحديث ورجاله وتمييز صحيحه من زائفه .(٣)

أثره فى ابن سيد الناس :

وابن سيد الناس هذا هو أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى الإشبيلى . وهو من أسرة أندلسية استقرت فى مصر .

وقد وصلت نسخة من الدرر إلى ابن سيد الناس عن طريق والده رواية بطريق شيوخه عن ابن خير الإشبيلى ، واطلع عليها . وضمن كثيرا من جوانبها المهمة كتابه المعروف « عيون الأثر فى فنون المغازى والسير » .(٤)

---

(١) انظر جوامع السيرة : ٧٣ . والدرر ٧٣ .

(٢) نفس المصدر : ١٦٩ . والدرر ١٦٣ .

(٣) انظر مقدمة الدرر : الدكتور شوق ضيف : ٤ .

(٤) انظر شذرات الذهب : ٦ / ١٠٨ وانظر عيون الأثر : لابن سيد الناس : ٢ / ٣٤٧ .

وقد كثرت نقول ابن سيد الناس عن ابن عبد البر وبخاصة الدرر والاستيعاب . وكانت نصوصه التى ينقلها عن الدرر طويلة فى غالب الأحيان .[1]

ولعل من أهم النصوص التى ينقلها عن ابن عبد البر فى السيرة :

١ ــ نقل ابن سيد الناس عن ابن عبد البر ما يتعلق بالمجاهرين الذين كانوا يعذبون الصحابة فى مكة . وبخاصة من لا أنصار له من قبيلته .[2]

٢ ــ ينقل الفقرة الخاصة بالمستهزئين الذين كانوا يتندرون ويستهزئون بصحابة رسول الله ﷺ [3]

٣ ــ يتابع ابن عبد البر فى ذكر باب الهجرة إلى الحبشة وينقل منه نصاً أغلب الخبر .[4]

٤ ــ وينقل خبر دخول شعب بنى هاشم بنصه عن ابن عبد البر وهو خبر طويل .[5]

٥ ــ وينقل عن ابن عبد البر خبر مقاسم خيبر كله ، ثم يناقش ابن عبد البر فى بعض القضايا الفقهية التى تتعلق بهذه القضية .[6]

بهذه النقول الموسعة التى كانت تتضمن أحيانا بابا كاملا أو فصلا . إضافة إلى المنثور من الآراء المنقولة عن ابن عبد البر ــ التى أحصى الباحث مواضعها ــ « تحولت سيرة ابن سيد الناس فيها إلى ما يشبه نسخة أخرى من كتاب الدرر فى اختصار المغازى والسير » .[7]

---

(١) وكان مجموع ما نقله ابن سيد الناس فى عيون الأثر (١٢٨ نصا) .
من الدرر (٩٢ نصا) ومن غيره مجملا (٣٦ نصا) .
(٢) انظر عيون الأثر : ١ / ١١١ وقارن الدرر : ٤٦ .
(٣) انظر عيون الأثر : ١ / ١١٣ وقارن الدرر : ٤٩ ــ ٥٠ .
(٤) نفس المصدر : ١ / ١١٥ ــ ١١٨ . وقارن الدرر : ٥٠ ــ ٥٤ .
(٥) انظر عيون الأثر : ١ / ١٢٦ ــ ١٢٨ ــ وقارن الدرر : ٥٦ ــ ٥٩ .
(٦) نفس المصدر : ٣ / ١٣٦ ــ ١٣٧ . وقارن الدرر : ٢١٤ ــ ٢١٦ .
(٧) مقدمة كتاب الدرر : دكتور شوقى ضيف : ١٩ .

ولم يكتف ابن سيد الناس بالنقل المُسهب عن ابن عبد البر بل يوافقه فى بعض آرائه فى السيرة ، من ذلك :

١ ـــ موافقته فى رد قول من قال بأنّ أبا موسى الأشعرى من مهاجرة الحبشة ونقل هذا الرأى عن ابن عبد البر نصا .(١)

٢ ـــ يوافقه فى تاريخ غزوة بنى المصطلق وما ورد فيها من قضايا مثل : أن النبى ﷺ هاجمهم وهم غارّون ، وأنّ الصحابيين اللذين تناقشا هما سعد بن عبادة وأسيد بن حُضير وليس سعد بن معاذ لأنه قد توفى بعد قريظة .(٢)

٣ ـــ يوافقه فى أن مكة المكرمة مُؤَمَّنة ولم تُفتح عَنوة . والأمان كالصلح .(٣)

بذلك يتبين لنا مدى اهتمام مُدونى السيرة النبوية بكتاب ابن عبد البر الدرر وأن ابن سيد الناس قد احتفظ بنسخة الدرر الأندلسية التى ورثها عن أبيه الذى رواها عن محمد بن أحمد السراج عن خاله ابن خير الإشبيلى الذى اعتنى بكتب ابن عبد البر فى فهرسته المشهورة .(٤)

وقد اهتم مؤرخو السيرة فى أنحاء المعمورة بالنقل عن كتاب الدرر لابن عبد البر ومن هؤلاء :(٥)
أبو القاسم عبد الرحمن السهيلى (ت ٥٨١ هـ) فى كتابه (الروض الأنف) .
وسليمان بن موسى الكلاعى (ت ٦٣٤ هـ) فى كتابه (الاكتفاء فى مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء)(٦) ومحمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) فى كتابه

---

(١) انظر عيون الأثر : ١ / ١١٨ وقارن الدرر : ٥٤ .
(٢) نفس المصدر : ٢ / ٩١ ، ١٠٢ وقارن الدرر : ٢٠٠ ، ٢٠٢
(٣) نفس المصدر : ٢ / ١٧١ وقارن الدرر : ٢٣٠ .
(٤) انظر عيون الأثر : ٢ / ٣٤٧ .
(٥) وقد نقل عن ابن عبد البر (٥٠ نصا) قارن الصفحات على سبيل المثال : ١ / ٧٨ ، ٤٣٤ . ٣ / ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٣٤٩ ... ، ٤ / ٩٥ ، ١٦٨ ، ٢٥٢ .، ٥ / ١٧٣ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ .، ٦ / ٤٠ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ٣٢٤ ٧ / ٤٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ ، ٢٦٣ ، ٢٧٥ ، ٤٥٥ ،
(٦) انظر مثلا : ٢ / ٢٢٢ ، ٢٣٢ .

(سبيل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) .[1]

ب : أثر ابن عبد البر فى مؤلفى تراجم الصحابة وعلم الرجال والتراجم :

علمنا مما سبق أنّ لابن عبد البر مؤلفات قيمة فى تراجم الصحابة والفقهاء ، وعلم رجال الحديث ، وقد حاز ذلك بما منحه الله له من قوة فى الحفظ وصفاء فى الذهن ورغبة شديدة فى البحث والتتبع .

فأصبحت مؤلفاته تضم عُصارة علمه الواسع فأقبل عليها العلماء فى الأجيال التى بعده بالاهتمام واعتبروها من أهم مصادرهم ، فلا تجد مُؤلّفا فى الصحابة ، أو تراجم الفقهاء ، أو الجرح والتعديل ، إلا واسم ابن عبد البر يتردد فى صفحاته .

ومن الذين اعتمدوا على ابن عبد البر فى هذا الجانب كثير لا يُحصيهم العدّ وإنما نختار نموذجين من الذين كان لهم القدح المُعلّى فى الأخذ عن مؤلفات ابن عبد البر ، ومن هؤلاء الإمام المؤرخ ابن الأثير الجزرى (ت ٦٣٠ هـ) صاحب (الكامل فى التاريخ) (وأسد الغابة فى معرفة الصحابة) وابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) المحدث المدقق والمؤرخ .

فقد اعتمد عليه الأول فى تراجم الصحابة عند تأليفه كتابه (أسد الغابة) .
والثانى جعله من مصادره الأساسية فى كتابيه (الإصابة فى تمييز الصحابة) ، و (تهذيب التهذيب) فى رجال الحديث .

١ ـــ أثره على ابن الأثير :

لقد جعل ابن الأثير كتاب ابن عبد البر الاستيعاب أحد مصادره الأساسية التى

---

(١) وقد نقل عنه فى مواضع منها :
١ / ٢٨٢ ، ٤٦٤ ... ، ٢ / ٤٠٥ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٨٦ ... ٣ / ٢٤٤ ، ٣١٩ ، ٥٢٧ ... ، ٤ / ٢٥ ، ٢٩ ، ٢٢٥ ...

اعتمد عليها وأثنى عليه لما يحويه من مادة تاريخية خلاف غيره ممن ألف فى تراجم الصحابة الذين كانت كتبهم أقرب إلى الحديث من التاريخ .(١)

ومُجمل ما نقله عنه ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة (٣٣٦٥ نصا) فى مجمل مجلداته السبعة .(٢)

وقد جمع ابن الأثير فى كتابه أربعة كتب من كتب الصحابة ، ورتب كتابه على حروف المعجم وهى كالآتى :

الأول : لابن منده أبى عبد الله محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٠١ هـ)

الثانى : لابن نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى (ت ٤٣٠ هـ)

الثالث : لابن عبد البر يوسف بن عبد الله النمرى القرطبى (ت ٤٦٣ هـ)

الرابع : أبو موسى الأصفهانى : محمد بن أبى بكر بن أبى عيسى (ت ٥٨١ هـ) استدرك على ابن منده فى كتابه الصحابة :

وقال ابن الأثير : « فرأيت أن أجمع بين هذه الكتب وأضيف إليها ما شذّ عنها مما استدركه أبو على الغسانى على أبى عمر ابن عبد البر ، وكذلك ما استدركه عليه آخرون » .(٣)

٢ ــ أثر ابن عبد البر فى ابن حجر العسقلانى :

لقد كان كتاب الاستيعاب أحد المصادر الأساسية لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) ولو أنه انتقد ابن عبد البر على تسميته لكتابه بالاستيعاب ظنّاً منه بأنه استوعب أسماء الصحابة .(٤)

---

(١) انظر أسد الغابة : ١ / ١١ .

(٢) نقل عنه فى المجلد الأول (٥١٣ نصا) . وفى الثانى : (٦١١ نصا)
وفى الثالث : (٥٥٦ نصا) وفى الرابع : (٤٠٥ نصوصا)
وفى الخامس : (٥٤٦ نصا) وفى السادس (٣٧٤ نصا)
وفى السابع : (٣٦٠ نصا)

(٣) انظر أسد الغابة : ١ / ١٠ .

(٤) الإصابة فى تمييز الصحابة ١ / ٣ طبعة السعادة .

والذى يتَميّزُ به كتاب الإصابة عن غيره حسن تبويبه ودقّته فى الإحاطة بكل ما يتعلق بترجمة الصحابى . فقد قَسم ابن حجر كتابه إلى أربعة أقسام :[1]

الأول : فيمن وردَت صُحبتُهُ بطريق الرواية عنه أو من غيره سواء كانت بطريق صحيحة أو حسنة أو ضعيفة أو وقع ما يدل على الصحابة بطريق ما .

الثانى : ذكر فيه الصحابة من الأطفال الذين ولدوا على عهده ﷺ وماتوا وهم دون سن التمييز .

الثالث : عن المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

الرابع : فيمن ذكر فى كتب الصحابة على سبيل الوهم والخطأ وتحقيق ذلك .

وقد تجلى أثر ابن عبد البر فى كتاب الإصابة من خلال النقول الكثيرة التى أوردها عنه ابن حجر ، فقد نقل عنه فى (١٧٨٢ موضعا) كما أحصى ذلك د . شاكر عبد المنعم فى رسالته عن ابن حجر وموارده فى الإصابة .[2]

ومن نماذج نقله عنه فى الإصابة :

١ ـ السائب بن أبى حبيس بن المطلب

« وقال أبو عمر هو الذى قال فيه عمر ذاك رجل لا أعلم فيه عيبا ، بخلاف غيره وقد روى أن عمر قال : ذلك فى ولده عبد الله بن السائب وكان شريفاً وسيطاً أيضاً » .[3]

٢ ـ سُلَيط بن سُفيان بن خالد بن عوف الأسلمى :

« قال أبو عمر : هو أحد الثلاثة الذين بعثهم رسول الله ﷺ طلائع فى آثار

---

(١) نفس المصدر ١ / ٤ ـ ٥ .

(٢) انظر (ابن حجر العسقلانى ودراسة موارده ومصنفاته ومنهجه فى كتاب (الإصابة) د. شاكر عبد المنعم : ٢ / ٢٩٦

رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة طبع الجزء الأول منها فقط .

(٣) الإصابة : ٢ / ٩

المشركين يوم أحد » .[1]

٣ ــ نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن يَعمُر الكنانى

« قال أبو عمر مات فى خلافة يزيد بن معاوية » .[2]

٤ ــ أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد القرشى[3]

كان من المسلمين السابقين إلى الإسلام ومن مهاجرة الحبشة ، ونقل أبو عمر عن طريق محمد بن إسحاق أن اسمه عبد الله الحارث .

وقد كان ابن عبد البر بما ألَّفَهُ من مؤلفات أخرى فى علم الرجال والتراجم مصدرا لكثير من المؤلفات التي جاءت بعده . وابن عبد البر قد ضمن كتابه التمهيد كلاماً فى الرجال تضعيفاً وتوثيقاً . لاسيما وأنه يتكلم فى معانى الأسانيد ورجالها من خلال كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس . وقد مَرّ التعريف بكتاب التمهيد ومنهج ابن عبد البر فيه فى فصل مؤلفاته .

وكانت كتبه الأخرى كالاستيعاب والاستغناء فى الكنى تحفل بهذا .

نقله عنه فى تهذيب التهذيب :

وهو الكتاب الثانى الذى نقل فيه ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) عن ابن عبد البر فى علم الرجال الذى ذكر فيه زبدة أقوال المُحدثين فى رجال الكتب الستة : البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وغيرهم .

وقد أورد ابن حجر فى كتابه الذى يقع فى اثنى عشر مُجلداً أقوال ابن عبد البر فى جرح الرجال وتعديلهم . وقد نقل عنه ابن حجر وعلّق عليه فى (٤١٧ موضعا) .

٣ ــ نقل الصالحى عن ابن عبد البر فى عقد الجُمان :

وأما النموذج الآخر الذى نقل عنه فى تراجم الفقهاء فهو كتاب (عقد الجمان

(١) نفس المصدر : ٢ / ٧١ .

(٢) نفس المصدر : ٣ / ٥٧٨ .

(٣) نفس المصدر : ٤ / ١٦٠ ــ ١٦١ .

فى مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان) للمؤرخ المحدث محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) .

فقد نقل فى هذا الكتاب[١] تلك اللمسات التى يتسم بها ابن عبد البر فى إنصافه للعلماء والفقهاء الأعلام فقد ردَّ عن أبى حنيفة سهاما كان سددَّها طيش التعصب أو الحسد أو ثورة غضب .

وقد دافع ابن عبد البر عن أبى حنيفة فى كتابه جامع بيان العلم فقال : « أفرط أصحاب الحديث فى ذمّ أبى حنيفة وتجاوزوا الحد فى ذلك »[٢].
وقال: وكان أبو حنيفة يُحسد وينسب إليه ما ليس فيه ، ويُختلق عليه مالا يليق به »[٣] وقال عنه نقلا عن أبى داود السجستانى « رحم الله أبا حنيفة كان إماما »[٤] وكان الصالحى يصف ابن عبد البر بالناقد ، وبالمنصف لما توخاه ابن عبد البر من معالجة الأمور بموضوعية من غير تعصُّب مذهبى ، أو علمى ، فابن عبد البر كان مُحدثاً ومالكى المذهب .

هذه نماذج أردنا أن نوضح فيها أثر ابن عبد البر فى مؤلفى تراجم الصحابة ، والفقهاء ، وعلم رجال الحديث .

★ ★ ★

تاسعا : نقد العلماء لابن عبد البر :

كلُّ أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ .
وابن عبد البر اجتهد فى أن يُدلى بآرائه من خلال ثقافته الواسعة واجتهاده الشخصى ، فوفق فى أشياء كثيرة ، واستحكم عليه ما يستحكم على البشر من الخطأ والوهم والنسيان . فكان ذلك مَدخلاً للعلماء لمناقشة آرائه وتقويم خطأه أو

---

(١) وقد نقل عنه فى (٢٠ موضعا من كتابه « عقد الجمان ») .
(٢) انظر عقد الجمان : ٢٨٦ .
(٣) نفس المصدر : ٣٨٨ .
(٤) نفس المصدر : ٣٩٠ .

إزالة وهمه .

آراء ابن عبد البر التاريخية :

وسيحاول الباحث أن يعرض النقد الموجه لآرائه فى بعض القضايا التاريخية . وإنتاجه التاريخى ، وسيقتصر على كتاب الاستيعاب لأنه هو ثمرة الفكر التاريخى عند ابن عبد البر والذى حوى الجانب التطبيقى لآرائه فى التاريخ فيما يخص تاريخ الصدر الأول والخلفاء الراشدين وصدرا من العصر الأموى .

وقد أوجز ابن الصلاح الشهرزورى (ت ٦٤٣ هـ) نقد العلماء له فى قضيتين :[(١)]

ـــ رواية ابن عبد البر عن الإخباريين لا المحدثين .

ـــ وإيراده كثيرا مما شجر بين الصحابة .

أما القضية الأولى فقد مضى الكلام عنها خلال عرض اهتمامه بالجانب التاريخى فى علم الرجال والتراجم من هذا الفصل .

أما القضية الثانية : فهى ذكره ما شجر بين الصحابة وسيأتى الحديث عنها .

موقفه من قضية المفاضلة بين الصحابة :

وهذه القضية هى ثمرة بعض الآراء الخاصة التى وضعها ابن عبد البر لنفسه من خلال استقرائه نصوص الأحاديث النبوية فى هذا الجانب والتى يمكن أن نلخصها فيما يلى :[(٢)]

١ ـــ الصحابة أفضل القرون بالنسبة للمجموع لا الأفراد .

٢ ـــ من مات من الصحابة فى حياته ـــ ﷺ ـــ أفضل ممن بقى بعده .

٣ ـــ أفضل الصحابة : الأولون من المهاجرين ثم الأولون من الأنصار ثم من بعدهم

---

(١) انظر علوم الحديث المعروف بالمقدمة : ٢٦٢ .

(٢) انظر : مدرسة الحديث فى الأندلس وإمامها ابن عبد البر : ٢٤١ رسالة دكتوراه : لصالح أحمد رضا ، مكتوبة على الآلة الكاتبة .

مع عدم القطع على إنسان منهم بعينه أنه أفضل من الآخرين فى طبقته .

٤ ـــ الاتفاق على أفضلية الخلفاء الراشدين بحسب ترتيبهم فى الخلافة .

(١) أما قضية أفضلية القرن الأول على باقى القرون :

فقد ذهب ابن عبد البر إلى أن الأفضلية بالنسبة للقرن الأول هى أفضلية مجموع وليست أفضلية أفراد ، واحتج ابن عبد البر بحديثين :

الأول : « أُمَّتى كالمطر لا تدرى أَوَّلهُ خير أم آخره »(١).
والثانى : « خير الناس من طال عُمرُه وحَسُنَ عَمله » .

وهما يعارضان حديث : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ... الحديث »(٢) .
ولدفع التعارض قال ابن عبد البر(٣) :

« والذى يصح عندى ـــ والله أعلم ـــ فى قوله : (خير الناس قرنى) أنه خرج مَخرج العُموم ومعناه الخصوص ، بالدلائل الواضحة فى أنّ قَرنَهُ ـــ والله أعلم ـــ فيه الكفار والفجار كما كان فيه الأخيار والأشرار . وكان فيه المنافقون والفُسّاق ، والزناة والسُّراق ، كما كان فيه الصدِّيقون والشُّهداء والفضلاء والعلماء .

فالمعنى على هذا كله عندنا أنّ قوله عليه السلام : (خير الناس قرنى) . أى : خير الناس فى قرنى كما قال تعالى : (الحج أشهر معلومات) أى فى أشهر معلومات . فيكون خير الناس فى قرنه أهل بدر والحديبية ومن شهد لهم بالجنة خير الناس إن شاء الله » .

---

(١) قاله ابن حجر العسقلانى : وهو حديث حسن له طرق قد يرتقى بها إلى الصحة . انظر فتح البارى : ٧ / ٦ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه . انظر فتح البارى : ٧ / ٣ .

(٣) الاستذكار : ١ / ٢٣٩ ـــ ٢٤٠ .

وقد ناقش ابن حجر القضية بقوله :[1]

« واقتضى هذا الحديث — خير الناس قرنى — أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من أتباع التابعين ، لكن هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد ؟

محل بحث وإلى الثانى نحا الجمهور . والأول قول ابن عبد البر .

والذى يظهر أن من قاتل مع النبى ﷺ ، أو فى زمانه ، أو بأمره أو أنفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله فى الفضل أحد بعده ، كائنا من كان . وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث .. وقد تعقب كلام ابن عبد البر بأن مقتضى كلامه : أن يكون فيمن يأتى بعد الصحابة من يكون أفضل من بعض الصحابة وبذلك صرح القرطبى .

لكن كلام ابن عبد البر ليس على الإطلاق فى حق جميع الصحابة . فإنه صرح فى كلامه باستثناء أهل بدر والحديبية .

والذى ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل . لمشاهدة رسول الله ﷺ .

وأما من اتفق له الذب عنه ، والسبق إليه بالهجرة ، أو النصرة ، وضبط الشرع المتلقى عنه ، وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتى بعده .لأنه مامن خصلة من الخصال المذكورة إلّا وللذى سبق بها مثل أجر من عمل بها من بعده .فظهر فضلهم .

ومُحصَّل النزاع يتمخض فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة ، فإن جمع بين مختلف الأحاديث المذكورة كان مُتجها على أن : حديث« للعامل منهم أجر خمسين منكم » لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة ، لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة ، وأيضا فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى مايماثله فى

---

(١) فتح البارى : ٧ / ٦ ، ٧ .

ذلك العمل . فأما ما فاز به من شاهد النبى ﷺ من زيادة فضلية المشاهدة فلا يعدلهُ فيها أحد » .

(٢) ويرى ابن عبد البر أن من مات من الصحابة فى حياة النبى ﷺ أفضل ممن بقى بعده :

واستدل على ذلك بقوله ﷺ : فى شهداء أحد « هؤلاء أشهدُ عليهم » أو « أنا شهيد على هؤلاء » . وقال القاضى عياض ومن القائلين بذلك ابن عبد البر.[١] وفى قوله ﷺ « لا أدرى ما تحدثون بعدى »[٢] وبحديث الحوض :« وليردن أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم ».[٣]
وقد نقد النووى هذا الرأى بقوله :
« وهذا الإطلاق غير مرضى ولا مقبول ».[٤]

وقال العراق وهو أيضا مردود بإجماع الصحابة والتابعين على أفضلية أبى بكر وعمر على سائر الصحابة .

وقد عقب د . صالح أحمد رضا بقوله : « ففى الرأى الذى ينقله القاضى عياض عن ابن عبد البر نجد أنه إطلاق غير سليم من النقد ، وما استدل به من الحديث ليس نصا قاطعا فى ذلك ولا قريبا من القطع والله أعلم .»[٥]

(٣) وأما فى قوله فى الفضل والمفاضلة : فقد روى عنه ابن حزم أنه كان يقول بقول أبى داود الظاهرى وأنه قال له غير ما مرة أن هذا هو قوله ومعتقده . وهو : « أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم السلام أصحاب رسول الله ﷺ ، وأفضل الصحابة الأولون من المهاجرين ، ثم الأولون من الأنصار ، ثم من بعدهم منهم . ولا أقطع على إنسان

(١) انظر فتح المغيث : للسخاوى : ٣ / ١١٩ .

(٢) التقصى : لابن عبد البر : ٦٥ .

(٣) الاستذكار : لابن عبد البر : ١ / ٢٤٠ .

(٤) المنهاج : ١٥ / ١٤٨ .

(٥) مدرسة الحديث فى الأندلس وإمامها ابن عبد البر : ٢٤٤ رسالة دكتوراة مكتوبة على الآلة الكاتبة .

منهم بعينه أنه أفضل من الآخرين من طبقته .»[1]

وقد صرح ابن عبد البر بذلك فى مقدمة الاستيعاب بقوله :
« ولم يأت عنه ﷺ أنه فضل منهم واحداً على صاحبه بعينه من وجه يَصحُّ ولكنه ذكر من فضائلهم ما يستدل به على مواضعهم ، ومنازلهم من الفضل والدين والعلم . وكان ﷺ أحلم وأكرم معاشرة ، وأعلم بمحاسن الأخلاق من أن يواجه فاضلا منهم بأن غيره أفضل منه ، فيجد ذلك فى نفسه ، بل فضل السابقين منهم وأولوا الاختصاص به ،على من لم ينل منازلهم .»[2]

ثم نقل فى الاستيعاب قولاً آخر وهو : « وأهل السنة اليوم على ماذكرت لك من تقديم أبى بكر فى الفضل على عمر ، وتقديم عمر على عثمان ، وتقديم عثمان على علىّ رضى الله عنهم ، وعلى هذا عامة أهل الحديث من زمن أحمد بن حنبل إلا خواص من جلة الفقهاء ، وأئمة العلماء . »[3]

ويبدو أن ابن عبد البر قال بالقول الأول يوم كان ظاهرياً ، ثم رجع عنه بعد ذلك إلى قول الجمهور .

(٤) **أما الاتفاق على ترتيب أفضلية الخلفاء بحسب ترتيبهم فى الخلافة** : فإنَّ ابن عبد البر ذهب إلى ذلك ، بل أقدم على رد رواية صحيحة عن ابن عمر فيورد رأى ابن معين فى حديث ابن عمر ذلك بأن : « من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وعرف لعلى سابقته وفضله فهو صاحب سُنَّة » فلما قيل له قول من يقول : أبو بكر وعمر وعثمان ويسكتون فتكلم فيهم بكلام غليظ .[4]

ثم تعقبه ابن حجر بقوله : « وادَّعى ابن عبد البر أيضا أنَّ هذا الحديث خلاف

---

(١) رسالة فى المفاضلة بين الصحابة : لابن حزم : ١٧١ .
وانظر الفصل : ٤ / ١١٢ .

(٢) الاستيعاب : ١ / ١٧ ، ١٨ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١١٧ — ١١٨ .

(٤) الاستيعاب : ٣ / ١١١٦ .

قول أهل السنة أنّ علياً أفضل الناس بعد الثلاثة ، ودلّ هذا الإجماع على أنّ حديث ابن عمر غلط ، وإن صحّ سنده » (١)

ثم قال : « ولا يلزم من سكوتهم إذ ذاك على تفضيله ، عدم تفضيله على الدوام ، وبأن الاجتماع المذكور ، إنما حدث بعد الزمن الذى قيده ابن عمر ، فيخرج حديثه أن يكون غلط » (٢)

ولكن ابن حجر مع ذلك اعتذر لابن عبد البر فى أنه قد يكون أنكر الزيادة التى وقعت فى حديث ابن عمر لأنها لم تثبت عنده وهى : « ثم نترك أصحاب رسول الله ﷺ فلا نفاضل بينهم . » (٣)

ويستمر ابن حجر فى تفنيد رأى ابن عبد البر فى رده لحديث ابن عمر ، لأن ابن عمر ثبت عنه تفضيله عليا على نفسه .

« والظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفى أنهم كانوا يجتهدون فى التفضيل ، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهوراً بيّناً ، فيجزمون به ، ولم يكونوا اطّلعوا على التنصيص فى ذكر فضله » (٤)

تدوين ماشجرَ بين الصحابة :

« ليست فى التاريخ الإسلامى مرحلة أشد تعقيدا ، ولا أعظم غموضا من المرحلة التى تبدأ بقتل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب ، واستخلاف عثمان رضى الله عنهما ، وتنتهى بتسليم الحسن بن على الأمر إلى معاوية رضى الله عنهما . » (٥)

ثم إن هذه المرحلة لما كانت تتعلق بالجيل الأول الذى قاد عملية البناء فى المجتمع

---

(١) نفس المصدر وفتح البارى : ٧ / ١٦ .

(٢) فتح البارى : ٧ / ١٦ .

(٣) نفس المصدر : ٧ / ١٦ — ١٧ .

(٤) نفس المصدر : ٧ / ٥٨ .

(٥) عثمان بن عفان : صادق عرجون : ٩ — ١٠ .

الإسلامى الأول ، لذلك جعلت الباحثين يتهيَّبون النقد الصريح لشخصياتها ويحذرون البحث فى تحقيق حوادثها وبيان أسبابها وعللها . حرصاً من المسلم على أن لا يشوِّه جمال ذلك العصر المليىء بالمفاخر الفذة .(١)

وإن بادر المؤرخ الورع لمعالجة أحداث هذه الفترة استجابة لداعى العلم ، وأداء لحق البحث العلمى النزيه المُلتزم . « خشى أن يتذرع بذلك من لم يرجُ لله وقاراً فيهجم — فى غير سمت العلماء ، وأدب رواد الحقائق — على التاريخ ، فيتشبث ببعض الروايات الباطلة ، والآراء الملقحة بالشهوات الفكرية والاعتقادية ، ويتخذ منها مذهباً ينشره على الناس ، كأنه حقيقة من الحقائق فتتناقله الأقلام وينحدر إلى أودية الأفكار ، وكثير منها خَلِىّ ، وكثير منها مَدخُول عَمىّ .(٢)

وقد توزعت تدوين هذه القضية مصادر شتى . منها ما هو متخصص ومنها غير ذلك . أهمها الكتب التاريخية المتقدمة أمثال تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ ابن أبى خيثمة وتاريخ أبى زرعة الدمشقى وغيرهم .

وكتب تراجم الصحابة ، وكتب الأدب والأخبار وكذلك كُتب الحديث التى تحوى روايات زاخرة خاصة فى مناقب الصحابة .

ثم إن العقبة التى تواجه المؤرخ لهذه الحقبة المهمة الخطيرة فى التاريخ الإسلامى رُكام من الروايات التاريخية المختلفة المتناقضة التى نقلها إلينا بعض الأحيان رواة « تحتف بهم أحوال سياسية ، واجتماعية ، ومذهبية ، وأدبية ، وفكرية ، وعنصرية ، قد تزعزع الثقة بهم فى رواياتهم مالم تجد تلك الروايات صيارفة مهرة ، ونقادا حذقة يميزون الجيد من الرديىء ، ويصفون الحق من بهرج الباطل ... ولا يروى إلا عمن رجح فى ميزان العدالة بين الرواة » .(٣)

---

(١) انظر نفس المصدر : ١٨ وانظر موسوعة التاريخ : ١ / ٤٤ — ٤٥ ط ١٠ .

(٢) نفس المصدر : ١٨ .

(٣) عثمان بن عفان : ٢١٧ .

« وفى هذا المجال تتجلّى مُهمة الباحث فى الموازنة والاستنباط حتى يستخلِص من هذه الروايات معالم الحق ، ويستطيع أن يرسم له صورة إن لم تكن هى الحقيقة كلها فهى أقرب ما تكون إليها .»(١)

ومما زاد فى صعوبة البحث تلك الطريقة التى يسلكها بعض المعاصرين فى التعامل مع الروايات المدخولة الباطلة فيختارون ما يوافق أفكارهم وميولهم تحت ستار المنهج العلمى وحرية الرأى للنيل من صدر هذه الأمة فيسهل التلبيس على من يجهل التاريخ وأدب قراءته . « فلمصلحة منْ نُدمر تاريخنا ونقضى على الهالة الطيبة التى رسمها الزمن لزعمائنا فى الفكر والسياسة » .(٢)

عليه فقد اجتهد العلماء واتفق جمهور أهل السنة والجماعة على عدم الخوض فى هذه الأحداث التى وقعت بين الصحابـة رضى الله عنهم . سدًّا لذريعـه انفـلات الألسن من عقلها فتُسىء التحليل والاستنتاج مما يترتب على ذلك من تكتل على تلك الأفكار التى تؤدى إلى التعصب وبالتالى إلى التنازع والخلاف المذموم والذى لا زالت تُعانى منه أمتنا الإسلامية . والتزموا بقوله تعالى : « تلك أمة قد خَلَت لها ما كَسَبَت ولكم ماكَسَبْتُمْ ولا تُسألون عما كانوا يَعمَلُون » ..(٣)

ابن عبد البر وتدوين ما شَجَرَ بين الصحابة :

ولكن ابن عبد البـر آثـر أن يركـب الصعب ، ويرتقـى الوعـر ، ليقـدم لنـا صورة متكاملة عن القرن الذى جعلهُ الله أسوة القرون ، يدفعه إلى ذلك حسُّهُ التاريخى ، الذى يعطى لفائدة التاريخ مضمونها الإيجابى يعينه فى ذلك ثقافته الحديثية والتاريخية الواسعة . إضافة إلى ضوابط الالتزام التى وضعها كما أسلفنا .

ثم إنه من خلال التصورات التى اختارها مجتهدا فى مفهوم التفضيل فى الأجيال ،

---

١) نفس المصدر : ٢١٨ .

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامى : ١ / ٤٧ ط ١٠ .

(٣) البقرة : آية ١٣٤ .

والأشخاص ، ومن توفى فى حياة النبى ﷺ أو بعده . كما أسلفنا ومن ثبت صحبته ومن اختلف فيها ، تناول الكلام فى الأشخاص الذين كان لهم دور كبير فى تلك الحقبة من الزمن ليشبع فى نفسه شغف المؤرخ الذى يريد اقتحام الأحداث ليحدد أسبابها ونتائجها والمسؤلون عنها .

وكان ابن عبد البر على قدر كبير من التحرى والالتزام فى سرد الأحداث ونقدها وتصويب اجتهاد بعض الصحابة وتخطئة البعض الآخر . وكان يتحرى أن يذكر محاسن من ينقدهم مع ذكر بعض المآخذ عليهم وكان هذا يحدث عند ترجمته لمعاوية رضى الله عنه (١) ، ورجالات بنى أمية أمثال : أبو سفيان (٢) ، ومروان بن الحكم (٣) ، والوليد بن عقبة (٤) . وغيرهم أو بعض مناصريهم أمثال : بُسْر بن أرطأة (٥) .

بينما كان يبدو شديد العاطفة عند الكلام عن مواقف الصحابة الذين وقفوا بجانب علىّ رضى الله عنه ، ويبرز ندم من تأخر عن نصرة على فى موقفه من معاوية . أمثال عبدالله بن عمر .

ولذا فإن ابن عبد البر قد توسع فى ذكر بعض الأخبار التى يحمل من خلالها بعض الشخصيات مسؤلية بعض الأحداث التى شاركوا فيها والأعمال التى اقترفوها أمثال : بُسْر بن أرطأة ، ومروان بن الحكم .

ومع موقف ابن عبد البر الواضح التعاطف مع علىّ ـــ كرم الله وجهه ـــ لكنه لم ينج من نقد الشيعة حيث وصفه الخوانسارى بقوله (٦) : « كان سنيا متعصبا ناصبياً أى

---

(١) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤١٦ ـــ ١٤٢٢ .

(٢) نفس المصدر :٢ / ٧١٤ ـــ ٧١٥ ، ٤ / ١٦٧٧ ـــ ١٦٨٠ .

(٣) نفس المصدر : ٣ / ١٣٨٧ ـــ ١٣٩٠ .

(٤) نفس المصدر : ٤ / ١٥٥٢ ـــ ١٥٥٩ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ١٥٧ ـــ ١٦٦ .

(٦) روضات الجنات فى أحوال العلماء والسادات : ميرزا محمد باقر الموسوى الخوانسارى تحقيق : إسماعيليان أسد الله : ٨ / ٣٣٣ طبعة إيران .

ـــ يناصب آل البيت العداء ـــ ويظهر من مطاوى كتابه الاستيعاب وإشارات بعض ماضَم الأصحاب ، أنه كان من جملة غرائب النصاب وعجائب المعاندين مع آل محمد الأجلة الأطياب . »

ولا يكتفى ابن عبد البر بإبراز أحداث الفتنة فقط ولكنه يعرض لنا الاستعداد النفسى للصحابة رضى الله عنهم لتغيير مواقفهم مع مقتضى الحق ومصلحة المجتمع الإسلامى ولا يضرهم ذلك فى شيء مما يدل على إخلاصهم وأنهم لم يقتتلوا إلا لاجتهاد فيه مظنة الحق ولكن عندما يظهر الحق يخضع له الجميع .

ولعل صورة تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة موقف رائع يدل على حقيقة هذا الجيل .(١)

ومثل موقف المِسوَر بن مَخرمَة وهو يناقش معاوية ويبدى له رأيه فيه صراحة ورد معاوية عليه يسجل لنا ابن عبد البر ذلك فى خبر طويل يقول فى نهايته المسور بن مخرمة :

« ففكَّرت حين قال ما قال ـــ أى معاوية ـــ فعرفت أنه خصمنى . قال : فكان إذا ذَكَر ـــ معاوية ـــ بعد ذلك دعا له بالخير »(٢) وكان المسور من أنصار علىّ رضى الله عنه من أول خلافته .

ثم موقف أبى أيوب الأنصارى الصحابى الشيخ الذى كان مع علىّ كرم الله وجهه فى كل مواقفه يوافق على أن يكون فى جيش أميره يزيد بن معاوية عند محاولة فتح القسطنطينية وعندما سأل عن رأيه فى ذلك قال : « وما على أن أمر علينا شاب(٣) » وكان هو ابن الثمانين سنة أو يزيد .

* * *

---

(٢) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٨٥ ـــ ٣٨٧ .

(٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤٢٢ .

(٣) نفس المصدر : ٤ / ١٦٠٧ .

ما لابن عبد البر وما عليه :

وهناك بعض المآخذ على ابن عبد البر التى آخذه عليها العلماء منها :

١ ــ نقله عن بعض المضعّفين من المؤرخين ، أمثال : سيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) وأبو مخنف لوط بن يحيى (ت ١٥٧ هـ) والجاحظ ، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) وغيرهم الذين جمعوا الأخبار من غير تمحيص .

٢ ــ كانت أكثر تراجم من انتمى إلى البيت الأموى أو من ناصرهم تكثر فيها الأخبار التى تبدى نقدهم وتظهر بعض المساوىء ، مما جعل ابن عبد البر نفسه يُمسك عن الكلام فى ترجمة أبى سفيان مثلا .

٣ ــ يبدو فى ترجمته لمن ناصر علياً أكثر ميلا فيذكر بطولاتهم ويصفهم بالتشيع وهو غير التشيع العقدى السياسى الذى ظهر بعد ذلك . وإنما يعنى المناصرة لموقف على وتقديمه له مع تفضيل أبى بكر وعمر والترحم على عثمان .

ومن مفاخره أنه :

١ ــ من أوائل المُحدِّثين الذين اجتهدوا فى مخالفة القول بعدم الخوض فيما شجر بين الصحابة ، لكيلا يترك المجال مفتوحا لأهل الأهواء وقليلى البضاعة التاريخية ، والذين يفتقدون الملكة النقدية .

٢ ــ اجتهد فى أن يقدم فى تراجمه مفاخر الصحابى والمآخذ عليه .

٣ ــ لم يستعمل قولا جارحا أو لفظا نابياً وهو يقدم تلك التراجم .



الخاتمــة

عشنا فى هذه الرحلة الواسعة مع ابن عبد البر الذى كان مَعْلَماً على قرن كامل ، حيث عاش خمسة وتسعين عاما . فتنقلنا مع ابن عبد البر فى جميع أطوار حياته باستقصاء لا بأس به .

وبين الباحث تأثره بالأحداث وتفاعله معها ، خاصة فى تلك الحقبة التى عاصر ابن عبد البر فيها الكيان السياسى الواحد فى ظل المنصور بن أبى عامر وأبنائه ثم الفتنة القرطبية الهوجاء التى أعقبها التفكك السياسى .

وساهم فى النهضة الثقافية التى كانت ثمرة القرن الرابع الهجرى وآتت أُكلها فى القرن الخامس .

وحاول البحث استقصاء إنتاجه الثقافى الذى أسهم به فى ذلك .

ثم عرض فى الباب الثانى إلىٰ إطار البحث التاريخى عند ابن عبد البر وقيمته التى تجلت من خلال تنوع معالجاته للقضايا التاريخية .

وأما الباب الثالث فقد أبرز شخصية ابن عبد البر المؤرخ فكرا ومنهجا ومدرسة . ثم أثره فيمن بعده والنقد الموجه إليه .

وأما أهم النتائج التى توصل إليها البحث فهى :

١ ــ الكشف عن : بعض الجوانب المجهولة من حياة ابن عبد البر . وتحديد بعض الأحداث الهامة من حياته على وجه التقريب ومحاولة تحديد ذلك بالسنوات وخاصة تحديد وجهته بعد الخروج من قرطبة ، ثم تتبع رحلاته وتنقلاته بين مدن الأندلس مع الاستعانة بالخرائط فى ذلك .

٢ ــ إحصاء مؤلفاته إحصاءً استدرك فيه مافات البحوث الأخرى التى سبقته .

٣ ــ الكشف عن نجاحه فى توظيف ثقافته الحديثية فى توثيق الخبر ونقده مع استخدام المنهج العقلى فى نقد الأخبار التاريخية .

٤ ــ أظهر البحث دور ابن عبد البر فى الإصلاح لإعادة وحدة الأندلس بالمشاركة

مع غيره من العلماء والمفكرين .

وهناك توصية عامة مفادها :

ضرورة دراسة المؤرخين الذين غلب عليهم تخصص آخر ، لعلنا بذلك نكشف عن منهج جديد ابتكره مؤرخ ما . أو يكشف عن نجاح مؤرخ فى توظيف ثقافته الموسوعية فى خدمة التدوين التاريخى . وبذلك نثرى المكتبة التاريخية والبحث التاريخى بصورة عامة والبحث التاريخى الإسلامى بصورة خاصة .

والله أسأل التوفيق والسداد .



ثبت المصادر والمراجع

★ القرآن الكريم .

أولا : المخطوطات .

★ اختلاف أصحاب مالك بن أنس واختلاف روايتهم عنه لابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٤ مغرب أولى / الخزانة الملكية عندى صورة عنها .

★ الاستغناء فى أسماء المشهورين من حملة العلم بالكنى لابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ١٥٥ / مغرب ثانية .

★ الاستدراك على ابن عبد البر : لابن الأمين ، وعليه زيادات لابن بشكوال . مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٢٧ تاريخ .

★ الأمثال السائرة والأبيات النادرة ، لابن عبد البر القرطبى (٤٦٣ هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية (برقم : ١٩٦٣ / أدب) .

★ الاهتبال لابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عندى صورة عنها .

★ تاريخ الإسلام ، الذهبى ــ محمد بن عبدالله بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) معهد المخطوطات بالقاهرة (برقم : ٩٨ / تاريخ نسخة أحمد الثالث .

★ التعريف بفقهاء المالكية . ابن عبد البر القرطبى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ٦٢٩ / تاريخ . عندى صورة عنها .

★ التكملة ــ ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) القسم الثالث . معهد المخطوطات العربية بالقاهرة غير مصنفة .

★ الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : الخطيب البغدادى على بن ثابت (ت ٤٧٣ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة غير مصنفة .

* رسالة فى أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر القرطبى ، دار الكتب المصرية نسخة برقم ٥٥٢ / أدب تيمور ونسخة ثانية برقم ٣ـــ ١٦٦ / أدب .

* روض الأنس لأبى البقاء الرُّندى (٦٨٤ هـ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصوّرات المغرب برقم : ١٢ مكتبات خاصة .

* سير أعلام النبلاء ـــ للذهبى محمد بن عبد الله بن عثمان (٧٤٨ هـ) دار الكتب المصرية برقم ١١٩٥ .

* الغُنية ـــ للقاضى عياض اليحصبى (٥٤٤ هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٢٨٤ / تاريخ تيمور .

* فى ذكر بلاد الأندلس ـــ مؤلف مجهول . معهد المخطوطات العربية ـــ بالقاهرة ـــ برقم ١٧٦ مغرب / أولى .عندى صورة عنها .

* مقدمة الاستذكار للحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهانى السلفى (ت ٥٧٦ هـ) المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ٧١ ـــ عندى صورة عنها .

ثانيا : المصادر والمراجع والرسائل الجامعية :

* الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث فى القرن الثالث الهجرى الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد مكتبة الخانجى ، القاهرة (١٣٩٩ هـ ـــ ١٩٧٩ م)

* الاتجاه الإسلامى فى الشعر الأندلسى : رسالة دكتوراه قدمها منجد مصطفى بهجت بجامعة الأزهر / كلية اللغة العربية (١٤٠١ هـ ـــ ١٩٨١ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة لم تطبع بعد .

* الأدب الأندلسى فى الفتح حتى سقوط الخلافة د . أحمد هيكل ـــ دار المعارف بالقاهرة . ط ٧ . (١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م) .

* أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير على بن محمد (ت ٦٣٠ هـ) تحقيق

محمد إبراهيم البنا (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م) دار الشعب بدون تاريخ .

* الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ لابن عبد البر القرطبى ــ تحقيق الدكتور على النجدى ناصف ، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة . ط١ (١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م) .

* الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق محمد على البجاوى ، مكتبة نهضة مصر (١٣٨٠هـ ــ ١٩٦٠ م) .

* الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ) مكتبة المثنى ببغداد ، صورتها عن طبعة السعادة بمصر ١٣٢٨ هـ .

* الإسلام فى أسبانيا ، د . لطفى عبد البديع . مكتبة النهضة المصرية ط٢(١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م) .

* الإسلام ونهضة الأندلس أحمد مظهر العظمة . المكتب الفنى والنشر ــ القاهرة (١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م) سلسلة الثقافة الإسلامية .

* الأعلام بمن حل فى مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم . تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية بالرباط ، ط١ . (١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م) .

* الاكتفاء فى مغازى رسول الله ﷺ ومغازى الثلاثة الخلفاء الكلاعى . الحافظ الشهيد أبى ربيع سليمان بن موسى الكلاعى(ت ٦٣٤ هـ) ، تحقيق مصطفى عبدالواحد . نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، صدر الجزء الأول (١٣٨٨ هـ ــ ١٩٦٨ م) والجزء الثانى (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م) الجزء الثالث لم يصدر بعد .

*الألماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضى عياض : عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق سيد أحمد صقر ، نشر دار التراث بمصر . ط١ : (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م) .

★ الإنباه على قبائل الرواه ابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) مطبعة القدسى / القاهرة ط١ (١٣٥٠ هـ ـــ ١٩٣٠ م) .

★ الانتقاء فى فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ـــ لابن عبد البر القرطبى . مطبعة القدسى / القاهرة ط١ (١٣٥٠ هـ ـــ ١٩٣٠ م) .

★الأندلسيون المواركه . عادل سعيد بشتاوى ، مطابع انترناشيونال برس ـــ القاهرة . ط١(١٤٠٣ هـ ـــ ١٩٨٣ م) .

★ الإنصاف فيما بين المختلفين فى بسم الله الرحمن الرحيم لابن عبد البر القرطبى ، عنيت بنشره المطبعة المنيرية بمصر سنة (١٣٤٣ هـ ـــ ١٩٢٣ م) .

★ ابن حجر العسقلانى ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده فى كتاب الإصابة الدكتور شاكر محمود عبد المنعم ، دار الرسالة للطباعة ببغداد ، نشر وزارة الأوقاف العراقية : ط١ (١٣٩٦ هـ ـــ ١٩٧٦ م) .طبع الجزء الأول فقط .

★ ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، الدكتور عبد الحليم عبد الفتاح عويس ، دار الاعتصام بالقاهرة ، ط١ (١٣٩٩ هـ ـــ ١٩٧٩ م) .

.★ ابن حزم مؤرخا د .عبد الحليم عبد الفتاح عويس ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ، كلية دار العلوم / قسم التاريخ سنة(١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة طبعت .

★ ابن عبد البر النمرى محدثا . الطاهر بن الصادق الأنصارى ، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز (أم القرى الآن) كلية الشريعة / فرع الكتاب والسنة . سنة : (١٣٩٧ هـ ـــ ١٩٧٧ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد

★ ابن عبد البر وجهوده فى الحديث والفقه . إسماعيل الندوى ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ، كلية دار العلوم / قسم الشريعة سنة (١٣٨٤ هـ ـــ ١٩٦٤ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع

★ ابن عبد الحكم رائد المؤرخين العرب . الدكتور إبراهيم العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، سنة (١٣٨٣ هـ ـــ ١٩٦٣ م) .

★ ابن زيدون . د . على عبد العظيم . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة (١٣٨٧ هـ ـــ ١٩٦٧ م) .

★ آداب الشافعى ومناقبه لابن أبى حاتم (ت ٢٣٧ هـ) تحقيق الشيخ عبد الغنى عبد الخالق ، مكتبة التراث الإسلامى ، ط١ (١٣٧٢ هـ ـــ ١٩٥٣ م) .

★ الأحكام فى أصول الأحكام ابن حزم القرطبى : على بن أحمد (٤٥٦ هـ) ، الناشر زكريا على يوسف ، القاهرة . بدون تاريخ .

★ إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى(ت ٥٠٥ هـ) طبعة دار الشعب بالقاهرة . بدون تاريخ .

★ الأخبار الموفقيات . الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق سامى مكى العانى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ط ١ (١٣٩٢ هـ ـــ ١٩٧٢ م) .

★ أطلس التاريخ الإسلامى صنفه هارى . وهازارد ، ترجمه وحققه إبراهيم زكى خورشيد ، مراجعة محمدمصطفى زيادة ، نشر مكتبة النهضة المصرية .

★ إعتاب الكُتّاب ابن الأبار : محمد عبدالله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) تحقيق د . محمد صالح الأشتر .طبعه مجمع اللغة العربية بدمشق .ط١ . (١٣٨١هـ ـــ ١٩٦١ م) .

★ أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام ، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) القسم الثانى تحقيق ليفى بروفنسال .

★ إفادة النصيح فى التعريف بسند الجامع الصحيح ، مُحب الدين أبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتى الفهرى الأندلسى (ت ٧٢١ هـ) تحقيق الدكتور محمد الحبيب الخوجة : الدار التونسية للنشر / تونس . بدون تاريخ .

★ الباعث الحثيث . شرح اختصار علوم الحديث للحافظ بن كثير(ت ٧٧٤ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٣ . مكتبة محمد على صبيح . القاهرة . بدون تاريخ .

★ بحوث فى تاريخ السنة المشرفة . الدكتور أكرم العمرى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ (١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م) .

★ برنامج شيوخ الواداياشى . تحقيق ناطق مطلوب جزء ثانى من رسالة الدكتوراه بجامعة عين شمس / قسم التاريخ ، مكتوبة على الآلة الكاتبة .

★ بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس ابن عميره الضبى : أحمد بن يحيى (ت ٥٩٩ هـ) دار الكتاب العربى (١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م) .

★ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القرطبى تحقيق محمد موسى الخولى ، مراجعة الدكتور عبد القادر القط ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ط١ ، (١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ م) .

★ البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشى (ت بعد ٧١٢ هـ) دار الثقافة ، بيروت . بدون تاريخ .

★ تاريخ الأدب العربى كارل بروكلمان تحقيق الدكتور سيد يعقوب بكر ورمضان عبد التواب ،دار المعارف / القاهرة ط١ (١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م) .

★ تاريخ الأندلس ــ أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس (ت بعد ٥٧٣ هـ) ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مدريد (١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م) .

★ تاريخ الأدب الأندلسى عصر سيادة قرطبة ، الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت . ط٢ سنة (١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م) .

★ تاريخ الأدب الجغرافى إغناطينوس بوليا نوفتش كراتشكوفسكى ، نقله إلى العربية صلاح الدين هاشم ، نشر الجامعة العربية ، مصر ، (١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م) .

★ تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (٩٢ ــ ٨٩٧ هـ) الدكتور عبد

الرحمن على الجمحى ، دار القلم دمشق ، ط١ (١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م) .

* تاريخ أبى زرعة الدمشقى الحافظ عبد الرحمن بن عمرو النصرى (ت ٢٨١ هـ) تحقيق شكر الله نعمة الله القوجانى ، مطبعة المفيد الجديدة بدمشق ، ط١ (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) .

* التأريخ أثره وفائدته تأليف A.L. ROWSE ترجمة مجد الدين حفنى ناصف ، مراجعة الدكتور محمد أحمد أنيس ، بإشراف الهيئة العامة للكتاب ، سلسلة الألف كتاب ١٩٦٨ م .

* تاريخ التراث : فؤاد سزكين . ترجمة الدكتور محمد فهمى حجازى والدكتور فهمى أبو الفضل . نشر الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة . الجزء الأول : ط٢ (١٣٩٧ ـ ١٩٧٧) ، والجزء الثانى ط١ : (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) .

* تاريخ التعليم فى الأندلس : الدكتور محمد عبد الحميد عيسى : دار الفكر العربى بالقاهرة . ط١ (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م) .

* تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) تحقيق الدكتور أكرم العمرى مطبعة الآداب فى النجف ، العراق ط١ (١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م) .

* تاريخ العرب العام المستشرق ل . أ . سيديو مطبعة عيسى الحلبى . ط٢ (١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م) .

* التاريخ العربى ومصادره ، أمين مدنى مطبعة دار المعارف ، القاهرة (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م) .

* التاريخ يحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ) تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف ، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، مكة المكرمة ،ط١ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩ م) .

* تاريخ العرب فى أفريقية والأندلس لحسن خليفة ، مطبعة الاعتماد بالقاهرة ط١

(١٣٥٦ هـ – ١٩٣٨ م) .

★ تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى عبد اللهبن يوسف (ت٤٠٣ هـ) الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة ط١ (١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م) .

★ تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهى ، أبو الحسن على بن عبدالله بن محمد (٧٩٣ هـ) نشر ليفى بروفنسال ، القاهرة (١٣٦٨ هـ – ١٩٤٨ م.) .

★ تدريب الراوى شرح تقريب النواوى لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١٠ هـ) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف فايد . طبعة : مصر (١٩٧٩ م) .

★ التذكرة فى أحوال الموتى والآخرة : للقرطبى محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا . مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة . ط١ (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م) .

★ ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، الطاهر أحمد الزاوى ، عيسى البابى الحلبى ، ط٢ .

★ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك . للقاضى عياض بن موسى اليحصبى (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود . بيروت (١٣٨٤ هـ – ١٩٦٥ م) .

★ التربية الإسلامية فى الأندلس : خوليان ريبرا ترجمة الدكتور طاهر مكى : دار المعارف بالقاهرة ، ط١ (١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م) .

★ الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة : المراكشى : أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الأنصارى (ت ٧٠٣ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ط١ (١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م) .

★ التعريفات : أبو الحسن الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) ط مصطفى البابى الحلبى ، .

القاهرة (١٩٣٨ م)

★ التقريب للنووى فى أصول الحديث ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده (سنة ١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م) .

★ التقصى الحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك لابن عبد البر القرطبى (ت ٤٦٣ هـ) مكتبة القدسى ، القاهرة ط١ (١٣٥٠ هـ) .

★ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى (ت ٨٠٦ هـ) حققه عبد الرحمن محمد عثمان ، ناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

★ التكملة لابن الأبار : محمد بن عبد الله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) تحقيق الشيخ عزت العطار الحسينى والشيخ عبد الغنى عبد الخالق ، القاهرة (١٣٧٦ هـ ـــ ١٩٥٦ م) .

★ التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد ، لابن عبد البر القرطبى ، حقق إلى الآن عشرة أجزاء منه ولم يكتمل بعد ، نشر وزارة الأوقاف المغربية ،طبع الجزء الأول فى : (١٣٨٧ هـ ـــ ١٩٦٧ م) . طبع الجزء العاشر فى (١٤٠١ هـ ـــ ١٩٨١ م) .

★ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى أبى الفضل أحمد بن على (ت ٨٥٢ هـ) مجلس دائرة المعارف النظامية ، بالهند . (١٣٢٦ هـ) .

★ الجامع لابن عبد البر القرطبى ، تحقيق الدكتور محمد ولد ماديك الموريتانى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ،ط١ (١٣٩٨ هـ ـــ ١٩٧٨ م) .

★ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله لابن عبد البر القرطبى ، تحقيق عبد الرحمن عثمان ، مطبعة السلفية / المدنية المنورة (١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م) .

★ جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس : لأبى عبد الله محمد بن أبى نصر فتوح

الأزدى الحميدى (ت ٤٨٨ هـ) القاهرة (١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م) .

* جغرافية الأندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك) لأبى عبيد البكرى عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٨ هـ) تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى (دار الإرشاد ببيروت ط١) . (١٣٧٨ هـ ــ ١٩٦٨ م) .

* جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى تحقيق الدكتور عبد السلام هارون ، دار المعارف : ١٣٨٢ ــ ١٩٦٢ م .

* جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) تحقيق محمود محمد شاكر ، نشر مكتبة دار العروبة بمصر ، ط١ (١٣٨١ هـ ــ ١٩٧١ م) .

* جوامع السيرة ورسائل أخرى : لابن حزم الأندلسى تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ــ الدكتور إحسان عباس ، دار المعارف بالقاهرة .

* جامع العلوم والحكم ، ابن رجب الحنبلى تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، مطابع الأهرام / القاهرة (١٣٨٠ هـ ــ ١٩٧٠ م) .

* الحركة اللغوية بالأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف : الدكتور ألبير حبيب مطلق ؛ المكتبة العصرية ببيروت ط١ (١٣٧٧ هـ ــ ١٩٦٧ م) .

* الحضارة الإسلامية فى الأندلس د . عبد الرحمن على الحجى ط١ ، دار الإرشاد ببيروت ط١ (١٣٧٩ هـ ــ ١٩٦٩ م) .

* الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ــ دار الكتاب العربى ببيروت : ط٤ (١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م) .

* حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة : لجلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى الحلبى ط١ (١٣٨٧ هـ ــ

١٩٦٧ م) .

★ حضارة العرب جوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر . نشر مطبعة عيسى الحلبى ط١ (١٣٨٤ هـ ــ ١٩٦٤ م) .

★ الحضارة العربية جاك . س . ريسلر ، ترجمة : غنيم عبدون ، مراجعة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

★ الحُلَّة السيراء ــ ابن الأبار : محمد بن عبد الله القضاعى (ت ٦٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ط١ (١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م) .

★ الحُلَل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية شكيب أرسلان مطبعة عيسى البابى الحلبى ــ القاهرة ، ط١ (١٣٥٨ هـ ــ ١٩٣٩ م) .

★ الحياة العلمية فى مدينة بلنسية : كريم عجيل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١ . (١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م) .

★ دائرة معارف الشعب . كتاب الشعب عدد ٦٤ و ٦٧ ، مطابع الشعب (١٣٧٩ هـ ــ ١٩٥٩ م) .

★ الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر القرطبى ، تحقيق شوقى ضيف ط٢ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط١ / القاهرة (١٣٨٦ هـ ــ ١٩٦٦ م) .

★ دراسات فى السيرة د . عماد الدين خليل نشر دار الرسالة ببيروت (١٣٩٥ هـ ــ ١٩٧٥ م) .

★ دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، الدكتور أحمد مختار العبادى مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية / مصر (١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م) .

★ الدلائل السمعية على ماكان فى عهد رسول الله ــ ﷺ فى الحرف والصنائع

والعمالات الشرعية ــ الخزاعى التلمسانى أبى الحسن على بن محمد (ت ٧٨٩ هـ) تحقيق أحمد محمد أبو سلامة ط١ ، القاهرة (١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م) .

★ دول الطوائف . محمد عبد الله عنان : مكتبة الخانجى بالقاهرة ط٤ (١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م) .

★ دولة الإسلام محمد عبد الله عنان : مكتبة الخانجى بالقاهرة ط٤ (١٣٨٩ هـ ــ ١٩٦٩ م) .

★ الديباج المذهب فى تراجم أعيان المذهب تحقيق الدكتور الأحمدى أبو النور . مكتبة دار التراث بالقاهرة . ط١ (١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م) .

★ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ط١ (١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م) .

★ الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام د. بشار عواد معروف . مكتبة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ط١ سنة (١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م) .

★ رسالة التلخيص فى وجوه التخليص منشورة ضمن كتاب جوامع السيرة لابن حزم تحقيق ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، دار المعارف بمصر ط١ .

★ روض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام السهيلى : الإمام عبد الرحمن (ت ٥٨١ هـ) تحقيق عبد الرحمن الوكيل ، دار النصر للطباعة ــ القاهرة ط١ (١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م) .

★ الروض الباسم فى الذب عن سنة أبى القاسم لمحمد بن ابراهيم الوزير (ت ٨٤٠ هـ) نشر المكتبة السلفية بالقاهرة (١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م) الطبعة الأولى .

★ الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة للسيد محمد جعفر الكتانى مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة ، بدون تاريخ .

★ الزهرى ترجمة حياته مستلة من تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٧٥١هـ) . تحقيق شكر الله نعمة الله قوجانى ، دار الرسالة ببيروت . ط١ (١٣٤٢ — ١٩٨٢ م) .

★ السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٣ هـ) تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، (١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م) .

★ السيرة النبوية دروس وعبر ، د.مصطفى السباعى ، طبعة المكتبة الإسلامية بدمشق سنة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية : محمد بن مخلوف ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، ط١ (١٣٤٩ هـ — ١٩٣٩ م) .

★ شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ) ، المكتب التجارى للطباعة والنشر ، ببيروت ، ط١. بدون تاريخ .

★ شرح ديوان ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) الدكتور على عبد العظيم ، نشر مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .

★ شيوخ العصر فى الأندلس : الدكتور حسين مؤنس ، سلسلة المكتبة الثقافية . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، سنة (١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م) .

★ صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء للقلقشندى ، أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ) ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، بدون تاريخ .

★ صحيح مسلم بشرح النووى ، المطبعة المصرية ، القاهرة بدون تاريخ .

★ الصلة : لابن بشكوال : خلف بن عبد الملك بن مسعود الأنصارى (ت ٥٧٨ هـ) نشر الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة ط١ (١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م) .

★ صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار لأبى عبد الله الحميدى (ت ٧١٠ هـ تقريبا) تحقيق ليفى بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ط١ (١٣٥٧ هـ — ١٩٣٧ م) .

★ طبقات الحفاظ جلال الدين السيوطى تحقيق : محمد عمر أحمد ، مكتبة وهبة / القاهرة / ط١ .

★ الطبقات الكبرى ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) دار التحرير ، القاهرة (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ طبقات خليفة بن خياط ، تحقيق الدكتور أكرم العمرى مطبعة العانى / بغداد ط١ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ طوق الحمامة فى الألفة والآلاف لابن حزم القرطبى ، تحقيق د. طاهر مكى . ط٢ دار المعارف بالقاهرة (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

★ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ابن خلدون — عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .

★ عروة بن الزبير وبداية مدرسة المغازى . سلوى أحمد ممدوح مرسى . رسالة ماجستير فى كلية الآداب / قسم التاريخ بالجامعة الأردنية (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) بإشراف د. عبد العزيز الدروى ، مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .

★ علاقات المرابطين بالممالك النصرانية بالأندلس والدول الإسلامية ، رسالة دكتوراة قدمها خليل إبراهيم السامرائى بجامعة القاهرة ، كلية الآداب (١٣٨٩ هـ —

١٩٧٩ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .

★ علم التاريخ الأستاذ هرنشو ترجمه إلى العربية عبد الحميد العبادى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط١ (١٩٣٧ م) .

★ علم التأريخ عند العرب : الدكتور عبد العزيز الدروى ، المطبعة الكاثوليكية — لبنان ط١ (١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م) .

★ علم التأريخ عند المسلمين — لروزنثال ترجمة الدكتور صالح أحمد العلى ط١ نشر مكتبة المثنى ببغداد .

★ علوم القرآن ، غانم قدورى مطبعة الدار العربية ببغداد ط١ (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) .

★ عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير لابن سيد الناس اليعمرى محمد بن أحمد (ت ٧٣٤ هـ) ط دار المعرفة بلبنان .

★ العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين للإمام تقى الدين محمد بن أحمد الحسينى الفاسى المكى (ت ٨٣٢ هـ) تحقيق فؤاد سيد ، القاهرة (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ الفرد والدولة ، الدكتور عبد الكريم زيدان مطبعة دار العلوم بالقاهرة ١٩٧٩ م .

★ فتح البارى بشرح صحيح الإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى . العسقلانى . أحمد بن على بن حجر (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز . المطبعة السلفية بالقاهرة : ط١ (١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م) .

★ فهارس شيوخ العلماء فى المغرب والأندلس ، رسالة دكتوراه قدمها ناطق صالح المطلوب . بجامعة عين شمس ، قسم التاريخ الإسلامى ، سنة (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .

★ فهرسة ما رواه عن شيوخه من الدواوين والمصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف ابن خير : محمد بن خير الأموى الإشبيلى (ت ٥٧٥ هـ) تحقيق (كوديرا وروبير ١ : مكتبة الخانجى بالقاهرة ــ والمثنى ببغداد ط٢ (١٣٨٢ هـ ــ ١٩٦٢ م) .

★ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات . دكتانى محمد الحسنى الإدريسى ، المطبعة الجديدة بفاس : المغرب (١٣٤٧ هـ) .

★ الفن الإسلامى فى أسبانيا لما نويل مورينو ، ترجمة الدكتور لطفى عبد البديع والدكتور السيد عبد العزيز سالم : نشر الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة : ط ١ ــ (١٣٩٧ هـ ــ ١٩٧٧ م) .

★ فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت فى أصول الفقه بهامش المستصفى للغزالى . لعبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى . دار صادر بيروت صورة عن المطبعة الأميرية بمصر ١٣٢٢ هـ .

★ الفصل فى الملل والنحل لابن حزم القرطبى (ت ٤٥٦ هـ) مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط١ (١٣٢١ هـ) .

★ فى تاريخ المغرب والأندلس . الدكتور أحمد مختار العبادى ، مؤسسة الثقافةالجامعة بالإسكندرية مصر ، بدون تاريخ .

★ القاموس المحيط : الفيروزابادى مجد الدين محمد بن يعقوب ، شرح أبو الوفا نصر الهورينى ، مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ، ط٢ (١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢ م) .

★ قرطبة فى العصر الإسلامى تاريخ وحضارة الدكتور أحمد فكرى ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية بمصر ط١ (١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م) .

★ القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم لابن عبد البر القرطبى

(ت ٤٦٣ هـ) طبعة السعادة (١٣٥٠ هـ) .

★ قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان القلقشندى : أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ) تحقيق إبراهيم الأبيارى . دار الكتاب المصرى ط٢ . (١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م) .

★ الكافى فى فقه أهل المدينة المالكى تأليف ابن عبد البر القرطبى تحقيق : د. محمد ولد ماديك الموريتانى ط١ . الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض . (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

★ كشف الظنون للحاجى خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) المطبعة الإسلامية بطهران (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

★ الكفاية فى علم الرواية . الخطيب البغدادى ، أحمد بن على بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) تحقيق : محمد الحافظ التيجانى ، وعبد الحليم محمد عبد الحليم ، وعبد الرحمن حسن محمود ، دار التراث العربى ، القاهرة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ لسان العرب لابن منظور ، تحقيق عبد الله الكبير . محمد حسب الله هاشم محمد الشاذلى . دار المعارف بالقاهرة . بدون تاريخ .

★ لطائف الإشارات لفنون القراءات شهاب الدين العسقلانى أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر ، تحقيق الشيخ عثمان ود. عبد الصبور شاهين . ط١ القاهرة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

★ مجاهد العامرى قائد الأسطول العربى فى غرب البحر المتوسط تأليف : كليليا سارنللى تشركوا (CLELIA SARNELLI CERQUA) لجنة البيان العربى بالقاهرة : (١٣٧١ هـ — ١٩٦١ م) .

★ المجتمع المدنى فى عهد النبوة د. أكرم العمرى ، نشر المجلس العلمى بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط١ (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

★ مختلف القبائل ومؤتلفها محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ) اعتنى بنشره المستشرق فرديناند فستنفيلد ، مكتبة المثنى ببغداد مصورة عن الطبعة الأولى ١٨٥٠ م .

★ محاضرات فى علوم القرآن . غانم قدورى حمد ، بغداد ط١ (١٩٨١ م) .

★ مدارج السالكين فى منازل إياك نعبد وإياك نستعين : ابن قيّم : شمس الدين محمد بن أبى بكر الحنبلى (ت ٧٥١ هـ) مطبعة المحمدية / القاهرة .

★ المغرب فى حلى المغرب بن سعيد : أحمد بن سعيد الأندلسى ، تحقيق د. شوقى ضيف ، دار المعارف ط٢ (١٩٦٤ م) .

★ مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفةما يعتبر فى حوادث الزمان لليافعى : عبد الله بن سعيد بن سليمان (ت ٥٦٨ هـ) مؤسسة الأعلمى بيروت . مصورة عن الطبعة العثمانية بالهند . ط٢ (١٣٣٨ هـ) .

★ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز لأبى شامة عبد الرحمن المقدسى (٦٦٥هـ) ط١ بيروت ، ١٩٧٥ م .

★ مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . لصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى (ت ٧٣٩ هـ) تحقيق : على محمد البجاوى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، ط١ (١٣٧٤ هـ ـــ ١٩٥٥ م) .

★ المستصفى فى علم الأصول للإمام أبى حامد الغزالى (٥٠٥ هـ) ط١ المطبعة الأميرية بمصر . سنة (١٣٢٢ هـ) .

★ مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه ، الدكتورة سيده إسماعيل كاشف . مكتبة الخانجى بالقاهرة .ط٢ (١٣٩٦ هـ ـــ ١٩٧٦ م) .

★ مصادر دراسة السيرة النبوية وتقويمها د. فاروق حمادة ، دار ثقافة المغرب . ط١ (١٤٠٠ هـ ـــ ١٩٨٠ م) .

★ مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس (ابن خاقان) أبى نصر الفتح بن خاقان . مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

★ المعارف : ابن قتيبة : أبى محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) تحقيق الدكتور : ثروت عكاشة ، دار المعارف بالقاهرة ط٢ (١٣٩٧ — ١٩٦٩ م) .

★ المعجب فى تلخيص أخبار المغرب المراكشى : محيى الدين عبد الواحد بن على (ت ٦٤٧ هـ) تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ط١ (١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م) .

★ معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦ هـ) دار صادر بيروت ، بدون تاريخ .

★ معجم المصطلحات الحديثية صنفه بالعربية الدكتور / نور الدين عتر ، ترجمه وصاغه بالفرنسية الدكتور / عبد اللطيف الشيرازى ، وداود عبدالله كربل ، نشر مجمع اللغة العربية بدمشق . ط١ (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

★ المعجم فى أصحاب القاضى الإمام أبى على الصدفى : بن الأبار ، محمد بن عبدالله القضاعى (ت ٦٥٨ هـ) طبع فى مدريد ، (١٨٨٥ م) .

★ المغازى الأولى ومؤلفوها . يوسف هوروفتس ، ترجمه حسين نصار ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ط١ (١٣٦٩ هـ — ١٩٤٩ م) .

★ مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم طاش كبرى زادة : أحمد بن مصطفى تحقيق كامل بكرى — وعبد الوهاب أبو النور . دار الكتب الحديثة — القاهرة (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

★ المقتبس من أبناء أهل الأندلس — لابن حيان القرطبى ، حيان بن خلف بن حسين (ت ٤٦٩ هـ) تحقيق الدكتور محمود على مكى نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة . ط١ (١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م) .

★ مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨ هـ) تحقيق الدكتور على عبد الواحد واف . مكتبة نهضة مصر . ط٢ (١٩٨١ م — ١٤٠١ هـ) .

★ مقدمة فى علوم الحديث . أبو عمرو ابن الصلاح الشهرزورى (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق : الدكتور نور الدين عتر . نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة مطبعة الأصيل بحلب (١٩٦٦ م) .

★ المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبى بكر الحنبلى (ت ٧٥١ هـ) تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ط١ (١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م) .

★ موارد الخطيب البغدادى الدكتور أكرم العمرى . دار القلم دمشق — بيروت . ط١ (١٩٧٥ م — ١٣٩٥ هـ) .

★ موجز تاريخ الحضارة العربية . الدكتور عبد العزيز الدورى وناجى معروف . بغداد (١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م) .

★ موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، الدكتور أحمد شلبى
أ — الجزء الأول : ط ١٠ (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة
ب — الجزء الرابع : ط ٤ (١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) مكتبة النهضة المصريه بالقاهرة .

★ موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ، د. أحمد شلبى
أ — التربية الإسلامية نظمها ، فلسفتها ، تاريخها . ط ٦ (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م)
ب — السياسة فى الفكر الإسلامى . ط ٥ (١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

★ منجد المقرئين ومرشد الطالبين . لمحمد بن محمد الجزرى (ت ٨٢٣ هـ) ، تحقيق : د. عبد الحى الفرماوى . ط١ ، القاهرة (١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م) .

★ مناهج المؤرخين العراقيين فى عصر الدولة البويهية . عبد الرحمن النغراوى ، رسالة ماجستير بدار العلوم سنة ١٩٧٩ م . مكتوبة على الآلة الكاتبة . لم تطبع بعد .

★ المنهج الإسلامى فى الجرح والتعديل د. فاروق حمادة ط١ ، مكتبة المعارف بالرباط .

* منهج البحث التاريخى د. حسن عثمان . دار المعارف بمصر . ط٤ (١٣٩٦ هـ ـــ ١٩٧٦ م)

★ منهج النقد التاريخى الإسلامى والمنهج الأوربى . الدكتور عثمان موافى ، مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية . ط٢ (١٣٩٦ هـ ـــ ١٩٧٦ م) .

★ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . للذهبى محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق على محمد البجاوى . دار إحياء الكتب العربية بمصر . ط١ (١٣٨٢ هـ ـــ ١٩٦٣ م) .

★ النظريات السياسية . الدكتور محمد ضياء الدين الريس . مكتبة دار التراث بالقاهرة : ط ٧ (١٣٩٩ هـ ـــ ١٩٧٩ م) .

نفح الطيب من غصن الأندلس . التلمسانى : أحمد بن محمد المقرىء تحقيق : د. إحسان عباس . دار صادر بيروت ، ط١ (١٣٨٨ هـ ـــ ١٩٦٨ م) .

★ النقد التاريخى . لانجلوا وسينوبوس ترجمة د. عبد الرحمن بدوى . نشر مكتبة النهضة المصرية (١٣٩٠ هـ ـــ ١٩٧٠ م) .

★ نشأة التدوين التاريخى عند العرب : الدكتور حسين نصار ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ط١ ،

★ هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل باشا البغدادى المطبعة البهية باستانبول (١٣٧١ هـ ـــ ١٩٥١ م) .

★ هدى السار مقدمة فتح البارى لابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) تحقيق

الشيخ عبد العزيز بن باز ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط١ .

* الوجيز فى أصول الفقه . الدكتور عبد الكريم زيدان ، مطبعة دار النذير .بغداد ، ط١ (١٣٧٢ هـ — ١٩٦٢ م) .

* الوصايا الخالدة عبد البديع صقر ، نشر دار الكتب بقطر ، ط ١ (١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م) .

ثالثا : البحوث والمقالات :

* أثر رحلة المسلمين فى تعريف المجتمعات الإسلامية ، عبد العظيم عوده أبو سرحان مجلة الفيصل ، عدد : ٢٥ رجب (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

* أصالة الفكر التاريخى ، الدكتور : بشار عواد ، مجموعة بحوث المؤتمر التأريخى العالمى ببغداد (١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م) .

* الدعوة إلى التوحد . د. خليل إبراهيم السامرائى ، مجلة زانكو ، جامعة السليمانية العراق (١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م) .

* الرحلات بين المشرق والأندلس . د. محمود على مكى مجلة البينة المغربية عدد ٢ ذى الحجة (١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م) .

* كتب برامج العلماء . عبد العزيز الأهوانى مجلة معهد المخطوطات بالقاهرة (١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م) .

* الكتب والمكتبات فى الأندلس : د. عبد الرحمن الحجى — مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد عدد ٤ سنة (١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م) .

* المعاصرة الفكرية : الدكتور أحمد شلبى ، بحث ألقى فى ندوة السخاوى بالجمعية التاريخية المصرية بالقاهرة من (٢٨ فبراير — ٣ مارس) (١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م) .

* مظاهر علم الحديث فى علم التاريخ عند المسلمين . د. بشار عواد معروف ، مجلة الأقلام :.السنة الأولى (١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م) العدد الخامس : تصدرها وزارة الأعلام العراقية .

* موسى بن عقبة ، مقالة د. أكرم العمرى فى مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد العدد الأول لسنة (١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٨ م) .

* مشاهير مؤرخى سيرة رسول الله : الدكتور إبراهيم العدوى مجلة الجمعية التاريخية المصرية : القاهرة مجلد ١٣ (١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧ م) .

* معجم أشهر المدن الأندلسية : عربى ــ أسبانى : للأستاذ صلاح الدين المنجد مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق . المجلد السابع والأربعون ، أبريل : (١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م) .

* نظرة فى مصادر دراسة السيرة النبوية الدكتور أكرم العمرى ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد عدد ٣ لسنة (١٣٩٠ هـ ــ ١٩٧٠ م) .



الملاحــق

ملحق (١)

موارد ابن عبد البر التاريخية

موارده فى السيرة النبوية :

ـــ مغازى موسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ)[١]

ـــ كتاب سيرة رسول الله ﷺ لسليمان بن طرخان (ت ١٤٣ هـ)[٢]

ـــ كتاب المغازى والسير لمحمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)[٣]

برواياته الثلاثة المشهورة :

ـــ رواية زياد بن عبد الله البكائى (ت ١٨٣ هـ)

ـــ رواية إبراهيم بن سعد (ت ١٨٤ هـ)

ـــ رواية يونس بن بكير (ت ١٩٩ هـ)

ـــ كتاب تهذيب مغازى ابن اسحاق لعبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ)[٤]

ـــ كتاب السير لأبى إسحاق الفزارى (ت ١٨٥ هـ أو ١٨٦ هـ)[٥]

ـــ كتاب السير لسعيد بن يحيى الأموى (ت ٢٤٩ هـ)[٦]

ـــ كتاب سير الوليد بن مسلم الأموى (ت ١٩٥ هـ)[٧]

---

(١) انظر الدرر : ٣٩ ، ٥٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢١٦ الاستيعاب : ٤ / ١٤٣٠ ، ١٤٣٣ .

(٢) انظر فهرسة ابن خير ٢٣١ رواها عن أبى ذر الهروى شيخه بالمكاتبة .

(٣) وقد نقل عنه ابن عبد البر فى الدرر (٢٩ نصا) . انظر : ٢٩ ، ٣٩ ، ٥٩ ونقل عنه فى الاستيعاب (٤٠٢ نصا تقريبا)انظر : ١ / ٣١٠ ، ٣٦١ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ..

الإنباه والقصد والأمم (٢٣ نصا) انظر ١٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٦١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، .

(٤) انظر الدرر : ٢٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ٢٠٦ .، الاستيعاب : ١ / ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٨ ، ٤٤١ .، الانتقاء : ٩٢ ، ٥٣ .

(٥) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥١٣ .

(٦) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥٩٨ ، ٧٥٩ ، ٨٨٨ ، والدرر : ٢١١ .

(٧) انظر : نفس المصدر : ٢ / ٥١٠ .

ـ كتاب سيرة رسول الله ومغازيه لمحمد بن عمر الواقدى (ت ٢٠٧ هـ)[(١)]

ـ كتاب المغازى لعبد الرزاق الصنعانى (ت ٢١١ هـ)[(٢)]

ـ كتاب السيرة لسعيد بن أسد بن موسى[(٣)]

ـ أعلام النبوة لابن قتيبة الدينورى (ت ٢٧٦ هـ)[(٤)]

ـ مغازى رسول الله لعبد الملك بن حبيب الأندلسى (ت ٢٣٩ هـ)[(٥)]

ـ الدلائل لقاسم بن ثابت السرقسطى (ت ٣٠٢ هـ)[(٦)]

ـ اختصار سيرة رسول الله لأبى عيسى محمد بن عبد الله الليثى (ت ٣٦٨ هـ)[(٧)]

ـ دلائل النبوة لأبى زرعة الهروى (ت ٤٣٥ هـ)

ـ أعلام النبوة ودلالات الرسالة لعبد الرحمن بن فطيس (ت ٤٠٢ هـ)[(٩)].

موارده فى علم الرجال والتراجم والأنساب والفضائل :

ـ كتاب الصحابة : لأبى القاسم عبد العزيز البغوى (ت ٣١٣ هـ)[(١٠)]

ـ كتاب الآحاد فى الصحابة لأبى محمد عبد الله الجارود (ت ٣٢٠ هـ)[(١١)]

---

(١) انظر : نفس المصدر : ١ / ٣٢٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨٣ ، ٢ / ٤٩٦ ـ ٤ / ١٤٢٦ ، ١٤٣١ .

(٢) نفس المصدر : الدرر : ٣٣ ، ٣٧ ، ٥٠ .

(٣) انظر نفس المصدر : ٤ / ١٦٢٠ .

(٤) انظر فهرسة ابن خير الإشبيلى : ١٠١ .

(٥) انظر الديباج المذهب : ٢ / ١٣ .

(٦) انظر الاستيعاب : ٣ / ١١٣٠ .

(٧) انظر تاريخ ابن لفرضى : ٢ / ١٩٢ .

(٨) وأبو ذر الهروى أجاز ابن عبد البر كل مؤلفاته انظر الديباج : ٢ / ٣٢ .

(٩) وعبد الرحمن بن فطيس شيخ لابن عبد البر ، انظر الصلة : ٣٠٩ ـ ٣١٣ .

(١٠) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٤٢٢ ، ٣ / ٩٣٢ ، ٤ / ١٦٢٠ .

(١١) نفس المصدر : ١ / ٣١٠ ، ٤ / ١٤٢٨ .

ـــ كتاب الصحابة : لأبى جعفر محمد العقيلى (ت ٣٢٢ هـ)[١]

ـــ كتاب الحروف فى الصحابة : لأبى على سعيد بن عثمان بن السكن (ت ٣٥٣ هـ)[٢]

ـــ كتاب الصحابة : لأبى نعيم الأصبهانى (ت ٤٠٣ هـ)[٣]

ـــ فضائل الصحابة : لعبد الملك بن حبيب الأندلسى (ت ٢٣٩ هـ)[٤]

ـــ فضائل الصحابة : لبقى بن مخلد الأندلسى (ت ٢٧٦ هـ)[٥]

ـــ المصابيح فى فضائل الصحابة : لعبد الرحمن بن فطيس الأندلسى (ت ٤٠٢ هـ)[٦]

ـــ الأخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين : لعبد الرحمن بن فطيس[٧]

ـــ فضائل التابعين : لبعد الرحمن بن فطيس[٨]

ـــ فضائل التابعين : لسعيد بن أسد بن موسى[٩]

ـــ كتاب الصحابة : أبو جعفر أحمد بن رشدين[١٠]

---

(١) نفس المصدر : ١ / ٢٤ ، ١٩١ ، ٢ / ٦٣٢ ، ٤ / ١٦١٦ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٢٤ ، ١٤٦ ، ٢ / ٦٩٥ ، ٤ / ١٨٧٣ ، ١٩٤٢ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٤١٠ ـــ ٤١١ ، ٢ / ٦٧٩ ، ٣ / ١١٥٢ .

(٤) انظر الديباج المذهب : ٢ / ١٣ .

(٥) انظر الاستيعاب : ١ / ١٦١ ٤ / ١٨٦٩ .

(٦) انظر : الصلة : ٣١٠ .

(٧) نفس المصدر .

(٨) انظر : الصلة : ٣١٠ .

(٩) انظر فهرسة ابن خير : ٢٧٠ .

(١٠) انظر الاستيعاب : ١ / ١٧٢ ، ٣ / ٩٥٣ نفح الطيب ٣ / ٦ .

ـــ كتاب الطبقات : للواقدى (ت ٢٠٧ هـ) [١]

ـــ كتاب الطبقات : لخليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) [٢]

ـــ كتاب الطبقات : لمحمد بن سعد (ت ٢٦٣ هـ) [٣]

ـــ كتاب التاريخ الكبير للبخارى (ت ٢٥٦) [٤]

ـــ كتاب التاريخ الأوسط للبخارى [٥]

ـــ كتاب التاريخ الصغير أو الضعفاء والمتروكين للبخارى

ـــ تاريخ سليمان بن داود الشاذكونى [٧]

ـــ التاريخ لأبى عمر الفلاسى الصيرفى (ت ٢٤٩ هـ) [٨]

ـــ التاريخ ليحيى بن معين (ت ٢٣٣ هـ) [٩]

ـــ التاريخ لأبى زرعة الدمشقى (ت ٢٨٢ هـ) [١٠]

ـــ التاريخ لأبى إسحاق السراج (ت ٣١٣ هـ) [١١]

ـــ التاريخ لأحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى (ت ٣٥٠ هـ) [١٢]

ـــ كتاب الآحاد لأبى محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) [١٣]

---

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٢ / ٨٣٩ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٢٦ ، ١٢٠ ، ١٣٥ ، ٢ / ٧٤٤ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ٤٢٤ ، ٥٩٣ ، ٧٠٥ .

(٤) انظر فهرسة ابن خير : ٢٠٤ .

(٥) نفس المصدر : ٢٠٥ .

(٦) نفس المصدر : ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(٧) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٠ .

(٨) انظر الاستيعاب : ٢ / ٦١٠ .

(٩) نفس المصدر : ١ / ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٩٤ ، ٢٧٠ .. ٢ / ٩٣٣ ، ٩٥٦ ، ١٠٠٢ .. ٣ / ١١٤٤ ، ١١٩٧ ، ١٢٤٢ ، ١٢٩٧ .. ٤ / ١٥٨١ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٩ ، ١٦٠٣ .

(١٠) نفس المصدر : ٢ / ٥٠٠ ، ٥٥٤ ، ٥٧٨ ، ٦١٠ ، ٧٧١ ، ٨٤١ ...
٣ : ٩٠٥ ، ٩١٠ ، ٩٦٤ ، ١٠١٢ ، ١٢٣٠ .. ٤ / ١٦٣٥ ، ١٦٩٠ ، ١٧٢٣ ، ١٧٩٧ ..

(١١) انظر الاستيعاب : ١ / ١٣٢ ، ٢ / ٤٥٦ ، ٥١١ ، ٨٠٢ ، ٨١١ ، ٨٤٨ ، ٣ / ٩٣٢ ، ٤ / ٤٤٩ .

(١٢) فهرسة ابن خير : ٢٢٧ .

(١٣) انظر جلوة المقتبس : ١٢٨ ــ ١٢٩ .

ـ كتاب الوحدان لابن أبى حاتم (ت ٣٢٧ هـ) [١]

ـ كتاب الوحدان للحسين بن محمد بن زياد القبانى [٢]

ـ المولد والوفاة : لأبى بشر الدولابى (ت ٣٢٠ هـ) [٣]

ـ كتاب المؤتلف والمختلف لأبى الحسن الدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) [٤]

ـ كتاب المؤتلف والمختلف لعبد الغنى بن سعيد الحافظ المصرى (ت ٤٠٩ هـ)

ـ كتاب المتشابه فى أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم لابن الفرضى [٦] (ت ٤٠٣ هـ)

ـ كتاب مشتبه التسمية لعبد الغنى بن سعيد الحافظ المصرى (ت ٤٠٩ هـ) [٧]

ـ تصحيح الأوهام التى فى مدخل أبى عبد الله الحاكم لعبد الغنى بن سعيد.[٨]

ـ مجلس من أوهام أبى عبد الله البخارى لعبد الغنى بن سعيد.[٩]

ـ رجال الموطأ ليحيى بن إبراهيم بن مزين [١٠]

ـ كتاب شيوخ أبى عبد الرحمن النسائى : لأبى محمد عبدالله الجهنى (ت ١٩٥ هـ).[١١]

ـ كتاب الضعفاء والمنسوبين إلى البدعة من المحدثين لأبى يحيى الساجى (ت ٣٠٧ هـ).[١٢]

ـ كتاب الضعفاء والمتروكين : لأبى محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ).[١٣]

---

(١) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٣٦ ، ٢ / ٦٣٩ ، ٤ / ١٥٢٣ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٧٠٥ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ٢٣ ، ٦٣ ، ١٥٦ ، ٢ / ٥٣٠ ، ٣ / ١١٥٥ .

(٤) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٠٢١ ، ١١١٧ .

(٥) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٦) نفس المصدر : ٢١٨ .

(٧) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٧ .

(٨، ٩) نفس المصدر : ٢٢٤ .

(١٠) نفس المصدر : ٩٢ .

(١١) نفس المصدر : ٢٢١ .

(١٢) نفس المصدر : ٢١٠

(١٣) انظر جذوة المقتبس : ٢١٠ .

ـــ كتاب تضعيف الرجال : لعمرو بن على الفلاس (٣٤٩ هـ) .[١]
ـــ كتاب الضعفاء والمتروكين : لأبى سعيد بن السكن (ت ٣٥٣ هـ) .[٢]
ـــ كتاب الضعفاء والمتروكين : لأبى الفتح الأزدى الموصلى (ت ٣٧٤ هـ) .[٣]
ـــ كتاب الضعفاء والمتروكين : للدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) .[٤]
ـــ كتاب الكنى للإمام مسلم القشيرى .[٥]
ـــ كتاب الأسماء والكنى لعبد الرحمن النسائى (ت ٣٠٣ هـ) .[٦]
ـــ كتاب الأسماء والكنى لأبى محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) .[٧]
ـــ كتاب الكنى لأبى أحمد الحاكم الكبير (ت ٣٧٨ هـ) .[٨]
ـــ كتاب الأسماء والكنى لأبى بشر الدولابى (ت ٣٢٠ هـ) .[٩]
ـــ أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين لخلف بن قاسم الأندلسى .[١٠]
ـــ كتاب التجريح والتعديل لأبى محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) .[١١]
ـــ كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٣٢٧ هـ) .[١٢]
ـــ كتاب الجرح والتعديل لمحمد بن إبراهيم بن أبى القراميد .[١٣]
ـــ كتاب التعديل والتجريح لأبى الوليد الباجى (ت ٣٧٨ هـ) .[١٤]

---

(١) انظر الفهرسة : ٢١٢ .
(٢ ، ٣) انظر فهرسة ابن خير : ٢١١ .
(٤) انظر فهرسة ابن خير : ٢١٠ .
(٥) نفس المصدر : ٢١٢ .
(٦) نفس المصدر : ٢١٤ .
(٧) نفس المصدر : ٢١٣ .
(٨) انظر الاستيعاب : ٢ / ٥٧٥ ، ٣ / ١٤٢٦ ، ٤ / ١٦٠٣ ، ١٧٧٠ .
(٩) انظر : فهرسة ابن خير : ٢١٣ .
(١٠) انظر جذوة المقتبس : ٢١٠ .
(١١) انظر فهرسة ابن خير : ٢١١ ـــ ٢١٢ .
(١٢) انظر الاستيعاب : ٣ / ١٠٢٢ .
(١٣) انظر : جذوة المقتبس : ٤٣ .
(١٤) انظر : فهرسة ابن خير : ٤٤٥ .

ــ فضائل أبي حنيفة لأبي محمد الجارود (ت ٣٢٠ هـ) .[١]
ــ فضائل أبي حنيفة للصيدلاني .[٢]
ــ فضائل مالك للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) .[٣]
ــ فضائل مالك لأبي بشر الدولابي (ت ٣٢٠ هـ) .[٤]
ــ الرواة عن مالك لأبي الحسن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) .[٥]
ــ مناقب الشافعي لأبي يحيى الساجي (ت ٣٠٧ هـ) .[٦]
ــ مناقب الشافعي لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) .[٧]
ــ فضائل قريش لقاسم بن أصبغ[٨]
ــ الأنساب لهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦ هـ) .[٩]
ــ نسب قريش لأحمد بن محمد بن محمد بن عبيد العدوي .[١٠]
ــ أنساب العرب لابن كيسان الكوفي .[١١]
ــ نسب قريش للزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ) .[١٢]
ــ الأنساب لأبي اليقضان النسابة .[١٣]
ــ النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام .[١٤]

---

(١) انظر جذوة المقتبس : ١٢٩ .
(٢) الانتقاء : ١٢٢ ، ١٣٧ .
(٣) انظر جذوة المقتبس : ٣٧٦ وانظر الانتقاء : ١٢ / ٤٦ ، ٥٤ .
(٤) انظر الانتقاء : ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٤٢ .
(٥) نفس المصدر : ١٥ .
(٦) نفس المصدر : ٦٧ ، ٨٩ ، ٩٣.
(٧) نفس المصدر : ٢٢ .
(٨) انظر جذوة المقتبس : ٢٩٦ .
(٩) انظر الانتقاء : ١٧٢ والاستيعاب : ٣ / ٨٦٨ ، ١٦٥ ، الانباه : ٩٧.
(١٠) انظر الاستيعاب : ٢ / ٨٣٣ ، ٣ / ٨٦٨ ، ٤ / ١٤٧٠ ، والانتقاء : ١٧٢ .
(١١) انظر الاستيعاب : ١ / ٣٧١ ، والانباه : ٢٣ ، ٣٠ .
(١٢) نفس المصدر : ٢ / ٤٣٢ ، ٣ / ٨٧٩ ، ٤ / ١٥٣٦ ، ١٥٧٤.
(١٣) نفس المصدر : ١ / ١٢١ .
(١٤) نفس المصدر : ١ / ٥٨ .

ـ النسب لعبد العزيز الجرجاني النسابة .[1]

ـ نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى (ت ٢٣٣ هـ) .[2]

ـ مختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب .[3]

ـ النسب لمحمد بن عبده بن سليمان .[4]

ـ كتاب النسب للشرقي القطامى .[5]

ـ كتاب عبد الملك بن حبيب الأندلسى فى النسب (ت ٢٣٩ هـ) .[6]

ـ كتاب الأنساب لقاسم بن أصبغ .[7]

ـ أنساب مشاهير أهل الأندلس لأحمد بن محمد بن موسى الرازى .[8]

ـ أخبار صلحاء الأندلس . لقاسم بن محمد القرطبى : (ت ٢٤٢ هـ) .[9]

ـ طبقات الفقهاء : لعبد الملك بن حبيب الأندلسى (ت ٢٣٩ هـ) .[10]

ـ أخبار الزهاد . لمحمد بن أحمد بن عبد الملك الزراد الأندلسى (ت ٣٠٥ هـ) .[11]

ـ طبقات الكتاب بالأندلس .[12]

لمحمد بن موسى بن هاشم بن يزيد الأزدى المعروف بالانشين (٣٠٧ هـ) .

ـ طبقات الشعراء بالأندلس .[13]

لعثمان بن ربيعة الأندلسى (ت ٣١٠ هـ) .

---

(١) نفس المصدر : ٤ / ١٨٧ ، ١٨٣٩ ، القصد والأمم : ٢٦ .

(٢) نفس المصدر : ٢ / ٨٣٣ ، ٣ / ٨٦٨ . الانباه : ٩٤ ، ١٠٠ .

(٣) نفس المصدر : ٢ / ٨٣٩ ؛ والانباه : ٤٦ ، ٦٠ .

(٤) الانباه : ٤٦ ، ٦٠ ، ٧٥ .

(٥) القصد والأمم : ١٢ ، ٣٢ ، والانباه : ٦٠ ، ١١٢ .

(٦) الانباه : ٤٦ ، ٦٣ .

(٧) الجذوة : ٢٩٦ .

(٨) نفس المصدر : ١٠٤ .

(٩) كشف الظنون : ١ / ٢٧ .

(١٠) نفس المصدر : ١ / ٢٧٠ .

(١١) تاريخ ابن الفرضى : ٢ / ٦٢ .

(١٢) نفس المصدر : ٢ / ٢٩ ـ ٣٠ والجذوة : ٨٨ والبغية : ١٢٧

(١٣) كشف الظنون : ٢ / ١١٠٣ .

ـ فقهاء قرطبة لأحمد بن محمد بن عبد البر أبى عبد الملك (ت ٣٣٨ هـ).[١]

ـ الشعراء من الفقهاء بالأندلس .[٢]

لقاسم بن نصير بن رقاص بن عيشون المعروف بابن أبى الفتح (ت ٣٣٨ هـ) .

ـ شعراء الأندلس .[٣]

لمحمد بن عبد الرؤوف بن عبد الحميد الأزدى يعرف بابن خنيس (ت ٣٤٣ هـ) .

ـ شعراء ألبيرة لمطرف بن عيسى بن لبيب الغسانى (ت ٣٥٧ هـ) .[٤]

ـ فقهاء ألبيرة : لمطرف بن عيسى بن لبيب الغسانى كذلك .[٥]

ـ قضاة قرطبة لمحمد بن حارث الخشنى (ت ٣٦١ هـ) .[٦]

ـ أخبار الفقهاء والمحدثين لمحمد بن حارث الخشنى كذلك .[٧]

ـ تاريخ الأندلسى لابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) .[٨]

ـ طبقات الزمان لمجاهد بن أصبغ بن حسان (ت ٣٨٣ هـ) .[٩]

ـ أخبار المحدثين لإسماعيل بن إسحاق (ت ٣٨٤ هـ) .[١٠]

ـ قضاة الأندلس لعثمان بن محمد بن يوسف الأزدى .[١١]

ـ قضاة قرطبة لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد البر .[١٢]

ـ فقهاء قرطبة لأبى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد البر .[١٣]

---

(١) تاريخ ابى الفرضى : ١ / ٣٩ .

(٢) كشف الظنون : ١ / ٣٦٤ .

(٣) تاريخ ابن الفرضى : ٢ / ٦٢ .

(٤،٥) تاريخ ابن الفرضى : ٢ / ١٣٦ .

(٦،٧) نفس المصدر : ٢ / ٧٦ ، والجذوة : ٥٣ .

(٨) نفس المصدر : ٢ / ٧٦ .

(٩) نفس المصدر : ٢ / ١٥١ .

(١٠) نفس المصدر : ١ / ٦٧ .

(١١) نفس المصدر : ١ / ٣٠٦ .

(١٢) (١٣) جذوة المقتبس : ٦٤ .

ـــ تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها لأحمد بن عبد الرحمن بن مطاهر الأنصارى .(١)
ـــ تاريخ فقهاء الأندلس لأحمد بن محمد بن عبد البر .(٢)
ـــ أخبار الصالحين لمحمد بن عبدالله بن أبى زمنين (ت ٣٩٩ هـ) .(٣)

موارده فى التاريخ العام :

ـــ التاريخ لأبى بكر أحمد بن زهير المعروف بابن أبى خيثمة (ت ٢٧٩ هـ) وقد رتبه على السنين .(٤)
ـــ تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وكان الأندلسيون يسموه التاريخ الكبير .(٥)
ـــ ذيل المذيل فى تاريخ الصحابة والتابعين لمحمد بن جرير الطبرى .(٦)
ـــ التاريخ الكبير لأبى محمد إسماعيل بن على الخطبى (ت ٣٥٠ هـ) .(٧)
ـــ التاريخ لأبى بكر محمد بن على البغدادى (٨)
ـــ التاريخ الكبير لعبد الملك بن شهيد الأندلسى (ت ٣٩٣ هـ) .(٩)
ـــ التاريخ الكبير للحارث بن أبى أسامة (ت ٢٨٢ هـ) .(١٠)
ـــ تاريخ الدهور لأبى سعيد عثمان بن محمد بن محاسن الأستجى (ت ٣٥٦ هـ) .(١١)

---

(١) الصلة : ٧٠.
(٢) البغية : ١٦٢.
(٣) جذوة المقتبس : ٥٦ ـــ ٥٧ والصلة : ٤٨٢ ـــ ٤٨٣.
(٤) الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٣٢٣ ، ٢ / ٤٧٦ ، والانتقاء : ٤٣.
وانظر : الإنباه : ١ ، ٢٠ ، ٤٤.
(٥) الاستيعاب : ١ / ١٦٥ وجذوة المقتبس : ١٠٧.
(٦) فهرسة ابن خير : ٢٢٧ والاستيعاب : ٣ / ١٣٦٢ ، ١٤٠٣... ٤ / ١٤٥٧ ، ١٥٣٧.
(٧) الاستيعاب : ١ / ١٦٢.
(٨) فهرسة ابن خير : ٢٢٩.
(٩) الصلة : ٣٥٥.
(١٠) نفس المصدر : ٥ والبغية : ١٥١ ـــ ١٥٢.
(١١) ذيل كشف الظنون : ١ / ٢٥١.

تواريخ الخلفاء والدول :

ــ الردة لسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) .[1]

ــ الدار ومقتل عثمان : لسيف بن عمر .[2]

ــ الدار ومقتل عثمان : لعمر بن شبّة (ت ٢٦٣ هـ) .[3]

ــ مواعظ الخلفاء لأبى بكر بن أبى الدنيا (ت ٢٨١ هـ) .[4]

ــ حلم معاوية لأبى بكر بن أبى الدنيا .[5]

ــ أخبار الخلفاء العباسيين . للحارث بن أبى أسامة التميمى البغدادى (ت ٢٨٢ هـ) .[6]

ــ تاريخ الخلفاء لأبى بشر الدولابى (ت ٣٢٠ هـ) .[7]

ــ أخبار أهل الأندلس لإسحاق بن سلمة بن وليد القينى (ت ٣٢٠ هـ)[8]

ــ كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس لأحمد بن فرج الجيانى (ت ٣٣٦ هـ) .[9]

ــ أخبار ملوك الأندلس وخدمهم وركبانهم وغزواتهم
لأحمد بن محمد بن موسى الرازى الأندلسى (ت ٣٤٢ هـ) .[10]

ــ الأوسط فى تاريخ الأندلس للرازى كذلك .[11]

ــ أخبار ملوك أفريقيا وحروبهم والغالبين عليهم
لمحمد بن يوسف التاريخى الوراق .[12]

ــ تواريخ الدول والملوك فى الأندلس
لأحمد بن محمد بن موسى بن بشر بن لغيط الكنانى (ت ٣٤٤ هـ) .[13]

(١،٢) الاستيعاب : ٢٠ / ٦٤٦.

(٣) البغية : ٢٠٠.

(٤،٥) الجذوة : ١٤١.

(٦) بهجة المجالس : ١ / ٣٥٨.

(٧) علم التاريخ عند المسلمين : روزنثال عن السخاوى : ٥٤٥.

(٨) الصلة : ١٦٩ ، ومعجم البلدان : ٣ / ١١٦.

(٩) نفس المصدر : ٥ والبغية : ١٥١ ــ ١٥٢.

(١٠) جذوة المقتبس : ١٠٤ ــ ١٠٥.

(١١)(١٢) نفس المصدر : ٦٧ والصلة : ٤٦٧.

(١٣) تاريخ ابن الفرضى : ١ / ٤٢.

ـــ الباهر فى تاريخ الدولة العامرية : لابن المشاط عبد الرحمن الرعينى (ت ٣٩٧ هـ) .[١]

ـــ تاريخ الدولة العامرية

لمحمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى (ت ٤٢٣ هـ) .[٢]

ـــ المآثر العمرية أو سير المنصور بن أبى عامر وغزواته للحسين بن عاصم .[٣]

موارده فى التواريخ المحلية :

ـــ أخبار مكة للفاكهى .[٤]

ـــ أخبار مكه للخزاعى .[٥]

ـــ أخبار المدينة لعمر بن شبة (ت ٢٦٣ هـ) .[٦]

ـــ أخبار البصرة لعمر بن شبة .[٧]

ـــ تاريخ مصر.[٨] لأبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن الحبيب بن يونس .

ـــ تاريخ مصر لسعيد بن عفير (ت ٢٢٦ هـ) .[٩]

ـــ ذكر بلاد الأندلس ومسالكها ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل بلد منها .[١٠]

لأحمد بن محمد التاريخى .

ـــ أخبار بصرة المغرب .

---

(١) الصلة : ٣٠٧.

(٢) التكملة : ١ / ٣٨٤.

(٣) البغية ٢٦٧ والصلة : ١٤١.

(٤) الاستيعاب : ١ / ٢٤ ، ٩١٧.

(٥) جذوة المقتبس : ٥٤.

(٦) الاستيعاب : ٢ / ٨٣٠.

(٧) فهرست ابن النديم : ١٦٣.

(٨) الاستيعاب : ١ / ١٤٤ ، ٤ / ١٤٥٥ .

(٩) الاستيعاب : ١ / ٢٥٠.

(١٠) جذوة المقتبس : ١٠٤ ـــ ١٠٥.

ـــ أخبار تيهرت .

ـــ أخبار تنس .

ـــ أخبار سجلماسة .

ـــ أخبار وهران .

كلها لأبى عبد الله محمد بن يوسف التاريخى الوراق .(١)

ـــ أخبار رية وحصونها وولاتها وحروبها وفقهائها وشعرائها .(٢)

لإسحاق بن سلمة بن وليد القينى (ت ٣٢٠ هـ) .

ـــ المعارف فى أخبار كورة البيرة وأهلها لمطرف الغسانى (ت ٣٧٧ هـ) .(٣)

ـــ صفة قرطبة وخططها ومنازل العلماء بها .(٤)

لأحمد بن محمد بن موسى الرازى (ت ٣٤٢ هـ) .



---

(١) جذوة المقتبس : ٩٧ .

(٢) نفس المصدر : ١٦٩ ـــ والبغية : ٢٣٦

(٣) الصلة : ٦٢٢ .

(٤) جذوة المقتبس : ١٠٤ ـــ ١٠٥ .

ملحق (٢)

نماذج من موارد ابن عبد البر التاريخية

نقول ابن عبد البر عن

محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)

النص الأول :

(وذكر محمد بن إسحاق ... قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال :

فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا ، وجعله إلى الرسول ، فقسمه رسول الله ﷺ عن بواء يقول على السواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين) .

انظر الدرر : ١١٦

وقارن : سيرة بن هشام (٢ / ٦٦٦ — ٦٦٧ .

النص الثانى :

(وقال ابن إسحاق : ولدت له خديجة : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، وقاسما ، وبه يكنى والطاهر والطيب .

فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية .

وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ .) .

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٨١٩

وسيرة ابن هشام : ١ / ١٩٠ — ١٩١ .

النص الثالث :

(حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثنا محمد بن بكر ... قال حدثنى محمد بن إسحاق عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ... عن أم سلمة زوج النبى قالت : فكان الذى كلمه — للنجاشى — جعفر بن أبى طالب فقال :

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسيىء إلى الجار ، ويأكل القوى منا الضعيف . كنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته

وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان .

وأمرنا بصدق الحديث : وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء .....

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك وآثرناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك . قالت : فقال هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قال جعفر : نعم فقال له النجاشي : فاقرأه على فقرأ عليه (كهيعص) . قالت : فبكى النجاشي ... وقال : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة .

انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما أبدا) .

انظر الدرر : ١٤٢ ــ ١٤٦

وسيرة ابن هشام : ١ / ٣٣٤ ــ ٣٣٧ .

نقول ابن عبد البر عن الوليد بن مسلم (ت ١٩٥ هـ) فى (كتابه السير)(١)
قال ابن عبد البر :

(حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد قال : حدثنا سليمان قال : حدثنا سليمان قال : حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود بن خالد وحسين بن عبد الرحمن قالوا : حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى :

عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت : أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله .

قال : نعم ، بينما رسول الله ﷺ فى حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط ، فوضع ثوبه فى عنق رسول الله ﷺ ، فخنقه به خنقا شديدا .

---

(١) وهو مفقود .

قال : فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ، ودفعه عن رسول الله . وقال : « أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » .)

انظر الدرر فى المغازى والسير : ٤٤ ـــ ٤٥

انظر سند الرواية بفهرسة ابن خير : ٢٣٦ ـــ ٢٣٧ .

قال ابن عبد البر :

(أخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا محمد بن وضاح . قال : حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن دحيم . قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الأوزاعى :

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وهو بمنى : نحن نازلون عند خيف بنى كنانة حين تقاسموا على الكفر . يعنى بذلك المحصب .

قال : وذلك أن قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ)

انظر الدرر : ٦٠

وانظر سند الرواية بفهرسة ابن خير الإشبيلى : ٢٣٦ ـــ ٢٣٧ .



نقول ابن عبد البر
عن ابن هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ت ٢٠٦ هـ)

ـــ ذكر ابن الكلبى فى كتابه فى أخبار صفين(١) أن بشر بن أرطأة بارز عليا رضى الله عنه يوم صفين فطعنه على رضى الله عنه فصرعه فانكشف له ، فكف عنه .

ولهم فيها أشعار مذكورة فى موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر ابن الكلبى .)

انظر الاستيعاب ١ / ١٦٥

(قال هشام بن محمد الكلبى : أول بيت كان فى ربيعة بن نزار كانت فيه الرئاسة ، والحكومة واللواء والمرباع . يكون ذلك كابرا عن كابر ويتوارثونه لا ينازعون فيه :

ضبيعة بن ربيعة بن نزار فذكر ـــ أى ابن الكلبى ـــ من كان يلى ذلك منهم وقال : ثم تحولت الرئاسة والحكومة من ضبيعة بن ربيعة إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال : ثم خرج ذلك كله عنهم إلى النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فكانت فيهم الرئاسة واللواء والحكومة والمرباع .)

انظر الإنباه على قبائل الرواه
ملحق بالقصد والأمم : ٩٧ ـــ ٩٩
* عن كتاب جمهرة النسب لابن الكلبى



(١) وهو مفقود

*) طبعت وزراة الإعلام الكويتية الجزء الأول منه بتحقيق : عبد الستار فراج سنة ١٤٠٣ هـ ـــ ١٩٨٣ م.

نقول ابن عبد البر عن
عبد الملك بن هشام الحميرى (ت ٢١٨ ﻫ)

النص الأول :

(وأما ابن هشام فقال : قد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبى طالب : ياعم إن ربى قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسماً إلا أثبتته ، ونفت منا القطيعة والظلم والبهتان .

قال : أربك أخبرك بهذا ؟

قال : نعم .

قال : فوالله ما يدخل عليك أحد .

ثم خرج إلى قريش فقال : يامعشر قريش إن ابن أخى أخبرنى ... وساق الخبر بمعنى ما ذكرنا .)

انظر الدرر : ٥٩

سيرة بن هشام : ١ / ٣٧٥ .

النص الثانى :

(قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة قال : أسر زهير بن عجوة الهذلى يوم حنين فكتف ، فرآه جميل بن معمر فقال : أنت الماشى لنا بالمعايب ؟

فضرب عنقه . فقال أبو خراش يرثيه وكان ابن عمه :

فجع أضياف جميل بن معمر ... بذى مفخر تأوى إليه الأرامل

طويل نجاد السيف ليس بجيدر ... إذا اهتزّ واسترخت عليه الحمائل

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٦٣٦ ــ ١٦٣٧

وسيرة ابن هشام : ٤ / ٤٧٢ ــ ٤٧٤ .

* * *

نقول ابن عبد البر عن : خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)

النص الأول :

(حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن على . قال : حدثنا أبى قال : حدثنا عبد الله بن يونس ، قال حدثنا بقى بن مخلد .

قال : حدثنا خليفة بن خياط . قال : حدثنا بكر بن سليمان عن ابن إسحاق قال :

زحف المسلمون إلى المشركين فى اليمامة حتى ألجئوهم إلى الحديقة ، وفيها عدو الله مسيلمة .

فقال البراء : يا معشر المسلمين : ألقونى عليهم فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم فقاتلهم على الحديقة ، حتى فتحها على المسلمين ودخل عليهم المسلمون فقتل الله مسيلمة .

قال خليفة : وحدثنا الأنصارى عن أبيه ثمامة عن أنس قال :

رمى البراء بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة من بين رمية بسهم . وضربة بسيف ، فحمل إلى رحله يداوى فأقام عليه خالد شهرا .)

انظر الاستيعاب : ١ / ١٥٤ — ١٥٥

وقارن : تاريخ خليفة بن خياط[1] : ١ / ٧٤ — ٧٥

النص الثانى :

(وذكر خليفة بن خياط قال : حدثنا معاذ بن معاذ عن ابن عوف عن محمد بن سيرين قال :

كانوا يرون أن أبا مريم الحنفى قتل زيد بن الخطاب يوم اليمامة .

---

(١) طبع بتحقيق د. أكرم ضياء العمرى فى جزئين

الطبعة الأولى : ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م بمطبعة الآداب فى النجف بالعراق وعليها الاعتماد فى هذا البحث .

قال : وقال أبو مريم لعمر : يا أمير المؤمنين : إن الله أكرم زيدا بيدى ولم يهنى بيده .

قال :ـــ أى خليفة ـــ وأخبرنا على بن محمد ، قال : حدثنا مبارك بن فضالة ، عن الحسن ، قال : كانوا يرون أن أبا مريم الحنفى قتل زيد بن الخطاب .

قال ـــ أى خليفة ـــ وأنبأنا على بن محمد أبى الحسن عن أبى خزيمة الحنفى ، عن قيس بن طلق قال : قتله سلمة بن صبيح بن عم أبى مريم .)

انظر الاستيعاب : ٢ / ٥٥٢

وقارن : تاريخ خليفة بن خياط ١ / ٧٤

النص الثالث :

(وقال خليفة بن خياط عن ابن الكلبى عن أبيه عن صالح عن ابن عباس قال : بين معد بن عدنان إلى إسماعيل ثلاثون أبا .

وبإسناده ـــ أى خليفة ـــ عن ابن عباس قال : كان النبى ﷺ إذا انتهى إلى عدنان أمسك ثم يقول : كذب النسابون . قال الله تعالى : ﴿ وقروناً بيْـن ذلك كثيرا ﴾ .[٢]

انظر الانباه على قبائل الرواه . ملحق مع القصد والأمم : ٥٠ .

وقارن : طبقات خليفة بن خياط : ٣ [١]



(١) طبع بتحقيق د. أكرم العمرى .
الطبعة الأولى ، بمطبعة العانى ببغداد ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) الفرقان (٣٨)

نقول ابن عبد البر عن
سعيد بن يحيى الأموى (ت ٢٤٩ هـ)

(وكانت راية رسول الله ﷺ فى كتيبة الأنصار حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه :

يارسول الله : أمرت بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا ، وقال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل المحرمة ، اليوم أذل الله قريشا . وإنى أنشدك الله فى قومك ، فأنت أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم

وقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله والله ما نأمن من سعد أن تكون منه فى قريش صولة .

فقال رسول الله ﷺ : لا يا أبا سفيان ، اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشا .

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى يومئذ :

يانبى الله إليك لجاحى قريش ولات حين لجاء
إن سعدا يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
إذ تنادى بذل حى قريش وابن حرب بذا من الشهداء

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده ، وجعله بيد قيس ابنه ، ورأى رسول الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه ،إذ صار إلى ابنه وأبى سعد أن يسلم اللواء إلا بإمارة من رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته ، فعرفها سعد . فرفع اللواء إلى ابنه قيس)

قال ابن عبد البر : هكذا ذكره يحيى بن سعيد الأموى فى السير ولم يذكر ابن إسحاق هذا الشعر ولا ساق الخبر .

الاستيعاب : ٢ / ٥٩٧ ــ ٥٩٨

نقول ابن عبد البر عن
الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ ﻫ)

النص الأول :

(وذكر الزبير فى الموفقيات :

إن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد . فأعطاه رسول الله ﷺ عرجون نخلة ، فصار فى يده سيفا ، يقال : إن قائمته منه ، وكان يسمى العرجون ، ولم يزل يتناول حتى بيع من بغا التركى بمائتى دينار .)

انظر الاستيعاب : ٣ / ٨٧٩

وانظر الموفقيات[(١)] : ٦٢٣

النص الثانى :

(ذكر الزبير قال : حدثنا عبد الجبار بن سعد عن عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد قال :

بلغنى أنه ـــ عبد الله بن حذافة السهمى ـــ حل حزام راحلة رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى كاد رسول الله ﷺ يقع .

قال ابن وهب : فقلت لليث : ليضحكه

قال : نعم ، كانت فيه دعابة .

قال الليث : وكان قد أسره الروم فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأرادوه على الكفر ، فعصمه الله حتى أنجاه منهم)

انظر الاستيعاب ٣ / ٨٨٩ ـــ ٨٩٠ .

لعله من كتاب[(٢)] جمهرة نسب قريش للزبير

* * *

(١) طبع بتحقيق د. سامى مكى العانى ـــ الطبعة الأولى سنة : ١٣٨٢ ﻫ ١٩٧٢ م مطبعة العانى ببغداد ـــ نشر رئاسة ديوان الأوقاف .

(٢) طبع الجزء الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر سنة : ١٣٨١ ﻫ ـــ ١٩٧٧ م مطبعة المدنى بالقاهرة .

(١)

نقول ابن عبد البر عن (الطبقات) لمحمد بن سعد (ت ٢٦٣ ﻫ)

النص الأول :

(ذكر محمد بن سعد حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه :

أن النبي ﷺ أخّر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة بن زيد ينتظره ، فجاء غلام أسود أفطس .

فقال أهل اليمن إنما حبسنا من أجل هذا

قال — أى عروة بن الزبير — فلذلك كفر أهل اليمن من أجل هذا .

قال يزيد بن هارون ، يعنى ردتهم أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ولما فرض عمر بن الخطاب للناس فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف ولابن عمر ألفين .

فقال ابن عمر : فضلت على أسامة وقد شهدت مالم يشهد .

فقال : — أى عمر — إن أسامة كان أحب إلى رسول الله ﷺ منك ، وأبوه — أى زيد بن حارثة — كان أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك .)

انظر طبقات ابن سعيد : ٤ / ٤٤ ، ٤٩

ذكر ذلك ملخصا ابن عبد البر فى الاستيعاب ١ / ٧٥ — ٧٦ .

النص الثانى :

(قال الواقدى : وأخبرنا خالد بن إلياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم — وكان علامة نسابة — .

قال : ليس أبو موسى من مهاجرة الحبشة ، وليس له حلف فى قريش ، ولكنه أسلم قديما بمكة ثم رجع إلى بلاد قومه ، فلم يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ ، فوافق قدومهم أهل السفينتين جعفر وأصحابه من أرض الحبشة ووافوا رسول الله ﷺ بخيبر .

---

(١) طبع دار التحرير بالقاهرة سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م وهو فى ثمانية أجزاء .

فقالوا : قدم أبو موسى مع أهل السفينتين ، وإنما الأمر على ما ذكرنا أنه وافق قدومه قدومهم .)

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٧٦٣

وانظر الطبقات لابن سعد : ٤ / ٧٨

النص الثالث :

ذكر ابن سعد عن الواقدى عن خالد بن إلياس عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم قال :

مات أبو موسى سنة ثنتين وخمسين .

قال محمد بن سعد : وسمعت بعض أهل العلم يقول : إنه مات قبل ذلك بعشر سنين سنة اثنتين وأربعين)

انظر الاستيعاب ٤ / ١٧٦٤

والطبقات لابن سعد : ٤ / ٨٦

نقول ابن عبد البر
أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)

النص الأول :

قال ابن عبد البر :

(وقال الواقدى : استصغر رسول الله ﷺ يوم بدر جماعة منهم : البراء بن عازب ، وعبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، وأسيد بن ظهير ، وزيد بن ثابت ، وعمير بن أبى وقاص ، ثم أجاز عميرا فقتل يومئذ .

هكذا ذكره الطبرى فى كتابه الكبير عن الواقدى)

انظر الاستيعاب : ١ / ١٥٦ .

وتاريخ الطبرى[1] : ٢ / ٤٧٧ .

---

(١) طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م ، بدار المعارف بالقاهرة .

النص الثانى :

(قال الطبرى : بعث النبى ﷺ مالك بن نويرة على صدقة بنى يربوع . وكان قد أسلم هو وأخوه متمم بن نويرة الشاعر .

فقتل خالد بن الوليد مالكا ـــ يظن أنه ارتد حين وجهه أبو بكر لقتال أهل الردة ـــ .

واختلف فيه هل قتله مسلما أو مرتدا؟

وأراه ـــ والله أعلم ـــ قتله خطأ

وأما متمم فلا شك فى إسلامه)

الاستيعاب : ٣ / ١٣٦٢

وانظر منتخب ذيل المذيل[١] : ٥٤١

النص الثالث :

وقال الطبرى : كان لأبى محذورة أخ لأبيه وأمه يسمى أنيسا وقتل يوم بدر كافرا وقال ؛ محمد بن سعد سمعت من ينسب أبا محذورة فيقول : اسمه : سمرة بن معير بن لوذان بن وهب بن سعد بن جمح وكان له أخ لأبيه وأمه اسمه أويس.

قال الطبرى : توفى أبو محذورة بمكة سنة تسع وخمسين وقيل : سنة تسع وسبعين ولم يهاجر ، ولم يزل مقيما بمكة حتى توفى)

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٧٥٢

وانظر المنتخب من ذيل المذيل : ٥١٩



(١) طبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة أولى ضمن ذيول تاريخ الطبرى سنة ١٣٩٧هـ ـــ ١٩٧٧ م بدار المعارف بالقاهرة . ومؤلفه مجهول .

نقول ابن عبد البر عن
أبى سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس (ت ٣٤٧ هـ)

النص الأول :

قال ابن عبد البر :

« أحمد بن عجيان الهمذانى : وفد على النبى ﷺ وشهد فتح مصر فى أيام عمر بن الخطاب .

وخطته معروفة بجيزة مصر .

أخبرنى بذلك عبد الواحد بن محمد البلخى قال : سمعت أبا سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفى يقول . ولا أعلم له رواية .

وقال أبو عمر — ابن عبد البر — أخبرنى بتاريخ أبى سعيد حفيد يونس فى أالمصريين .

عبد الله بن محمد بن يوسف — ابن الفرضى — .)

انظر الاستيعاب : ١ / ١٤٤ .

النص الثانى :

قال ابن عبد البر :

« بحر بن ضبع الرعينى .. شهد فتح مصر واختط بها ، قال حفيد يونس : وخطّته معروفة برعين ، ومن ولده : أبو بكر السمين بن محمد بن بحر ، ولى مراكب دمياط سنة إحدى ومائة فى خلافة عمر بن عبد العزيز .

ومن ولده أيضا : مروان بن جعفر بن خليفة بن بحر الشاعر وكان فصيحا بليغا وهو القائل يمدح جده :

وجدى الذى عاطى الرسول يمينه وخبت إليه من بعيد رواحله

ذكر ذلك كله حفيد يونس صاحب التاريخ المصرى .»[1]

انظر الاستيعاب : ١ / ١٨٩

---

(١) وهو مفقود .

نقول ابن عبد البر عن
أبى زرعة الدمشقى عبد الرحمن بن عمرو النصرى (ت ٢٨١ هـ)

النص الأول :

« حدثنا خلف بن القاسم ... حدثنا أبو زرعة قال :

حدثنى محمد بن عائذ عن أبى مسهر قال : قرأت فى كتاب زيد بن عبيدة : توفى معاذ بن جبل وأبو عبيدة سنة تسع عشر .

قال أبو زرعة : قال لى أحمد بن حنبل :

كان طاعون « عمواس » سنة ثمانى عشر وفيه مات معاذ وأبو عبيدة .

وقال أبو زرعة : كان الطاعون سنة سبع عشر وثمانى عشر .

وفى سنة سبع عشر رجع عمر فى « سرغ » بجيش المسلمين لئلا يقدمهم الطاعون ثم عاد فى العام المقبل سنة ثمان عشر حتى أتى « الجابية » فاجتمع إليه المسلمون فجند الأجناد ومصر الأمصار ، وفرض الأعطيات والأرزاق ثم قفل إلى المدينة . »

انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤٠٥ ــ ١٤٠٦

وتاريخ أبى زرعة الدمشقى[1] : ١ / ١٧٧ ــ ١٧٨ .

النص الثانى :

« حدثنا خلف بن القاسم حدثنا أبو الميمون حدثنا أبو زرعة : ...

أن فتح القدس كان سنة ست عشرة صلحا ، وأن عمر شهد فتحها فى حين دخوله الشام . »

انظر الاستيعاب : ٣ / ١٤١٧

وانظر تاريخ أبى زرعة الدمشقى : ١ / ١٧٦ ــ ١٧٧

---

(١) طبع بتحقيق شكر الله نعمة الله القوجانى ، رسالة ماجستير بإشراف د. ناجى معروف ١٩٧٣ م ، طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٠ م .

النص الثالث :

« قال : ــ أبو زرعة ــ وفى سنة تسع عشرة كان فتح جلولاء وأميرها سعد بن أبى وقاص ثم كانت قيسارية فى ذلك العام وأميرها معاوية بن أبى سفيان .»

انظر الاستيعاب : ٤ / ١٤١٧

وتاريخ أبى زرعة الدمشقى : ١ / ١٧٩

النموذج الرابع :

قال ابن عبد البر :

« حدثنا خلف بن القاسم حدثنا عبد الرحمن بن عمر حدثنا أبو زرعة :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو ولّى أبا الدرداء على القضاء بدمشق ، وكان القاضى خليفة الأمير إذا غاب . ومات أبو الدرداء رضى الله عنه سنة اثنتين وثلاثين بدمشق .»

انظر الاستيعاب : ٣ / ١٢٣٠

وتاريخ أبى زرعة الدمشقى ١ / ١٩٨

* * *

نقول ابن عبد البر عن عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)

النص الأول :

« روى ابن المبارك عن الأسود بن شيبان عن أبى نوفل بن أبى عقرب قال :

خرج الحارث بن هشام من مكة ، فجزع أهل مكة جزعا شديدا ، فلم يبق أحد يطعم إلا وخرج معه يشيعه ، حتى إذا كان بأعلى البطحاء ، أو حيث شاء الله من ذلك ، وقف ، ووقف الناس حوله يبكون فلما رأى جزع الناس قال :

يأيها الناس إنى والله ماخرجت رغبة بنفسى عن أنفسكم ، ولا اختيار بلد على بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر ، فخرجت فيه رجال من قريش . والله ماكانوا من ذوى أسنانها ولامن بيوتاتها فأصبحنا والله لو أن جبال مكة ذهب فأنفقناها فى سبيل الله ما أدركنا يوما من أيامهم . والله لئن فاتونا به فى الدنيا لنلتمس أن

نشاركهم به فى الآخرة فاتقى الله امروء فعلْ .

فتوجه إلى الشام وأتبعه ثقلة فأصيب شهيدا .»

انظر الاستيعاب : ١ / ٣٠٤

النص الثانى :

« ذكر بن المبارك فى كتاب الجهاد له قال :

حدثنا أبو عوانة ، عن داود بن عبد الله عن حميد بن عبد الرحمن قال : كان رجل يقال له حممة من أصحاب رسول الله ﷺ خرج إلى أصبهان غازيا فى خلافة عمر .

قال : وفتحت أصبهان فى خلافة عمر .

قال : فقال اللهم إن حممة يزعم أنه يحب لقاءك فإن كان حممة صادقا فاعزم له عليه ، وصدقه اللهم لا ترد حممة من سفره هذا .

قال : فأخذه بطنه فمات بأصبهان .

فقام أبو موسى فقال : يأيها الناس ألا وإنا والله فيما سمعنا من نبيكم ﷺ ، وفيما بلغنا علمه ألا إن حممة شهيد .»

انظر الاستيعاب : ١ / ٤٠٨

النص الثالث :

« وروى ابن المبارك قال : حدثنا جرير بن حازم قال : سمعت الحسن يقول : حضر الناس باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم سهيل بن عمر ، وأبو سفيان بن حرب وأولئك الشيوخ من قريش .

فخرج إذنه ، فجعل يأذن لأهل بدر : لصهيب ، وبلال . وأهل بدر كان يحبهم ، وكان قد أوصى بهم ، فقال أبو سفيان : مارأيت كاليوم قط ، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ، ونحن جلوس ، لا يلتفت إلينا .

فقال سهيل بن عمرو : قال الحسن : — وياله من رجل ما أعقله — أيها القوم : إنى والله وقد أرى النوم فى وجوهكم ، فإن كنتم غضبانا فاغضبوا على أنفسكم ، دعى

القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم .

وأما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذى تتنافسون فيه..

ثم قال : أيها القوم ، إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون ، ولاسبيل لكم والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى الله عز وجل أن يرزقكم شهادة .

ثم نفض ثوبه وقام ولحق بالشام .

قال الحسن : فصدق والله . لا يجعل الله عبدا له أسرع إليه ، كعبد أبطأ عنه »

انظر الاستيعاب : ٢ / ٦٧١



ملحق (٣)

شيوخ ابن عبد البر

ــ الألف ــ *

١ ــ إبراهيم بن شاكر بن خطاب بن شاكر بن خطاب اللحائى اللجام القرطبى يكنى أبا إسحق .[(١)]

٢ ــ إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهرى القاضى المعروف بابن الأفليلى توفى فى قرطبة (٣٥٢ ــ ٤٤١ هـ = ٩٦٣ ــ ١٠٤٩ م)[(٢)]

٣ ــ أحمد بن سعيد بن بشر[(٣)] المعروف بابن الحصار يكنى أبا العباس (ت ٣٩٢ هـ ــ ١٠٠١ م).

٤ ــ أحمد بن عبد الله بن محمد بن على بن شريعة اللخمى الباجى يكنى أبا عمر الباجى (٣٣٢ ــ ٣٩٦ هـ = ٩٤٣ ــ ١٠٠٥ م) .[(٤)]

٥ ــ أحمد بن عبد الملك بن هشام المكوى الأشبيلى يكنى أبا عمر (٣٢٤ ــ ٤٠١ هـ = ٩٣٥ ــ ١٠١٠ م).[(٥)]

٦ ــ أحمد بن عمر بن أنس بن لهاث بن أنس بن فلذان بن عمران بن مندب بن زغبة بن قطبة العذرى المرى .

يعرف بابن الدلائى (٣٩٣ ــ ٤٧٨ هـ = ١٠٠٢ ــ ١٠٨٥ م) .[(٦)]

٧ ــ أحمد بن عمر بن عبد الله بن منظور بن عصفور الحضرمى الإشبيلى (٣٣٨ ــ ٤١٠ هـ = ٩٤٩ ــ ١٠١٩ م).[(٧)]

---

*) ورتبت أسماؤهم على حروف المعجم .

(١) الجذوة : الحميدى : ١٥٥ ، الصلة : لابن بشكوال : ٨٩ ، البغية : للضبى : ٢١٨ .

(٢) الصلة : ٩٣.

(٣) جامع بيان العلم : لابن عبد البر : ٢٠١ ، ترتيب المدارك للقاضى عياض : ٤ / ٦٧٨.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبى : ٣ / ١٠٥٨ ، البغية : ١٨٤ وترتيب المدارك : ٤ / ٦٨٤ ، الديباج المذهب : لابن فرحون : ١ / ٢٣٤ .

(٥) الجذوة ١٢٨ : الصلة : ١١ ، الديباج : ١ / ١٧٦ ، شجرة النور الزكية : لمحمد بن مخلوف : ١٠٢ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٦٣٥ ــ ٦٤١ .

(٦) الجذوة : ١٣٦ ، الصلة : ٦٦ ، البغية : ١٩٥ ، شجرة النور : ١٢١ ، معجم البلدان : ٢ /٤٦٠ .

(٧) الجذوة : ١٣٦ ، الصلة : ٣١ ، البغية : ١٩٥ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧٤٦ .

٨ ــ أحمد بن فتح بن عبد الله بن علي يوسف المعافري التاجر يعرف بابن الرسان (٣١٣ ــ ٤٠٣ هـ = ٩٢٥ ــ ١٠١٢ م)[(١)] .

٩ ــ أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي البزاز يكنى أبا الفضل (٣٠٩ ــ ٣٩٥ هـ = ٩٢١ ــ ١٠٠٤ م)[(٢)] .

١٠ ــ أحمد بن قاسم بن عيسى بن فرج بن عيسى اللخمي الإقليشي يكنى أبا العباس المقرىء (٣٦٣ ــ ٤١٠ هـ = ٩٧٣ ــ ١٠١٩ م)[(٣)]

١١ ــ أحمد بن محمد الأشبيلي يعرف بابن الحرار . ويكنى أبا عمر .[(٤)]

١٢ ــ أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحباب الأموي يعرف بابن الجسور ويكنى أبا عمر . (٣١٩ ــ ٤٠١ هـ = ٩٣١ ــ ١٠١٠ م)[(٥)]

١٣ ــ أحمد بن محمد بن عبادل .[(٦)]

١٤ ــ أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي المقرىء يكنى أبا عمر : (٣٤٠ ــ ٤٢٩ هـ = ٩٥١ ١٠٣٦ م)[(٧)]

١٥ ــ أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ البياني[(٨)]

١٦ ــ أحمد بن محمد بن هشام بن جهور بن إدريس بن أبي عمرو[(٩)]

١٧ ــ أحمد بن مطرف . يعرف بابن الخطاب . يكنى أبا بكر (ت ٤١٠ هـ =

---

(١) الجذوة : ١٤١ ، الصلة : ٢٦ ، البغية : ١٩٩ ، فهرسة ابن خير : ٢٣٤ .

(٢) الجذوة : ١٤١ ، الصلة : ٨٤ ، البغية : ٢٠١ ، غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري : ١ / ٩٧ .

(٣) الجذوة : ١٤٢ ، الصلة : ٠٣١ ، البغية : ٢٠١ .

(٤) الجذوة : ١٠٨ ، البغية : ١٥٥ .

(٥) الجذوة : ١٠٧ ، البغية : ١٥٤ ، الصلة : ٢٣ ، العبر : ٣ / ٧٥ ، شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلي : ٣ / ١٦١ .

(٦) الصلة : ٠١٦

(٧) الجذوة : ١١٤ ، الديباج : ١ / ١٧٨ الشذرات : ٣ / ٢٤٣ ، غاية النهاية : ١ / ١٢٠ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٩٨ ، شجرة النور : ١١٣ .

(٨) الجذوة : ١٠٥ ، الصلة : ٤٧ ، الديباج : ١ / ١٦٥ ، شجرة النور : ١١٠ .

(٩) الصلة لابن بشكوال : ٤٧ ، شذرات الذهب : ٣ / ١٤٥ .

١٠١٩ م) [١]

١٨ ـ اسماعيل بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن أحمد الزمعى القرشى العامرى المصرى . يكنى أبا محمد (٣٣٣ ـ ٤٢١ هـ = ٩٤٤ ـ ١٠٤٩ م) [٢]

١٩ ـ أمية بن غالب الأديب المورورى . يكنى أبا العاص . [٣]

ـ الحاء ـ

٢٠ ـ الحسين بن عبد الله بن حسين بن يعقوب اليمانى

يكنى أبا على (٣٢٦ ـ ٤٢١ هـ = ٩٣٧ ـ ١٠٣٠ م) [٤]

٢١ ـ حكم بن منذر بن سعيد بن حكم بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن عبد الله بن نجيح (ت ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م) [٥]

ـ الخاء ـ

٢٢ ـ خلف بن أحمد بن أبى جعفر . [٦]

٢٣ ـ خلف بن سعيد بن أحمد بن محمد الأزدى الإشبيلى المعروف بابن المنفوخ (ت بعد ٤٠٣ هـ =١٠١٢ م) [٧]

٢٤ ـ خلف بن قاسم بن سهل بن محمد بن يونس الأزدى يكنى ابا القاسم ويعرف بابن الدباغ وبسهلون (٣٢٥ ـ ٣٩٣ هـ = ٩٣٦ ـ ١٠٠٢ م) [٨]

---

(١) الصلة : ٠٦

(٢) الجذوة : ١٦٣ ، الصلة : ١٠٥ ، البغية : ٢٣٠ .

(٣) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٤٠٣ ، الجذوة : ٣٢٤ .

(٤) الجذوة : ١٩٣ ، البغية : ٢٦٦ ، الصلة : ١٤١ ، شذرات الذهب : ٣ / ٢١٩ .

(٥) الصلة : ١٤٨ .

(٦) الجذوة : ٢٠٥ ، البغية : ٢٨١ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧٥٩ .

(٧) الجذوة : ٢٠٧ ، البغية : ٢٨٤ ، الصلة : ١٦٥ .

(٨) الجذوة : ٢٠٩ ، البغية : ٢٨٦ ، التذكرة : ٣ / ١٠٠٢٥ ، الديباج : ١ / ٣٥٥ ، الشذرات : ٣ / ١٤٤ .

ـ السين ـ

٢٥ ـ سعيد بن سيد بن سعيد الحاطبى الشرفى الإشبيلى يكنى أبا عثمان .(١)

٢٦ ـ سعيد بن عثمان بن أبى سعيد محمد بن سعيد بن عبد الله بن يوسف بن سعيد البربرى ، يعرف بابن القزاز ، ويلقب : بلحية الذيل . ويكنى : أبا عثمان النحوى .(٢)

٢٧ ـ سعيد بن نصر بن أبى الفتح . يكنى أبا عثمان .(٣)

٢٨ ـ سلمة بن سعيد الأستجى (٣٢٧ ـ ٤٠٦ هـ = ٩٣٨ ـ ١٠١٥ م)(٤)

٢٩ ـ سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبى الباجى . يكنى أبا الوليد (٤٠٣ ـ ٤٧٤ هـ = ١٠١٢ ـ ١٠٨١ م)(٥)

٣٠ ـ سليمان بن محمد بن بطال البطليوسى المعروف بالمتلمس وبالحسين جودى ويكنى أبا أيوب .(٦)

٣١ ـ سهيل بن إبراهيم بن سهل بن نوح يعرف بابن العطار (ت ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م) .(٧)

ـ الصاد ـ

٣٢ ـ صاعد بن الحسن الربعى اللغوى يكنى أبا العلاء (ت ٤١٧ هـ = ١٠٢٦ م)(٨)

---

(١) الجذوة : ٢٣٠ ، البغية : ٣٠٨ ، الصلة : ٢٦٢ ، ترتيب المدارك ٤ / ٧٥٧.
(٢) الجذوة : ٢٣٢ ، البغية : ٣١٠ ، الصلة : ٢٠٨ ، الحلة السيراء : لابن الأبار : ١ / ٣٨٠ .
(٣) الجذوة : ٢٣٤ ، البغية : ٣١٣ ، الصلة : ٢١٠ .
(٤) الجذوة : ٢٣٦ ، البغية : ٣١٦ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١١٧٨ .
(٥) البغية : ٣٠٢ ، الصلة : ٢٠١ ، الديباج : ١ / ٣٧٧ ، الشذرات ٣ / ٣٤٤ ، شجرة النور : ١٢٠ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٨٠٢ .
(٦) الجذوة : ٢٢٢ ، البغية : ٢٩٧ ، الصلة : ١٩٧ ، الديباج : ١ /٣٧٦ .
(٧) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى : ١ / ١٩١ والاستذكار : ١ / ٢٣٨ .
(٨) الجذوة : ٢٤٠ ، البعيه : ٣١٩ ، الحلة السيراء : ١ / ٢٨٣ ، شذرات الذهب : ٣ /٢٠٦ .

٣٣ ـ عباس بن أصبغ بن عبد العزيز بن غصن الهمداني
يعرف بالحجاري ويكنى أبا بكر (٣٠٦ ـ ٣٨٦ هـ = ٩١٨ ـ ٩٩٦ م) [(١)]

٣٤ ـ عباس بن يحيى بن قرلمان اللخمي يكنى أبا القاسم (٣٥٠ ـ ٤٢٦ هـ = ٩٦١ ـ ١٠٣٤ م) [(٢)]

٣٥ ـ عبد الرحمن بن أبان (ت ٣٧٩ هـ = ٩٨٩ م) [(٣)]

٣٦ ـ عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قاسم بن سهل ابن عبد الرحمن بن قاسم بن مروان بن خالد بن عبيد التجيبي المعروف ويكنى أبا بكر (٣٢٩ ـ ٤٠٩ هـ = ٩٤٠ ـ ١٠١٨ م) [(٤)]

٣٧ ـ عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمذاني ابن الخراز البجاني الوهراني (٣٣٨ ـ ٤١١ هـ = ٩٤٩ ـ ١٠٢٠ م) [(٥)]

٣٨ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطين بن أصبغ بن فطيس يكنى أبا المطرف (٣٤٨ ـ ٤٠٢ هـ = ٩٥٩ ـ ١١١١ م) [(٦)]

٣٩ ـ عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الأنصاري القنازعي يكنى أبا المطرف (٣٤١ ـ ٤١٣ هـ = ٩٥٢ ـ ١٠٢٢ م) [(٧)]

٤٠ ـ عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن أبي عبد الله العطار يكنى : أبا زيد

---

(١) تاريخ علماء الأندلس : ١ / ٢٩٨ ، الجذوة : ٣١٧ ، البغية : ٤٣٠ .

(٢) الصلة : ٤٤٣ .

(٣) الصلة : ٣١٦ .

(٤) الصلة : ٣١٥ ، الجذوة ، ٢٧٠ ، البغية : ٣٥٩ .

(٥) الصلة : ٣١٧ ، الجذوة : ٢٧٥ ، سير أعلام النبلاء : للذهبي ورقة ١٨٢ مخطوط بدار الكتب المصرية

(٦) الصلة : ٣٠٩ ، البغية : ٣٥٦ ، الديباج : ١ / ٤٧٨ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٦١ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧١ ـ ٦٧٢ .

(٧) الصلة : ٣٢٢ ، الجذوة : ٢٧٨ ، الديباج : ١ / ٤٨٥ ، الشذرات : ٣ / ١٩٨ شجرة النور : ١١١ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٧٢٦ .

(٣٢٧ ــ ٣٩٦ هـ = ٩٣٨ ــ ١٠٠٥ م) [١]

٤١ ــ عبد الرحمن بن يوسف بن نصر الرَّفا القرطبي . يكنى أبا المطرف . [٢]

٤٢ ــ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسيد الجهني الطليطلي البزاز يكنى أبا محمد (٣١٠ ــ ٣٩٥ هـ = ٩٢٢ ــ ١٠٠٤ م) [٣]

٤٣ ــ عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن يعرف بابن الزيات يكنى أبا محمد .[٤]

٤٤ ــ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي يعرف بابن الفرضي ويكنى أبا الوليد (٣٥١ ــ ٤٠٣ هـ = ٩٦٢ ــ ١٠١٢ م) [٥]

٤٥ ــ عبد العزيز بن أحمد النحوي اليحصبي المعروف بالأخفش ويكنى أبا الأصبغ .[٦]

٤٦ ــ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الملك بن جهور بن يخت المعروف بالغراب ويكنى أبا الأصبغ (ت ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م)[٧]

٤٧ ــ عبد الوارث بن سفيان بن جبرون بن سليمان . يعرف بالحبيب ويكنى أبا القاسم (٣١٧ ــ ٣٩٥ = ٩٢٩ ــ ١٠٠٤ م) [٨]

٤٨ ــ عبد الملك بن زكريا ويكنى أبا مروان [٩]

---

(١) الجذوة : ٢٧٩ ، البغية : ٣٧٢ ، الصلة : ٣٠٦ .

(٢) الصلة : ٣٢٠ .

(٣) الجذوة : ٢٥١ ، البغية : ٣٣١ ، الصلة : ٤٥ .

(٤) الجذوة : ٢٥٢ ، البغية : ٣٣٢ ، فهرسة ابن خير : ١٠٢ ، ١٠٤ .

(٥) الجذوة : ٢٥٤ ، البغية : ٣٣٤ ، الصلة : ٢٥١ .
الديباج : ١ / ٤٥٢ ، تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٧٦ .

(٦) الجذوة : ٢٨٨ ، البغية : ٣٨٤ ، ٤٣٩ ، الصلة : ٣٦٩ ، التكملة : القسم الثالث لوحة ٩٥ مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات .

(٧) الجذوة : ٢٨٩ ، البغية : ٣٨٥ ، الصلة : ٣٦٨ .

(٨) الجذوة : ٢٩٥ ، البغية : ٣٩٩ ، الصلة : ٣٨٢ .

(٩) التكملة : القسم الثالث الجامعة مصورة عن الأزهر لوحة ٢٢ .

٤٩ ــ عبيد بن محمد ويكنى أبا عبد الله [(١)]

٥٠ ــ عبيد الله بن محمد بن قاسم الكزنى ويكنى أبا مروان [(٢)]

٥١ ــ عثمان بن أبي بكر حمود الصقاقسي المعروف بابن الضابط ويكنى أبا عمرو (ت ٤٤٤ هـ = ١٠٥٢ م) [(٣)]

٥٢ ــ عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموى ويكنى أبا حفص (ت ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م) [(٤)]

٥٣ ــ عمر بن عبادل الرعيني يكنى أبا حفص [(٥)]

٥٤ ــ عمر بن نماره بن عمر بن حبيب بن مطروح الأموى ويكنى أبا حفص [(٦)]

٥٥ ــ عمر بن عبيد الله بن يوسف بن عبد الله بن يحيى بن حامد الذهلى (٣٦١ ــ ٤٥٤ هـ = ٩٧١ ــ ١٠٦٢ م) [(٧)]

٥٦ ــ على بن إبراهيم بن أحمد بن حمويه الأزدى الشيرازى يكنى أبا الحسن (٣٤٧ ــ ٤٢٦ هـ = ٩٥٨ ــ ١٠٣٤ م) [(٨)]

٥٧ ــ عيسى بن سعيد بن سعدان المقرىء ويكنى أبا الأصبغ (ت ٣٩٠ هـ = ٩٩٩ م) [(٩)]

---

(١) الجذوة : ٢٩٦ ، البغية : ٤٠٠ .

(٢) الصلة : ٣٠١ ، التكملة : ١ / ٢٩٣ .

(٣) شجرة النور : ١٠٩ .

(٤) الجذوة : ٣٠٠ ، البغية : ٤٠٥ ، الصلة : ٣٩٦ .

(٥) ترتيب المدارك : ٤ / ٦٨٥ ــ ٦٨٧ .

(٦) الجذوة : ٣٠٣ ، البغية : ٤٠٩ ، الصلة : ٣٩٦ .

(٧) الصلة : ٣٩٩ ، البغية : ٤٠٨ .

(٨) الجذوة : ٣١٢ ، البغية : ٤٢٠ ، الصلة : ٤٣٠ .

(٩) الجذوة : ٢٩٨ ، غاية النهاية : ١ / ٦٠٨ .

ـ الفاء ـ

٥٨ ـ فائق مولى أحمد بن سعيد بن حزم [١]

ـ القاف ـ

٥٩ ـ قاسم بن أحمد بن محمد بن عثمان التجيبي المعروف بابن أرفع رأسه ويكنى أبا أحمد (ت ٣٩٣ هـ = ١٠٠٢ م) [٢]

٦٠ ـ قاسم بن محمد بن قاسم بن عباس بن وليد بن صارم بن أبي الفراء المعروف بابن عسلون ويكنى أبا محمد (٣١٤ ـ ٣٩٦ هـ = ٩٢٦ ـ ١٠٠٥ م) [٣]

٦١ ـ قاسم بن مروان الوراق ويكنى أبا بكر [٤]

٦٢ ـ أبو القاسم النشيري [٥]

ـ الميم ـ

٦٣ ـ محمد بن أبان بن عثمان بن محمد بن يحيى بن عبد العزيز يكنى أبا بكر . [٦]

٦٤ ـ محمد بن إبراهيم البغدادى الشافعي يعرف بالمهدى ويكنى أبا نصر . [٧]

٦٥ ـ محمد بن إبراهيم بن سعيد بن أبي القراميد . [٨]

---

(١) الصلة : ٤٦٥ .

(٢) الجذوة : ٣٣١ ، البغية : ٤٤٧ ، الديباج : ٢ / ١٤٨ .

(٣) الجذوة : ٣٢٩ ، البغية : ٤١٦ ، الصلة : ٤٦٧

(٤) الصلة : ٤٦٨ ، جامع بيان العلم : لابن عبد البر : ٩٨ .

(٥) الصلة : ٦٠٢ .

(٦) الجذوة : ٤٢ ، البغية : ٥٩ .

(٧) الصلة : ٦٠٢ .

(٨) الجذوة : ٤١ ، ٢٣١ ، البغية : ٥٦ .

٦٦ ــ محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن محمود البجانى يكنى أبا عبد الله .[١]

٦٧ ــ محمد بن إبراهيم بن مصعب الأشعرى يعرف بابن أبى مقنع ويكنى أبا بكر (٣٧٨ ــ ٤٢٦ هـ = ٩٨٨ ــ ١٠٣٤ م)[٢]

٦٨ ــ محمد بن إبراهيم بن يزيد بن محمود يكنى أبا عبد الله .[٣]

٦٩ ــ محمد بن أحمد بن حيوه يكنى أبا عبد الله .[٤]

٧٠ ــ محمد بن أحمد بن خالد بن يزيد .[٥]

٧١ ــ محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار .[٦]

٧٢ ــ محمد بن أحمد بن محمد المكتّب .[٧]

٧٣ ــ محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدى الإشبيلى يكنى أبا بكر (ت ٣٩٧ هـ =١٠٠٦ م) .[٨]

٧٤ ــ محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن عبد الوارث الرازى الخراسانى يكنى أبا بكر (توفى بعد ٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م)[٩]

٧٥ ــ محمد بن خليفة يعرف بالإمام ويكنى أبا عبدالله .[١٠]

٧٦ ــ محمد بن رشيق المكتّب يعرف بالسراج ويكنى أبا عبد الله .[١١]

---

(١) الصلة : ٥٠٧ .

(٢) الصلة : ٥١٨ . جامع بيان العلم : ٢٣٤ .

(٣) الصلة : ٥٠٦.

(٤) الصلة : ٥٠٠.

(٥) الجذوة : ٣٩. البغية : ٤٩.

(٦) ترتيب المدارك : ٤ / ٦٥٠ .

(٧) الجذوة : ٤٠ ، البغية : ٥٠ .

(٨) الجذوة : ٤٦ البغية : ٦٦ ، الديباج : ٢ / ٢١٩ .

(٩) الصلة : ٦٠١ .

(١٠) الجذوة : ٥٤ ، البغية : ٧٤ .

(١١)الجذوة : ٥٦ ، البغية : ٩٠ الصلة : ٤٩٨ .

٧٧ ــ محمد بن زكريا الزهرى يعرف بالأفليلي يكنى أبا عبد الله .[(١)]

٧٨ ــ محمد بن سعيد بن ثبات يكنى أبا عبد الله مات بعد الأربعمائة .[(٢)]

٧٩ ــ محمد بن عبد الله بن حكم الأموى يعرف بابن البقرى يكنى أبا عبد الله .[(٣)]

٨٠ ــ محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن ضيفون الرصافى الحداد يكنى أبا عبد الله (ت ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م) .[(٤)]

٨١ ــ محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبى زمنين الإلبيرى (٣٢٩ ــ ٣٣٩٩ هـ = ٩٤٠ ــ ١٠٠٨ م) .[(٥)]

٨٢ ــ محمد بن عبد الله بن عثمان بن سعيد بن هاشم بن إسماعيل بن سفيان الأسدى يكنى أبا جعفر (٣٢٦ ــ ٤٠٣ هـ = ٩٣٧ ــ ١٠١٢ م) .[(٦)]

٨٣ ــ محمد بن عبد الله بن مفوز بن غفول بن عبد ربه بن صواب بن مدرك بن جعفر المعافرى ويكنى أبا عبد الله (ت ٤١٠ هـ = ١٠١٩ م) .[(٧)]

٨٤ ــ محمد بن عمر المعروف بابن الفخار .[(٨)]

٨٥ ــ محمد بن عمروس بن العاص القرطبى يكنى أبا عبد الله (ت ٤٠٠هـ = ١٠٠٩ م) .[(٩)]

٨٦ ــ محمد بن قاسم بن محمد الأموى الجالطى يكنى أبا عبد الله (٣٣٦ ــ ٤٠٣ هـ = ٩٤٧ ــ ١٠١٢ م) .[(١٠)]

---

(١) الصلة : ٤٩٢ .

(٢) البغية : ٧٩ ، الجذوة : ٦٠ .

(٣) الجذوة : ٦٥ ، البغية : ٩٠ ، الصلة : ٤٩٤ .

(٤) الجذوة : ٦٨ ، البغية : ١٠٢ ، الشذرات : ٣ / ١٤٤ .

(٥) الشذرات : ٣ / ١٥٦ .

(٦) الصلة : ٤٩٢ ،

(٧) الصلة : ٥٠٣ ، البغية : ٩٢ .

(٨) ترتيب المدارك : ٤ / ٧٢٤ ــ ٧٢٦ .

(٩) الصلة : ٤٨٧ ، نفح الطيب : للمقرى : ١ / ٦٢ .

(١٠) الصلة : ٤٩٠ ، ترتيب المدارك : ٤ / ٨٣ ــ ٦٨٤ .

٨٧ ـــ محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن موسى بن نصير (٣٢٦ ـــ ٣٩٠ هـ = ٩٣٧ ـــ ٩٩٩ م) .(١)

٨٨ ـــ محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمى بن الحذاء (٣٣٦ ـــ ٤١٦ هـ = ٩٤٧ ـــ ١٠٢٥ م) .(٢)

٨٩ ـــ محمد بن نصر بن حامد بن نصر الرومى الكاتب يكنى أبا القاسم .(٣)

٩٠ ـــ مسلمه بن محمد البترى يكنى أبا محمد .(٤)

ـــ الهاء ـــ

٩١ ـــ هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسى الأديب يكنى أبا نصر (ت ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م) .(٥)

٩٢ ـــ هشام بن سعيد الخير بن فتحون القيسى يكنى أبا الوليد (ت بعد ٤٣٠ هـ = ١٠٣٨ م) .(٦)

ـــ الواو ـــ

٩٣ ـــ وسيم بن أحمد بن محمد بن ناصر بن وسيم الأموى يعرف بالختمى ويكنى أبا بكر (٣٤٥ ـــ ٤٠٤ هـ = ٩٥٦ ـــ ١٠١٣ م) .(٧)

٩٤ ـــ وهب بن محمد بن محمود بن إسماعيل الشذونى ويكنى أبا الحزم .(٨)

---

(١) الصلة : ٤٩٩ .

(٢) الصلة : ٥٠٥ ، الديباج : ٢ / ٢٣٧ ، البغية : ١٤٦ ، شجرة النور : ١١٢ ، الشذرات : ٣ / ٢٠٦ .

(٣) التكملة : ١ / ٣٧٨ ، جامع بيان العلم : ٧٠ .

(٤) الجذوة : ٣٤٦ ، البغية : ٤٦٣ .

(٥) الصلة : ٦٥٦ .

(٦) الصلة : ٦٥١ ، البغية : ٤٨٥ .

(٧) الصلة : ٦٤٥ .

(٨) الجذوة : ٣٦٠ ، البغية : ٤٧٩ .

٩٥ ـ يحيى بن عبد الرحمن بن مسعود بن موسى يعرف بابن وجه الجنة ويكنى أبا بكر (٣٠٤ ـ ٤٠٢ هـ = ٩١٦ ـ ١١١١ م) .[١]

٩٦ ـ يعيش بن سعيد بن محمد الوراق يكنى أبا عثمان .[٢]

٩٧ ـ يوسف بن محمد بن يوسف بن عمروس المؤدب الأستجي يكنى أبا عمر .[٣]

٩٨ ـ يوسف بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الله يكنى أبا عمر (٣٢٦ ـ ٤٠٠ هـ = ٩٣٧ ـ ١٠٠٩ م) .[٤]

٩٩ ـ يوسف بن هارون الرمادي الشاعر يكنى أبا عمر[٥]

١٠٠ ـ يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن محمد بن عبد الله يكنى أبا الوليد (٣٣٨ ـ ٤٢٩ هـ = ٩٤٩ ـ ١٠٣٧ م) .[٦]



(١) الجذوة : ٣٧٧ ، الصلة : ٦٦٣ ، البغية : ٥٠٤ ، الشذرات : ٣ / ١٨٥ .
(٢) الجذوة : ٣٨٦ ، البغية : ٥١٥ .
(٣) الجذوة : ٣٦٧ ، البغية : ٤٨٧ .
(٤) الصلة : ٦٧٤ .
(٥) الصلة : ٦٧٤ ، البغية : ٤٩٣ ، الشذرات : ٣ / ١٧٠ .
(٦) الصلة : ٦٨٤ ، البغية : ٥١٢ ، الجذوة : ٣٨٤ ، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا) للنبا : ٩٥ . الشذرات ٣ / ٢٤٤ شجرة النور الذكية ١١٥ .

شيوخه مكاتبة

١٠١ — إبراهيم بن على بن الحسين بن سيخت البغدادى يكنى أبا الفتح نزيل مصر (ت ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م) . (١)

١٠٢ — أحمد بن نصر الداودى الأسدى القيروانى (٤٠٢ هـ = ١١١١ م) ، يكنى أبا جعفر : إمام المالكية فى القيروان (٢)

وقال ابن عبد البر : « كتب إلى .. بإجازة مارواه وألفه »

١٠٣ — عبد بن أحمد بن محمد الهروى يكنى أباذر (٣٥٦ — ٤٣٤ هـ) (٣)

١٠٤ — عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد البزاز المصرى المعروف بابن النحاس يكنى أبا محمد (٣٢٣ — ٤١٦ هـ = ٩٣٤ — ١٠٢٥ م) . (٤)

١٠٥ — عبد الغنى بن سعيد بن على بن بشر بن مروان الأزدى المصرى يكنى أبا محمود (٣٢٣ — ٤٠٩ هـ = ٩٣٤ — ١٠١٨ م) (٥) كتب له مجيزا من مصر .

١٠٦ — عبد الله بن الحسن بن جهضم بن سعيد الهمدانى أبو الحسن كتب إليه فى مكة يجيزه . (٦)

١٠٧ — عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر السقطى البغدادى المكى يكنى أبا القاسم . (٧)

---

(١) ميزان الاعتدال فى نقد الرجال : للذهبى : ١ / ٥٠ ، العبر فى أخبار من عبر : للذهبى ٣ / ٥٧ ، حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة : للسيوطى : ١ / ٣٧١ . والشذرات : ٣ / ١٤٤ .

(٢) الديباج : ١ / ١٦٥ ، شجرة النور : ١١٠ ، فهرسة ابن خير : ٤٤٠ .

(٣) شجرة النور : ١١٤ ، الديباج : ٢ / ١٣٢ ، العقد الثمين : ٥ / ٥٣٩ .

(٤) سير أعلام النبلاء : مخ دار الكتب : ق ١٨٢ والعبر : ٣ / ٨٠ ، الشذرات : ٣ / ٢٠٤ ، معجم المؤلفين : ٥ / ١٦٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ : ٣ / ١٠٤٧ ، حسن المحاضرة : ١ / ٣٥٣ ، الشذرات : ٣ / ١٨٨ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٤٣٩ .

(٧) الصلة : ٦٧٧ ، وفهرسة ابن خير : ٢٨٦ .

ملحق (٤)

تلاميذ ابن عبد البر

ـ الألف ـ *

١ ـ إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عمر بن أسود الغسانى يكنى أبا إسحق . من أهل المرّية مات نحو الخمسمائة . (١)

٢ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث بن أحمد بن مغيث الصوفى يكنى : أبا الحسن من أهل طليطلة . (٢)

٣ ـ إبراهيم بن أبى الفضل بن صواب الحجرى . يكنى أبا إسحق . (٣)

٤ ـ أحمد بن سعيد بن خالد بن بشتغير اللخمى . يكنى أبا جعفر ، أجازه ابن عبد البر . (٤)

٥ ـ أحمد بن سعيد الكاتب . يكنى أبا القاسم (ت ٥١٦ هـ = ١١٢٢ م) . (٥)

٦ ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف بن سعد . يكنى : أبا الوليد أجاز له ابن عبد البر (٤٣٢ ـ ٥٢٠ هـ = ١٠٤٠ ـ ١١٢٦ م) . (٦)

٧ ـ أحمد بن عمر بن الفضل بن عميرة . (٧)

٨ ـ أحمد بن محمد بن رزق الأموى القرطبى يكنى أبا جعفر (ت ٤٦٩ هـ = ١٠٧٦ م) . (٨)

٩ ـ أحمد بن مروان بن محمد بن مروان بن عبد العزيز بن محمد بن حامد بن رجاء

---

*) رتبت أسماؤهم على حروف المعجم .

(١) التكملة : لابن الأبار : ١ / ١٣٩ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ١٣٧ .

(٣) نفس المصدر : ١ / ١٤٠ .

(٤) الصلة لابن بشكوال : ٧٦ .

(٥) التكملة : ١ / ٢٥ .

(٦) الصلة : ٧٧ ، البغية : للضبى : ١٨٧ ، الغنية :للقاضى عياض : ورقة ٥٦ .

(٧) نفس المصدر :٦٥ .

(٨) الصلة : ٦٥ ، الديباج المذهب : لابن فرحون : ١ / ١٨٢ ، شجرة النور الذكية : لمحمد بن مخلوف : ١٢١ .

بن شاكر بن خطاب بن نافع بن عبد العزيز التجيبي .

يكنى : أبا بكر (٤٥٩ ــ ٥١١ هـ = ١٠٦٦ ــ ١١١٧ م) ، وأجاز به ابن عبد البر . (١)

١٠ ــ إسماعيل بن أحمد بن جبرون أبا القاسم . (٢)

١١ ــ إصبغ بن محمد بن إصبغ الأزدي يكنى أبا القاسم (٤٤٥ ــ ٥٠٥ هـ = ١٠٥٣ ــ ١١١١ م) . (٣)

ــ الجيم ــ

١٢ ــ جعفر بن عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري يكنى : أبا أحمد . (٤)

ــ الحاء ــ

١٣ ــ الحسن بن عمر بن الحسن الهوزني . يكنى أبا القاسم وأجازه ابن عبد البر (٤٣٥ ــ ٥١٢ هـ = ١٠٤٣ ــ ١١١٨ م) . (٥)

١٤ ــ حسين بن محمد بن أحمد الغساني يكنى أبا علي المعروف بالجياني (٤٢٧ ــ ٤٩٨ هـ = ١٠٣٥ ــ ١١٠٤ م) . .(٦)

١٥ ــ حسين بن محمد بن فيرة بن حيون الصدفي : يكنى : أبا علي المعروف بابن سكرة السرقسطي (٤٥٢ ــ ٥١٤ هـ = ١٠٦٠ ــ ١١٢٠ م)

---

(١) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٣٠ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ١٨٠.

(٣) الصلة : لابن بشكوال : ١٠٩.

(٤) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٣٩.

(٥) الصلة : ١٣٩.

(٦) الصلة : ١٤٢ ، البغية : للضبي : ٢٦٥ ، الديباج المذهب : لابن فرحون : ١ / ٣٣٢ ، شجرة النور الذكية : ١٢٣ ، انظر : الغنية : ورقة ٧٧ ــ ٧٨.

(٧) الصلة : ١٤٤ ، البغية : ٢٦٩ ، والديباج : ٣٣٠ ، نفح الطيب : ٢ / ٩٠ .

ـــ الخاء ـــ

١٦ ـــ خلف بن إبراهيم بن خلف بن سعيد المقرىء بن الحصّار الخطيب المعروف بابن النحاس (٤٢٧ ـــ ٥١١ هـ = ١٠٣٥ ـــ ١١١٧ م) وآجاز له ابن عبد البر . (١)

١٧ ـــ خلف بن أحمد بن داود الصدفى : يكنى : أبا القاسم (ت ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م) . (٢)

١٨ ـــ خلف بن خلف بن محمد بن سعيد بن إسماعيل بن يوسف الأنصارى يكنى أبا القاسم . يعرف بابن الأنقر العربى (٤٣٤ ـــ ٥١٩ هـ = ١٠٤٢ ـــ ١١٢٥ م) . (٣)

١٩ ـــ خلف بن عبد الله بن سعيد بن عباس بن مدير الأزدى يكنى أبا القاسم . (٤٩٥ هـ = ١١٠١ م) . (٤)

٢٠ ـــ خليص بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله العبدرى . يكنى : أبا الحسن وكان من المختصين بابن عبد البر (ت ٥١٣ هـ = ١١١٩ م) . (٥)

ـــ السين ـــ

٢١ ـــ سفيان بن العاصى بن أحمد بن سفيان بن عيسى بن عبد الكبير بن سعيد الأسدى . يكنى : أبا بحر (٤٤٠ ـــ ٥٢٠ هـ = ١٠٤٨ ـــ ١١٢٦ م) . (٦)

---

(١) الصلة : لابن بشكوال : ١٧٤ ، البغية : للضبى : ٢٨٩ ، وانظر : الغنية : القاضى عياض : ورقة ٨٣ ـــ ٨٤ .

(٢) التكملة : لابن الأبار : ١ /٢٩٨ الحلل السندسية : شكيب أرسلان ٣ / ٨٣ .

(٣) التكملة : ١ / ٣٠٠ ، الغنية : ورقة ٨٤ .

(٤) الصلة : ١٧٣ .

(٥) الصلة : ١٨٠ ، الغنية : ٢٩١ ، البغية : ورقة ٨٥ .

(٦) الصلة : لابن بشكوال : ٢٣٠ ، البغية : للضبى : ٣٠٤ الحلل السندسية : شكيب أرسلان : ٣ / ٣٩ ، الغنية للقاضى عياض ورقة : ١٢١ .

وقال ولد فى (٣٤٩) وتوفى فى (٥١٦ هـ) .

٢٢ ــ سليمان بن حسين بن يوسف الأنصارى يكنى أبا مروان .[(١)]

٢٣ ــ سليمان الشاطبى المعروف بالبيغى .[(٢)]

٢٤ ــ سليمان بن منخل النفزى . يكنى : أبا الربيع (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م) .[(٣)]

٢٥ ــ سليمان بن أبى القاسم نجاح ، يكنى : أبا داود المقرىء مولى هشام المؤيد وشيخ الإقراء ومسند القراء (٤١٣ ــ ٤٩٦ هـ = ١٠٢٢ ــ ١١٠٢ م) .[(٤)]

ــ الطاء ــ

٢٦ ــ طاهر بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافرى يكنى : أبا الحسن (٤٢٧ ــ ٣٨٤ هـ = ١٠٣٥ ــ ١٠٩١ م) .

روى عن ابن عبد البر واختص به وهو أثبت الناس فيه .[(٥)]

ــ العين ــ

٢٧ ــ عامر بن عبد الله بن خلف التجيبى[(٦)]

٢٨ ــ أبو العباس المقرىء[(٧)]

٢٩ ــ عبد الجبار بن عبد الله بن سليمان بن سيد بن أبى قحافة الأنصارى يكنى

---

(١) التكملة : لابن الأبار القسم الثالث : مخطوط لوحة ٧٠ .

(٢) الحلل السندسية : شكيب أرسلان : ٣ / ٢٨٣ ، الغنية : ورقة ١٢٥ .

(٣) الحلل السندسية : ١ / ٢٥٦ ، الصلة لابن بشكوال : ٢٠٠ .

(٤) الصلة لابن بشكوال : ٢٠٣ ، البغية : ٣٠٣ ، الحلل : ١ / ٣٩ ، المعجم : لابن الأبار : ٣٠٢ ، معرفة القراء الكبار : للذهبى : ١ / ٣٦٤ .

(٥) الصلة : ٢٤٠ ، البغية : ٣٢٧ ، الحلل : ١ / ٢٥٧ ، تذكرة الحفاظ للذهبى : ٤ / ١٢٢٢ ، وعنده الولادة (سنة ٤٢٩هـ) .

(٦) التكملة : لابن الأبار : قسم ٣ / لوحة ٨٩ مخطوطة بمعهد المخطوطات .

(٧) نفس المصدر : قسم ٣ / لوحة ٩٠ .

أبا محمد .[١]

٣٠ ــ عبد الدائم بن مروان بن جبر اللغوى المقرىء . يكنى أبا القاسم من الغرباء .[٢]

٣١ ــ عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبى تليد . يكنى أبا المطرف (ت ٤٧٤ هـ ١٠٨١ م) روى كثيرا عن ابن عبد البر .[٣]

٣٢ ــ عبد الرحمن بن سعيد بن هارون الفهمى المقرىء السرقسطى يعرف بابن الوراق . يكنى أبا المطرف (٤٤٢ ــ ٥٢٢ هـ = ١٠٥٠ ــ ١١٢٨ م)[٤]

٣٣ ــ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ثابت الأموى الخطيب الشاطبى . روى كثيرا عن ابن عبد البر (٤٤٦ ــ ٥٠٩ هـ = ١٠٥٤ ــ ١١١٥ م)[٥]

٣٤ ــ عبد الرحمن بن عبد الله بن معين الكلبى . يكنى أبا زيد .[٦]

٣٥ ــ عبد الرحمن بن على .[٧]

٣٦ ــ عبد الرحمن بن محمد العبسى يكنى : أبا محمد . يعرف : بابن الطوج (ت ٥٠٧ هـ ، ١١١٣ م) .

من أصحاب ابن عبد البر المتحققين به .[٨]

٣٧ ــ عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن . يكنى أبا محمد (٤٣٠ ــ ٥٢٠ هـ ١٠٣٨ ــ ١١٢٦ م) .[٩]

(١) الصلة : لابن بشكوال : ٣٧٩ .
(٢) نفس المصدر : ٣٩٣ .
(٣) نفس المصدر : ٣٤١ ، الحلل السندسية . ٣ / ٢٥٩ .
(٤) الصلة لابن بشكوال : ٣٥١ ، الغنية : للقاضى عياض : ورقة : ٩٧ .
(٥) نفس المصدر : ٣٤٦ ، الحلل السندسية ٣ / ٢٥٩ .
(٦) التكملة : لابن الأبار . قسم ٣ / لوحة ٣ ، الحلل السندسية : ٣ / ١٥٩ .
(٧) التكملة : لابن الأبار : قسم ٣ / لوحة ٤ مخطوط بمعهد المخطوطات .
(٨) الصلة : لابن بشكوال : ٣٤٥ ، التكملة . لابن الأبار : قسم ٣ / لوحة ٤ مخطوط معهد المخطوطات .
(٩) الصلة : ٣٤٨ ، البغية للضبى . ٣٥٧ ، شجرة النور الزكية : ١٢٩ الديباج المذهب : لابن فرحون : ١ / ٤٧٩ ، الغنية . لعياض ورقة ٩٢ ٩٣

٣٨ ــ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن . يكنى أبا زيد . يعرف : بابن الحشا سمع من أبى عمر فى دانية كثيرا(ت ٤٧٣ هـ = ١٠٨٠ م) . (١)

٣٩ ــ عبد الصمد بن موسى بن هذيل بن محمد بن تاجيت البكرى يكنى : أبا جعفر (٤٣٣ ــ ٤٩٥ هـ = ١٠٤١ ــ ١١٠١ م) . (٢)

٤٠ ــ عبد العزيز بن عبد الله بن الغازى . يكنى أبا الإصبغ . (٣)

٤١ ــ عبد العزيز بن محمد بن سعد البلنسى . يكنى : أبا بكر يعرف بابن القدوة . (ت ٤٨٤ هـ = ١٠٩١ م) . (٤)

٤٢ ــ عبد العزيز بن عبد الملك بن شفيع المقرىء من المرية يكنى : أبا الحسن (ت ٥١٤ هـ = ١١٢٠ م) . (٥)

٤٣ ــ عبد الله بن أحمد بن سعدون . يكنى أبا العباس . (٦)

٤٤ ــ عبد الله بن إسماعيل بن محمد بن خزرج بن محمد بن إسماعيل بن الحارث اللخمى الإشبيلى . يكنى أبا محمد (٤٠٧ ــ ٤٧٨ هـ = ١٠١٦ ــ ١٠٨٥ م) . (٧)

٤٥ ــ عبد الله بن حيَّان بن فرحون بن تميم بن عبد الله بن موسى بن مالك بن حمدون بن حيان الأروشى . يكنى أبا محمد (٤٠٩ ــ ٤٨٧ هـ = ١٠١٨ ــ ١٠٩٤ م) سكن بلنسية وسمع من أبى عمر كثيرا . (٨)

---

(١) الصلة : ٣٤٠ .

(٢) الصلة : ٣٧٦ .

(٣) نفس المصدر : ٣٧٢ ، الحلل السندسية :٣ / ٢٦٠ .

(٤) نفس المصدر : ٣٧١ ، البغية : ٣٨٣ ، الحلل السندسية : ٣ / ٩٠ ، ٢٠٥ .

(٥) الصلة : ٣٧٣ ، البغية : ٣٨٦ ، معرفة القراء الكبار : للذهبى : ١ / ٣٨١ .

(٦) التكملة : لابن الأبار : ٢ / ٨٠٧ ، الحلل السندسية : ٣ / ١٩٠ .

(٧) الصلة : ٢٨٤ .

(٨) الصلة : لابن بشكوال : ٢٨٨ ، البغية : للضبى : ٣٤٣ ، الحلل السندسية : لشكيب أرسلان : ٣ / ٨٨ .

وكانت له همة فى اقتناء الكتب وجمعها وذكر ابن علقمة فى تاريخه أن ابن ذنون صاحب بلنسية أخذ كتب الأروشى عن داره وسبقت إلى قصره وذلك مائة عدل وثلاثة وأربعون عدلا فى أعدال الحمالين يقدر كل عدل بعشرة أرباع وقيل إنه كان قد أخفى منها نحو الثلث .

٤٦ ـــ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يونس القضاعى . يعرف بابن خيرون .[١]

٤٧ ـــ عبد الله بن عبد الرحمن بن معافى يكنى : أبا محمد (٣٩٥ ـــ ٤٥٤ هـ = ١٠٠٤ ـــ ١٠٦٢ م)[٢]

٤٨ ـــ عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى ـــ يكنى أبا عبيد (ت ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م) .أجاز له ابن عبد البر .[٣]

٤٩ ـــ عبد الله بن على بن أحمد اللخمى . يكنى : أبا محمد (ت ٥٣٢ هـ = ١١٣٧ م) سبط ابن عبدالبر وقد أجازه فى (٤٦٢ هـ = ١٠٦٩ م) .[٤]

٥٠ ـــ عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبى الطليطلى . يكنى : أبا محمد يعرف : بابن العسّال . (ت ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م)[٥]

٥١ ـــ عبد الله بن محمد بن أحمد بن العربى المعافرى الإشبيلى : يكنى : أبا محمد والد القاضى أبو بكر بن العربى أجاز له ابن عبد البر (٤٣٥ ـــ ٤٩٣ هـ = ١٠٤٣ ـــ ١٠٩٩ م)[٦]

٥٢ ـــ عبدالله بن محمد بن سندور بن منتنيل بن مروان التجيبى .[٧]

---

(١) التكملة : لابن الأبار : ٢ / ٨١٢ ، الحلل السندسية : ٣ /٤١ .

(٢) الصلة : ٢٧٧ ، الحلل السندسية : ٣ / ٢٥٨ .

(٣) الصلة : ٢٨٧ .

(٤) التكملة : ٢ / ٨٢١ ، البغية : ٣٤٩ .

(٥) الصلة : ٢٨٥ .

(٦) الصلة : ٢٨٨ ، البغية : ٣٣٧ .

(٧) التكملة : ٢ / ٨٠٨ .

٥٣ ـــ عبد الله بن محمد بن يوسف بن مَخلَصَه المعافرى الإشبيلى . يكنى : أبا محمد .(١)

٥٤ ـــ عبد الله بن مفوزبن أحمد بن مفوز المعافرى : يكنى أبا محمد (ت ٤٧٥ هـ = ١٠٨٢ م).(٢)

٥٥ ـــ عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى يكنى : أبا محمد : (ت ٤٥٨ هـ = ١٠٦٥ م).(٣)

٥٦ ـــ عبيد بن على بن عبيد الأزدى السوسى (ت ٤٦١ هـ = ١٠٦٨ م) من القيروان رحل إلى أبى عمر فسمع منه كثيرا .(٤)

٥٧ ـــ عبيد الله بن أحمد بن ميمون المخزومى . يكنى أبا مروان .(٥)

٥٨ ـــ على بن إبراهيم بن فتح . يكنى : أبا الحسن . يعرف بابن الإمام .(٦)

٥٩ ـــ على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الفارسى يكنى : أبا محمد (ت ٤٥٦ هـ = ١٠٦٣ م) .(٧)

٦٠ ـــ على بن أحمد بن عبد العزيز الأنصارى يكنى : أبا الحسن :(٨)

٦١ ـــ على بن عبد الرحمن بن أحمد الأنصارى الشاطبى المقرىء . يكنى : أبا الحسن يعرف بابن الروشى (ت ٤٩٦ هـ = ١١٠٢ م).(٩)

---

(١) الحلل السندسية : ٣ / ٢٦٢ .

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٢٨٤ ، الحلل السندسية لشكيب أرسلان : ٣ / ٢٩٥ .

(٣) الصلة : ٢٧٩ ، البغية : للضبى : ٣٥٤ ، الذخيرة لابن بسام : ٣ : ١ / ١٢٥ ، قلائد العقيان : للفتح ابن خاقان : ١٨٨ ، إعتاب الكتاب لابن الأبار : ٢٢١ .

(٤) الصلة : ٤٤٤ .

(٥) التكملة : لابن الأبار : ٢ / ٩٢٩ .

(٦) الصلة : ٥٦٢ .

(٧) الصلة : ٤١٥ ، البغية : ٤١٥ ، شذرات الذهب ٣ / ٢٩٩ ـــ ٣٠٠ .

(٨) التكملة : قسم ٣ لوحة ٥٥ / ترتيب المدارك : لعياض : ٤ / ٨٠٩ ، سير أعلام النبلاء (مخطوط) : ١١ : ٢ / ١٨٣ .

(٩) الصلة : ٤٢٢ ، البغية : ٤٢٤ ، الحلل السندسية ٣ : ٢٦٠ ، معرفة القراء الكبار : ١ / ٦٥ .

٦٢ ــ على بن عبد الله بن محمد بن موهب الجذامى . يكنى : أبا الحسن يعرف بابن الزقاق (٤٤١ ــ ٥٣٢ هـ = ١٠٤٩ ــ ١١٣٧ م) . أجاز له ابن عبد البر .[1]

٦٣ ــ على بن المنذر بن المنذر بن على الكتانى : يكنى : أبا الحسن (ت ٤٨٠هـ = ١٠٨٧ م) .[2]

٦٤ ــ عيسى بن سهل الأسدى القرطبى : يكنى أبا الإصبغ (٤١٣ ــ ٤٨٦ هـ = ١٠٢٢ ــ ١٠٩٣ م) .[3]

ــ الغين ــ

٦٥ ــ غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤف بن تمام بن عبد الله بن تمام المحاربى (٤٤١ ــ ٥١٨ هـ ١٠٤٩ ــ ١١٢٤ م) .[4]

ــ الفاء ــ

٦٦ ــ أبو الفوارس بن محمد بن أبى عاصم يعرف بالقوارجى[5]

ــ الميم ــ

٦٧ ــ محمد بن إبراهيم بن قاسم البكرى . يكنى أبا عبد الله أجاز له أبو عمر .[6]

٦٨ ــ محمد بن أحمد بن عون بن محمد بن عون المعافرى يكنى : أبا عبد الله (٤٤٠ ــ ٥١٢ هـ ١٠٤٨ ــ ١١١٨ م) أجاز له أبو عمر .[7]

...

(١) الصلة : ٤٢٦ ، البغية : ٤٢٣ شذرات الذهب :

(٢) الصلة : لابن بشكوال : ٤٢١ .

(٣) شجرة النور الذكية : لمحمد بن مخلوف : ٢٢٠ .

(٤) الصلة : ٤٥٧ ، الإحاطة فى أخبار غرناطة : لابن الخطيب : ٤ / ٢٣٨ .

(٥) التكملة : لابن الأبار : قسم ٣ / لوحة ١٠٠ مخطوط بمعهد المخطوطات .

(٦) الصلة : ٥٦٢ .

(٧) نفس المصدر : ٥٧١ .

٦٩ ــ محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق بن مهلب : يكنى : أبا جعفر . روى عنه بدانية سنة (٤٣٢ هـ = ١٠٤٠ م) توفى سنة (٤٥٠ هـ = ١٠٥٨ م) . (١)

٧٠ ــ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يونس بن حبيب بن إسماعيل الأنصارى يكنى : أبا عبد الله (ت ٤٧٧ هـ = ١٠٨٤ م) . (٢)

٧١ ــ محمد بن أيمن بن خالد بن أيمن الأنصارى . (٣)

٧٢ ــ محمد بن عبد الله بن سعيد المأمونى . (٤)

٧٣ ــ محمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد البشكلارى . (٥)

٧٤ ــ محمد بن عبيد الله بن عبد البر بن ربيعة . (٦)

٧٥ ــ محمد بن عتيق بن محمد بن أبى نصر التيمى القيروانى المعروف بابن كُدّية (ت ٥١٢ هـ = ١١١٨ م) . (٧)

٧٦ ــ محمد بن على بن عبدالعزيز بن أحمد الثعلبى ، يكنى : أبا عبد الله ، قاضى الجماعة بقرطبة (٤٣٩ ــ ٥٠٨ هـ = ١٠٤٧ ــ ١١١٤ م) . أجاز له ابن عبد البر . (٨)

٧٧ ــ محمد بن فتوح بن على بن وليد بن محمد بن على الأنصارى . يكنى : أبا عبد الله (ت ٤٩٨ هـ = ١١٠٤ م) . (٩)

---

(١) التكملة : ١ / ٣٩٠ .

(٢) نفس المصدر : ١ / ٣٩٧ ، نفح الطيب : للمقرى : ٢ / ١٥٣ .

(٣) التكملة : لابن الأبار : ١ / ٤٠٠ .

(٤) نفس المصدر : ١ / ٤٠٦ .

(٥) نفس المصدر : ١ / ٤١٨ .

(٦) نفس المصدر : ١ / ٤٠٣ .

(٧) فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبى : ٣ / ٤٢٩ ، معرفة القراء الكبار : للذهبى : ١ / ٣٧٩ .

(٨) الصلة : ٥٧٠ ، الحلل السندسية : لشكيب أرسلان : ٣ / ٩٥ ، الغنية : لعياض : ١٥ مخطوط ، واسمه عند عياض محمد بن عبد العزيز بن حمدين التغلبى .

(٩) الصلة : ٥٦٥ .

٧٨ ــ محمد بن كثير القرشي المخزومي من شذونة . يكنى : أبا حاتم (ت ٥٥٣ هـ = ١١٣٥ م).(١)

٧٩ ــ محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي (٤٢٠ ــ ٤٤٨ هـ = ١٠٢٩ ــ ١٠٩٥ م).(٢)

٨٠ ــ محمد بن يوسف بن علي بن خلصة المعافري . يكنى أبا عبد الله .(٣)

٨١ ــ مروان بن محمد بن عبد العزيز التجيبي .(٤)

٨٢ ــ مصعب بن عبد الله بن أبي الفرات القرشي العبدري الصقلي .(٥)

٨٣ ــ مطرف بن ياسين . يكنى : أبا عبد الرحمن (ت ٤٨١ هـ ١٠٨٨ م).(٦)

٨٤ ــ مفرج بن الخرّاز . يكنى : أبا الخليل (ت ٤٧٠ هـ = ١٠٧٧ م).(٧)

٨٥ ــ موصل بن أحمد بن موصل (ت ٤٨٠ هـ = ١٠٧٨ م).(٨)

٨٦ ــ موسى بن عبد الرحمن بن خلف بن موسى بن أبي تليد أبو عمران روى عن أبي عمر كثيرا (٤٤٤ ــ ٥١٧ هـ = ١٠٥٢ ــ ١١٢٣ م).(٩)

ــ الياء ــ

٨٧ ــ يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . يكنى أبا أسامة (٤٠٠ ــ

---

(١) نفس المصدر : ٥٥٣ .

(٢) الصلة : ٥٦٠ ، البغية : للضبي : ١٢٣ ، وفيات الأعيان : لابن خلكان : ٣ / ٤١٠ ونفح الطيب : للمقري : ٢ / ١١٢ .

(٣) التكملة : ١ / ٤٠٤ ، الحلل السندسية :٣ / ٢٦ .

(٤) التكملة : ٢ / ٦٩٣ ، الحلل السندسية : ٣ / ١٨٧ .

(٥) فوات الوفيات : لابن شاكر الكتبي : ٤ / ١٤٤ .

(٦) الصلة : لابن بشكوال : ٦٢٢ .

(٧) الصلة : ٦٢٠ .

(٨) نفس المصدر : ٦٣١ .

(٩) نفس المصدر : ٦١٠ ، الغنية : للقاضي عياض : ورقة ١٥ .

٥٠٣ هـ = ١٠٠٩ — ١١٠٩ م) روى عن أبى عمر أجازه . (١)

٨٨ — يوسف بن عبد الله بن خيرون القضاعى . يكنى : أبا عمر . (٢)

٨٩ — يوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس الأنصارى يكنى : أبا الحجاج (ت ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م) أخذ كثيرا عن ابن عبد البر . (٣)

٩٠ — يونس بن أحمد بن يونس الأزدى . يكنى أبا الوليد يعرف بابن شوقة (ت ٤٧٤ هـ = ١٠٨١ م) . (٤)

— كتاب النساء —

٩١ — زينب بنت يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر وهى بنت ابن عبد البر روت عنه كل تواليفه . (٥)

٩٢ — طونة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع تكنى : أم حبيبة (٣٤٧ هـ — ٥٠٦ = ١٠٤٥ = ١١١٢ م) (٦) أخذت عنه كثيرا فى كتبه وتواليفه .



---

(١) نفس المصدر : ٦٨٩ .

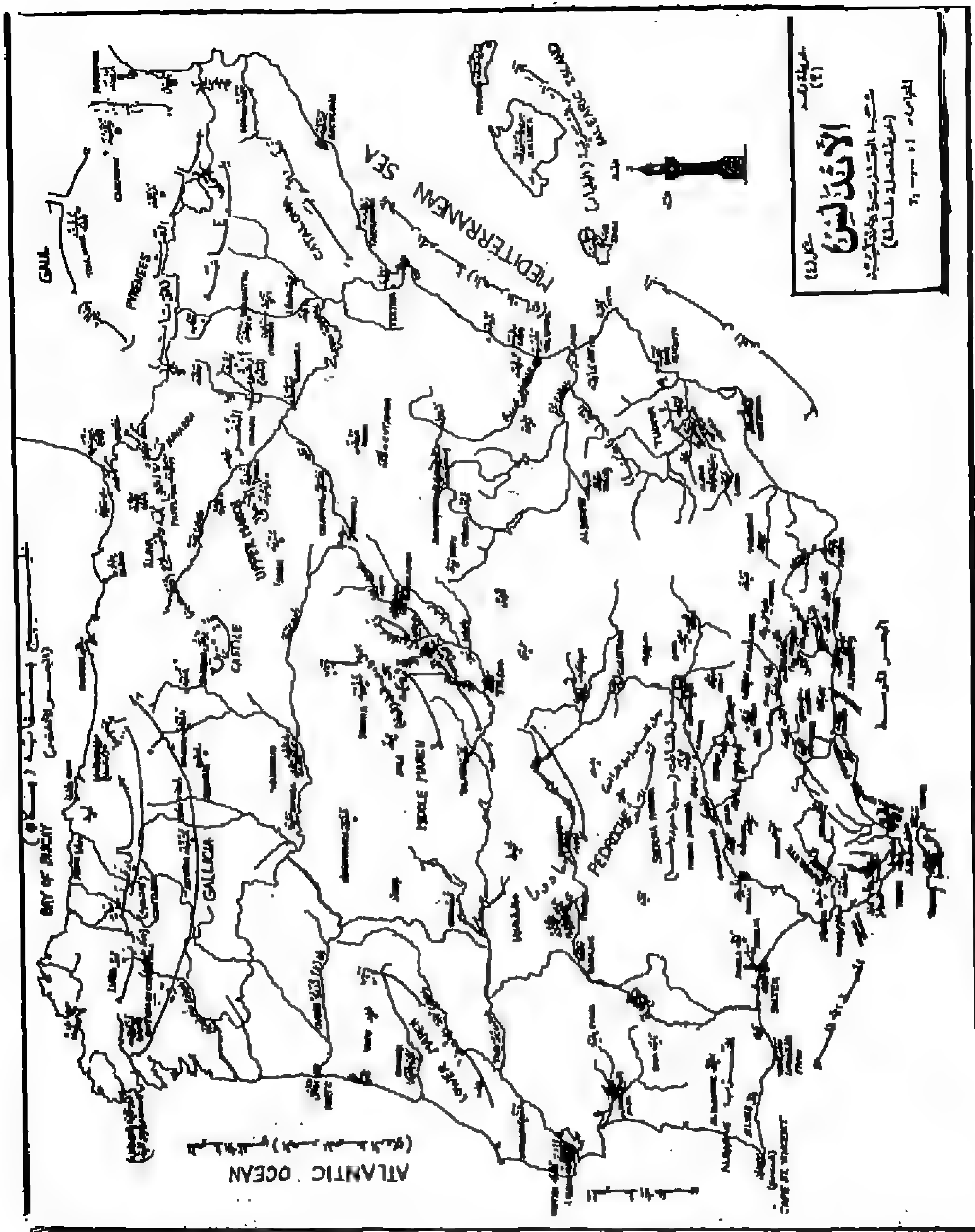
(٢) الصلة : ٦٧٧ ، الحلل السندسية : ٣ /٢٢١ .

(٣) نفس المصدر : ٦٨١ ، البغية : للضبى : ٤٩١ ، الحلل السندسية : ٣ / ٢٤٣ .

(٤) نفس المصدر : ٦٨٧ .

(٥) التكملة : لابن الأبار : قسم ٤ لوحة ١٥٤ مخطوط بمعهد المخطوطات .

(٦) الصلة : لابن بشكوال : ٦٩٦ ، التكملة : لابن الأبار : قسم ٣ لوحة ١٥٤ مخطوط بمعهد المخطوطات لم يصنف بعد .


الأندلس
MEDITERRANEAN SEA
ATLANTIC . OCEAN
BAY OF BISCAY
GAUL
PYRENEES
CATALONIA
UPPER MARCH
CASTILE
GALLICIA
LOWER MARCH
PEDROCHE
BALEARIC ISLAND

المحتويات

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

إطار البحث التاريخى عند ابن عبد البر

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٣٤٦ / ٨٦

الترقيم الدولى ١ ـ ٦٢ ـ ١٤٢٠ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ ـ ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - ش.م.م - المنصورة
التوزيع : شارع البحر أمام كلية الطب . ت : ٣٤٧٤٢٣
المطابع : شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب - عمارة الوفاء
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠ - تلكس : DWFA UN ٢٤٠٠٤